

التعازي

[والمرآث والمواعظ والوصايا]

للإمام الكبير

أبي العباس محمد بن يزيد البربر

٢١٠ - ٢٨٦ هـ

تقديم وتحقيق

أبو العباس محمد بن زيد

مراجعة

محمد صالح

التقديم

إلى

إلى الذين فقدوا أحياءهم وأغزاهم فصبروا ورضوا بقضاء الله ،
وطلبوا منه الرحمة والأجر والثواب .

إلينا جميعا ، وما من واحد منا إلا وله حبيب فقدته وعزيز رحل عنه
وتلك هي سنة الحياة كما خلقها رب العالمين .
إليهم جميعا أقدم هذا الكتاب .

إبراهيم الجمل

لَعَمْرِي لَئِنْ غَالَ زَنْبُ الزَّمَانِ
فَسَاءَ لَقَدْ غَالَ نَفْسًا حَيَّةً

وَلَكِنْ عَلِمِي بِمَا فِي الثُّلُوبِ
بِ عِنْدِ الْمُصِيبَةِ تَتَسَّى الْمُصِيبَةِ

المُبَرَّد

معجم الأدباء : ٦ - ١٣٥

﴿ .. وَالشَّرَّاتِ وَيَسِّرِ الصَّادِرِينَ

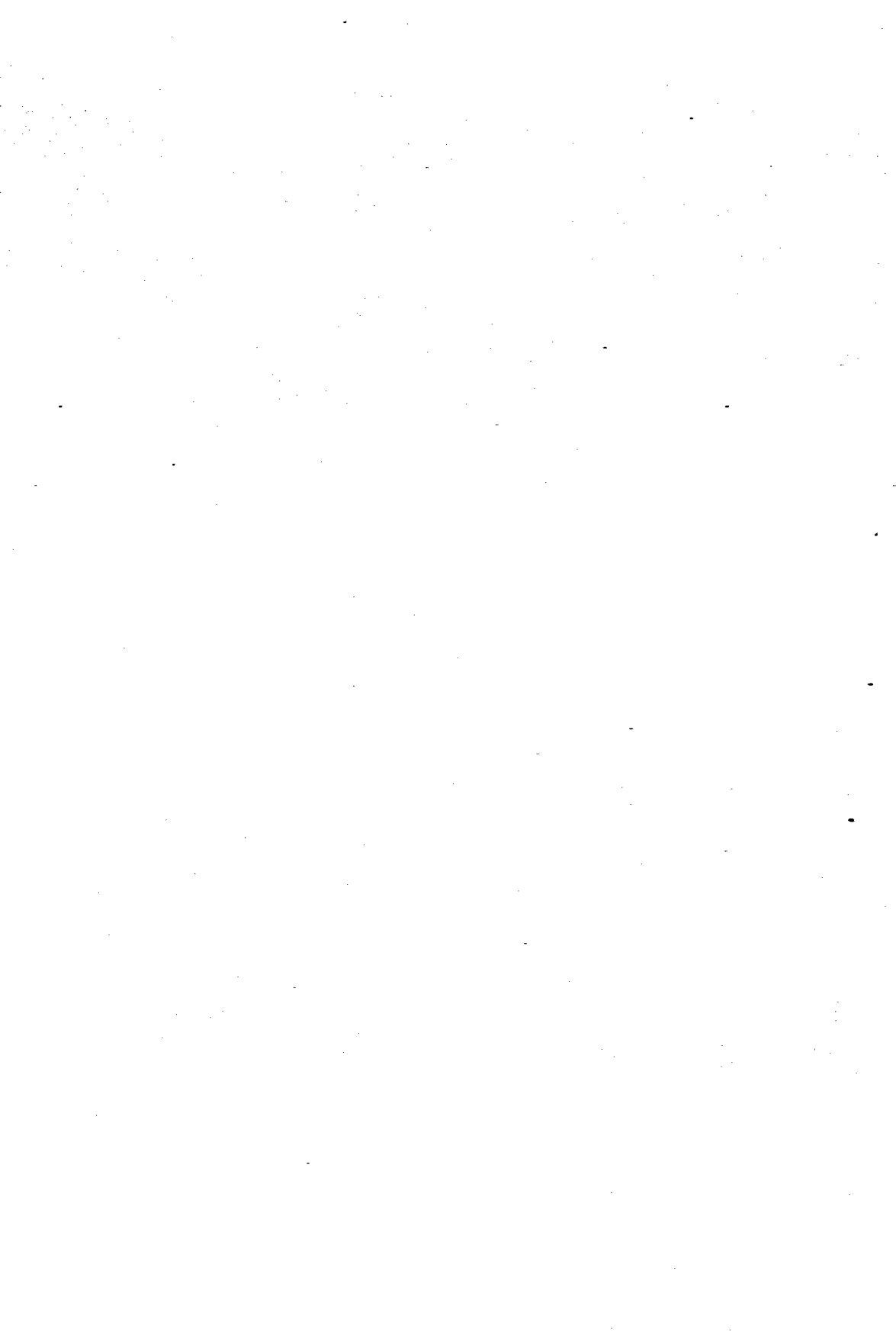
﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ

هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿

سورة البقرة : ١٥٥ - ١٥٧

قرآن كريم



بسم الله الرحمن الرحيم - تقديم المحقق -

الحمد لله بيده ملكوت كل شيء ، يحيى ويميت ، وهو القاهر فوق عباده ، وهو اللطيف الخبير ، والصلاة والسلام على من أرسله ربه رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحابه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين .

أقول هذا هو كتاب (التعازي) للإمام أبي العباس محمد بن يزيد المعروف بـ (الميرد) صاحب التأليف المشهورة ، ألفه رحمه الله منذ أكثر من ألف ومائة عام ، وظل في عالم النسيان مغموراً حتى الربع الأخير من هذا القرن - القرن العشرين - وحتى هيا الله سبحانه وتعالى له من تولى تحقيقه ونشره لتعم به الفائدة الجليلة والمنفعة العظيمة في الدنيا والآخرة .

والكتاب وما فيه من سبب لتأليفه وهو موت صديق مخلص للمؤلف يقع بكل إنسان منا ، وما يزال يقع ، وسيظل يقع إلى أن يرث الله سبحانه الأرض ومن عليها .
فالتعازي وأسبابها - كما قيل - باقية مع الناس أبداً ، إذ كانت الفجائع لا تنقضي إلا بانقضاء المصائب ، ولا يفنى ذلك إلا بفناء الأرض ومن عليها ، ولا إله إلا الله الحي الذي لا يموت .

لم يقف المؤلف بالكتاب عند الحد الذي من أجله ألفه ، ومقدار تأثيره بذلك ، بل لقد أضاف إليه من الأدب والتاريخ والتأريخ والدين الشيء الكثير حتى ليستطيع المرء أن يقول إنه ليس كتاباً واحداً ، بل هو عدة كتب وإن كل موضوع مما تطرق إليه رحمه الله يصلح أن يكون كتاباً كبيراً .

وفوق ذلك فهو أصل ومرجع لكل ما تناوله بالبحث والتحليل ، وما أكثر ذلك

بين طياته ، وإن اكتشافه وإن جاء متأخرًا ، وتم تحقيقه ونشره يعد ذخيرة عظيمة للدين والعربية بفروعها وتاريخها وآدابها في الجاهلية والإسلام .

وبدورى حينما أُخْرِجَ للناس ، أُخْرِجَ من غير حشو لمراجع وأسماء كتب وعناوين يكون القارىء في غنى عنها ، وأحيانًا قد يرجع المرء إلى تلك المراجع فلا يجدها لأن الطبعات تتجدد ، وقد تفتى تلك المراجع فلا يجدها القارىء ، فتكون وكأنها حشو لا يستفيد منه إلا من قدمه لغرض خاص ومنفعة شخصية ، وإذا كنا أخرجناه حسبة للأجر والثواب من العلى القدير فإننى موقن أن الجميع عامة وخاصة وخاصة الخاصة سيستفعمون به إن شاء الله .

بدأ المؤلف رحمه الله كتابه بمقدمة لبيان السبب الذى من أجله ألف كتابه ، وهو موت صديقه وحميمه القاضى إسماعيل ، فأثنى عليه ومدحه ، ثم تعرض لوفاة النبی ﷺ ، وما قاله وعمله سيدنا على بن أبى طالب وقد قام بغسله وتكفينه ﷺ . ثم ما قاله عبد الله بن أراكة رثاء عندما بلغه مقتل ابنه عمرو باليمن على يد قائد معاوية ابن أبى سفيان بعد أن تغلب على على وحزبه .

تعرض المؤلف للشعراء في الجاهلية ، وما قالوه للتعزية والرثاء وهم يتحاضون عند المصيبة على الصبر حزمًا وحلمًا ومروءةً ، أما ما قاله الشعراء في الإسلام فإنهم يتحاضون على الصبر رضاء بقضاء الله وطلبًا لما وعد الله به الصابرين من حسن الثواب ، واستدل على ذلك بما قاله النبی ﷺ وفعله عند موت ابنه إبراهيم عليه السلام .

ثم رجع المبرد إلى تعازى ومراتى كبار شعراء الجاهلية والمخضرمين وبنى أمية بالشرح والتحليل من أمثال متمم بن نويرة ، ودريد بن الصمة ، وكعب بن سعد الغنوى ، وأعشى باهلة ، وأوس بن حجر وغيرهم من أمثال ليلى الأخيلية والخنساء ، ولم ينس المبرد أن يذكر ما أصاب بعض الصحابة والتابعين من أمثال معاوية بن أبى سفيان ،

وقد أصيب بصاحب له ، وعمر بن عبد العزيز وقد أصيب بابنه عبد الملك وعامر بن مسمع وخالد بن صفوان ، وسليمان بن عبد الملك وأسماء بنت أبي بكر وغيرهم من الصابرين المحسنين .

وجعل المبرد للوصايا بابًا فجاء بوصية لأبي بكر الصديق وعمر وعلي بن أبي طالب ومعلوية وأبي عبيدة وعبد الملك بن مروان وغيرهم ، وختم الباب بحديث مستفيض عن معاذ بن جبل وفقده لولده وصبره واحتسابه .

ثم ذكر تعازي ومراتي لشعراء محدثين من أمثال مسلم بن الوليد وإبراهيم بن المهدي وهو أخو هارون الرشيد وأبي العتاهية ، والبعلی وابن الزيات وابن المعتدل وابن أبي حفصة وغيرهم مما جادت به القريحة المكلمة .

جعل المؤلف للمواعظ بابًا ملاءه بأخبار كثيرة عن عروة بن الزبير وقطع رجله وفقده ولده وصبره ، وعبد الله بن الزبير مع أمه ، والقلاخ بن حزن ، وشریح بن الحارث وأفاض في الحديث عن الحجاج بن يوسف الثقفي وفقده لولده وأخيه وحزنه الشديد ولوعة الفراق وقد كان قاسيا متجبرًا .

وذكر الطواعين التي اجتاحت العراق في أوقات متفرقة والأضرار التي ترتبت عليها والعظة والعبرة مما أصاب الناس ، وما جرى على أيديهم من غرائب الأحداث .

واختار المبرد رجالا تكلموا بآخر ما قالوه عند الاحتضار بدأها بما قاله رسول الله ﷺ حينما جاءه جبريل وخبره بين البقاء في الدنيا وبين لقاء الله فاختر لقاء الله سبحانه وتعالى ، وأتى بأقوام آخرين فمنهم من وفق في آخر ما قاله ومنهم من لم يوفق ليكون لنا عظة وعبرة .

وعقد للجفأة عند الموت بابا مستقلا بدأه بموقف أبي طالب ، وما قاله رسول الله ﷺ نعمه ثم بمن زين لهم الشيطان سوء أعمالهم فاستولى عليهم فلم يختم لهم بالإيمان .

وتحدث عن تكلم بشيء في مرضه ، وبدأ هذا بما تكلم به بلال بن رباح مؤذن رسول الله ﷺ وعامر بن فهيرة وحسان بن مجدل وغيرهم وختم الكلام بما قاله عبد العزيز بن عبد الرحيم في رثاء أبيه وقد قتله أحد مماليك الخليفة المعتصم في اليمن ، والقصيدة رائعة زادت على الخمسين بيتاً ، وأحمد بن محمد الخنعمي في رثائه لإبراهيم الحميري .

ثم انتقل المبرد مرة ثانية إلى مرثى الجاهلية وحرب البسوس وحروبها فتحدث عن حرب داحس والغبراء ، وحرب الأوس والخزرج ، وأتى بشعر كثير مما قيل في تلك الحروب ، ولم ينس أن يرجع إلى أخبار البصرة وثورة الزوج والفتنة التي قامت فأحرقت البصرة وقد رثاها أبو ناظرة السدوسي بقصيدة قاربت السبعين بيتاً ختمها بقوله .

عليك سلام الله منا فإننا
نرى العيش إلا فيك غير حبيب

ثم أقبل على نهاية الكتاب فأتى بما أسماه أخباراً طريفة وأشعاراً ظريفة ، فوقى بما قال ، وكان مما ذكره قصيدة حسان بن ثابت يرثي بها القادة الثلاثة الذين استشهدوا في غزوة مؤتة ، وقصيدة محمد بن مناذر في عبد المجيد الثقفي ومنصور النمرى يرثي يزيد من مزيد القائد العباسي الشجاع .

ثم كانت الخاتمة ب رائعة يرثي بها صاحبها رسول الله ﷺ بدأها بقوله :

أفاطم بكى ولا تسألى
لصبحك ما طلع الكوكب

ثم أتى بدعاء يدعو به أصحاب الحاجات أُرثِر عن النبي ﷺ :
يتوضأ صاحب الحاجة ، ويصلى ركعتين ثم يدعو بهذا الدعاء (اللهم إني أسألك
بنتي محمد نبي الرحمة . يا محمد إني أتوجه بك إلى ربى فيقضى لى حاجتى - ويذكر
حاجته) وكان الختام .

اللهم شفعه فينا واهدنا بفضلك - يا إلهى - إلى الصراط المستقيم وانفع بما عملنا
إنك نعم المولى ونعم النصير .

رحلتي مع كتاب (التعازي)

ترجع تلك الرحلة إلى أوائل العقد السابع من هذا القرن (القرن العشرين) فقد ابتعثت من وزارة التربية في القاهرة إلى وزارة التعليم بالمغرب الذي تنقلت فيه بين معاهد المعلمين في أغادير وأبي الجعد ثم استقر لي المقام في (الرباط) ، فقد عيّنت أستاذًا للغة العربية في ليسيه مولاي يوسف .

كان أول ما سألت عنه في (الرباط) خزانة المخطوطات ، تلك التي كان دائم الحديث عنها ونحن في القاهرة شيخ المخطوطات الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي المغربي قبل أن يعين أستاذًا للتراث في جامعة أنقرة بتركيا .

ومن حسن الحظ أنني عندما ذهبت إلى الخزانة أن وجدت عالمنا الكبير قد انتدب لقسم التراث بوزارة الأوقاف المغربية ، وزاد من فرحتي أنني سأكمل ما تعلمت على يديه في القاهرة .

تكرر لقاءنا في الخزانة وفي مكتبته الكبيرة ، وتحدثنا عن المخطوطات كثيرًا ، ثم فكرنا في تحقيق بعض المخطوطات ، فبدأناها بالجزء الأول من كتاب (أعمال الأعلام) لابن الخطيب ، وكان الأستاذ العبادي والأستاذ ابراهيم الكتاني يحققان الجزء الثاني من الكتاب ، بينما كان أحد المستشرقين قد نشر الجزء الثالث وهو خاص بالأندلس .

كان بالخزانة مخطوطتان مختلفتان للكتاب ، وتفضل الفقيه التطواني فأعارنا مخطوطة ثالثة ، وما كدنا ننتهي من تحقيق هذا الجزء حتى كان الأستاذ الكتاني قد فرغ من تنظيم ما أتى به من رحلته التي زار فيها جنوب المغرب وزاوية الناصرية بتمكروت وعاد بمئات من أنفس المخطوطات العربية .

كنا في جلسة بالخزانة وكان معنا العلامة الشيخ محمد المنوني وكان يعمل بالخزانة فأخبرنا بأن ضمن ما أتى به الأستاذ الكتاني مخطوطة نادرة لكتاب (التعازي) للمبرّد ، وأشار على الأستاذ ابن تاويت بتحقيق المخطوطة بعد الحصول على مخطوطة الأسكورريال ،

فأشار على الأستاذ ابن تاويت بأن أنقل المخطوطة ، وما كدت انتهى من النقل سنة ١٩٦٣ م حتى كانت الأمور قد تأزمت بين المغرب والجزائر ثم انضمت مصر للجزائر ، واثارت نائرة المغرب على مصر والمصريين فاضطررنا نحن المصريين إلى ترك المغرب ، والرجوع إلى القاهرة .

رجعت إلى القاهرة ومعى النسخة التى نقلتها ، وكنت على صلة بالأستاذ ابن تاويت ، وقد تواعدنا على اللقاء فى القاهرة ، ثم أخبرت بأنه ترك العمل بالمغرب ، وعاد إلى عمله بالجامعة بتركيا ، ثم توفى بعد أيام أو أشهر من رجوعه . رحمه الله رحمة واسعة .^(١)

وفى القاهرة حاولت أن أحصل على صورة من مخطوطة (الأسكوريال) فاتصلت بالمركز الثقافى الأسباني بالقاهرة ، ولم تمض إلا أيام قليلة حتى وصلنى (ميكروفيلم) للكتاب ، ثم رأيت أننى فى حاجة لنسخة الرباط ، فأرسلت إلى الأخ الأستاذ الدكتور محمد كمال شبانة وكان بكلية الآداب جامعة فاس ، فصور النسخة وأرسلها لى . أصبح عندى صورتان بالإضافة إلى ما نقلت ، وأردت أن أشرك معى من هم أكثر دراية وعلمًا ، فعرضت الأمر على أستاذنا العلامة السيد أحمد صقر فقال : إن صورة نسخة الأسكوريال التى كانت عنده أعطاها للعالم المحقق الأستاذ محمود شاکر ، وأنه زهد فى تحقيق الكتاب .

ثم عرضت النسختين على الأستاذ إبراهيم الإييارى ، فاطلع عليهما شهوياً ، ثم قال : الوقت ليس مناسباً لى لتحقيق هذا الكتاب ، فعرضت الموضوع على الأستاذ مصطفى حجازى ، فاعتذر لا نشغاله بأعمال أخرى لمجمع اللغة العربية .

(١) قابلى الفقيه التطوانى بعد فى المسجد النبوى بالمدينة المنورة ، وأكد لى وفاة الأستاذ ابن تاويت ، وأن مخطوطته لم ترد إليه ، فأخبرته بأنى تركها مع الأستاذ ابن تاويت مع الجزء الذى حققناه من كتاب أعمال الأعلام .

ثم أننى شغلت بالتأليف . والتأليف كما يقول العلامة الأستاذ محمد المنونى أسهل بكثير من التحقيق؛ فكتبت عن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، والداعية الكبير عبد الله ابن ياسين، وزوجات النبي ﷺ، وتعدد الزوجات وكان موضوعًا يشغل الناس في وقته ثم اشتركت مع أ. د. محمد كمال شبانة في تحقيق كتاب (السحر والشعر) لابن الخطيب فأتمناه بعد مجهود كبير إذ خرّجنا آلاف الأبيات ومقات التراجم وهو الآن في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ليأخذ دوره للنشر . ثم وجدت أن الوقت أصبح مناسبًا لتحقيق كتاب (التعازى) فجمعت ما أمكن من المراجع وبدأت معتمدًا على المولى سبحانه وتعالى .

كان أ. د محمد بن شريفة عميدًا لكلية الآداب بوجدة المغربية في ذلك الوقت وهو الآن مدير لخزانة الرباط في زيارة للقاهرة، وكنا على صلة علمية أيام الرباط فقد قمنا بتأليف بعض الكتب الدراسية معًا في أثناء وجودى بالرباط، وكثيرا ما كنا نلتقى حين يأتى إلى القاهرة فأقبله، وسألته مرة عن مخطوطة التعازى المغربية، فأخبرنى بأن أحد الإخوة قد قدم كتاب التعازى لكلية الآداب بالرباط كرسالة لينال بها درجة علمية، فلم يقلل هذا من السرور في طريق تحقيق الكتاب، بل حثنى هو على الاطلاع على هذه الرسالة، فقد أستفيد من الاطلاع عليها، فانتزعت فرصة وجود الأخ الصحفى الأستاذ أديب السلوى، وهو صديق للأستاذ الصحفى جمال الغيطانى وقد كتبنا معًا عدة مقالات في الصحف المغربية وأيضًا اشتركنا معًا في تحقيق ديوان المعداوى الشاعر الذى وافته المنية في حادثة الطائرة في ذلك الوقت، وكان عائدا من مؤتمر للشعراء على نهر الدانوب بأوروبا، وكنت قد كتبت عن المعداوى مقالتين في العدد الأول والثانى من مجلة اتحاد الكتاب المغاربة، وكان أ. د الحبابى عميد كلية الآداب بالرباط يتولى رئاسة الاتحاد وتوجيهه^(٢) .

(٢) اشترك معنا في تحقيق الديوان أخو المعداوى أ. أحمد الجاطى وكان قد عاد من سوريا بعد أن انتهى من دراسة في كلية الآداب بدمشق وعين في كلية الآداب بالرباط في ذلك الوقت، وظلنا على صلة ثم قطعها طول الفراق .

رجوت الأستاذ السلاوى بأن يرسل نسخة من الرسالة عليها تسهل لي ما قد يستصعب ولم تمض شهور حتى وصلتني نسخة من الرسالة .

الحقيقة أنى استفدت من الإطلاع عليها ، ورجعت إليها فيما استصعب ، ففيها علم غزير وهذا شأن الرسائل الجامعية يشترك فيها الطالب والمشرفون ومن يتطوع بالمساعدة والتوجيه فتأتى بالفوائد وزيادة ومن الزيادة ما يستفيد منها الباحث دون غيره للدلالة على تعمق وحده .

والمشاركة العلمية قد تفيد الباحث وتسهل له الطريق وقد اشتركت بالتوجيه للأخ والصديق أ . د محمد المصرى لنيل الدكتوراة من كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر ، وكانت رسالته في (ابن زيدون) وكانت لي أبحاث في التاريخ الأندلسي .

والحديث ذو شجون هذا ومع اختلافنا مع صاحب الرسالة في الاعتماد على الأصل والمنهج والطريقة والغاية كما سيأتى توضيح ذلك عند الحديث عن منهجى للكتاب . إلا أننى أشكر الأستاذ محمد الدياجى صاحب الرسالة على مجهوده النافع المفيد من رسالته القيمة فقد سهلت لي من الصعب الكثير .

مع مؤلف (التعازي)

أولا : مكانة المؤلف :

مكانة المؤلف هي التي تعيننا هنا ، فمن أجل تلك المكانة كان حرصنا الكبير على نشر كتبه وعلمه للاستفادة العظيمة من آثاره وما ترك من علم ومعرفة .

الإمام الكبير مؤلف كتاب (التعازي) أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بـ (الميرد) هو واحد من أربعة عظماء أجمع المؤرخون على إمامتهم في الأوساط العلمية والأدبية وهم :

- ١ - أبو عثمان عمرو بن بحر المعروف بـ (الجاحظ) .
- ٢ - أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة .
- ٣ - أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي .
- ٤ - أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بـ (الميرد) .

ولقد أثنى العلماء والمؤرخون على هؤلاء عامة وعلى (الميرد) خاصة ، وجميع الذين أثنوا على الميرد قد نبغوا وصاروا أعلاما ، وتركوا للعلم والأدب ذخائر من مؤلفاتهم ، نذكر منهم :

السيرافي^(١) قال في أمانة الميرد :

(ما رأيت أحسن جوابا من الميرد في معاني القرآن الكريم فيما ليس فيه قول لمتقدم) .
ونفظوية^(٢) قال :

(ما رأيت أحفظ للأخبار بغير أسانيد منه)

(١) أبو سعيد الحسن بن عبد الله المرزبان ، ولد سنة ٢٨٤ هـ وتوفي سنة ٣٦٨ هـ . وله مؤلفات عديدة (انظر الترجمة مفصلة في تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ : ٢ - ٥١٥) ، ومقدمة كتاب أخبار اللغويين البصريين ووفيات الأعيان .

(٢) أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة ، ولد سنة ٢٤٤ هـ وتوفي سنة ٣٢٣ هـ ، وله مؤلفات كثيرة (انظر الترجمة في تاريخ الأدب لعمر فروخ : ٢ - ٤٢٣) .

وابن جنى^(٣) قال :

(يعد جيلا في العلم ، وإليه أفضت مقالات أصحابنا ، وهو الذى نقلها وقررها ، وأجرى الفروع والعلل والمقاييس عليها) .

والأزهري قال فى مقدمة كتابه التهذيب متحدثا بمن (المبرد) إمام البصريين و (ثعلب) إمام الكوفيين ، وكانت بينهما منافسة علمية شديدة .

(.. وكان محمد بن يزيد أعذب الرجلين بيانا ، وأحفظهما للشعر المحدث ، والنادرة الطريفة والأخبار الفصيحة) .

ومدحه الشعراء من أمثال المشاهير كالبحتري وابن الرومى وقال فيه أحمد بن إسماعيل فأجاد :

رأيت محمد بن يزيد يسمو إلى الخيرات فى جاه وقدر
جلس خلافت وغذى ملك وأعلم من رأيت بكل أمر
وينثر إن أجال الفكر دوا وينثر لؤلؤا من غير فكر

لقد أجمع معاصروه من العلماء والأدباء والمؤرخين ، ومن درس منهم كتبه وعلمه على أنه العالم الكامل والمعلم البارع والأديب الذى لا يبارى ، وكانت حلقة برغم اتساعها تضيق لمزيد من الذين يريدون أن ينهلوا من علمه ، وتلك منزلة لا يصل إليها إلا من كان فى منزلة الإمام المبرد رحمه الله رحمة واسعة .

ولعل العلامة الكبير صاحب كتاب أنباه الرواة على بن يوسف بن إبراهيم القفطى^(٤) كان أكثر إحاطة بالتعريف بالرجل فقال :

(٣) أبو الفتح بن جنى ، ولد فى الموصل سنة ٣٣٠ هـ توفى سنة ٣٩٢ هـ له مؤلفات حقق معظمها منها الخصائص والنصف ، والألفاظ المهموزة وغيرها (انظر ترجمته فى تاريخ الأدب لعمر فروخ : ٢ - ٥٧٦) .

(٤) ولد بقطيف من بلاد الصعيد سنة ٥٦٠ هـ ، وله ما يقرب من العشرين كتابا معظمها فى التاريخ والرجال والتأريخ زيادة على النحو والفقه والحديث وعلوم القرآن والأصول والهندسة توفى سنة ٦٤٦ هـ (انظر ترجمته فى فوات الوفيات : ٣ - ١١٧) .

(وكان أبو العباس محمد بن يزيد من العلم ، وغزارة الأدب ، وكثرة الحفظ ، وحسن الإشارة ، وفصاحة اللسان ، وبراعة البيان ، وملوكية المجالسة ، وكرم العشرة ، وبلاغة المكاتبة ، وحلاوة المخاطبة ، وجودة الخط ، وصحة القريحة ، وقرب الإفهام ، ووضوح الشرح ، وعذوبة المنطق على ما ليس عليه أحد ممن تقدمه أو تأخر عنه) .

أما ابن الرومي الشاعر الكبير المعروف بكثرة هجائه ، فقد مدح (المبرد) بقصيدة طويلة نذكر منها هذه الأبيات :

يا أبا العباس إلى رجلٍ في عَمْنٍ عائد الحقِّ عُودُ
ويعينا إنك المرء الذي جه عندي سواء والسجودُ
لم أزل قَلَمًا وقلبي وبيدي ولساني لك مذكتُ جنودُ
شاهد أنك بحر زاعر لك من نفسك مُد بل مُدودُ
يُجَنِّي ذُرُك رطبًا ناعمًا فلنا منه شوف وعقودُ
غير أن البحر ملحٌ آسن ولأنت المشرب العذب البرودُ

وهذا قليل من كثير مما قيل في رجلنا العبقري صاحب كتاب (التعازي) كتاب الدنيا والآخرة .

ثانيا : حياته وصفاته وثقافته :

وُلد أبو العباس محمد بن يزيد بالبصرة سنة ٢١٠ هـ وكان والده من السروجيين بالبصرة ممن يكسح السباخ والزبل من الأرض ، ويجمع القمامة التي تستخدم كوقود للحمامات ، وكان ينادى بـ (حيان البورجي) . وقيل في نسبه إنه عربي ينتمي إلى اليمن ، وقالوا أيضا :

ولذلك تزوج المبرد ابنة الحفصي المغني ، والحفصي شريف من اليمن ، والشريف لا يختار لابنته إلا شريفا .

ولما رزق حيان بمولوده سماه محمداً تيمناً باسم الرسول ﷺ ، ولما نما وظهرت عليه

علامات النبوغ لم يرد أن يشركه معه في عمله ، وبخاصة أنه كان وسيماً جميل الشكل فأبعده عن صنعته ، وأرسله إلى الجامع الذي يتعلم فيه الصبيان ، فحفظ القرآن الكريم ، وشيئا من أحاديث رسول ﷺ ، وتعلم الخط وشيئا من الحساب ، واشتهر بحفظ الكثير من الشعر والنثر ، وظهر نبوغه مبكرا ، فتردد على مجالس العلم واللغة والنحو ، وكان ملفتا للنظر لصغره ومشاركته في المناقشة ، وسرعة بديته فقد كان كما وصفه القفطى منذ صغره :

كثير الحفظ ، فصيح اللسان ، جيد الخط ، صحيح القريحة ، قريب الفهم واضح الشرح ، عذب المنطق ، وبجانب ذلك كان ذا شخصية ووجه جميل مما جعل بعض شيوخه يعجبون به فيقولون فيه أشعاراً؛ قال فيه شيخه أبو حاتم السجستاني أشعاراً نذكر منها قوله :

وقف الجمال بوجهه فسمت له حدق الأنام

وقال فيه أيضا :

أبرزوا وجهك الجميل ولا مـوا من افتن
لو أرادوا صيأتي ستروا وجهك الحسن

تلقى المبرد العلم في حلقاته على كبار علماء عصره في البصرة ، واهتم به (الكتاب) وهو مؤلف سيبويه المشهور ، وقد كان عقدة الدارسين فمن قرأ الكتاب وفهمه فقد فهم كل شيء لذلك كان الكتاب محور الدراسة والفهم . جلس له في حلقة أبي عمر صالح بن إسحاق المعروف بـ (الجرمي) فقرأ عليه ثلث (الكتاب) فلما توفي الجرمي سنة ٢٢٥ هـ بدأ من جديد قراءته على المازني ، واستطاع بذكائه وما أعطاه الله من الفهم أن يفرق بين شيخيه المازني والجرمي فقال :

(.. وكان الجرمي أغوصهما) .

أما أستاذه أبو حاتم السجستاني سهل بن محمد المتوفى سنة ٢٢٥ هـ فقال عنه المبرد :
(جئت السجستاني وأنا حدث فرأيت بعض ما ينبغي أن تهجر حلقتك له ، فتركته مدة ، ثم صرت إليه) .

وقال المبرد ناقدًا لشيخه السجستاني والمازني :

(كان إذا التقى هو والمازني في دار عيسى بن جعفر الهاشمي بادر بالخروج خوفًا من أن يسأله المازني عن النحو ، وكان جماعة للكتب يتجر فيها ، وكان كثير تأليف الكتب في اللغة) .

و درس على التَّوَزِّي : وهو محمد عبد الله بن محمد المتوفى سنة ٢٤٨ هـ وقال عنه المبرد :

(ما رأيت أحدًا أعلم بالشعر من أبي محمد التَّوَزِّي ، وكان أعلم من الرياشي والمازني ، وأكثرهم رواية عن أبي عبيدة) .

وأخذ المبرد عن الرياشي أبو الفضل عباس بن الفرغ المتوفى سنة ٢٥٧ هـ وكان من كبار أهل اللغة ، كثير الرواية للأخبار وللشعر ، قرأ كتاب سيويه على المازني ، وكان المازني يقول :

(قرأ عليّ الرياشي ، ويشتشهد به) وكان الرياشي يعرف للمبرد قدره ، فلما انتقل المبرد إلى بغداد كان الرياشي يزوره كلما قدم من البصرة .

كان المبرد يتردد على الجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب المتوفى سنة ٢٥٥ هـ ويسمع منه ، ويروى عنه حتى عده من شيوخه ، وروى عنه كثيرًا في كتابه (الكامل) وتحدث عنه ، وكان ممارواه قال :

دخلت على الجاحظ في آخر أيامه وهو عليل فقلت له :

كيف أنت ؟

فقال :

كيف يكون من نصفه مفلوج لو نشر بالمناشير ما أحس بها ، ونصفه الآخر منقرس لو طار الذباب بقربه لآله ، والأمر في جميع ذلك أنتى جاوزت التسعين وأنشد :

أترجو أن تكون وأنت شيخ كما قد كنت أيام الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب دريس كالجديد من الثياب

لم يقف الحال بالميرد أن تكون ثقافته مقصورة على ما يتلقاه من شيوخه ، بل كان يقرأ كل ما يمكن أن يصل إليه من كتب السابقين ، وكان شديد الحرص على كتاب سيبويه ، ونسخته الخاصة به .

حكى يا قوت الحموى في كتابه معجم الأدباء قال :

إن أبا الحسين محمد بن ولّاد قدم إلى العراق ، وفيها أهله لأخذ كتاب سيبويه عن أبي العباس الميرد ، وكان لا يمكن أحدًا من نسخه إذ كان شديد الضن بها ، فعمد ابن ولّاد إلى ابن الميرد وكلمه على أن يجعل له في كل كتاب منه جُعلًا سماه له ، فأجابه ابن الميرد إلى ذلك فأكمل نسخه .

ولما علم الميرد بذلك فيما بعد سعى بابن ولّاد إلى بعض خدم السلطان ليحبسه له عقابا على فعلته ، ولكن أبا الحسين احتفى بصاحب خراج بغداد ، وكان الحسين يؤدب ولده فأجاره منه .

كانت ثقافة الميرد عربية خالصة فشغل نفسه بالنحو واللغة والأدب ، وراح يتقرب إلى علماء الدين بما كتب وجمع في كتاب التعازى .

ولقد صرفه الله سبحانه عن الاشتغال بعلوم الفلسفة والمنطق وغيرها ، فانصرف لخدمة القرآن بنبوغه في علوم العربية ، وبقدرته الفائقة على المناقشة والجدل رغم حداثة سنة . لقد حاز ثقة شيوخه ، وهو ما يزال يطلب العلم ، فأجازوه وحثوه على الجلوس لحلقة الدرس بنفسه ، فهو جدير بأن يقوم بالتدريس والمناقشة

يقول الميرد بكل ثقة إنه كان أثبت القوم في كتاب سيبويه فقد حذقه وهو صغير .

وروى الزبيدي قال :

حدثني النهدي والمسمعي قالا :

رأينا محمد بن يزيد وهو حدث السن متصدرًا في حلقة أبي عثمان المازني يقرأ عليه كتاب سيبويه ، وأبو عثمان في تلك الحلقة كأحد من فيها .

وقال اليوسفى الكاتب :

كنت يوماً عند أبى حاتم السجستاني إذ أتاه شاب من أهل نيسابور فقال له :
يا أبأ حاتم إني قدمت بلدكم وهو بلد العلم والعلماء ، وأنت شيخ هذه المدينة ، وقد
أحببت أن أقرأ عليك كتاب سيويوه فقال له :
(الدين النصيحة إن أردت أن تنتفع بما تقرأ ، فاقراً على هذا الغلام محمد بن يزيد
فتمجج من ذلك) .

وقال أبو بكر السراج :

حدثنى المبرد قال : خرجت من البصرة إلى بغداد فاجتزت بالمازنى متفرجاً ، وكان
في بعض البيوت كهلاً نظيفاً ، فلما رآنى قال :
مرحباً بهذا الوجه الغريب ، وشكلك من البصرة ؟
قلت نعم .

قال :

هل درست بها على نابغتهم ؟

قلت .

ومن هو ؟

قال : الملقب بالمبرد

قلت رأيتيه .

قال : هو فاضل .

ثالثاً : من سُرَّ مَنْ رَأَى إِلَى بَغْدَاد .

ولما ذاعت شهرة المبرد ، وانتشرت في الآفاق ، وأصبح إمام البصرة في اللغة والنحو
والأدب ، انتقل المبرد سنة ٢٤٦ هـ من البصرة إلى (سُرَّ مَنْ رَأَى) عندما طلبه الخليفة
المتوكل على الله . فقد اختلف الخليفة المتوكل مع وزيره الفتح بن خاقان في قراءة همزة
(أَنَّ) في قوله تعالى في الآية الكريمة :

﴿ وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ﴾ .

هل الهزمة بالفتح أم بالكسر ، وتحاكا إلى يزيد بن محمد المهلبى - وكان صديقا للمبرد - بعد أن تبايعا على عشرة آلاف دينار - فلما وقف (يزيد) على ذلك خاف أن يسقط عند أحدهما فقال :

والله ما أعرف الفرق بينهما ، وما رأيت أعجب من أن يكون باب أمير المؤمنين يخلو من عالم متقدم .

فقال المتوكل :

فليس ها هنا من يسأل عن هذا ؟

فقال :

ما أعرف أحدا يتقدم فتى بالبصرة يعرف ب (المبرد) .

فقال : ينبغي أن يشخص إلينا .

فأرسل إلى محمد بن القاسم بن محمد بن سليمان الهاشمى بأن يطلب من المبرد الحضور إلى (سُر من رأى) .

فلما حضر استطاع أن يتخلص منهما بالمدارة في إجابته !

فكرم بسبب ذلك ، وظل معهما إلى أن قتل المتوكل والفتح بن خاقان سنة ٢٤٧ هـ ، ثم انتقل إلى بغداد ، وصار مقربا للحكام والعلماء ، وأجريت عليه الأرزاق ، واشتغل بالتدريس وظهر على الجميع ، وأمضى أربعين سنة يدرس اللغة والنحو الأدب متبعا طريقة القياس مع الرواية للأخبار والأحداث التى رواها عن الأئمة السابقين ، وبرع في كل ما تطرق إليه ، وشهد له على ذلك ما تركه من كتب ورسائل وعلماء فطاحل ، وهذا دليل له بالبراعة والفضل والسبق تذكر من هؤلاء العلماء :

١ - أبو الحسن على سليمان بن الفضل المسمى بالأخفش الصغير ، وله فضل وعلم ،

وتوفى سنة ٣١٥ هـ .

٢ - الزجاج أبو إسحاق ابراهيم بن محمد السرى المتوفى سنة ٣١١ هـ قال عن المبرد .

(لما قدم المبرد بغداد جئت لأناظره ، وكنت أقرأ على أبى العباس ثعلب - زعيم

علماء الكوفة - فعزمت على إعناته ، فلما فاتحته أجمنى بالحجة ، وطالبنى بالعلة ،

وألزمنى لإزمات لم أهتد إليها ، فتيقنت فضله ، واسترجحت عقله . وأخذت في

ملازمته) .

وقال ابن النديم :

(الزجاج أقدم أصحاب المبرد قراءة عليه ، وكان من يريد أن يقرأ على المبرد يعرض عليه أولاً ما يريد أن يقرأه) .

وهذا دليل على تمكن المبرد من علمه ومعرفته وكثرة مادته ، وتمكنه من رسوخ قدمه في العلم .

٣ - ابن السراج أبو بكر محمد السريّ المتوفى سنة ٣١٦ هـ .

٤ - ابن كيسان : أبو الحسن محمد بن أحمد المتوفى سنة ٢٩٩ هـ .

٥ - الصولسى : أبو بكر محمد بن يحيى المتوفى سنة ٣٣٥ هـ .

٦ - الصنفار : إسماعيل بن محمد المتوفى سنة ٣٤١ ، وقد لزم المبرد مدة طويلة .

٧ - ابن درستويه : أبو محمد عبد الله بن جعفر الفسوى المتوفى سنة ٣٤٧ هـ قالوا عنه في طبقات الزبيدي قرأ على المبرد الكتاب وبرع .

٨ - الدنيورى : أحمد بن جعفر المتوفى سنة ٢٨٩ هـ ، وهو ختن لأبى العباس إمام أهل الكوفة ، ويذكر المؤرخون .

أنه كان يخرج من منزل ختته أبى العباس ثعلب وهو جالس على باب داره ، فيتخطى أصحابه ويمضى ومعه محبرته ودفتره ، فيقرأ كتاب سيبويه على أبى العباس . فكان يعاتبه أحمد بن ثعلب على ذلك فيقول :

إذا رآك الناس تمضى إلى هذا الرجل ، وتقرأ عليه ، يقولون ماذا ؟ فلم يكن يلتفت إلى قوله .

وهناك غير هؤلاء عشرات من كبار العلماء ممن ملئوا العربية علما وفضلا ، وكلهم يدينون بالفضل لرجلنا الكبير الموهوب صاحب الفضل في إثراء اللغة العربية رحمه الله وغفر له .

رابعا : كتب المبرد :

ترك المبرد آثارا كثيرة تدل على مبلغ رسوخ قدمه ، وأثره الفعال في إثراء اللغة من كتب ورسالات ما تزال منها للدارسين بالشرح والتعليق والتحقيق ، نذكر منها .

١ - (١) كتاب الكامل الذى نال به شهادة كل العلماء والمؤرخين فهو واحد من الأربعة التى أجمع النقاد على فضلها ومكانتها وباقي الأربعة .

(ب) البيان والتبيين للجاحظ .

(ج) كتاب النوادر لأبى على القالى .

(د) كتاب أدب الكاتب لابن قتيبة .

ومما قالوه فى كتاب (الكامل) إن مَنْ لم يقرأ (الكامل) فليس بكامل ولم يخل كتاب من كتب التراث فى اللغة والأدب من ذكره والتعليق عليه بالإيجاز أو الإطناب ، واهتم به الأدباء والكتّاب حتى لقد قال القاضى الفاضل :
(طلعت سبعين مرة ، وكل مرة أزداد منه فوائد) .

وشرحه السمرقلى محمد بن يوسف المازنى المتوفى سنة ٥٣٨ هـ .

وروى عن المررد الأخصش النحوى أبو الحسن على بن سليمان المتوفى سنة ٣١٥ هـ .

وحقق هذا الكتاب ، ونشر عدة مرات فى ليزرغ واستنبول و لبنان والقاهرة ، واشترك فى تحقيقه المرحوم أ . د . زكى مبارك رحمه الله رحمة واسعة وغفر له والعالم الجليل فضيلة الشيخ أحمد شاكر رحمه الله ، وحققه الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم عام ١٩٥٦ م ، وهذبه أستاذنا السباعى بيومى فى جزعين وسماه تهذيب الكامل سنة ١٩٢٣ م وشرحه شرحا وافيا الشيخ الأستاذ حسين المرصفى رحمه الله ونال شهرة شهد له بها كبار الأدباء والكتّاب والمعاصرين .

٢ - كتاب الفاضل حققه العالم الجليل عبد العزيز الميمنى ، ونشرته دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٦ م .

٣ - المقتضب حققه ونشره العالم الشيخ الدكتور محمد عبد الخالق عزيمة سنة ١٩٦٨ م بالقاهرة .

٤ - نسب عدنان وقحطان نشره العلامة عبد العزيز الميمنى سنة ١٩٣٦ م .

٥ - المذكر والمؤث نشره أ . د . رمضان عبد التواب و أ . د . صلاح الدين الهادى بمركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٧٠ م .

٦ - ما انفقت ألفاظه واختلفت معانيه فى القرآن المجيد . طبع فى القاهرة سنة ١٣٥٠ هـ . بتحقيق عبد العزيز الميمنى رحمه الله .

٧ - البلاغة نشر أولا بتحقيق (جرونيانوم) ثم حققه أ. د. رمضان عبد التواب سنة ١٩٦٥ م ، وهي رسالة صغيرة إلا أننا استفدنا كثيرا من مقدمة الرسالة .

ولقد بلغت كتب المبرد أكثر من خمسين كتابا لم يحقق معظمها ، ونزيد أسماء بعض منها على ما سبق .

المدخل إلى سيبويه ، والمدخل في النحو ، ومعاني القرآن ويعرف بـ (الكتاب النام) ومن أعظم كتبه الكتاب الذي وقفنا الله سبحانه وتعالى للقيام بتحقيقه هو كتاب (التعازي) الذي نأمل أن ينال مكانة قد تفوق كتاب (الكامل) لأنه يتناول أمور الدنيا والآخرة ، ونحن المسلمين محتاجون إلى من يذكرنا بالآخرة ، والرضا بقضاء الله وقدره لأننا نوقن أن الدنيا الفانية ما هي إلا طريق إلى دار البقاء والخلود .

كتاب التعازي

إن السبب الرئيسي الذي من أجله ألف المبرد كتابه هو أن وافق المنية صديقه وعزيره القاضي إسماعيل فحزن عليه حزنا شديدا ، ودعاه هذا الموقف إلى تأليف الكتاب ليسلّي به نفسه ، ويكون فيه القدوة والأسوة لكل من أصيب بعزير وحيب .
يقول رحمه الله :

(دعانا إلى تأليف هذا الكتاب اجتلاب محاسن من تكلم في أسباب الموت من المواعظ والتعازي والمراثي ... ومصابتنا برجل استخفنا لذلك وبعثنا عليه) .

ثم يذكر نسبه فيقول :

هو أبو إسحاق القاضي إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم .

ولد سنة ٢٠٠ هـ فهو أكبر من المبرد بعشر سنوات وهو من مواليد البصرة التي ولد فيها المبرد ، وزادت الصلة عندما كانا يتقابلان في حلقات العلم في البصرة ، وذكاء المبرد قرب السن من إسماعيل فصادقا ، وكان بيت إسماعيل بيت غنى وعلم ومجد وأن والده كان من كبار العلماء ، وكان العلماء يفتحون بيوتهم لطلاب العلم فقد سهل

ارتباط الصداقة وجود المبرد كثيرا في بيت اسماعيل فنشأت بينهما مودة ومحبة ، أغدق إسماعيل عليه من كرمه وضيافته الكثير مما جعل المبرد يقابل ذلك بالبشر والترحاب والبشاشة والقبول بل بأكثر من ذلك فهو المبرد على يده ويقبلها أحيانا ، ولا يكتفى بالتقبيل بل يلهج لسانه بالثناء فينشد :

فلما بهرنا به مقبلا حللنا الحبي وابتدرنا القياما
فلا تنكرن قيامى له فإن الكريم يجلب الكراما

وظل الوفاء والحب متصلين حتى بعد أن انتقل القاضى إسماعيل إلى بغداد وارتقى إلى المناصب العالية فقد ولاه المتوكل قضاء الجانب الشرق من بغداد ، ثم ولاه المعتمد قضاء بغداد كلها .

اعترف له المبرد بالعلم والسبق فقال :

(القاضى أعلم منى بالتصريف) والتصريف من العلوم التى لا يحقها إلا جهابذة العلماء .

ظلت الصلة وثيقة بين الرجلين ، والمبرد لا تفوته مناسبة إلا ويظهر الوفاء والإخلاص لحميمه وصديقه .

قال المبرد :

لما توفيت والدة القاضى إسماعيل رأيت على وجهه ما لم يقدر على ستره ، وأن الكل ، يعزبه ، وقد كان لا يسلو ، فسلمت عليه ثم أنشدته :

لعمرى لئن غال ريب الزمان فساء لقد غال نفسا حيينه
ولكن علمى بما فى الشوا ب عند المصيبة ينسى المصيه

فتفهم كلامى واستحسنه ، ودعا بدواة وكتبه ، ثم انبسط ، وزالت عنه تلك الكآبة والجزع .

ثم جادت قريحة القاضى فقال :

هم الموت عاليات فمن تـم تخطى إلى لباب اللباب
ولهذا قيل : الفراق أخو الموت لإقدامه على الأحباب

والقاضي - رحمه الله - كان عالما جليلا له من المؤلفات الكثير زيادة على خلقه الحسن ، فقد كان شديد التمسك بأهداب الدين ، لا يجيد ، ولا يجامل قال له الخليفة الموفق منتظرا منه أن يحلل له محرما كما يفعل المفتون للحكام في جميع العصور ، قال له :
ما تقول في النيذ :

فقال أيها الأمير : إذا أصبح الإنسان وفي رأسه شيء منه ، يقال له ماذا ؟
فقال الخليفة الموفق : مخمور .

وقال فيه صاحب كتاب طبقات المفسرين :

وكان شديدا على أهل البدع ، فبرى استتابتهم حتى إنهم تحاموا في بغداد في أيامه .
من تأليفه : موطؤه ، وكتاب القراءات ، وكتاب أحكام القرآن ، وكتاب معاني القرآن وإعراجه ، وكتاب الرد على الشافعي في مسألة الخمس وغيرها ، وكتابه المبسوط في الفقه وغير هذه الكتب وهي كثيرة جدا كل هذا وغيره جعل أبا العباس الميرد ينزله المنزلة اللاتقة به ، فلما توفي حزن عليه حزنا شديدا ، فراح يعزى نفسه ويسلمها بتأليفه كتاب التعازى .

والإمام الميرد يخزن في الذاكرة الكثير من النصوص التي تعبر عن غرضها وهو الرثاء وقد مرت بالبصرة وبغداد حوادث جسام وقتل فيها الكثير ولا نشك في أنها أثرت في داخلته وأيضا فقد جاوز الرجل سن السبعين ، وبلغ من العمر أزدله ، وأصبح قاب قوسين أو أدنى من لقاء ربه ، لذلك فقد جمع من الأخبار وما اختزنه الذاكرة ورواه عن شيخه المدائني وهو كثير فأفاض وأمتع وزاد على ذلك ما رأى وسمع ورواه عن شيوخه . لقد كانت وفاة القاضي إسماعيل سنة ٢٨٢ هـ ، وكانت وفاة الميرد سنة ٢٨٦ هـ بعد أن قضى في مؤلفه ما يقرب من الستين رحمة الله واسعة ، والله أسأل أن ينفع به .

مخطوطتان لكتاب التعازى

النسختان الخطيتان اللتان ظهرتا لكتاب (التعازى) للإمام الكبير أبى العباس محمد بن يزيد المعروف بـ (المبرد) لم يعرف غيرها للآن .
ومن الممكن أن تكون هناك نسخ أخرى عند من يحتفظون بالمخطوطات كأثار قديمة ، ويضنون بها ولو للصالح العام ، ولقد سمعت وأنا فى المغرب أن كثيرا من المخطوطات النادرة حبست فى بعض البيوت وقد أهلكها مرور الزمن ، فأصبحت رمادا يذرى فى الهواء ، وخسرت العربية من نوادر المخطوطات بما لا يكفى أن يقوم بكل ذهب الأرض ، وعلى ذلك فماذا كان سيفعل بنفائس المخطوطات التى عثر عليها الأستاذ الكتانى بجنوب المغرب ؟ لو لم يذهب إليها ويتحمل المشاق ويأتى بها فإن كتاب التعازى لم يكن لينشر أو يحقق .

* * * * *

النسخة الأولى :

ترجع هذه النسخة إلى عام ٥٦٣هـ أى بعد موت يوسف بن تاشفين بأكثر من ستين عاما ، فهى أندلسية الكتابة والتاريخ يوم أن كانت أسبانيا فى ظل الإسلام ترسل لأوروبا نور العلم والمعرفة ، وكانت تسمى بلاد الأندلس ثم جمعت مخطوطاتها وآثارها فى مكتبة (الأسكوريال) بمدريد عاصمة أسبانيا الآن ، ورقمها فى المكتبة (أسكوريال ثان ٥٤٣)

كتب على صفحتها الأولى :

كتاب التعازى لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد رحمه الله تعالى وتحت هذا العنوان ستة أبيات من الشعر نذكر بيتين منها

ما أبدع هذه التعازى ما أنفعتها لى المصائب
سلت بغرابة المعاني أهل الحسرات والنوائب

الفتحت هذه النسخة بهذه البداية :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله () يرث الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين
الذي كت () الفناء ، واستأثر بالبقاء ، وصلى الله على محمد عبده ورسوله وعد
() بين الأخبار وسلم كثيرا .

واختتمت بهذه النهاية :

تم كتاب التعازي والمراتي بأسره () والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وسلم . وكان الفراغ منه في العشر الأوسط من جمادى الآخرة من سنة
ثلاث وستين وخمسمائة

عدد لوحاتها ١٣١ لوحة ، كل لوحة رقمت برقم واحد مسلسل ، وهي من القطع
المتوسط ، وأخبارها تكاد تكون متراسة قليلة العناوين ، فصل في بعض أخبارها بنقطة
تحيطها دائرة .

والخط الذي كتبت به النسخة رديء جدا ، وهي كثيرة البياض ، والتصحيف
والتحريف ، ناسخها يضع النقاط بلا تدقيق مما جعل القراءة صعبة ، لا يمكن الاعتماد
عليها في النقل أو التحقيق ومما جعل ذلك يصعب على المستشرقين والمحققين العرب ،
رغم الأهمية الكبيرة للكتاب ، وتهافت الكثير على القيام بتلك المهمة .

ولعل آخر من حاول تحقيق هذه النسخة شيخ المحققين الأستاذ السيد أحمد صقر ،
فلما لم تنفع المحاولة لاعتبارات ترجع إلى عدم التكامل للنسخة والخط ، أعطاها لصديقه
العلامة الكبير أستاذنا محمود شاکر ، حكى لي هذا الشيخ الأستاذ السيد رحمه الله رحمة
واسعة ، ونحن جالسان عند الحاج سعد خضر ، ولظروف خاصة بالكتاب أو بغير
الكتاب في وقته لم يحظ بتحقيق شيخنا الأستاذ محمود شاکر متعه الله بالصحة والعافية .

النسخة الثانية :

النسخة الخطية الثانية موجودة الآن في الخزانة العامة بالرباط عاصمة المملكة المغربية

تحت رقم ٢٢٦ ، وقد جلبها الأستاذ إبراهيم الكتاني من الزاوية الناصرية بتمكروت في جنوب المغرب ، وقد ظلت هذه النسخة في عالم النسيان سنوات طويلة لا يُعرف عنها شيء رغم أهميتها ومكاتها العلمية حتى قبض الله لها الأستاذ الكتاني ، فأنفذها من الرماد .

وبمعرفة نسخة الرباط انفك لغز نسخة (الأسكوريال) فنقول إن النسختين اجتمعتا لتكمل كل منهما الأخرى ونستطيع أن نقول إن نسخة الرباط هي المفتاح الذي توصل به إلى إخراج الكتاب ، فساعدت الباحث على تسهيل عملية التحقيق الشاقة ، وإن كنا أول من اكتشفها من الباحثين ، وحاولنا منذ زمن تحقيقها إلا أن كثرة الأسفار ، والانشغال بالتأليف أخر هذا العمل .

كتب على الصفحة الأولى لنسخة الرباط العنوان الآتي :

كتاب التعازي تأليف الشيخ الامام العالم العلامة أبي العباس محمد بن يزيد النحوي رحمه الله تعالى . أمين . وتاريخ الجيء بها من الشرق هو سنة ١٠٧٠ هـ

افتتحت هذه النسخة بهذه البداية

(بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد . والحمد لله الحى القيوم خالق العلماء والعلوم ، وملهم المثور والمنظوم . وصلواته على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وأصحابه ذوى النجدة والعلوم ما طلعت النجوم وسلم تسليما إلى يوم الوقت المعلوم .

واختتمت بهذه النهاية :

(تم الكتاب بحمد الله ومنه ، وصلى الله على ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين أجمعين . وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم .

وكتب بالكرك المحروس في مستهل الحجة من شهور سنة سبع وخمسين وسبعمائة

جاء بهذه النسخة أحد المغاربة الذين زاروا المشرق للحج أو العمرة وأحيانا للدراسة

والعلم ، وللمغاربة هواية خاصة بجمع المخطوطات ، لذلك فإن في المغرب عشرات

الآلاف من المخطوطات مدفونة في البيوت ، لا يطلع عليها أحد ومصيرها للتآكل .

هذه النسخة ناقصة عن نسخة (الأسكوريال) بسبع عشرة لوحة ، ولاندرى هل هذا النقص متعمد من الناسخ أم لا ؟
فهل تُرك هذا الجزء لأنه يتحدث عن العصر الجاهلي وحروبه فاكثفى بما ذكر عن عصر الإسلام والمسلمين ؟ أم هناك أسباب أخرى الله أعلم !

* * *

عدد لوحات هذه النسخة ٢٠٧ لوحة باعتبار كل لوحة مرقمة برقمين بخلاف نسخة الأسكوريال فإن اللوحة مرقمة برقم واحد مسلسل وخط هذه النسخة مشرق واضح جميل ، فقد جلبت من المشرق وكتبت بخطه ، وناسخها على شيء من العلم ، وهذا ما نفهمه من التعليقات التى علق بها على هامش المخطوطة فقد يذيل الجملة أو الكلمة المستدركة بلفظة (صح) أو يكمل بيتا من الشعر بذكر شرطه أو يصحح اسم الشاعر ، كل هذا وغيره يدل على أن الناسخ على شيء من المعرفة إلا أن هذا الناسخ يسهو أحيانا فيتترك سطرًا أو أسطرًا أو صفحة بأكملها أو أبياتًا من قصيدة وفي آخر المخطوطة قدم وأخر فى لوحات النسخة زيادة على النقص الذى فى آخر هذه النسخة والذى أكملناه من نسخة (الأسكوريال) مستعينين بما فى الرسالة والمراجع الأخرى والله الموفق .

منهجنا في التحقيق

إن تحقيق كتاب التعازى للإمام المبرد لم نقصد به غرضاً خاصاً وإنما حققناه لينتفع به من يقرؤه من الخاصة والعامة وإن فيه مما ينفع ويفيد الكثير .

اخترت لتحقيقه مخطوطة (الرباط) لتكون هي الأصل ، ورمزت لها بالحرف (م) نسبة إلى المغرب وهو المكان الذى استقرت أخيراً فيه وكما قلت سابقاً فى منزلة هذه النسخة إنها المفتاح الذى توصلنا به إلى التفكير فى التحقيق ، وقلت لقد عُرِفَت نسخة (الأسكوريال) قبل أن يستدل على نسخة (الرباط) بعشرات السنين ، ولكن لم يجرؤ واحد من المستشرقين أو العرب على نقلها أو تحقيقها للنقص الشديد حيث لا يمكن الاعتماد عليها وحدها ولقد كانت لى تجربة مع مخطوطة (الرباط) فلقد قرأتها ونقلتها ، ثم قرأت صفحات منها على شيخ المحققين الأستاذ السيد أحمد صقر رحمه الله رحمة واسعة ، وحببها لى جمال الخط الذى كُتِبَ به ، وبهذا الخط استطعت أن أجيد قراءة نسخة (الأسكوريال) ، وأتعرّف جيداً على النقص الذى كثيراً ما يصادف فى النسخة التى جعلتها الأصل .

وإذا كان ناسخ الأصل أحياناً يسهو فيتترك أسطراً أو آياتٍ من الشعر ، فقد تعرفنا عليه من نسخة (الأسكوريال) وإن السهو انتقل لى تقديم بعد اللوحات على بعض قبل اللوحة الأخيرة فقد صححنا هذا السهو من النسخة الثانية ، كما اعتمدنا على هذه النسخة فى تحقيق الجزء الأخير الناقص والذى زادت به عن نسخة (الرباط) ومازاد غموضه استعنا عليه بمراجعة الرسالة المحققة ، وما جاء فى كتاب الأغاني والكتب التى تعرضت لتاريخ ما قبل الإسلام . ولم أعتد اعتماداً كلياً على الأصل الذى اخترناه ، فأحياناً أختار الصواب أو الأحسن ولو فى غير الأصل أو من المراجع التى تعرضت للموضوع .

ثم لئننى لم أكتب كل الفروق بين النسختين والتى كثيراً ما يتصرف فيها الناسخ بطريقة ، فنحن لم نثبت إلا ما يمكن الاستفادة منه بتكميل نقص أو تفضيل لفظة على

أخرى أو زيادة مفيدة وضعناها بين قوسين مكعبين أما مالا فائدة فيه كأن تأتي كلمة في أولها بواو العطف والأخرى بالفاء ، أو تقول نسخة مثلا : على عليه السلام ، والأخرى : على رحمه الله ، أو قال أبو العباس ، أو قال : المبرد وغير ذلك مما لا يعود بشيء ينفع .

وكذلك لم أثبت كل المراجع التي تعرضت للموضوع أو القصيدة وبخاصة أن كتابنا هذا يعتبر مصدرا ، فلا داعي أن نثبت ما جاء فيما ألف بعد ذلك فقد يطول بلا فائدة تذكر .

وقد نشير في الهامش إلى معاني بعض الكلمات الصعبة مستعينين بما جاء في المعاجم وكتب الدوائر وأحيانا من الرسالة المحققة .

وقد وجهنا اهتماما خاصا بالتراجم المختصرة لمعظم الرجال الذين تعرض لهم الكتاب ، وأشرنا إلى المرجع الذي نقلنا منه أو اختصرناها من تلك التراجم . وفي ختام الكتاب وضعنا الفهرس وأشرنا فيه إلى العناوين التي استحدثناها في الكتاب بين قوسين مضعين وحرصنا على أنها تتفق مع ما جاء في الموضوع .

ثم أتمنا باقي الفهارس كما هو متبع في كل الكتب العلمية والمحققة .

ولا أقول إلا أن هذا عمل متواضع لتحقيق هذا الكتاب الذي فيه خير الدنيا والآخرة وإن شاء الله سيجد القارئ فيه النفع والفائدة

والله أسأل أن يثيبنا ، ويحقق ما نرجوه من فائدة إنه نعم المولى ونعم النصير .

ابراهيم الجمل

كتاب

التعازي

[والمراثي والمواعظ والوصايا]

للإمام الكبير

أبي العباس محمد بن يزيد البزري

٢١٠ - ٢٨٦ هـ

تقديم وتحقيق

أبو الفتح محمد بن الحسن البجلي

کتابخانه
موزه و مرکز اسناد
جمهوری اسلامی ایران

کتاب
انبارچه‌های باستان‌شناسی
مهد بن بن محمد الجهد
مؤلف: سید علی

ماریه که کاشف استخوانها را در کوه
الکبریا کشف نمودند و در کوهها و
در کوهها و در کوهها و در کوهها
و در کوهها و در کوهها و در کوهها
و در کوهها و در کوهها و در کوهها
و در کوهها و در کوهها و در کوهها

کتابخانه
موزه و مرکز اسناد
جمهوری اسلامی ایران

Foto "PRADO"

Plaza de Prado Herrera
Santa Elena n: 5

San Vicente de El Escorial
(Madrid) España

M. 5. 11. 534

من مخطوطه المسمیه

انه قال عن رافعنا افا لمسل الخوه... قال الراكس عن
عن اصابه قال عري اوزع وطرط على له فقال عرضا لاشبهه
ما عوجه مسلم... تشبهوه هذا تشبهنا ان الظفر عرض له فقلت
قال له كعري اوزع وطرط على الملع قال قال رسول الله
طوبى لافواه الساجدة اذ اخذت عن يدي فبها الموضع الذي لا

بالحسن

من ان الحكمة التي تتوزع ما تبت حبيبتك من ان تطلب ان تامل وتبر

منه كقصيدة من ترون نوره في حبه سالك على ان تلبس عاده

غير ما غنم وان تقدره في العيب ما الذي له

الفرق بينه وبين ما لا يدرج في الاصل في حبه

وهي كقصيدة لدره بن العجوة في حبه الله: التي اولها

انك حبيبك الجليل من ان حبه ما قد به الخطك كل يوم

ومنه كقصيدة لده بن العجوة في حبه الله الذي اولها

تقول مني حبيبتك شاكنا ان حبيبتك الشار طيب

ومنه كقصيدة لده بن العجوة في حبه الله الذي اولها

انك حبيبك الجليل من ان حبه ما قد به الخطك كل يوم

ومنه كقصيدة لده بن العجوة في حبه الله الذي اولها

تقول مني حبيبتك شاكنا ان حبيبتك الشار طيب

ومنه كقصيدة لده بن العجوة في حبه الله الذي اولها

انك حبيبك الجليل من ان حبه ما قد به الخطك كل يوم

من معطوف الى الاربعة

ان يفتح قال الملك في رسول الله صلى الله عليه وسلم حجتا ما كانت

على فاني في ما يدبر في ما لا يبتدئ في حبه والادوية حبه

السلام على اهل البيت وبعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم

على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ما لا يبتدئ في حبه

تبارك ولا يدرج في حبه صلى الله عليه وسلم في ما لا يبتدئ في حبه

من اذى الشايب على نفس الله في ما لا يبتدئ في حبه

في حبه صلى الله عليه وسلم في ما لا يبتدئ في حبه

المرؤان في ارض حواء في حبه صلى الله عليه وسلم في ما لا يبتدئ في حبه

فانك حفاوة كل حال في حبه صلى الله عليه وسلم في ما لا يبتدئ في حبه

التي اربطها كحبايب على من العلق: قال الراكس عن الحسن

ابن ديار مصر على من ريسا عن الحسن بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

وضع ابراهيم في حبه وهو حبه في حبه فقال لادن الاضي وخط

الان في ما لا يدرج في حبه صلى الله عليه وسلم في ما لا يبتدئ في حبه

فقال فانه من حبه صلى الله عليه وسلم في ما لا يبتدئ في حبه

بين ابراهيم في حبه صلى الله عليه وسلم في ما لا يبتدئ في حبه

عزبا عن الحسن بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدرج

في حبه صلى الله عليه وسلم في ما لا يبتدئ في حبه

في حبه صلى الله عليه وسلم في ما لا يبتدئ في حبه

في حبه صلى الله عليه وسلم في ما لا يبتدئ في حبه

في حبه صلى الله عليه وسلم في ما لا يبتدئ في حبه

في حبه صلى الله عليه وسلم في ما لا يبتدئ في حبه

في حبه صلى الله عليه وسلم في ما لا يبتدئ في حبه

في حبه صلى الله عليه وسلم في ما لا يبتدئ في حبه

في حبه صلى الله عليه وسلم في ما لا يبتدئ في حبه

في حبه صلى الله عليه وسلم في ما لا يبتدئ في حبه

في حبه صلى الله عليه وسلم في ما لا يبتدئ في حبه

في حبه صلى الله عليه وسلم في ما لا يبتدئ في حبه

في حبه صلى الله عليه وسلم في ما لا يبتدئ في حبه

اياضاً و اياضاً من الخزيخ بانها ذئبة بزخا زئبة برعسل زئعمر و بن
 عامتاسا كعمر هن زمان اما ذكحتت الزوايه و كانت لا الرعر
 و روي يحيى بن سفيان اللطيف الله جليلة عليه و سلم روي الي الخزيخ
 حي و يزيوا و قالت غائيبه زني الله على و يريها علمه من الحرام
 سلكه و ما خرجت بها فخرجت الا اسار حرب هاتك و حرب
 هاتك ابي بعض من ذاجش و عهدت بكر و سلك اسمي لسيرك
 بال ابونا طرطه البند و يتي و كان يزجلا من اهل البلم و العوفه
 كلام العزيب و حمتش العصفه في فيه روي الصهر و اهلها بكلام
 عزيز في صهي سبي انه ككلام موم جمع خرج بنه صفا ذئبه من
 الفناطرا حلالا عخر بعد عن بنه و خرج الجاجه و لا اسرا و قولهم
 - سلم يحا زوبه القند ز ٥
 منازانا اهل من ارب مومل الملك اذا ما اتك ككفتر ييب
 و هل حكي يوبعا ما عدو زندي و كفي ز صحح الهمع من خصيب
 و اذ انه ما قلح في زنها ما حوت سهر و عصفوف
 و جلمر و جلمر لسر البرور و ظهر ملا طمون منسها مشوب
 و هل الاعاء و الستت هلمر و شنه بر وقت صباح اوله و ذئبه
 حكي و لم ينظم اليك صابئه عصب الجاد لانا و قلوب

بانها قله لروي الموي اياطى تشد اياك و ايا
 و عسان ما ذئبه عدو و اذ الخمص المهراس و اياها و
 هذا مثال كالمنا اهل معال ما روت عدو فاولا عدو لاولا
 بالاطا و لا لانا و كاهل هذا معني لاذق شيئا ٥
 و رواه ساقدا الجيبر عليه السلام طلى الاحوه يتك ايا
 و يفرز كل مخلص و حنا سلس العاد معاد الكزاز
 في سس موي لروعه عدوه و رواه بعد من سس يياز
 يري عسوز الفذرازي و سيبا زني بان الفذرازي يملو البرك مهر
 و طاروس مهر عدو و بعد ذم و لا اهلها ٥
 و ارب سس و ذئبه قتل ملك الكلاب السدي لا سزار
 حكي سس ملك سس ما تهم حلالا و اربهم الجكار
 حكي سس و كان من جوسا م و كفا م و هم اروي يفرق فم قائل
 - ههذه القصة سسرا ز قتل ٥
 و اكل السمي حكي من سس في النبي صرحه و حكم
 و اربوها و ملك نجارا السمي يحي سس في رازه و رواه روي ساس
 ايعص سس عطفان و سوس سس م سس في سس فكان
 عبر الله و دان حوسه و كانت حرك مهر ارب سس سس حرك

من مخطوطه الاسكندريه

(مقدمة كتاب التعازى)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد .

الحمد لله الحى القيوم ، خالق العلماء والعلوم ، وملهم المشور والمنظوم ، وصلواته على سيدنا محمد الأمين المعصوم ، وعلى آله وأصحابه ذوى النجدة والعلوم ما طلعت النجوم ، وسلم تسليمًا إلى يوم الوقت المعلوم .^(١)

قال أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي^(٢) النحوى المعروف بالميرد^(٣) رحمه الله

تعالى :

دعانا إلى تأليف هذا الكتاب اجتلاب^(٤) محاسن من تكلم فى أسباب الموت من المواعظ والتعازى والمرائى على قدر ما يحضر ؛ فإننا ابتدأناه من غير تخلوة يفكر^(٥) ولا تميز وكتب ،^(٦) وإنما اقتضيناه اقتضابًا^(٧) ثقة بالله وتوكلًا عليه ، مصابنا برجل استخفنا لذلك وبعثنا عليه ، وهو أبو إسحاق القاضى إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل ابن حماد بن زيد بن درهم^(٨) .

وإنما نسبناه التماسا للتتويه بذكر^(٩) سلفه الصالحين ؛ ولقد كان رحمه الله فى كل

(١) هذه افتتاحية نسخة المغرب ، وهى الأصل لنا ، ورمزنا لها بالحرف (م) ونسخة الاسكوريال رمزنا لها بالحرف (ل) وافتتاحيتها مايتأتى :

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين : الحمد لله () يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ، الذى كد () الفناء ، واستأثر بالبقاء ، وصلى الله على محمد عبده ورسوله وعد () كد الأخيار وسلم كثيرا .

(ما بين الأقواس يياض فى المخطوطة) .

(٢) الأزدي . ليست فى ل . (٣) المعروف بالميرد : زيادة من ل .

(٤) ل : واجتلاب بزيادة الواو . (٥) ل : مفكر

(٦) ل : لكتب . (٧) اقتضابا : زيادة من ل .

(٨) هو الرجل الذى من أجله كتب الميرد كتابه ، وقد استوفينا الكتابة عنه فى المقدمة .

(٩) ل : للتتويه باسم سلفه

الأُمور^(١٠) أنجع وأنفع ، ولو عُدُّ كاملٌ لاسقطه فيه لكان إياه ، ولكن الله جل ذكره جعل في المخلوقين النقص ، وجعلهم ضعفاء ، وحكم بأنهم لم يؤتوا من العلم إلا قليلاً ، (ولقد كانت أنصباؤه في ذلك القليل كالمحتوية)^(١١) على أكثره رحمة الله عليه مع ما جمع الله فيه من حكم عادل ، ورأى فاضل وأدب بارع ولب ناصع ، وتصرف في العلوم ، وحلم يُرى على الحلوم ، وفي الله تعالى خلف من كل هالك وعزاء من كل مصيبة . ورسول الله ﷺ الأسوة والقدوة ، وكل نَحْطِبٍ إذا ذكرت وفاته صغير ، وكل رزء حقير ، عليه رحمة الله وبزكاته .

* * *

يروى عن علي بن أبي طالب - عليه السلام - من وجوه ، سمعنا ذلك ،^(١٢) وبعضها يزيد على بعض ، أنه قال :

لما توفي رسول الله ﷺ تولى غسله العباس وعلي والفضل ، فقال علي :
لم أراه يعتاد فاه في الموت ما كنت أراه في أفواه الموتى ، ثم لما فرغ علي من غسله ،
وأدرجه في أكفانه ، كشف الإزار عن وجهه ثم قال :

بأبي أنت وأمي طِبِّتْ حَيًّا ، وَطِبِّتْ مَيِّتًا ، انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد
من سواك من النبوة والإنباء ، حَصِصْتُ حَيِّ صَبْرًا مُسَلِّيًا عَمَّنْ سِوَاكَ ، وَعَمَمْتُ
حَتَّى صَارَتِ الْمَصِيبَةُ فِيكَ سِوَاءَ . ولولا أنك أمرت بالصبر ، ونبيت عن الجزع
لأنفلنا عليك الشؤون ، ولكن ما لا يلدغ كمدًا وإذبارًا مُحَالِفَانِ (وهما داء الأجل ،
وقلًا لك بأبي أنت وأمي)^(١٣) أذكرنا عند ربك ، واجعلنا من همك .

قال :

(١٠) ل : ولقد كان رحمة الله عليه في أكثر الأمور .

(١١) (ولقد كانت ... كالمحتوية) بياض في ل .

(١٢) سمعنا ذلك : زيادة من ل .

(١٣) ما بين القوسين بياض في ل .

ثم نظر إلى قَدَاةٍ في عينه فَلَقَطَهَا بلسانه ، ثم رَدَّ الإزار على وجهه .
وقال عليه السلام : « تَعَزَّوْا عَنْ مَوْتَاكُمْ بِي » (١٤)

وهذا كلام تلقاه عنه المؤمنون ، ثم أدوه إلى مَنْ بعدهم من إخوانهم المؤمنين ،
واحتذى هذا المثال يقينا وإيمانا جماعة كلهم سلكه فاهتدى ، ووصفه فأحسن : فمنهم
عبدالله بن أراكة الثقفي فإنه أصيب بابن له ، فأسرف أخوه عبد الله (١٥) بن عبد الله

في البكاء فوعظه (أبوه) (١٦) وعزاه فقال : (الطويل)

وَقُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ إِذْ جَدُّ بَاكِيًا تَعَزَّ وَمَاءُ الْعَيْنِ مَتَهِمِلٌ يَجْرِي
لَعَمْرِي لَمَنْ أَبَيْتُ غَيْبِكَ مَا مَضَى بِهِ الدُّهْرُ أَوْ سَأَى الْجِمَامُ إِلَى الْقَبْرِ
لَسْتَ تَفِيدُنِي مَاءَ الشُّؤُونِ بِأَسْرِهِ وَتَوَكُّتُ تَعْرِيبَهُنَّ مِنْ نَيْجِ الْبَحْرِ
تَأْمَلُ فَإِنْ كَانَ الْبُكَاءُ رَدًّا هَالِكًا عَلَى أَحَدٍ فَأَجْهَدُ بُكَاءَكَ عَلَى غَمْرِهِ
وَلَا تَبْكُ مَيِّتًا بَعْدَ مَيِّتٍ أَجْنَهُ عَلَى وَعَبَّاسٍ وَآلِ أَبِي بَكْرٍ

(١٤) أورد المبرد هذا الحديث في الكامل ص : ١٢٥٢ بلفظ (تعزوا عن موتاكم بي) ولم نمر
على الحديث بلفظه في كتب الحديث .

(١٥) عبد الله بن عبد الله : زيادة من ل .

(١٦) (أبوه) زيادة منا للتوضيح . فوعظه أخوه كما في م لا يستقيم المعنى وهو مخالف لما في :

ل وفي التعازي للمدائني ص ٢٥ والكامل : ١١٩٤ ، والفاضل : ٦٥ وروى في التعازي ص ٢٥ ،
٢٦ قال :

كان عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب عاملا لعلي رضوان الله عليه على اليمن ، فخرج إلى علي
واستخلف على صنعاء عمرو بن أراكة الثقفي ، فقدم عليه يسر بن أبي أرتاة - أحد قواد معاوية -
إذ سرَّحه معاوية فقتل عمرو بن أراكة فخرج عليه أخوه عبد الله فقال أبو أراكة هذه الأبيات وزاد
عليها :

لعمري لقد أردى ابن أرتاة فارسا بصنعاء كالليث المزيه أبي الأجر
وسوف يذكر المبرد هذه الأبيات في كتابه هذا أكثر من مرة .

حاشية : حينما نلصق كلمة (التعازي) بدون نسبة نريد التعازي للمدائني .

باب من التعازي

وهي^(١) من أكثر ما تكلم فيه الناس ؛ لأنه لم يَعر أحد من مصيبة بحميم ، ذلك قضاء الله على خلقه ، فكلُّ تكلم إما متعزياً أو معزياً^(٢) ، وإما متصيراً محتسباً .
قال أبو الحسن المدائني^(٣) :

كانت العرب في الجاهلية - وهم لا يرجون ثواباً ولا يخشون عقاباً - يتحاضون على الصبر ، ويعرفون فضله ، ويُعيرون بالجزع أهله ، إيثاراً للحزم ، وتزيئاً بالحلم ، وطلباً للمروعة ، وفراراً من الاستكانة إلى حسن العزاء ؛ حتى إن كان الرجل منهم ليفقد حميمه فلا يُعرَف ذلك فيه ، يُصدِّق ذلك ما جاء في أشعارهم ، وتُثنى^(٤) من أخبارهم .

قال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ^(٥) في مَرثِيَّتِهِ أخاه عبد الله :
(الطويل)
قَلِيلُ التَّشْكِيِّ لِلْمُصِيبَاتِ حَافِظٌ مَعَ أَيَّامِ الْأَحَادِيثِ فِي غَدِ
صَبَا مَا صَبَا حَتَّى إِذَا ضَابَ رَأْسُهُ وَأَخْدَتْ حِلْمًا قَالَ لِلْبَاطِلِ : ائْبَدِ^(٦)

(١) ل : وهو أكثر (٢) ل : فكل ما تكلم إما متعزياً وإما معزياً .

(٣) المدائني : هو علي بن محمد بن عبد الله ، عري الأصل ، ولد بالبصرة سنة ١٣٥ هـ وقضى

فترة في المدائن واليه نسب ، ثم أقام ببغداد ، وكان أكثر روايته وأخباره عن الإسلام والمسلمين .

وهو أول من ألف كتاباً متكاملًا في التعازي . نقل الميرد كثيراً مما جاء فيه ورواه عنه . له كتب

كثيرة توفي سنة ٢٢٨ هـ . (انظر المقدمة في كتابه التعازي ، ومعجم الأدباء : ٦ - ٢٤) .

- وقول المدائني الذي رواه الميرد في كتاب التعازي : ص ٧٥ .

(٤) ننا : بالألف من قولهم : ننا الحديث نثوا : بثه . وتناثوا الأخبار والأحاديث : أشاعوها .

(المعجم الوسيط : ٢ - ٩٠٨) .

(٥) هو أحد بني جشم بن معاوية بن بكر من هوزان ، شاعر فارس فحل ، اشتهر بغزواته أدرك

الإسلام ولم يسلم ، قتل على شركه سنة ٥٨ هـ ، الحماسة لأبي تمام : ج ١ ص ٣٣٦ .

(٦) البيتان من قصيدة يروي بها دريد أخاه وقد قتله رجل من بني غطفان في (متعرج اللوى)

وقد نصحه دريد بالكف عن مهاجمة بني غطفان ، لكنه لم يستجب له ، فكانت نهايته القتل .

ومطلع القصيدة كما سيأتي :

أرثُ جديدُ الحبلِ مِن أمِّ مَعْبِدٍ بِعَاقِبَةٍ وَأَخْلَفَتْ كُلَّ مَوْعِدِ

(انظر الحماسة لأبي تمام بشرح التبريزي : ١ - ٣٣٦ - ٣٤٠)

قال أبو عبيدة^(٧) :

كان يونس بن حبيب^(٨) يقول : هذا أشعر ما قيل في هذا الباب^(٩) .

(الطويل)

وَذَلِكَ رُزَّةٌ لَوْ عَلِمْتَ جَلِيلُ
وَلَكِنَّ صَبْرِي بِأَمْتِمٍ جَمِيلُ^(١١)

وقال أبو خراش الهذلي^(١٠) :

تَقُولُ آرَاهُ بَعْدَ عُرْوَةٍ لَاهِيَا
فَلَا نَحْسِي أَلَى تَقَاتَيْتُ غَهْدَهُ

(الطويل)

وَقَدْ لَجَّ مِنْ مَاءِ الشُّؤُونِ لَجُوجُ
وَلِلشَّرِّ بَعْدَ الْقَارِعَاتِ فُرُوجُ^(١٣)

وقال أبو ذؤيب^(١٢) :

وَأَلَى صَبْرُ الثَّفْسِ بَعْدَ ابْنِ غَنْبَرِ
لَأَحْسَبُ جَلْدًا أَوْ لَيْبًا شَامِتُ

(المنسرح)

إِنَّ أَلْدَى تُحَذِرِينَ قَدْ وَقَعَا^(١٥)

وقال أوس بن حجر^(١٤) :

أَيُّهَا الثَّفْسُ أَجْمَلُ جَزَعَا

(٧) هو معمر بن المنثى ولد سنة ١١٠هـ وكان إمام اللغويين بالبصرة أديبا عارفا بأنساب العرب وأيامهم توفي سنة ٢٠٩هـ . من تصانيفه : معاني القرآن ، وأخبار قضاة البصرة وغيرهما . معجم المؤلفين : ١٣ - ٣٤٧ .

(٨) أبو عبد الرحمن ولد سنة ٩٠هـ . كان إمام النحويين بالبصرة أديبا عالما بالشعر ، تعلم على يديه خلق كثير . توفي سنة ١٨٢هـ . من كتبه : النوادر ، والأمثال ومعاني الشعر وغيرهم معجم المؤلفين : ١٣ - ٤٧ .

(٩) في هذا الباب : زيادة من ل .

(١٠) هو أبو خراش الهذلي شاعر مخضرم أدرك الإسلام ، ومات في زمن عمر بن الخطاب ، وقد شارك في الغزوات مع المسلمين . (انظر ديوان الهذليين القسم ٣ ص ١١٦) .

(١١) القسم الثالث من ديوان الهذليين ص ١٦٦ - وهذان البيتان وما بعدهما إلى فسلم الحسين ممسوح في ل .

(١٢) خويلد بن خالد الهذلي شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام وسكن المدينة ، واشترك في الغزو والفتوح توفي سنة ٢٧هـ . له ديوان شعر : معجم المؤلفين : ٤ - ١٣١ .

(١٣) ديوان الهذليين القسم الأول : ٦١ .

(١٤) هو أبو شريح أوس بن حجر بن مالك التميمي شاعر جاهلي كثير الأسفار ، وأكثر إقامته عند عمرو بن هند في الحيرة مات سنة ٢ ، قبل الهجرة ، وعمره حوالي السبعين . معجم المؤلفين : ٣ - ٢٦ .

(١٥) ديوان أوس بن حجر : ٥٣ .

وقال أبو ذؤيب :
وتجلى لى للشامتين أربهم أنى لرب الدهر لا أتضعع^(١٦)

والشئ يذكر بالشئ : يروى أن الحسين بن على بن أبى طالب عليهما السلام
دخل على معاوية وهو فى علة غليظة^(١٧) فقال معاوية :

أسندونى ،^(١٨) ثم تمثل بهذا البيت :
وتجلى لى للشامتين أربهم أنى لرب الدهر لا أتضعع^(١٩)
فسلم الحسين عليه السلام . ثم تمثل :

وإذا النية أنشبت أظفارها ألفت كل قيمة لا تنفع^(٢٠)
(فاستظرف الجواب كون البيتين من قصيدة واحدة)^(٢١) .

وقال عمرو بن معدى كرب :^(٢٢)

كَمْ مِنْ أَخٍ لِي صَالِحٍ
مَا إِنْ هَلَكَ لِفَقْدِهِ
أَبْتَشُّهُ أَنْوَابَهُ
بِوَأْتُهُ يَيْدِي لِحَدَا
لَيْسَ الْبُكَاءُ يَرُدُّ زُنْدًا
وَحُلِقْتُ يَوْمَ حُلِقْتُ جَلْدًا^(٢٣)

وقال حارثة بن بدر الغداني^(٢٤)

(١٦) ديوان الهذليين القسم الأول : ٣ .

(١٧) ل : علة له غليظة .

(١٨) لى : ساندونى .

(١٩) ما بين القوسين من : وأنى صبرت النفس ... إلى : أتضعع (يياض فى : ل .

(٢٠) هذا البيت فى ديوان الهذليين القسم الأول : ٣ .

(٢١) ما بين القوسين ليس موجودًا فى ل .

(٢٢) هو شاعر زيب و فارسها المشهور ، أسلم فى حياة الرسول ، ثم ارتد مع مرتدى اليمن ، ثم

عاد إلى الإسلام ، وشارك فى الفتوحات ، مات فى الطريق وكان يريد الرى فى عهد عثمان وقد

جاوز المائة . التعازى : ٧٧ .

(٢٣) الأبيات فى الحماسة : ١ - ٥٨ دون البيت الثانى

(٢٤) من شعراء قم تابعى سكن البصرة ، له أخبار فى الفتوحات مع عمر بن الخطاب ومع على

ابن أبى طالب وزياد ابن أبى حازب الخوارج فحاصروه وأجأوه إلى سفينة ففرقت به ومن معه .

(انظر التعازى : ٧٤ ، ٧٥)

الصَّبْرُ أَجْمَلُ وَاللَّيْمَةُ مُفْجَعَةٌ مَنْ ذَا الَّذِي لَمْ يُجْرِعْ مَرَّةً حَزَنًا؟ (٢٥)

وما جاء في هذا أكثر من أن يؤق على غايه . (٢٦)

وتعزيتك الرجل تسليتك إياه . والعزاء هو السلو ، وحسن الصبر على المصائب ، وخير من المصيبة العوض منها والرضى بقضاء الله والتسليم لأمره تَنْجُزًا لما وَعَدَ من حسن الثواب ، وجعل للصابرين من الصلاة عليهم والرحمة ؛ فإنه تبارك وتعالى يقول :

﴿ وبشر الصابرين * الذين إذا أصابهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ (٢٧)

وقال : ﴿ وبشر المحتملين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم ﴾ (٢٨)

وقال تبارك اسمه :

﴿ ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه ﴾ (٢٩)

يقول للاسترجاع خبرٌ بذلك غير واحد من الفقهاء :

روى أبو الحسن عن الفضل بن تميم قال :

قيل للضحاك بن قيس (٣٠) : من قال عند المصيبة : إنا لله وإنا إليه راجعون ،

كان ممن أخذ بالتقوى ، وأدى الفرائض ؟

فقال :

نعم ! ﴿ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ﴾ (٣١)

(٢٥) البيت في التعازى ٧٥ .

(٢٦) الغابر : الماضى .

(٢٧) البقرة : ١٥٥ - ١٥٧ . (٢٨) الحج : ٣٤ . (٢٩) التغابن : ١١ .

(٣٠) الضحاك بن قيس أحد زعماء الخوارج ، استولى على الكوفة سنة ١٢٧هـ وبايعه عبد الله

ابن عبد العزيز ، وسليمان بن هشام ، وصليبا خلفه . قتل أيام مروان بن محمد سنة ١٢٨هـ التعازى :

٣٠ .

(٣١) البقرة : ١٥٧ .

قال الأصمعي^(٣٢) عن بعض العلماء :
لَوْ وَكَّلَ النَّاسُ بِالْجَزَعِ لِلْجُؤْأِ إِلَى الصَّبْرِ .
وَرَوَى عَنِ الْحَسَنِ^(٣٣) أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ :
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَجْرَنَا عَلَى مَا لَا بُدَّ لَنَا مِنْهُ ، وَأَثَابَنَا عَلَى مَا لَوْ كَلَّفْنَا غَيْرَهُ لَصَرْنَا فِيهِ
إِلَى مَعْصِيَتِهِ .

...

قال الأصمعي وأبو الحسن :
جزع سليمان بن عبد الملك على ابنه أيوب ، فقال له رجل من القراء : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
إِنَّ أَمْرًا حَدَّثَ نَفْسَهُ بِالْبَقَاءِ فِي الدُّنْيَا وَظَنَّ أَنَّهُ يَمْرَى مِنَ الْمَصَائِبِ فِيهَا لِغَيْرِ جَيْدِ الرَّأْيِ
فَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ مَا تَسَلَّى بِهِ^(٣٤) .

...

وكان علي بن أبي طالب رحمة الله عليه يقول :
عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ ؛ فَإِنَّ بِهِ يَأْخُذُ الْحَازِمُ ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ الْجَازِعُ^(٣٥) .

...

وروى عن أبي الحسن عن أبي عمرو بن المبارك قال :
دخل زياد بن عثمان بن زياد على سليمان بن عبد الملك ، وقد توفى ابنه أيوب ،
فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ^(٣٦) كَانَ يَقُولُ : مَنْ أَحَبَّ الْبَقَاءَ
فَلْيُؤَطِّنْ نَفْسَهُ عَلَى الْمَصَائِبِ .

(٣٢) أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن أصمع الباهلي أديب لغوي نحوي إخباري محدث فقيه أصولي
من أهل البصرة قدم بغداد أيام هارون الرشيد وتوفى بالبصرة سنة ٢١٦هـ وقد جاوز التسعين .
وله مؤلفات كثيرة . معجم المؤلفين : ٦ : ١٨٧ وانظر تاريخ الأدب لفروخ : ٢ - ٢٠٥ .
(٣٣) الحسن بن يسار البصري أبو سعيد (٢١ - ١١٠هـ) تابعي عرف بخطبه ووعظه ونسكه
وورعه وهو الفقيه العالم الفصيح الزاهد التقى رحمه الله تقريبا التهذيب : ١ - ١٦٥
(٣٤) والخبر في التعازي : ٤٠ .

(٣٥) انظر الكامل : ٣ - ١١٧٤ في باب اختصار الخطب والتحميد والمواعظ .
(٣٦) عبد الرحمن بن أبي بكر تميمي بن الحارث الثقفي ثقة من الثانية مات سنة ٩٦هـ . تقريبا
التهذيب : ١ - ٤٧٤ والخبر في التعازي

قال أبو الحسن عن علي بن سليمان عن الحسن :
الخير الذي لا شر فيه الشكر مع العافية ، والصبر عند المصيبة ، فكم من منعم عليه
غير شاكر ، ومن مبتلى غير صابر .

* * *

قال : ومن أحسن التّعزية إبلاغ في إيجاز . قال أبو الحسن : ومن أحسن ما سمعنا في
ذلك عن أبي الحكم الليثي عن شيبة بن نصاح^(٣٧) قال :
لما قبض رسول الله ﷺ صرخت أسماء^(٣٨) بنت عميس فنادى من ناحية
البيت يسمعون حسه ولا يرون شخصه :

السلام عليكم أهل البيت ، ورحمة الله وبركاته ، أعلى رسول الله تكون أم علي
رسول الله تصرخون ؟
فقلت أسماء :

ما على رسول الله ﷺ بكى ، ولا على رسول الله نصرخ ، ولكن على انقطاع
الوحي عنا .
قال :

ثم نادى الثانية : ﴿ كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن
زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾^(٣٩)
إن في الله عزاء من كل مصيبة ، وعوضاً من كل مرزئة ، ودركاً من كل فائت ،
وخلفاً من كل هالك ، فبالله فتقوا ، وإياه فارجوا ، المحبور من حبه الثواب ،
والخائب من أمن العقاب .^(٤٠)

(٣٧) شيبة بن نصاح القاريء المدني القاضي ثقة من الرابعة مات ١٣٠ هـ تقريب التهذيب :
٣٥٧ - ١ .

(٣٨) أسماء بنت عميس الخشعمية صحابية جليلة تزوجها أبو بكر الصديق بعد موت زوجها الأول
جعفر بن أبي طالب وبعد أبي بكر تزوجها علي بن أبي طالب وماتت بعد ابن أبي طالب سنة ٤٠ هـ
تقريب التهذيب : ٢ - ٥٨٦ .

(٣٩) سورة آل عمران : ١٨٥ .

(٤٠) الخير في التعازي : ١٤ . والمحبور : المسرور .

قال أبو الحسن عن الحسن بن دينار^(٤١) عن علي بن زيد^(٤٢) عن أنس بن مالك^(٤٣) أن رسول الله ﷺ وضع إبراهيم في حجره وهو يجود بنفسه ، فقال : (لو) لا أن الماضي فرط الباقي ، وأن الآخر لاحق بالأول (لحزنا عليك) يا إبراهيم) ثم دمعت عينه فقال :

« تدمع العين ويحزن القلب ، ولا نقول إلا ما يرضى الرب وإنما بك (يا إبراهيم) لمحزونون » .^(٤٤)

قال أبو الحسن : أخبرنا عن مسلمة عن أبان^(٤٥) عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال :

« لأن أقدم قرطاً أحب إلي من أن أدع مائة مُستلتم »^(٤٦) .
وجاء عنه ﷺ أنه قال :

« من عَزَى مصاباً فله مثل أجره »^(٤٧) .

قال أبو الحسن عن بعض أصحابه قال :
عزى أبو بكر عمر على طفل له ، فقال :
﴿ عوضك الله منه ما عوضه منك ﴾

(٤١) أبو سعيد الحسن بن دينار البصرى نسب إلى زوج أمه . واسم أبيه واصل . روى عن الحسن البصرى وابن سيرين ، وروى عنه الثورى . لسان الميزان : ٢ - ٢٠٣ .

(٤٢) أبو الحسن علي بن زيد بن جدعان ، فقيه ضريع من أئمة الحديث توفى سنة ٣١ هـ . تقريب التهذيب ٢ - ٣٦ .

(٤٣) أنس بن مالك الخزرجى الأنصارى يكنى أبا حمزة أحد الصحابة الأجلة وخدام من الرسول توفى سنة ٩٢ هـ تقريب التهذيب : ١ - ١١ .

(٤٤) ما بين القوسين من : (حدث نفسه بالبقاء .. إلى وإنابك لمحزونون) بياض فى : ل . والخبر فى التعازى : ١٤ ، ١٥ .

(٤٥) هو أبان بن عباس فيروز البصرى أو إسماعيل العبدى متروك من الخامسة مات فى حدود الأربعين . تقريب التهذيب ١ - ٣٠ ، التعازى ص ١٤ .

(٤٦) تحاف السادة المتقين : ١٠ - ٣٥٩ . الأئمة : الدرع وفى هامش م (أى حامل لأمة : وهى الدرع) .

(٤٧) الترغيب : ٤ - ٣٤٤ .

تفسير هذا أنه يقال : إن الطفل يُعوّضُ من أبويه الجنة .
قال أبو الحسن عن أبي بكر عن أبي المليح قال : قال رسول الله ﷺ : « قال الله
جل ذكره : إذا أخذت صفى عبدي فصير لم أرض له ثوابا دون الجنة » (٤٨)



باب من الشعر

مراثى الجاهلية المشهورة المستحسنة والمستجادة المقدمة معلومة موسومة منها قصيدة
متمم بن نورة^(١) في أخيه مالك على إن سائر أشعاره غير مذموم ، وإن تقدمت العينية
التي أولها :

لَعَمْرِي وَمَا ذَهَرِي بِتَأْيِينِ هَالِكِ
وَلَا جَزَعٌ مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعًا^(٢)
ومنها قصيدة ثريد في أخيه عبد الله التي أولها :

أَرْتُ جَدِيدَ الْحَبْلِ مِنْ أُمِّ مَعْبَدٍ
بِعَاقِبَةٍ وَأَحْلَفْتُ كُلَّ مَوْعِدٍ^(٣)
ومنها قصيدة كعب بن سعد الغنوي^(٤) يرثي فيها أخاه التي أولها :

تَقُولُ سَلِمَى مَا لِحَسْبِكَ شَاجِبًا
كَأَنَّكَ يَنْخَمِيكَ الشَّرَابُ طَيِّبٌ^(٥)
ومنها قصيدة أعشى باهلة أبى قحافة^(٦) وهي التي أولها :

[البسط]

(١) أبو نهشل متمم بن نورة شاعر مخضرم صحابي حسن إسلامه ، واشتهر بمرثيته لأخيه مالك
وكان خالد بن الوليد أمر بقتله لأسباب في زمن الردة ما تزال مظنه حذس وتخمين . توفي حوالي
سنة ٣٠ هـ . ديوان الحماسة بشرح التبريزي ١ - ٣٣٠ ، وتاريخ الأدب العربي لعمر فروخ :
١ - ٣٠١ .

(٢) وهو مطلع القصيدة في المفضليات : ٩٤٨ .

(٣) مطلع قصيدة ثريد التي أشرنا إليه من قبل .

(٤) كعب بن سعد بن عمرو الغنوي من بني غنّى (- نحو ١٠ ق . هـ) شاعر جاهلي حلو
الدياجة . أشهر شعره بآيته هذه التي قالها في رثاء أخ له مات في حرب ذي قار . الأعلام
٦ - ٨٢ .

(٥) الأمالي : ٢ - ١٤٧ .

(٦) أعشى باهلة عامر بن الحارث من أعلام الجاهلية ، أشهر شعره رائيته التي رثي بها أخاه المنتشر

ابن وهب . انظر نشوة الطرب . ٥٨٤ والكامل : ١٢٢٨ ، ١٢٢٩

إلى النبي إسان لا أسرُها من غلو لا عجب منها ولا سحر^(٧)

ومرائي الخنساء ، ومرائي ليلي الأخيلية ، وسندكر من ذلك طرُفاً وبين مرائي أوس
ابن حجر في فضالة بن كلثة الأسدي ، ومن مرائي لبيد في أخيه أربد ، وعدى المهلهل
فمن بكاه من قومه - اختيارات بارعة - ، وثبته على ما فيها ، ولم^(٨) انحصرت ؟ ثم
نحط إلى شعر الإسلام من قديم ومحدث ، وما بينهما^(٩) إن شاء الله . ونفصيل ذلك
بالمواعظ - كلاماً وشِعراً - والتعازي على ما يحضر ، وتوفيق له إن شاء الله .

•••

فما اخترناه من قصيدة متمم ، وكان الذي تولى قتل أخيه بأمر خالد بن الوليد
ابن المغيرة^(١٠) ضرار بن الأزور الأسدي^(١١) وحدثنا التوزي^(١٢) في إسناده أن ضراراً هذا
أتى رسول الله ﷺ يسلم فقبل وقال :

تَرَكْتُ الْخُمُورَ وَضَرَبْتُ الْقِلَادَ ح وَاللَّهِوْ كَصِيَّةٍ وَإِيهَالَا
وَكَرَى الْمَجْنَبَ فِي غَمْرَةٍ وَخَلَى عَلَى الْمُشْرِكِينَ الْقِتَالَا
فَبَارَبْ لَا أَهْتَنُ صَفْقِي قَدْ بَغَتْ أَهْلِي وَمَالِي بَدَالَا^(١٣)

(٧) الكامل للمبرد : ١٢٢٩ والأمال : ٢ - ١٤٨ . ونشوة الطرب : ٢ - ٥٨٥ .

(٨) ل : ولن . (٩) م : وما فيها .

(١٠) خالد بن الوليد المغيرة الخزومي ، سيف الله القائد الإسلامي المعروف بمقرته وضوحاته وتقدير
النبي ﷺ له والخلفاء ، الخزومي القرشي ، من أشرف القبائل في الجاهلية . كنيته أبو سليمان ،
أسلم بين الحديبية ، والفتح ، أمر على قتال أهل الردة فانتصر عليهم . توفى سنة : ٢١ هـ . تقريب
التهديب : ١ - ١٩ .

(١١) شاعر مطبوع أسلم وحسن إسلامه ، حضر الرموك والجماعة وفتح الشام ، وحارب المرتدين
توفى سنة ١١ هـ الأعلام : ٣ - ٣١١ .

(١٢) شيخ المبرد أبو محمد التوزي الرومي الكبير والعالم اللغوي عبد الله بن محمد بن هارون ولد
بجز من بلاد فارس ، أخذ عن الأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد . توفى سنة ٢٣٨ هـ : معجم
المؤلفين : ٦ - ١٤٣ .

(١٣) المقدم الفريد : ٥ - ٢٦٧ .

فقال رسول الله ﷺ :

« مَا غَبْنْتُ صَفْقَتِكَ يَا ضِرَارَ » .

ثم نرجع إلى اختيارنا من العينية ، ففيها من حُرُّ الكلام ، وصادق المدح قَوْلُهُ :

[الطويل]

لَهُمْ نَارٌ أُبْسَارِ كَفَى مَن تَضَجَّعَا
عَلَى الْفَرْثِ يَحْمِي اللَّحْمَ أَنْ يَتَمَرَّعَا

إِذَا ائْتَدَرَ الْقَوْمُ الْقِدَاحَ وَأُرْقِدَتْ
بِمَتْنَى الْأَيْدِي ثُمَّ لَمْ تُلْفِ مَالِكَا

وقوله :

مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ تَتَّصِدَّعَا
أَصَابَ الْمَنَائِمَا زَهْطٌ كَسْرِي وَتُبَّعَا
لَطُولِ اجْتِمَاعِ لَمْ نَيْثَ لَيْلَةٌ مَعَا

وَكُنَّا كَتَدْمَانِي | جُلْدِيْمَةً | حِقِيَّةً
وَعِشْنَا بَخِيْرَ فِي الْحَيَاةِ وَقَبَلْنَا
فَلَمَّا تَفَرَّقَا كَأَنِّي وَمَالِكَا

وفيهما مما يختار :

وَعَيْثُ يَسْحُ الْمَاءُ حَتَّى تَرِيْعَا^(١٤)
ذَهَابِ الْغَوَادِي الْمُدْجِنَاتِ فَأَمْرَعَا^(١٥)
تُرْشُحُ وَنَسِيْمًا مِنَ التَّبْتِ خِرْوَعَا^(١٦)
وَأَضْحَى ثُرَابًا فَوْقَهُ الْأَرْضُ بَلْقَعَا^(١٧)
رَأَيْنَ مَجْرًا مِنْ فَصِيلٍ وَمَصْرَعَا^(١٨)
إِذَا حَتَّ الْأُولَى سَجَعْنَ لَهَا مَعَا
وَنَادَى بِهِ النَّاعِي السَّمِيْعُ فَاسْمَعَا^(١٩)

أَقُولُ وَقَدْ طَارَ السَّنَا فِي رَبَابِهِ
سَقَى اللهُ أَرْضًا حَلَّهَا قَبْرُ مَالِكِ
وَأَثَرَ بَطْنِ الْوَادِيَيْنِ بِدِيْمَةِ
تَحِيْثُهُ مِنِّي وَإِنْ كَانَ نَائِيَا
فَمَا وَجَدَ أَظَارَ ثَلَاثِ رَوَائِمِ
يُدْكُرْنَ ذَا الْوَجْدِ الْقَدِيْمِ بِوَجْدِهِ
بِأَرْجَعِ مِنِّي يَوْمَ فَارَقْتُ مَالِكَا

(١٤) السنا : ضوء البرق . الرباب : السحاب . التريع : التردد .

(١٥) الذهاب : جمع ذهبية وهي السحابة الغزيرة . الغوادي : التي تغدو بالمطر . المدججات : التي تأتي بالمدجن وهو تغطية السماء بالسحاب . وأمرع : أحصب .

(١٦) زيد هذا البيت من ل . ترشح : تنمي . الوسمى : أول النبات . الخروع : اللبن من كل شيء .

(١٧) م : يحينه . (١٨) الأظار : جمع ظفر ، وهي العاطفة على غير ولدها . الروائم : التي ترام

الرضيع أى تعطف عليه . (١٩) ل : بأوجد . والقصيدة في الكامل : ٣ - ١٢٣٧ ، ١٢٣٨ .

يريد بالسميع : السمع :

[الطويل]

وما يستحسن من شعره فيه :

كُهُولٌ ، وَمُرْدٌ مِنْ بَنِي عَمِّ مَالِكٍ وَأَيْفَاعٌ صِدْقِي لَوْ تَمَلَّيْتَهُمْ رَضَى
سَقُوا بِالْعَقَارِ الصَّرْفِ حَتَّى تَتَابَعُوا كَذَابِ ثُمُودٍ إِذْ رَغَا سَعْبُهُمْ ضَحَى^(٢٠)
إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا : مَنْ قَتَى لِعَظِيمَةٍ؟ فَمَا كُلُّهُمْ يُعْتَى وَلَكِنَّهُ الْفَتَى

[الطويل]

وهذا يشبه قول طرفة :

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا : مَنْ قَتَى ؟ خِلْتُ أَنْتَى

عَيْثُ فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ^(٢١)

[الطويل]

وفى ذلك قوله فى أخرى :

وَكُلُّ قَتَى فِي النَّاسِ بَعْدَ ابْنِ أُمِّهِ كَسَاقِطَةٌ إِخْدَى يَدَيْهِ مِنَ الْخَبْلِ^(٢٢)
وَيَبْضُ الرُّجَالِ نَخْلَةً لِأَجْنَى لَهَا وَلَا ظِلَّ إِلَّا أَنْ تُعَدَّ مِنَ الشَّخْلِ^(٢٣)

وهذا^(٢٤) جيد الكلام لصحة معناه ، ولأنه وافق حقاً . قال رسول الله ﷺ :
« النَّاسُ كَأَيْلٍ مَائَةٍ ، لَا تَكَادُ تَرَى فِيهَا رَاحِلَةً »^(٢٥) و (قد قال) الآخر لشجرات

[الطويل]

ضرب بهن مثلاً :

إِذَا لَمْ يَكُنْ يَكُنْ فَيَكُنْ ظِلٌّ وَلَا (جَنَى) فَأَبْعَدُكُنَّ اللَّهُ مِنْ شَجَرَاتِ^(٢٦)

والرجل الذى أنشأنا هذا الكتاب بسببه ومن أجله ووفاته^(٢٧) رحمة الله عليه
نأمن أن يلحق وصفنا إياه تزيُّد أو تكلف ، لإجماع العامة فيه على قول الخاصة ،

(٢٠) الشطرة الأولى ليست فى ل . رغا البعير : صاح بصوت مرتفع .

(٢١) الأبيات السابقة وبيت طرفة فى الكامل : ٣ - ١٢٤٣ .

(٢٢) الخبل : قطع اليد أو الرجل . وفى م : الخبل بالحاء المهملة - فى الذراع عرق ينقاد من الرسغ حتى يتغمس فى المنكب .

(٢٣) من خمسة أبيات فى الكامل : ١٢٤٣ .

(٢٤) ل : وهذا من جيد . (٢٥) فتح البارى : ١١ - ٣٤١ وفى أوله تجدون ...

(٢٦) سمط اللآلى : ٩٣٤ .

(٢٧) ل : والرجل - رحمه الله - الذى أنشأنا هذا الكتاب بسببه ، ومن أجل وفاته نأمن .

وكانه شيء وقع إماما ، وكان مادحه يستجلى^(٢٨) مدحه من قول القائل : [الكامل]
جَلَّتْ مُصِيبَتُهُ فَهَمَّ مُصَابُهُ فَالْتَأَسَ فِيهِ كَلُّهُمْ مَا جُورُ
وَالنَّاسُ مَا تَمُّهُمْ عَلَيْهِ وَاحِدٌ فِي كُلِّ ذَا رِزَّةٍ وَزَفِيرُ
تَجْرِي عَلَيْكَ دُمُوعٌ مَنْ لَمْ تُولِهِ خَيْرًا لَأَكْلِكَ بِالنَّشَاءِ جَدِيرٌ^(٢٩)

ويشاكل هذا المعنى قول عمارة بن عقيل^(٣٠) لخالد بن يزيد بن يزيد^(٣١) .

[الطويل]

أَرَى النَّاسَ طَرًّا حَامِدِينَ لَخَالِدٍ وَمَا كَلُّهُمْ أَفْضَتْ إِلَيْهِ صَنَائِعُهُ

(قال : النصب في (كلهم) أحب إلي ، والرفع جيد) .

وَلَنْ يَتْرَكَ الْأَقْوَامُ أَنْ يَحْمَدُوا الْفَتَى إِذَا كَرُمَتْ أَغْرَاقُهُ وَطَبَائِعُهُ
فَتَى انْفَعَتْ ضَرَّاءُهُ فِي عَدُوِّهِ وَخَصَّتْ وَعَمَّتْ فِي الصَّدِيقِ مَنَافِعُهُ^(٣٢)

وإن سلم أحد من أن يكون له عدو فإسماعيل بن إسحاق القاضي رحمة الله عليه ،
ذلك الرجل . ولكن من سلم من أن يُعادى لجنابة فخير سالم من حاسد باغ .

قال : حدثني الرياشي قال^(٣٣) : حدثني محمد بن عبد الله الأنصاري في إسناده قال :

صلى أبو بكر الصديق صلاة الصبح يوما ، فلما انقضى قام مُتَمِّمٌ بن ثويرة في مؤخر

(٢٨) ل : يستمل . (٢٩) اختلف في نسبة هذه الأبيات فقيل أنها لرجل من خزاعة ، وقيل إنها
لكثير يروي بها عمر بن عبد العزيز . ونسبت إلى التيمي ونسبها البعض إلى مسلم بن الوليد .
(٣٠) ابن بلال بن جرير بن عطية سكن البصرة وكان يزور الخلفاء العباسيين ويمدحهم توفي سنة
١٨٢ هـ .

(٣١) أحد أمراء العباسيين المشتهرين بالجود توفي سنة : ٢٣٠ . (انظر الفاضل للمبرد ص ٦٢) .

(٣٢) انظر الكامل : ١١٩٧ .

(٣٣) العباس بن الفرج بن علي بن عبد الله الرياشي البصري أبو الفضل نحوي ، لغوي ، راوية
للشعر عالم بأيام العرب والسير أخذ عن الأصمعي ، وقرأ على المازني النحو واللغة وأخذ عنه المبرد
وقته الزنج بالبصرة : من تصانيفه : كتاب الخيل ، وكتاب الإبل وكتاب ما اختلفت أسماءه من
كلام العرب ، وله شعر توفي سنة ٢٥٧ هـ عن عمر ٨٠ سنة . معجم المؤلفين : ٥ - ٦٢ .

النَّاسِ^(٣٤) ، وَكَانَ رَجُلًا أَعْوَرَ دَمِيمًا ، فَاتَكَأَ عَلَى قَوْسِهِ ثُمَّ قَالَ : [الكامل]
نِعْمَ الْقَتِيلُ إِذَا الرِّيحُ تَنَازَحَتْ خَلْفَ الثِّيَابِ قَتَلْتَ يَا بَنَ الْأَزْوَارِ^(٣٥)
أَدْعُوهُ بِاللَّهِ ثُمَّ غَدَزْتَهُ لَوْ هُوَ دَعَاكَ بِدِمَّةٍ لَمْ يَهْدِرِ
وَأَوْمَأَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ :

وَاللَّهِ مَا دَعَوْتُهُ ، وَلَا غَدَرْتُ بِهِ ، ثُمَّ بَكَى مَتَمِّمٌ ، وَانْخَرَطَتْ دَمْعَتُهُ عَلَى سِيَّةِ
قَوْسِهِ^(٣٦) حَتَّى دَمَعَتْ عَيْنَهُ الْعَوْرَاءَ ، ثُمَّ أَمَّ شِعْرَهُ فَقَالَ :

لَا يُنْسِيكَ الْعَوْرَاءَ نَحْتِ قِيَابِهِ حُلُوْ شَمَائِلُهُ عَفِيفُ الْمِزْرِ
وَلِنِعْمَ حَشْوُ الدَّرْعِ كُنْتُ وَحَاسِرًا وَلِنِعْمَ مَا أَرَى الطَّارِقَ الْمُتَوَرِّقَ

فَقَامَ إِلَيْهِ عُمَرُ فَقَالَ :

لَوَدِدْتُ أَنَّكَ رَثِيْتُ أَخِي بَمَثَلِ مَا رَثَيْتَ بِهِ أَحَاكَ .

فَقَالَ لَهُ :

يَا أَبَا حَفْصٍ ، لَوْ أَعْلَمُ أَنَّ أَخِي صَارَ لِي مَا صَارَ إِلَيْهِ أَحَاكَ^(٣٧) مَا رَثَيْتُهُ ! .
يَقُولُ : إِنْ أَحَاكَ قَتَلَ شَهِيدًا^(٣٨) .

فَقَالَ عُمَرُ :

مَا عَزَانِي أَحَدٌ عَنْ أَخِي بِمَثَلِ تَعَزِيَّتِكَ^(٣٩) .

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ : أَنَّهُ رَثَى زَيْدَ بْنَ الْخَطَّابِ فَلَمْ يُجِدْ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : لَمْ أَرَكَ

(٣٤) لَ : آخِرُ النَّاسِ .

(٣٥) ابْنُ الْأَزْوَارِ هُوَ ضَرَارُ الَّذِي قَتَلَ مَالِكََ بْنَ نُوَيْرَةَ .

(٣٦) لَ : ثُمَّ اتَكَأَ مَتَمِّمٌ عَلَى سِيَّةِ قَوْسِهِ .

(٣٧) لَ : أَحَاكَ . وَكُتِبَ فِي هَامِشِ مَ : وَجْهَ الْأَلْفِ [فِي أَحَاكَ] عَلَى لُغَةٍ مِنْ قَصْرِ الْأَسْمَاءِ الْخَمْسَةِ
وَلَا فَالْوَجْهَ الْوَاوِ .

(٣٨) وَكَانَ زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ أَخَا عُمَرَ قَدْ قَتَلَ بِالْبِمَامَةِ .

(٣٩) لَ : مَا عَزَانِي أَحَدٌ عَنْ أَخِي بِمَثَلِ تَعَزِيَّتِكَ . وَالْخَيْرُ وَالشَّعْرُ الْكَامِلُ : ١٢٤٢ .

رثيت زيّدًا كما رثيت أخاك مالكًا ، فقال : إنه والله يجركني لمالك مالا يجركني لزيد^(٤٠) .

وقال له عمر يوما :

إنك لَجَزَلٌ ، فأين كان أخوك منك ؟

فقال :

كان - والله - أخى فى الليلة ذات الأزيز والأصوات^(٤١) والصرّاد ، يركب الجمل الثقال بين المرأتين المتلوتين^(٤٢) ، ويَجْنُبُ الفرسَ الجرورَ ، وعليه الشملة الفلوت ، وفى يده الرمح الثقيل حتى يصبح مُتَهَلِّلاً^(٤٣) .

ولقد أُسِرْتُ مرة فى بعض أحياء العرب ، فمكثتُ فيهم سنة أحدثهم وأغنيهم ، فما أطلقوني ، فلما كان بعدُ ، وقف عليهم مالك فى شهر من الأشهر الحرم فحادثهم ساعة ، ثم استوهبني منهم وهم لا يعرفونه ، فوهبوني له ، فعلمت أن ساعة من (مالك أكثر من حول منى)^(٤٤) .

قال : وأما مرثية دريد بن الصمة فكان الأصمعى يقدمها جدًا ، وهى أهل لذلك . وكان سبب هذه المرثية أن أخاه عبد الله بن الصمة أحد بنى جشم بن بكر بن هوازن غزا قبائل غطفان بن سعد بن قيس بن مرّة ، وفزارة وأشجع وعيس بن بغيض . فاكسح أموالهم وانصرف ، فلم يجاوز بعيدًا حتى أناخ ، وأمر بالإبل تُنَحَّرَ ، فقال له أخوه دريد :

يا أبا فرعان^(٤٥) ، إن غطفان غير نائمة عن أموالها ، فتقدم شيئًا ثم أنخ فقال :

(٤٠) الخبر فى الكامل : ١٢٤٣ .

(٤١) والأصوات ليست فى ل . (٤٢) المتلوتين من ل .

(٤٣) الأزيز : البرد . والصرّاد : ريح باردة مع الندى . الجمل الثقال : البطيء . الفرس الجرور :

أى الذى لا يكاد يتقاد مع من يجنبه وإنما يجر الحيل . الشملة الفلوت : أى التى لا تكاد تثبت

على لابسها .

(٤٤) ما بين القوسين ليس فى ل . والخبر فى الكامل : ١٢٤٤ .

(٤٥) كناية لعبد الله .

والله لا أريُّمُ حتى آخذ مرباعي^(٤٦) ، وانتقع نقيعتي ، فأمر بالإبل فنحرت ،
وأجلسوا ربيعاتهم^(٤٧) ، فلما سطعت الدواخن ، قال (له الربيعة : إني أرى غيرة
قد)^(٤٨) ارتفعت أكثر من هذه الدواخن .

قالوا :

فتأمل ماذا ترى .

قال :

أرى قوما على خيلهم كأنهم الصبيان .

قالوا :

هذه فزارة لا بأس ، تأمل فنظر فقال .

أرى قوما كأنهم غمسوا في الجأب^(٤٩) .

فقالوا :

تلك أشجع ولا بأس ، تأمل .

قال :

أرى قوما كأنما يتقلعون من صخر ، يقلعون دوابهم بيوادهم .

قالوا :

تلك عيس والموت .

فلم ينشبوا أن التقى القوم فاقتتلوا شيئا ، ثم نادى مناد :

أردي - والله - فارس هو أبو فرعان .

فأقبل دريد فإذا به (صريعا ، وأصاب دريدا جراحات)^(٥٠) . وله خير في ذلك

اليوم ليس من هذا . ففى ذلك يقول في كلمته هذه . [الطويل]

(٤٦) المربع : أى ربع وهو نصيب الرئيس فى الجاهلية . والنقعة : ما نحر من النهب قيل أن
يقتسم .

(٤٧) الربيعات : الحراس والذين يأتونهم بأخبار العدو .

(٤٨) ما بين القوسين : (له ... قد) من ل .

(٤٩) الجأب : المفرة : طين احمر يصيغ به : الرسالة .

(٥٠) ما بين القوسين بياض فى : ل .

وَقُلْتُ لِعَارِضٍ وَأَصْحَابِ عَارِضٍ
أَمْرَتُهُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوِيِّ
فَلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أَرَى
فَمَا أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ إِنْ غَوْتُ
فَقُلْتُ لَهُمْ: ظَنُّوا بِالْفَنَى مَقَاتِلِ
فَقَادُوا وَقَالُوا: أُرِدْتُ الْخَيْلَ فَارِسًا

فَقُلْتُ: أَعْبُدُ اللَّهَ ذَلِكَ كُمْ الرِّدَى؟

فَجِئْتُكَ كَأَمِّ ابْنِ رِيْعَتٍ فَأَقْبَلْتُ
فَمَا رَاعَيْتُ إِلَّا الرِّمَاحَ تَنَوَّشُهُ
فَإِنَّ يَدَكَ عَبْدُ اللَّهِ حَلَى مَكَانَهُ
كَمَيْشِ الْإِزَارِ خَارِجٍ يَصْنَفُ سَاقِيهِ
قَلِيلُ التَّشْكِيِّ لِلْمُصِيبَاتِ حَافِظٌ
وَهَوْنٌ وَجِدَى أَنِّي لَمْ أَقُلْ لَهُ

وأشعار الجاهلية مشهورة معروفة ، وإنما نغلي منها العيون . ألا ترى إلى قوله : (قليل التشكى للمصيبات) ، ثم وصله بقوله (حافظ مع اليوم أدهار الأحاديث في غد) كيف قرّن فيه معنى ظريفًا بآخر مثله في الظرافة التي لا يمتنع اللبيب من قبولها واستحسانها والمعرفة بحقيقة ما فيها كما قلنا في الذي قبله .

- (٥١) الشطر الثاني من ل وفي م : غوايتهم والرشد غير مهتد .
(٥٢) البو : ولد الناقة يذبح ويخشى جلده تبنًا أو حشيشًا لتعطف عليه وترأمه فتدر عليه اللين .
والجدّم : جمع جدّمه وهي القطعة . والسقب : ولد الناقة .
(٥٣) الصياصي : جمع صيبصية . وهي شوكة الحائك التي يسوى بها السداة واللحمة . يريد أن أخاه دعاه والرماح تتناوله ولها وقع كوقع صياصي الحياكة في ثوب ينسج .
(٥٤) الكميش : يقال رجل كميش الأزار : مُشَمَّرُهُ جاد في أمره المعجم الوسيط : ٢ - ٨٠٤ .

وكذلك قول كعب بن سعد الغنوي :

وَدَاعِ دَعَا : يَأْمَنُ يُجِيبُ إِلَى التَّدْيِ ؟
فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَلِكَ مُجِيبٌ
فَقُلْتُ : ادْعُ أُخْرَى وَارْفَعِ الصَّوْتِ رَفْعَةً
لَعَلَّ أَبَا الْمَعْوَرِ مِنْكَ قَرِيبٌ^(٥٥)

ألا ترى ما وصفه به من الجود الذي هو عادة يُجتمع عليها ، ثم لم يعدل به أحدًا ؟

وكذلك قول أعشى باهلة في مرثيته المُتَشِيرَ بن وَهَبٍ حيث يقول في جَلْدِهِ ، إذ
كان جُلُّ ما فيه مما يُمدح به فيما كان به موصوفًا :

[البسيط]

مَا يَلْمِزُ السَّاقِ مِنْ أَيْنَ وَمِنْ وَصَبٍ وَلَا يَعْصُ عَلَى شَرِّ سَوْفِهِ الصَّقْرِ^(٥٦)
مَاضِي الْعَزِيمِ عَلَى الْعَزَاءِ مَنصَلَتْ بِالْقَوْمِ لَيْلَةً لَأَمَاءَ وَلَا شَجْرُ^(٥٧)
كَأَنَّهُ عِنْدَ صِدْقِ الْقَوْمِ أَنْفُسَهُمْ بِالْيَأْسِ تَلَمَّعَ مِنْ قُدَامِهِ الْبُشْرِ^(٥٨)

ولا نعلم يتأ في هذا المعنى من يُمن النقية وبركة الطلعة أبرغ من هذا ، فإنما
غلى هذا الضرب من العيون . ومثل ذلك قوله :

لَا يَتَأْرَى لِمَا فِي الْقَدْرِ يَرْقُبُهُ
وَلَا تَرَاهُ أَمَامَ الْقَوْمِ يَقْتَفِرُ^(٥٩)

(٥٥) أبو المعوار : هو أخو كعب بن سعد . ورفع : أى معلنًا رفعة .

(٥٦) ل : ولا وصب . الأين : الأعياء والتعب . الوصب : الإعياء والمرض . والشَّرِّ سَوْفٍ : رأس
الضلع مما يلي البطن . والصفر : قيل شيء ما يعض الضلوع إذا جاع الإنسان . ثم إنه يصف المدح
بشدة الخلق وصحة البنية .

(٥٧) ماضى العزيم : ينفذ أموره بحمد . العزاء : الشدة واليأس . والمنصلت : الماضى فى الحوائج .

(٥٨) ل : يلمعُ البُشْرُ . والبِشْرُ والبُشْرُ : جمع بشرٍ مثل تذيب وتذير وتذُر . والمعنى : عندما يفقد القوم

النجاة ويوقتون بالهلاك يجدونه المنتقذ لهم مما هم فيه .

(٥٩) لا يتأرى : لا ينحس . الاقتار : تعرق العظم . والمعنى : أن همته عالية بعيدة عن الطعام

والمشرب .

قال أبو العباس : وحدنا الرياشي في إسناده ذكره قال :
أَنشِدْ مُنْشِدَ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي هَرَمٍ ^(٦٠) [بن سنان] : [الكامل]
أَنْ نِعْمَ مُعْتَرِكُ الْجِيَاعِ إِذَا حَبَّ السَّفِيرُ وَسَابِئُ الْخَمْرِ ^(٦١)
وَلِنِعْمَ حَشْوُ الذَّرْعِ أَنْتَ إِذَا دُعِيَتْ : نَزَالٌ وَلِجٍ فِي الدُّغْرِ ^(٦٢)
وَمَرْهُقُ التَّيْرَانِ يُحْمَدُ فِي الْ- لَأَوَاءِ غَيْرُ مُلْعَنِ الْقَدْرِ ^(٦٣)
فجعل أبو بكر يقول عند كل بيت :

هكذا كان رسول الله ﷺ حتى أنشده
وَالسَّرْفُونَ الْفَاحِشَاتُ وَمَا يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ مِشْرِ
فقال : هكذا - والله - كان رسول الله ﷺ . ثم قال أشعر شعرائكم زهير .

ويروى من غير وجه - حدثناه مسعود بن بشر وغيره :
أنه لمامات مخلد بن يزيد بن المهلب ^(٦٤) حضره عمر بن عبد العزيز وصلى عليه ثم
قال :

بَكُوا حُدَيْفَةَ لَا تُبَكُّوا مِثْلَهُ حَتَّى تَبِيدَ قَبَائِلُ لَمْ تُخْلَقِ
ثم قال :

لو أراد الله بيزيد (خيراً لأبقي له هذا الفتى) ^(٦٥) . فهذا من الأبيات الجامعة كنعو
ما ذكرناه .

(٦٠) ابن سنان تكلمة من عندنا وجاء في ل : ابن حيان وهو سهو . (٦١) معترك الحياة : مكان
اجتماعهم وتزاحمهم . حب السفير : ورق الشجرة تسفره الريح . أى تطويه والخبب الإسراع أى
سارت الريح بالأوراق مسرعة على وجه الأرض ، وهو وقت الخريف والأرض خالية من الزرع .
وسابئ الخمر : مشتريها ، وشراء الخمر وقت الشدة دليل على الكرم .
(٦٢) دعيت نزال : دعيت للحرب . لج في الزعر : تتابع الناس في الفزع .
(٦٣) مرهق النيران : إيقاد النار ليلاً حتى يلدجاً إليها الضيفان . اللأواء : الجهد وشدة الزمان .
غير ملعن القدر : محمود القدر أى أن ما فيه يأكله الناس من غير من ولا أذى .
(٦٤) مخلد بن يزيد بن المهلب من بيت عز وبطولة ورتاسة مات بالشام سنة ١٠٠هـ .
(٦٥) ما بين القوسين بياض في ل .

ولقد أحسنت الكندية في قولها في إختوتها :

أَبَوَا أَنْ يَفْرُوا وَالْقَنَا فِي نُحُورِهِمْ
فَمَاتُوا وَأَطْرَافَ الْقَنَا تَقَطَّرَ الدِّمَا
وَلَوْ أَنَّهُمْ قَرُّوا لَكَانُوا أَعْرَةَ
وَلَكِنْ رَأَوْا صَبْرًا عَلَى النُّمُوتِ أَكْرَمًا
هَوَتْ أُمَّهُنَّ مَاذَا بِهِمْ يَوْمَ صَرَّعُوا
بِجَيْشَانٍ مِنْ أَسْبَابِ مَجْدٍ تَصَرَّمًا^(٦٦)

[الوافر]

والقائل :

أَلَا لَهْفَ الْأَزَامِلِ وَالْيَتَامَى
وَلَهْفَ الْبَاكِيَاتِ عَلَى قُصَى
لَعَمْرُكَ مَا عَشِيْتُ عَلَى قُصَى
مِيَّةً بَيْنَ سَلْعٍ وَالسَّلَى
وَلَكِنِّي خَشِيتُ عَلَى قُصَى
جَرِيرَةَ رُمُوحِهِ فِي كُلِّ حَيٍّ^(٦٧)

فأحسن الشعر ما خلط مدحا بتفجع ، واشتكاء بفضيلة ، لأنه يجمع التوجع الموجع تفرجا ، والمدح البارع اعتذارا من إفراط التفجع باستحقاق المرتى . فإذا وقع نظم ذلك بكلام صحيح ولهجة معربة ، ونظم غير متفاوت فهو الغاية من كلام المخلوقين .

واعلم أن قول الخنساء^(٦٨) من أجل الكلام حيث تقول :

وَأَنَّ صَخْرًا لَوَالِيْنَا وَسَيِّدِنَا
وَأَنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُّ الْهَدَاةَ بِهِ
وَأَنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُّ الْهَدَاةَ بِهِ
وَأَنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُّ الْهَدَاةَ بِهِ
كَأَنَّهُ عَلَّمَ فِي رَأْسِهِ نَارًا^(٦٩)

فجعلته موضعا للسؤدد ومعنينا بأمر العشيرة بقولها : (لوالينا وسيدتنا) وجوادا مفضلا نحارا في وقت الإقتار والشتوة ، ثم قالت : (وإن صخرًا لتأتم الهداة به) فجعلته إمام

(٦٦) الأبيات لأم صريح الكندية . ديوان الحماسة لأبي تمام : ١ - ٣٨٦ ، ٣٨٧ .

(٦٧) الأبيات في الكامل : ١١٩٩ منسوبة إلى أعرابي .

(٦٨) تخاصرت عمرو الشريد من بنى سليم ، والخنساء لقب لها ، من أشهر شواعر العرب عاشت في الجاهلية ثم أسلمت وحسن إسلامها ، وأكثر شعرها في الرثاء وبخاصة أخوتها صخر ومعاوية وكانا قتلا في الجاهلية توفيت سنة ٢٤ هـ . أنظر تاريخ الأدب العربي لفروخ : ١ - ٣١٧ .

(٦٩) الديوان : ٢٦ ، ٢٧ .

الأئمة ، ثم جعلته علمًا - والعلم : الجبل - ، فلم تقتصر على ذلك حتى جعلت في رأسه نازًا شهرة في الكرم ، ونارا على علم في الهداية - فله درها .
وقول الله تبارك وتعالى : ﴿وله الجوارى المنشآت في البحر كالأعلام﴾^(٧٠) إنما هي الجبال وقال جرير :

إِذَا قَطَعْنَ عِلْمًا بَدَا عِلْمٌ فَهِنَّ بِحَا كَمْضِلَاتِ الْخَدَمِ^(٧١)

ومن عجيب ما قيل قول النابغة^(٧٢) في حصن بن حذيفة^(٧٣) إكبارًا لشأنه واستعظامًا لموته وتعجبًا من ذهاب مثله :

يَقُولُونَ حِصْنٌ ثُمَّ تَأْبَى نَفْسُهُمْ وَكَيْفَ بِحِصْنِ وَالْجِبَالِ جُنُوحُ ؟
وَلَمْ تَلْفِظِ النُّوْمَى الْقُبُورُ وَلَمْ تَزُلْ نُجُومُ السَّمَاءِ وَالْأَدِيمُ صَحِيحُ
فَعِنَّمَا قَلِيلٌ لَمْ جَاءَ نَعِيَةُ فَظَلَّ نَدِيُّ الْحَيِّ وَهُوَ يَنُوحُ^(٧٤)

وذكرنا أوس بن حجر ومراثيه في فضالة بن كَلْدَةَ الأَسَدِيِّ . وكان من خبره معه أنه قصده من أرض بنى تميم ، فلما قارب منزله ، جالت به ناقته فرمت به فكسرت فخذه ، فأقام ليلته مكانه لا يريم حتى إذا أصبح نظر - وهو في عام خصيب - إلى جوارٍ من صبيات بنى أسد قد خرجن ينجين الكمأة ، فجعل ينسبن حتى وقف على ابنة فضالة . فقال لها :

خذى هذا الحجر فأقِ به أباك ، فقولى له :

قد زارك ابن هذا ، وخبريه بحالى ، فلما أتته قال :

(٧٠) سورة الرحمن : ٢٤ .

(٧١) الديوان : ٦٢٢ .

(٧٢) زياد بن معاوية بن خباب الديباني المضرى ويعرف بالنابغة الديباني شاعر جاهلى من أهل الحجاز قال الشعر وهو كبير ، وله مع النعمان بن المنذر مواقف صعبة وكان كثير التردد عليه في الحيرة له شعر كثير جمع بعضه في ديوان صغير توفى سنة ١٨ ق.هـ : معجم المؤلفين : ٤-١٨٨

أنظر تاريخ الأدب لفروخ : ١ - ١٨٧ .

(٧٣) حصن بن حذيفة الفزارى ، قاد ذيبان يوم شعب جبلة .

أنى - والله - بمدح كثير أو بدم كثير . فأتاه ، فضرب عليه قبة ، ولم يزل يعالجه حتى برأ .

قال الأصمى :

وفى بنى أسد حذاقةً بالجَبْرِ . قال : وسمعت أعرابيا من بنى أسد يقول : أنا أجبر
الناس بفك أو ترقوة . قال الأصمى : وهما أشد ما يجبر . ففى ليلته تلك يقول :
[المتقارب]

حَدِثْ عَلَى لَيْلَةٍ سَاهِرَةٌ بصَحْرَاءِ شَرَجٍ إِلَى نَاطِرَةٍ
تُرَادُ لَيْلَى فِي طَوْلِهَا فَلَيْسَتْ بِطَلْقٍ وَلَا سَاكِرَةٍ
كَأَنَّ أَطْوَالَ شَوْكِ السَّيَالِ تَشْكُ بِهِ مَضْجَعِي شَاجِرَةٌ^(٧٥)

وفى حليلة بنت فضالة بن كلدة التى ذهبت إلى أبيها برسالته يقول : [الطويل]
لَعْمُرِكَ مَا دَمَّتْ نَوَاءٌ نَوِيهَا حَلِيمَةٌ إِذْ أَلَقْتَ مَرَامِي مُقْعَدِ^(٧٦)
وَلَكِنْ تَلَقَّتْ بِالْيَدَيْنِ ضَمَانِي وَحَلَّ بِفَلَجٍ فَالذَّيْنَةَ عَوْدِي^(٧٧)
وَلَمْ تَلْهَيْهَا تِلْكَ التَّكَالِيفُ إِهْيَا كَمَا شِئْتَ مِنْ أَكْرَوْمَةٍ وَتَخْرُدِ
سَاجِرِيكَ أَوْ يَجْزِيكَ عَنِّي مُتَوِّبٌ وَقَصْرُكَ أَنْ يُتَى عَلَيْكَ وَتُحْمَدِي^(٧٨)

فأقام عند فضالة مدة يسيرة ، ثم مات فضالة ففیه يقول قصائد نذكر بعضها والمختار
منها :

قال أبو عبيدة :

كان أوس بن حجر شاعر مضر فى الجاهلية حتى نشأ زهير والناطقة فوضعا منه ،
ولكنه شاعر تميم غير مدافع . فمما قال فيه :
[المنسرح]
إِيَّهَا النَّفْسُ أَجْمَلُ جَزَعًا إِنَّ الَّذِي تُحَدِّرِينَ مِنْهُ قَدْ وَقَعَا

(٧٤) ديوان الناطقة الذيباني : ٢٩ . تحقيق كرم البستاني :

(٧٥) الديوان : ٣٤ ، ٣٥ . والبيت الرابع والأخير .

أَنُوءٌ بِرَجُلٍ بِهَا ذَهْنُهَا وَأَعْيَتْ بِهَا أُنْحَتْهَا الْغَايِرَةُ
(٧٦) النواء : الإقامة والنوى : الضيف . (٧٧) الضمانة : العامة . فلح والذينة : موضعان .

(٧٨) الديوان : ٢٦ ، ٢٧ . ومعنى وقصرك : وحسبك .

إِنَّ الَّذِي جَمَعَ السَّمَاحَةَ وَالذَّ
الْأَلْمَعَى الَّذِي يَظُنُّ بِكَ الظُّ
وَالْمُخْلِفُ الْمُخْلِفُ الْمُرْزَأُ لَمْ
وَالْحَافِظُ النَّاسَ فِي تَحْوِطٍ إِذَا
وَعَزَّتِ الشَّمَالُ الرِّيَّاحُ وَقَدْ
وُشِبَّهَ الْهَيْدَبُ الْعَبَامُ مِنَ الْأَفْدِ
وَكَانَتْ الْكَاعِبُ الْحَسْتَاءُ الْمَمْدُ
لِيْنِكَ الشَّرْبُ وَالْمُدَامَةُ وَالْ
وَذَاكَ هِذِمِ عَارٍ نَوَاشِرُهَا

جِدَّةَ وَالْبَاسَ وَالْقَوَى جُمَعَا
مَنْ كَانَ قَدْرَآى وَقَدْ سَمِعَا
يُمْتَعُ بِضَعْفٍ وَلَمْ يَمُتْ طَبَعَا^(٧٩)
لَمْ يُوسِلُوا خَلْفَ عَائِدٍ رَبْعَا
أَمْسَى كَمِيعُ الْفَقَاةِ مُتَضِعَا
سَوَامٍ سَقْبَا مُلْبَسَا قَرْعَا
عَةً فِي زَادِ أَهْلِهَا سَبْعَا
فِيَّانَ طَرَا وَطَامِعَ طَمْعَا
نُصِمْتُ بِالْمَاءِ تَوَلَّيَا جِدْعَا^(٨٠)

تأويل ما في هذه القصيدة مما ليس بواضح إلا بعد نظر: ^(٨١) قوله :
أيتها النفس أجهل جزعا إن الذي تحذرين قد وقعا

تقول العرب :

(الحذر أشد من الوقعة) . وإنما حَقُّ الشيء المتخوف أن يكون (صاحبه)^(٨٢)
مرتاعا جذر وقوعه ، فإذا وقع البأس ارتفع ذلك^(٨٣) الحذر .

ومن ذلك ما يتدارسه الصالحون : إذا استأثر الله (سبحانه وتعالى) بشيء فآله عنه
ويحكى عن بعض الأعاجم من ملوكهم أنه مات له ابن فلم يجزع عليه ، وأقبل على
شأنه ، فسئل عن ذلك فقال :

إنما الروعة قبل وقوع المخوف ، فإذا وقع فعل اللبيب الأيتسب إلى الوقوف متفكرا
في إثر ما لا يترك ، ولكن ليزجر النفس عن خطاها ويعمل الشغل فيما يجدى عليه .
وقوله :

(الألمعى الذى يظنُّ بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا)

الألمعى : الحديد القلب الذى يوقع الشيء موقعه . وهذا مَثَلٌ لا نعلمه لأحد

(٧٩) المرزأ : الذى تتاله الرزيمات فى ماله لما يعطى ويسأل

(٨٠) الديوان : ٥٣ - ٥٥ .

(٨١) ل : بعد نظر . (٨٢) () بياض فى ل (٨٣) ذلك : زيادة من ل

قبله^(٨٤) . وكان (مولانا أمير المؤمنين) عمر بن الخطاب رضى الله عنه يأتي^(٨٥) بأوضح من هذا يقول :

(لا يَعِيشُ يَعْلَمُ أَحَدٌ حَتَّى يَعِيشَ بِظَنِّهِ)

وقال الزبير بن العوام^(٨٦) : (لا عَاشٌ بِخَيْرٍ مِنْ لَمْ يُرِهِ ظَنَّهُ مَا لَمْ تُرِهِ عَيْتُهُ) وقال عمرو بن العاص : (ظَنَّ الرَّجُلِ قِطْعَةً مِنْ عِلْمِهِ ، وَلِسَانَهُ قِطْعَةً مِنْ عَقْلِهِ)
وقوله :

(والمثلث الخلف)^(٨٧) قد جَمع فيه ما يفتى عن التفسير والتزويد إذ يقول^(٨٨) :
يُتْلَفُ جَوْدًا وَكِرْمًا ، وَيُخْلَفُ نَجْدَةً وَآكْسَابًا .
وقوله :

(لم^(٨٩) يمتع بضعف) أى لم يُقَرَّنْ به . تقول : أمتع الله بفلان أى أبقاه الله حتى يستمتع به أحباؤه . كما قال جرير لعبد العزيز بن الوليد :
[الوافر]
إِذَا جَدُّ الرَّحِيلِ بِنَا قَرَحْنَا فَأَخْسَنَ ذُو الْجَلَالِ بِكَ أَمْتَاعًا^(٩٠)
وقوله :

(ولم يمت طبعًا) يقال : طبع الرجل يطبع طبعًا إذا غلب عليه الحرص حتى يغطى على قلبه . ويقال : طبع السيف إذا ركب الصدا حتى يغطى على صميم الحديد .
وقوله :

(والحافظ الناس فى تحوط) يقال للسنة الجذبة : تُحَوِّطُ وَقُحُوطٌ بِالنَّاءِ وَالْقَافِ جَمِيعًا .
وقوله :

(إذا لم يرسلوا خلف عائد رُبَعًا) فالعائد : التى معها ولدها ، فإذا كانت السنة المجذبة نَحَرُوا الْفِصَالِ كى لا تضر بالأمهات .

(٨٤) () بياض فى ل (٨٥) ل : عنه بقوله بأوضح من هذا . كان يقول : (لا يعيش يعلم أحد حتى يعيش بظنه)

(٨٦) ابن العوام : زيادة من ل . (٨٧) ل : (الخلف المثلث)

(٨٨) ل : والتزويد إذ يقول . (٨٩) ل : من لم .

(٩٠) الديوان : ٤٥٠ .

قوله :

(وعزت الشمالُ الرياحُ) يقول : غلبت الرياح وتلك علامة الجذب والقحط : لأن الجنوب هي التي تأتي بالندى والمطر ويقال عز فلان فلانا إذا قهره وقول الله عز وجل :

﴿ وعزني في الخطاب ﴾^(٩١) أي كان أعز مني في المخاطبة . وقولهم في المثل : (مَنْ عَزَبَ) أي من غلب استلب .

و (الكميع) الضجيع . يقال : كامعها . فقال : أضحي كميئها مُلتَفِعًا . والمُلتَفِعُ : الملتحف فهو ينقبض عنها ، مشغول بما يلاقى من القُرِّ .
وقوله :

(وكانت الكاعب الممنعة الحسناء) الكاعب التي قد كعب ثديها . قال الله عز وجل : ﴿ وكواعب أترابا ﴾^(٩٢) والممنعة : المحفوظة الحجابة ، كانت كالسبع في زاد أهلها ، وإنما من شأنها أن تترف وتنعم إذا كانت في هذه الصفة .
وقوله :

(وَشَبَّةُ الْهَيْدَبُ الْعَبَامُ) فالهيدب : المسترخى ، والعبام : الثقليل الذي لا يكاد ينبعث ، فشبه في انقباضه بالسَّقْب وهو ولد الناقة إذا كان ذكراً ، وإن كانت أنثى فحائل . (مُلْبَسًا قَرَعًا) أي جُعِلَ عليه جِلْدُ الْقَرَعِ ، وهو فصيل كانوا يتقربون به في الجاهلية ، فقال رسول الله ﷺ : (لا قَرَع)^(٩٣) فأبطله الإسلام .
وقوله :

(وذات هِذَم) الأهدام مُخْلَقَانِ الثِيَابِ ، فَيَصِفُ الْفَقِيرَةَ وَأَنَّهُ كَانَ لَهَا مَلْجَأٌ . قوله : (عَارٍ نَوَا شُرْهًا) : من الضَّرِّ (والجوع) والبؤس ، والنواشر : عزوق الدُّرَاعِ ؛ كما قال زهير : (الطويل)

(٩١) سورة ص ٢٣ (٩٢) سورة النبأ : ٣٣
(٩٣) الحديث : (لا قَرَع ولا عتيرة) الفرع أول ما تلده الناقة كانوا يذبحونه لأهلهم ، جامع الأحاديث : ٧ - ٢٨٠ والجامع الصغير : ٣٣٩ والعتيرة : الذبيحة تذبح للأصنام فيصيب دمها على رأسها .

ودار لها بالرفقتين كأنها

زواجع وشم في نواشير مغمصم^(٩٤)

وقوله :

(تُصِيتُ بِالماءِ) أى تُسَكِّنُ طفلها بالماء ، وتسكنه إذ لم يكن لها ثقل . و (الجِدْعُ)
السيء الغداء ، وكذلك الحَجِنِ والقَيْنِ^(٩٥) .

ومما قال فيه مما اخترناه :

(المقارِب)

كواكبٌ لِلجَبَلِ السَّوَابِجِ
فَقُودٌ وَلَا خَلَّةُ الذَّاهِبِ
عَلَى الجَايِرِ العَظَمِ وَالعَارِبِ
يَقُومُ عَلَى ذِرْوَةِ الصَّاقِبِ
كَمَتَنِ الثَّبِيِّ مِنَ الكَايِبِ
كَيْ تَبِينُ السُّرَادِقُ وَالعَاجِبِ
لِي غَيْرِ مَعِيْبٍ وَلَا غَائِبِ
عِ غَيْرِ مُكِبٍّ وَلَا قَاطِبِ
وَلِيْدَةٍ كَالجُوْدْرِ الكَاعِبِ
لِي وَبِالشُّوْلِ فِي الفَلْقِ العَاشِبِ
فَصَالَةٌ فِي أَلْسِنِ لِأَجِبِ
سِ وَالْمُتَعَلِّي عَلَى الوَاهِبِ
نِقَابٌ يُجْرُ بِأَلْفَانِبِ
يُعَاشِرُ سَعِيكَ مِنْ طَالِبِ^(٩٦)

أَلَمْ تُكْسِفِ الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ وَالِ
لِفَقْدِ فَضَالَةٍ لَا تَسْتَوِي أَلِ
أَلْهَيْ عَلَى حُسْنِ أَخْلَاقِهِ
عَلَى الأَرْوَعِ السُّقْبِ لَوْ أَلِ
لَأَصْبَحَ رَمًا ذُقَاقِ العَصِي
وَرَفِيعِهِ حَمَمَاتِ المُلُوكِ
وَيَكْفِي المَقَالَةَ أَهْلَ الرِّحَا
وَيَهْبُو الخَيْلِ بِغَيْرِ الجَبَا
بِرَاسِ التَّجِيَّةِ وَالقَبْدِ وَالِ
وَبِالأَذْمِ تُحْدِي عَلَيْهَا الرِّجَا
فَمَنْ يَكُ ذَا نَائِلِ يَسْعَ مِنْ
هُوَ الوَاهِبُ العَلْقُ عَيْنِ الثَّقِي
نَجِيحٌ مَلِيحٌ أَحْوُ مَاقِطِ
فَأَبْرَحَتْ فِي كَلِّ خَيْرِ فَمَا

وهذه القصيدة أمليناها بأسرها ؛ لأنها جمعت تقدّم كل بيت منها ، وكثرة المعاني

والاختصار .

(٩٤) الديوان : ٥٠ .

(٩٥) ججن الصبي : ساء غداؤه فهو ججن والقين : الرجل لاطعام عنده ولا قدرة .

(٩٦) الديوان : ١٠ - ١١ .

قوله :

(لِلجَبَلِ الْوَاجِبِ) فالواجب : الساقط ؛ يقال للبعير إذ برك^(٩٧) فَسَمِعَ صَوْتَهُ كَزَكَرَتِهِ : وَجَبَ ، وكذلك كُلُّ ساقط .

قال أبو عبيدة : وأظن قولهم في الشيء : وَجَبَ أى وقع .

وقوله : (لَفَقْدَ فَضَالَةٍ) (ثم قال : الأَرْوَعُ السُّقْبُ ، يعنى فضالة) وهذا كقولك : إني لأثني على زيد ، ثم تقول : على الشريف الكريم ، فأنت تعنيه . و (السُّقْبُ) : الطويل . وله مواضع هذا أحدها . و (الحَلَّةُ) : الخُلَّةُ الذى قد تركه ، وكان^(٩٨) مسدودًا به . وأصل الحَلَّةُ : الثَّلْمَةُ . يقال : فلان به نَحَلَهُ أى ليس أمره مستويا ، وفلان مختل الجسم كذلك .

وقوله : (لا تستوى الفُقود) : أى المصائب لاختلاف أهلها ؛ فمن ذلك مَنْ يوجد منه العوض ، ومنهم من يَعَسُرُ وجود مثله وأقول أنا : كمن أنشأنا هذا الكتاب من أجله ، (يَبْعُدُ فى) الوهم إدراك نظيره ومدانيه فضلاً عن مُساويه .

و (الصاقب) - الذى ذكر - جَبَلٌ معروف بعينه . يقول : فلو تحامل عليه . وليس (يقوم) من القيام على القدم ، ولكن من قولك : (فلان يقوم بأمر أهله) ، و (يقوم بهذا الأمر) أى يدافع عنه فيقول : لو دافع الجبل العظيم متحاملًا عليه لأصبح الجبل رثمًا كظهر النبى - وهو رمل بعينه - من الكائب ، أى كمكان هذا من هذا . ومثله أبو عبيدة فقال : (كقولك) كظهر المربد من البصرة ، و (المرتوم) المحطوم المدقوق . يقول : رتم أُنْفُهُ أى دَقَهُ .

وقوله : (دُقِّقَ الحَصَى) : أى دَقِّق ، مثل قولك : رجل طَوَّالٌ وطَوَّيْلٌ ، وجُسَّامٌ وجَسِيمٌ ، وخُفَّافٌ وخَفِيفٌ . وقوله :

(ورَقَبْتَهُ حَتَمَاتُ المَلُوكِ) يقول : إذا أَحْتَمَ على الملوك (أمرًا أو فى أمر يخافه ، أطاعه الملك وأجابه . ويقول بعضهم : هى الحُتْمَةُ ، وينشده حَتَمَاتُ المَلُوكِ مثل ظُلْمَةِ وظُلَمَاتِ ، وذكر قرب مكانه من الملوك فقال : بين السُّرَادِقِ والحَاجِبِ .

(٩٧) م سقط بدل برك

(٩٨) وكان : من ل .

وقوله : (وَيَكْفَى الْمَقَالَةَ أَهْلَ الرَّحَالِ) يقول : اذا حضر استغنى به عن غيره لبيانه وصوابه ، فقد كفى من وراءهم غير معيب عندهم ولا عائب لهم .

وهذه الأبيات إذا اعتبرت فأكثرها يشتمل البيت منه على معان . وقوله :

وَيَخْبُو الْخَلِيلَ بِغَيْرِ الْجَبَا ءَ غَيْرَ مُكِبُّ وَلَا قَاطِبِ

أى يتبع ما يفعله بأجمل البشر ولا يكبُّ مُفَكَّرًا يندم على ما فعل ، ولا طالبا حيلة يدفع بها السائل ، كما قال القائل : (الكامل)

لَا يَنْكُتُونَ الْأَرْضَ عَدَّ مَوَالِمِ

تَطْلُبُ الْعِلَاتِ بِالْمِيدَانِ^(٩٩)

وقوله :

(وبالشَّوْلِ فِي الْفَلَقِ الْعَاشِبِ) يقول : يعطيها في أحسن حالاتها . والفَلَقُ : المطمئن من الأرض فهو موضع الكلاً لاستقرار الماء به . وكانت العرب تقول للرجل إذا حسنت إبله وسمنت : أَخَذَتْ إِبْلَهُ رِمَاحَهَا ، وأخذت إبله سلاحها واستجدت عليه أى منعته أنفسها من أن توهب أو تُنحرضتاً بها ، كقول القائل :

[الخفيف]

لَا أَتُحُونَ الصَّدِيقَ مَا حَفِظَ الْمَهْدَ وَلَا تَأْخُذُ السَّلَاحَ لِقَاجِي^(١٠٠)

وقال رسول الله ﷺ : هلك الفدادون الا من أعطاهما في نجدتها ورسلها^(١٠١)

أى من أعطاهما بسهولة ومع امتناعها لحسنها . فهو وقت نجدتها عليه .

(٩٩) البيت للقاسم بن أمية بن أبي الصلت : الشعر والشعراء : ٢ - ٤٦٢

(١٠٠) لقاح : جمع لقوح أو لقحة ، وهى الناقة الحلوب . وقالوا في معنى الشطر الثاني (لما كانت السمينة تحسن في عين صاحبها فيشفق أن ينحرها صار السَّمْنُ كأنه سلاح لها) تاج العروس : لقح وسلح .

(١٠١) الفدادون : مالك المتين من الأبل . والتجدة الشدة . والرسل : الرخاء وفي الحديث : قيل يارسول الله ما نجدتها ورسلها ؟ قال : عُسرُها ويُسرُها . اللسان : رسل . النسائي : زكاة : ٢ وأحمد

في مسنده : ٢ - ٤٩٠ .

وقال عليه السلام لقيس بن عاصم^(١٠٢) : (نعم المال الأربعةون ، والكثير الستون ، وهلك أصحاب المئين إلا من نحر سمينها ، وأفقر ظهرها ، ومنح غزيرتها ، وأطرق فحلها ، وأعطها في نجدتها ورسلها) .

وقالت ليلي الأخيلية :

[الطويل]
وَلَا تَأْخُذُ الْكُومُ الْجِلَادُ سِلَاحَهَا لَتَوْبَةٌ فِي صَرِّ الشَّاءِ الصَّنَائِرِ^(١٠٣)
القدادون : أصحاب الإبل الكثيرة .
وقوله :

(نَجِيحٌ مَلِيحٌ أَخُو مَاقِطٍ) يقول : (هو) في السلم سهل مبتذل حلو مقبول ، ولا يمنعه ذلك من أن يكون جلدًا في الحرب . والمأقط : موضع مُجْتَلِدِ القوم . وهو مع هذا فطنٌ طَبِينٌ ، مُنْقَبٌ طَوَافٌ بيدنه وفكره ، يظن فيصيب . فذلك قوله : يخبر بالغائب وقوله : (نَقَابٌ) : أى مُنْقَبٌ في الأمور ، كما قال الله عز وجل : ﴿ فَتَقَبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ ﴾^(١٠٤) وقال امرؤ القيس : (الوافر)

وَقَدْ نَقَبْتُ فِي الْأَفَاقِ حَتَّى رَضِيْتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ^(١٠٥)
ومن هذا قيل للطرقات في الجبل : النقوب والنقاب ، وأحدها نَقَبٌ .

[الخفيف]
وقال ابن الأبيهم التغلبي يصف خيلا :
وَتَرَاهُنَّ شُرْبًا كَالسَّعَالِي يَطْلُغْنَ مِنْ نُغُورِ النَّقَابِ^(١٠٦)

(١٠٢) قيس بن عاصم بن سنان بن خالد المنقري صحابي مشهور بالحلم نزل البصرة أدرك الجاهلية والإسلام . روى عدة أحاديث توفي سنة ٢٠هـ تقريب التهذيب : ٢ - ١٢٩ . (٣) كثر

العمال : حديث : ٦ - ٢٩٧

(١٠٣) الديوان : ٧٩ مع استبدال كلمة سلاحها ب . رماحها .

(١٠٤) سورة ق : ٣٦ .

(١٠٥) الديوان : ٩٩ ورد : طوفت بدل نقيت .

(١٠٦) البيت في سمط اللالي : ١٨٤ وقائله شاعر إسلامي اسمه عمير .

(الكامل)

صَقَعَ مِنَ الْأَعْدَاءِ فِي شَوَّالٍ؟ (١٠٧)
غَضِي قَبْلَ وَكَيْفَهَا سِرْبَالِي
مِلَّ الْقِسِيَّ ضَوَامِرِ بِرَحَالِ
ذَاوَيْتَهَا وَسَمَلَتَا بِسِمَالِ
يَجْرِي عَلَيْهَا بِمُسْبِلِ هَطَّالِ
وَلِنَعْمَ حَشَوُ الدَّرْعِ وَالسَّرْبَالِ
وَالخَيْلِ حَارِجَةً مِنَ الْقَسْطَالِ (١٠٨)

وقال أيضا يرثيه :

يَأبَا ذُلَيْجَةَ مَنْ لِحَى مُفْرَدِ
وَإِذَا ذَكَرْتُ أَبَا ذُلَيْجَةَ أَسَلْتُ
وَمُعْصِيْنَ عَلَى نَوَاجِ سُدَّتْهُمْ
وَقَوَارِصِ بَيْنَ الْعَشِيرَةِ لِحَى
لَا زَالَ زَيْنَحَانِ وَقَلْوُ نَاهِرِ
فَلَنِعْمَ وَقَدْ لِحَى يَنْظُرُونَهُ
وَلِنِعْمَ مَاوَى الْمُسْتَنْبِفِ إِذَا دَعَا

قوله :

(مُعْصِيْنَ) يعني ملوكًا قد عصبوا بالتيجان . (والنواجي) : الخيل السريع .
وقوله : (صَقَعَ مِنَ الْأَعْدَاءِ فِي شَوَّالِ) الصقع : الْمُتَحَيَّرُ الَّذِي لَا يَدْرِي أَيْنَ يَتَوَجَّهُ .
يقال : صَقَعَ وَصَقَّقَ ، وَبِنَوْتِمٍ تَقُولُ : صَقِقَ وَهِيَ لَغْتُهُمْ . فَكَأَنَّهُ الَّذِي أَصَابَتْهُ الصَّاعِقَةُ
فَحَيَّرَ لِتَوَقُّعِ الْغَارَةِ كَمَا يَتَحَيَّرُ لِتَوَقُّعِ الصَّاعِقَةِ .
وقال : (فِي شَوَّالِ) لِأَنَّهُ شَهْرُ جِلِّ ، فَفِيهِ يُغَيِّرُ النَّاسُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ . فَإِنْ قَالَ
قَاتِلُ : أَفَلَيْسَ شَهْرُ الْحُلِّ ثَمَانِيَّةً ، فَمَا بِالْهَ خَصُّ هَذَا الشَّهْرِ ؟
فالجواب في ذلك : أَنَّهُ إِذَا ذَكَرَ الشَّيْءَ غَيْرَ الْمَقْصُودِ دَخَلَ مَا كَانَ نَظِيرَهُ فِي حُكْمِهِ .
قال الله تبارك وتعالى :

﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ (١٠٩) ولم يقل على ظهورهم ، ولم يذكر الارتفاق لأنه يعلم أن الأمر في ذلك واحد . وكذلك قوله عز وجل :
﴿ سَرَابِيلٌ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلٌ تَقِيكُمُ الْبُرْدَ ﴾ (١١٠) ولم يذكر البرد .

(١٠٧) ل : أبادليجة وهذه كنية فضالة بن كلفة .

(١٠٨) الديوان : ١١٠ .

(١٠٩) سورة آل عمران : ١٩١ .

(١١٠) سورة النحل : ٨١ .

وقوله :

وَقَوَارِصٍ بَيْنَ الْعَشِيرَةِ تَتَّقِي دَاوِيَتَهَا وَسَمَّتْهَا بِسِمَالِ

يقال : سَمَّلَ بَيْنَ الْعَشِيرَةِ إِذَا أَصْلَحَ ، فَإِنَّمَا أَرَادَ بِهِ السَّيِّدَ الَّذِي يَأْتَمِرُونَ بِأَمْرِهِ .
(وَالْفَغْوُ) نُورُ الْحِجَاءِ ، يُقَالُ لَهُ الْفَغْوُ وَالْفَاغِيَةُ . وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الرِّيحَانِ رَائِحَةٌ .

قال أبو عبيدة : قوله : (يَجْرِي عَلَيْهَا بِمَسْبِلِ هَطَالِ) قال : يَعْنِي بِمَسْبِلِ هَطَالِ : أَي
مَعَ غَيْثِ مَسْبِلِ . قال : فَالْبَاءُ تَقُومُ مَقَامَ (مَعَ) يَا قَتِي ، قال إِبْرَاهِيمُ الْعَبَّاسُ :

وَالَّذِي قَالَهُ صَوَابٌ وَتَفْسِيرُهُ أَقْرَبُ مِمَّا قَالَ . وَتَأْوِيلُ هَذَا عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ : أَنَّ الْبَاءَ
لِلْإِلْصَاقِ ، وَ (مَعَ) لِلْمُقَارَبَةِ فَهِيَمَا يَلْتَقِيَانِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ . تَقُولُ : مَرَرْتُ بِزَيْدٍ ،
فَالْبَاءُ أَلْصَقَتْ مَرُورِي بِهِ . وَكَذَلِكَ كَتَبْتُ بِالْقَلَمِ أَوْ ضَرَبْتُ بِالسَّيْفِ . فَهَذَا حَقِيقَةٌ
مَعْنَاهُ .

وقوله :

(وَنَلْنَعْمَ حَشْوُ الدَّرْعِ وَالسَّرِيَالِ) أَي نَعْمَ الشَّيْءِ فِي الْأَمْنِ وَالْفِرْعِ . (وَالمُسْتَضِيفِ)
الْمَلْجَأِ ، يَا قَتِي . يُقَالُ أُرْهِقُ فُلَانًا فِدْعًا لِمَضُوفَةٍ^(١١١) كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :^(١١٢) [الطويل]

وَكُنْتُ إِذَا جَارِي دَعَا لِمَضُوفَةٍ

أَشْمُرُّ حَتَّى يَنْصُفَ السَّاقَ مِشْرَى

ويقال : (قَسَطَلٌ وَقَسْطَالٌ) لَمَّا يَثُورُ مِنَ الْغُبَارِ

وقال يربني فضالة قصيدة^(١١٣) أولها :

عَيْنِي لَا بَدَأَ مِنْ سَكْبٍ وَتَهْمَالِ (عَلَى فَضَالَةَ جَلَّ الرَّؤْيُ وَالْعَالِي)

اخترنا منها أبياتاً نادرة كما شرطنا في أول الكتاب . من ذلك قوله :

(١١١) المضوفة : الأمر يشفق منه ويُخَافُ . ومنه ضاف الرجل وأضاف إذا خاف . اللسان :
ضيف .

(١١٢) الشاعر هو أبو جندب المنلى . والبيت في اللسان كلمة ضيف .

(١١٣) الديوان : ١٠٢ - ١٠٦ .

جُمَا عَلَيْهِ بَمَاءِ الشَّانِ وَاحْتِلا
أَمَّا حَصَانٌ فَلَمْ تُحَجَّبْ بِكِلْتَاهَا
عَلَى أَمْرِيءِ سَوْفَةٍ مِمَّنْ سَمِعَتْ بِهِ
أَوْهَبَ مِنْهُ لِدَى أُنْثَى وَسَابِغَةٍ
وَحَارِجِي يُزْمُ الْأَلْفَ مُعْصِرًا
أَبَا ذُلَيْجَةَ مَنْ لَوْحِي بِأَرْمَلَةٍ
أَمْ مَنْ يَكُونُ حَطِيبَ الْقَوْمِ إِذْ حَفَلُوا

لَدَى
أَمْ مَنْ لِقَوْمٍ أَضَاعُوا بَعْضَ أَمْرِهِمْ
حَفَلُوا الْأَصِيلَةَ وَاغْتَلَّتْ مَلُوكَهُمْ
أَبَا ذُلَيْجَةَ مَنْ يَكْفِي الْعَشِيرَةَ إِذْ
أَمْ مَنْ لِأَهْلِ لَوْحِي فِي مُسْكَةٍ
أَمْ مَنْ لِعَادِيَةِ لُرْدَى مَلْمَلَةٍ
وَمَا خَلِجٌ مِنَ الْعَرُوثِ ذُو حَدَبٍ
يَوْمًا بِأَجْوَدَ مِنْهُ جِئِنَ نَسَأَلُهُ
لَيْتَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَرْدِيِّ هَبْرَةَ

مَلُوكِ أَوْلَى كَيْدٍ وَأَسْوَالٍ
بَيْنَ الْقُسُوطِ وَبَيْنَ الدِّهْنِ أَرْوَالٍ
وَحَمَلُوا مِنْ أَدَى غُرْمٍ بِأَثْقَالٍ
أَمْسُوا مِنَ الْأَمْرِ فِي لَبْسٍ وَبَلْبَالٍ (١١٤)
فِي أَمْرِهِمْ حَمَلُوا حَقًّا بِإِبْطَالٍ (١١٥)
كَأَنَّهَا عَارِضٌ مِنْ هَضْبِ أَوْعَالٍ (١١٦)
يَرْمِي الْعُثْرِيَّ بِخَشْبِ الطَّلْحِ وَالضَّئَالِ
وَ لَا تُعْبُ بِتَرْجٍ بَيْنَ أَشْبَالِ (١١٧)
كَالْمَرْزُبَانِيِّ عَمَالٍ بِأَصَالِ (١١٨)

(١١٤) جما : أكيرا . بماء الشان : يقصد به العرق الذي تأتي منه الدموع

(١١٥) الكيلة : الحجاب أو ما تستر به المرأة في خيمتها أو على المودج .

(١١٦) السابغة : الدرع .

(١١٧) الهونة : الفرس المطوعة . والأحجال : جمع حجل : وهو بياض في قائمة الفرس ومنه قوله
عَلَى : أتم الفر المحجلون يوم القيامة من أثر الوضوء

(١١٨) اللبس : الاختلاط . البلبال : الفوضى والارتباك .

(١١٩) لوى : ما جف وذبل من الزرع . المسكعة : المصيبة .

(١٢٠) العادية : الكتيبة . ململة : مجموعة . العارض : السحاب . هَضْبِ أَوْعَالٍ : هضبة في
ديار بني تميم .

(١٢١) الملب : الأسد الذي يفترس يوما ويترك يوما . ترج : موضع في (بيشة)

(١٢٢) الهبرية : ما يسقط عليه من أطراف البردى . والعيال : المتبختر .

يَوْمًا بِأَجْرًا مِنْهُ حَدَّ بَادِرَةَ
لَأَزَالَ مِنْكَ وَرَيْحَانَ لَهُ أَرْجُ
تَسْقَى صَدَاكَ وَمُنْسَاهُ وَمُصْبَحَهُ
وَرَنْتِي وَدُ أَقْوَامٍ وَحَلَّتْهُمْ
فَلَنْ يَزَالَ ثَقَالِي غَيْرَ مَا كَذِبِ
لَعَمْرُ مَا قَدَرِ أَجْدَى بِمَضْرَعِهِ
قَدْ كَانَتْ النَّفْسُ لَوْ سَامُوا الْفِدَاءَ بِهَا

عَلَى كَمِي بِمَهُوَ الْحَدَّ قَصَالٍ (١٢٣)
عَلَى صَدَاكَ بِصَافِي اللَّوْنِ سَلَسَالِ
رَفَهَا وَرَنْسُكَ مَخْفُوفٍ بِأَظْلَالِ
وَذُكْرَةَ مِنْكَ تَفْشَانِي بِإِجْلَالِ
قَوْلِ امْرِئٍ غَيْرِ نَاسِيهِ وَلَا سَالِ
لَقَدْ أَحْمَلُ بِغَرْشِي أَمَى إِحْلَالِ
إِلَيْكَ مُسْمِحَةً بِالْأَهْلِ وَالْمَالِ (١٢٤)

هذا آخر الشعر (١٢٥). قال أبو العباس : قوله (لِيَذَى أَثَرِ) يعني سيفاً له فَرْتَدُّ وهو

الروني . وقوله :

(يَزُمُ الْآلَفُ) أى يتقدمها كأنه يقودها ، معنى فرساً . و(الخارجي) : الذى يخرج
بنفسه . انشدنى الرياشي لأعرابي يمدح عبد الله بن جعفر الهاشمي (١٢٦) : (الوافر)
أَبَا الْعَبَّاسِ لَسْتُ بِخَارِجِي وَمَا إِنْ بَخَرُ جُودِكَ بِاتِّحَالِ
وقوله :

(ذَاتُ شِمْرَاخٍ) فإِنَّمَا يَعْنِي فَرَسًا ذَاتَ عُرَّةٍ . و(الشمراخ) من الغرر : السائلة
في الوجه إذا دقت وطالت .

وقوله : (لَأَشَعَثَ ذِي طِمْرَيْنِ) إِنَّمَا يَرِيدُ أَنَّهُ يَجِيرُ الْفَقِيرَ . و(الأطلس) الأغبر ،
ومن ثم قيل للذئب : أطلس . وإِنَّمَا نَسَبَ الْفَقِيرَ إِلَى الطَّلَسَةِ لِسُوءِ حَالِهِ وَدِنَاءَةِ لِبَسْتِهِ .
و(الأقوال) : الملوك ، واحدهم قَيْلٌ ، وأصله : قَيْلٌ فَخَفَفُوهُ كَمَا قَالُوا فِي الْمَيْتِ :
مَيْتٌ ، وَفِي الْهَيْئِ وَاللَّيْنِ : هَيْئٌ وَلَيْنٌ . وَقَالُوا فِي الْجَمْعِ : أَقْوَالٌ ، كَمَا قَالُوا فِي الْمَيْتِ :
أَمْوَاتٌ ، وَيَقُولُونَ : هُوَ مِنْ مَقَاوِلِ كِنْدَةَ .

(١٢٣) البادرة : شِيبَةُ السَّيْفِ . الْمَهُوُ : السَّيْفُ الرَّفِيقُ . وَالْمَعْنَى : إِنْ هَذَا اللَّيْثُ لَيْسَ أَجْرًا مِنْهُ حُدَّ
شِيبَةُ السَّيْفِ فِي إِقْدَامِهِ عَلَى الْكَمِيِّ يَقْطَعُهُ سَيْفٌ رَفِيقٌ .

(١٢٤) الديوان : ١٠٢ - ١٠٦ .

(١٢٥) هذا آخر الشعر : من ل .

(١٢٦) هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي (١ - ٨٠هـ) صحابي
ولد بأرض الحبشة لما هاجر أبوه إليها ، وأتى البصرة والكوفة والشام وكان كريماً يسمى بحر الجود .
وكان أحد الأمراء في جيش علي يوم صفين مات بالمدينة الأعلام ٤ - ٢٠٤ .

(وَالْقُسُوطُ) : العصيان . يُقَالُ : قَسَطَ يَقْسِطُ إِذَا جَارَ وَخَالَفَ . قَالَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرَهُ : ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ (١٢٧) وَيُقَالُ : أَقْسَطَ يَقْسِطُ إِذَا عَدَلَ ﴿ وَاللَّهُ يَحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (١٢٨) .
وقوله :

(بَيْنَ الْقُسُوطِ وَبَيْنَ الدِّينِ) . يَقُولُ : هُمْ بَيْنَ الطَّاعَةِ وَبَيْنَ الْمَعْصِيَةِ . (وَالْأَزْوَالُ) هُمُ الْمُتَصَرِّفُونَ . يُقَالُ : رَجُلٌ زَوَّلَ وَقَوْمٌ أَزْوَالٌ . وَأَنْشَدَنِي التَّوَزِيَّ : (الرَّجْزُ)
وَقَدْ أَقْوَدُ بِالْكَرَامِ الْأَزْوَالُ
مُعَدِّيَا لِذَاتِ لَوْثٍ شِمْلَالٍ (١٢٩)
وقوله :

(واعتلت ملوكهم) أى لم يعطوهم شيئاً . فذلك قوله : (خَافُوا الْأَصِيلَةَ وَاعْتَلَّتْ مُلُوكُهُمْ) أى خافوا أن يُسْتَأْصَلُوا . وقوله : (وَحَمَلُوا) أى لزمتهم حَمَالَاتٌ وَعَزْمٌ ، فهو كان يصلح هذا كله بالتجدة والغرم .
وقوله :

(وَذَاتِ أَوْعَالٍ) وهى هضبة معروفة بعينها و (الْمَرْوَاتِ) : أرض بعينها فيها نبات ومسائل ، وهى من أرض العالية . (١٣٠)
وقوله :

(يَرْمِي الضَّرِيرَ بِخُشْبِ الطَّلْحِ وَالضَّالَّ) الضَّرِيرُ : ضَرِيرِ الْوَادِي ، وَهُوَ نَاحِيَتِهِ .
وقوله : (كَالْمَرْزَبَانِي) يريد كسرى ، وإنما يعنى هاهنا الأسد (فيقول هو منفرد بغيضته تنابه الأسد) (١٣١) أن تنزل معه كما قال أبو زيد : (البسيط)
أَفَرَّ عَنْهُ يَنْسَى الْخَالَاتِ جُرَائَهُ لَا الصَّيْدُ يُمْنَعُ مِنْهُ وَهُوَ مُمْتَنِعٌ
وقوله :

(رِفْهًا) يَقُولُ : دَائِمًا فِي كُلِّ يَوْمٍ يَسْقَى صَدَاكَ .

وقوله : (حَمَلْتَنِي وَدَاقِوَامِ) يعنى أهل بيت فضالة .

(١٢٧) سورة الجن : ١٥ . (١٢٨) سورة الحجرات : ٩ .

(١٢٩) البيت لكثير بن مُزَرَّد . اللسان : زول .

(١٣٠) العالية : اسم لكل ما كان جهة نجد من المدينة وقراها .

(١٣١) ما بين القوسين من ل .

وهذا باب من التعازى والمواعظ

ثم نعود إن شاء الله إلى الشعر ونصلُّه بمثل هذا والقوة لله جل ذكره .
يُروى عن جعفر بن محمد أنه قال :

مات أخ لبعض ملوك اليمن فعزاه بعض العرب فقال في تعزيتة :^(١)

اعلم أنّ الخلق للخالق ، والشكر للمنعم ، والتسليم للقادر ، ولا بدّ مما هو كائن ،
ولا سبيل إلى رجوع ما قد فات ، وقد أقام معك ما سيذهب عنك أو ستركه . فما
الجزع مما لا بد منه ، وما الطمع فيما لا يرجى ؟ وما الحيلة فيما سينقل^(٢) عنك أو
تنتقل عنه ؟ قد مضت لنا أصول نحن فروعها ، فما بقاء الفرع بعد أصله وأحقّ الأشياء
عند المصائب الصبر ، وأهل هذه الدنيا سفر لا يحطون الرّكاب إلا في غيرها . فما
أحسن الشكر عند النعم والتسليم عند الغير ، فأعتبر بمن قد رأيت من أهل الجزع ؛
هل ردّ أحدّ منهم إلى شيء من درك ! . واعلم أنّ أعظم من المصيبة سوء الخلف منها ،
وإنما ابتلاك المنعم وأخذ منك المعطى ، وما ترك أكثر . فإن نسيت الصبر فلا تغفل
عن الشكر ، وكلاً فلا تدع . وما أصغر المصيبة اليوم مع عظم المصيبة في غد ، فاستقبل
المصيبة بالحسنة تستخلف بها نعمًا ؛ فإنما نحن في الدنيا أغراض تنتقل^(٣) فيها المنايا ،
وتنهب للمصائب مع كل جرعة شرّق وفي كل أكلة غصص . لأثقال نعمة إلا بفراق
أخرى ، ولا يستقبل معمر يوماً من عمره إلا بهدم آخر من أجله ، ولا تحدث له زيادة
في أكلة إلا بنفاد ما قبلها من رزق ، ولا يجيئه أثر إلا مات له أثر^(٤) . فنحن أعوان
الحتوف على أنفسنا ، وأنفسنا تسوقنا إلى الفناء ، فمن أين نرجو البقاء وهذا الليل والنهار
لا يرفعان من شيء شرفاً إلا أسرعاً في هدم مرفعا ، وتفريق ما جمعا . فاطلب الخير
وأهله ، واعلم أنّ خيراً من الخير مُعطيه ، وشرّاً من الشرِّ فاعله . والسلام .

(١) الخبر بالتفصيل في التعازى للمدائنى ، وفيه وملك اليمن هو النعمان بن المنذر وزيادات كثيرة

(٢) انظر التعازى للمدائنى ص ٨٨ - ٩٣ . (٢) وفي البيان والتبيين ٤ - ٧٤ ، ٧٥ .

(٣) الغرض : الهدف والاتصال : الاستباق في رمى الأغراض

(٤) لإمات له أثر : من ل .

قال أبو العباس : وعن جويرية بن أسماء^(٥) عن عمه أن إخوة ثلاثة شهدوا يوم
(تُسْتَر) ^(٦) ، فاستشهدوا ، فخرجت أمهم إلى السوق يوما لبعض شأنها ، فتلقاها
رجل قد حضر أمرهم فعرفته ، فسألته عن بنينا ، فقال :
استشهدوا .

فقلت :

أمقبلين أم مدبرين ؟

فقال :

بل مقبلين .

فقلت :

الحمد لله ، نالوا الفوز وحاطوا الذمار^(٧) ، بنفسى هم وأمى وأبى^(٨) .

وقال خالد بن عطية :

قال عمر بن عبد العزيز عند وفاة ابنه عبد الملك :

الحمد لله الذى جعل الموت حتما واجبا على خلقه ، ثم سوى فيه بينهم فقال :
﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾^(٩) فليعلم ذوو النهى أنهم صائرون إلى قبورهم مفردون

بأعمالهم ، واعلموا أن عند الله مسألة فاضحة فقال جل وعز :

﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ﴾^(١٠) .

(٥) جويرية تصغير جارية بن أسماء بن عبيد الضبعى بضم المعجمة وفتح الموحدة البصرى صدوق

من السابعة مات سنة ١٧٣ هـ . تقريب التهذيب : ١ - ١٣٨

(٦) تُسْتَر : مدينة فى خوزستان . (انظر هامش التعازى : ١٧) .

(٧) فى م ، ل والتعازى ١٧

(٨) التعازى : ١٧ . الصواب : حاموا الذمار والذمار ما وراء الرجل مما يحق أن يحميه ، وهو مثل

قولهم : حامى الحقيقة وسمى ذمارا لأنه يجب على الرجل أن يتوفر له أى أن يغضب ويحميه .

(٩) سورة العنكبوت : ٥٧ .

(١٠) سورة الحجر : ٩٢ وفى الكامل : مسألة فاحصة . والخبر فى التعازى : ٢٠ .

وقال يحيى بن إسماعيل بن أبي المهاجر عن أبيه : استشهد ابن لأبي أمانة الجَنَاصِي ،
فكتب عمر إلى أبي أمانة :

(الحمد لله على آلائه وقضائه وحسن بلائه . قد بلغنى الذى ساق الله إلى عبد الله
بن أبي أمانة من الشهادة . فقد عاش بحمد الله مأموناً ، وأفضى إلى الآخرة شهيداً ،
وقد وصل إليكم من الله خيرٌ كثيرٌ إن شاء الله)^(١١)

وقال يزيد بن عمر الكلابي :
قال رجل لعمر بن عبد العزيز عند وفاة ابنه عبد الملك :

(الطويل)
تَعَزُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَايُّهُ
لَمَّا قَدْ تَرَى يُغْدِي الصَّغِيرُ وَيُولَدُ
هَلِ ابْنُكَ إِلا مَن سَلَاةِ آدَمِ
لِكُلِّ عَلَى حَوْضِ الْعَنِيَةِ مَوْرِدُ^(١٢)

وقال أبو السرى الأزدي^(١٣) عن شيخ من أهل الحرة :^(١٤)
إن عمر بن عبد العزيز خطب الناس بعد وفاة ابنه عبد الملك ، ونهى عن البكاء
عليه ، وقال :

إن الله جل ذكره لم يجعل لمسيءٍ ولا لِمُحْسِنٍ خلوداً في الدنيا ، ولم يُرَضَ بما
أعجَبَ أهلها ثواباً لأهل طاعته ، ولا ببلائها عقوبة لأهل معصيته ، فكل ما فيها من
محبوب متروك ، وكل ما فيها من مكروه مُضْمَحَلٌّ كتب على أهلها الفناء ، وأخبر أنه
يرث الأرض ومن عليها . فاتقوا الله ، واعملوا ليوم ﴿ لا يجزى والد عن ولده ولا مولود
هو جاز عن والده شيئاً ﴾^(١٥) .

(١١) الخبر في التعازي : ٢١ . (١٢) الخبر والبيتان في التعازي : ٢١ ، ٢٢ .
(١٣) ل : أبو البيداء الأسدي (١٤) واحدة من حرثي المدينة الشرقية أو الغربية
(١٥) الآية : سورة لقمان : ٣٣ . والخبر في التعازي : ٢٢ والراوى متفق مع ما جاء في م .

ودخل عمر بن عبد العزيز على ابنه عبد الملك ، وكان موته بالطاعون ، وكانوا يقولون : إذا مس الطاعون وهو قرحة فَوَجِدَ لَنَا طُمِعَ لصاحبه في البرء منه ، وإن كان خشناً يُبَسَّ من صاحبه ، فدخل عمر على ابنه فقال :

دعني أُنْسَسُ^(١٦) قرحتك ، فكبره عبد الملك أن يمسها أبوه فيجزع ، وكانت خشناً فقال أو تُعْفِينِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟

فعلم عمر لِمَ منعه ، فقال :

ولم يابتي ؟ فوالله لأن أقدّمك فأجدك في ميزاني أحب إلي من أن تُقدّمني فتجدني في ميزانك .

فقال :

وأنا والله يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لأن يكون ما تحب أحب إلي من أن يكون ما أحب فلمسها فقال :

يا عبد الملك . ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُعْتَرِينَ ﴾^(١٧)

فقال :

﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾^(١٨)

وروى عبد الله بن مسلم وغيره :

أن خنساء دخلت على عائشة أم المؤمنين وعليها صيدارٌ من شعر فقالت لها : يا خنساء اتّخذين الصيّدَ وقد نهى رسول الله ﷺ عنه ؟^(١٩)

فقالت :

يأأم امؤمنين ، إن زوجي كان رجلاً مثلاً فأملقنا فقال :

لو أتيت معاوية فاستعنته ؟

فلقيني صخرٌ أخى فقال :

(١٦) ل : أمس .

(١٧) سورة آل عمران : ٦٠ . (١٨) الآية من سورة الصافات : ١٠٢ . والخير في التعازي : ٢٢ .

(١٩) الصدار : ثوب رأسه كالمقنعة ، وأسفله يغطي الصدر والمنكبين ، تلبسه المرأة .

أين تريدین ؟

فأخبرته ، فشاطرنى ماله ، فأتلفه زوجى ، ففعل ذلك ثلاث مرات .
فقال أمراته :

لو أعطيتها من شرارها - تعنى الابل - فسمعته يقول : (مشطور الرجز)
والله لا أمنحها شزارها ولو هلك عطلت حمارها
وأخذت من شعر صدارها

فلما هلك اتخذت هذا الصدار ، ونذرت لا أضعه حتى أموت (٢٠) .

وقال أبو محمود :

قالت الخنساء : كنت أبكى صخرًا على ما فاته من الحياة فأنا اليوم أبكى له من

النار .

ويروى أن عائشة رضى الله عنها أنشدتها الخنساء بعض أشعارها فى صخر ، أحسبه
قولها :

ألاً ياصخر إن أبكىت عني
بكىتك فى نساء مقولات
دفعت بك الخطوب وأنت حى
إذا قبح البكاء على قبيل
لقد أضحكتنى دهرًا طويلاً
وكنت أحق من أبدى العويلاً
فمن ذا يدفع الخطب الجليلاً
رأيت بكاءك الحسن الجميلاً (٢١)

فقال لها عائشة :

اتبكين صخرًا وإنما هو جمره فى النار ؟

قالت :

يأم المؤمنین ، ذاك والله أشد لجزعى عليه .

(٢٠) الخير فى العازى : ٢٩ ، ٣٠ . والكامل : ٢٠٣ وزاد فيه المبرد . وكان صخر أحياناً بيها فقط

(٢١) الكامل : ٣ ، ١٢ ، انيس الجلساء : ٧٢ .

وقال مسلمة :

لما قتل عبد الله بن عامر بن مِسْمَعٍ بالزاوية^(٢١) أتوا الحجاج برأسه ، فقالوا اذهبوا برأسه إلى عامر بن مسمع - يعني أباه - فأتوه ، فجعله في ثوبه ، وأقبل به إلى الحجاج وهو يبكي ، فقال : أجزعت عليه ؟

فقال :

لا ، بل جزعت له من النار فإن رأى الأمير أن يأذن لي في دفنه ، فأذن له ، فدفنه^(٢٢) .

وقال مسلمة بن محارب :

قُتِلَ معاوية بن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب^(٢٤) في الحرب التي التي كانت بين (سلم)^(٢٥) بن قتيبة وبين سفيان بن معاوية . فلما ولي سفيان البصرة أرسل إلى خالد بن صفوان أن ابنك قتل ، وقتل ابني ، فأرسلت إليك أتعزى بك وتتعزى بي .

فقال :

أصلح الله الأمير ، أنا وأنت كما قالت الباكية :
[المَجْث]
أَسْعِدْنِي أَخَوَاتِي . فَأَلْوِزِلْ لِي وَلَكُنْ

فقال سفيان :

جَدَّدْتُ لِي حَزْنَا .

فقال :

أصلح الله الأمير ، فَلَيْسَ عَنْكَ مَا جَدَّدْتُ لَكَ الْعَلَمَ بِأَنَّكَ غَيْرَ بَاقٍ^(٢٦)

قال كُتَيْبُ بْنُ خَلْفٍ :

قال عبد الكريم المازني لعبد الله بن عبد الله بن الأهم :

-
- (٢٢) الزاوية مكان قرب البصرة من الأماكن التي حارب فيها الحجاج وانتصر .
(٢٣) الخبير في التعازي : ٣٠ . (٢٤) ابن صفرة وكان قد ولي البصرة . الجمهرة لابن حزم ١٩
(٢٥) سلم بن قتيبة الباهلي والد أمير خراسان صدوق ، ولاء المنصور البصرة
(٢٦) الخبير في التعازي : ٣٠ ، ٣١ .

كيف كان جزعك على أهل بيتك ؟

فقال :

ما ترك حُبُ الغداء والعشاء في قلبي حزناً على أحد^(٢٧) .

وقال يزيد بن عياض بن جعدبة :

كان عبد الله بن الزبير إذا أصابته مصيبة يقول :

إن ابْتُلِيْتُ فُقد قتل أبي وإمامي عثمان . فَصَبَّرْتُ^(٢٨)

وقال قائل لعبد الملك بن مروان :

أَدْرَكَتْ قتل أمير المؤمنين عثمان ؟

قال :

نعم !

قال :

فكيف كان جزعك عليه ؟

قال :

شغلني الحَقُّ لأن أدرك بثأره عن الحزن عليه

وقال أبو عبد الرحمن العجلاني عن إسماعيل بن يسار^(٢٩) :

مات ابنُ لأرطأة بن سهبة المرِّي^(٣٠) من غطفان يقال له عمرو فأقام على قبره

حوَلاً ، يأتيه كلُّ غداة فيقول :

(٢٧) الخبر في التمازي : ٣٤ .

(٢٨) الخبر في التمازي : ٣٤

(٢٩) إسماعيل بن يسار أصله من أذربيجان ولد ونشأ بالمدينة وهو شاعر مجيد فصيح الألفاظ سهل

التركيب ، وكل أهله شعراء وعرف بالشعبوية لذلك لم يلق حظاً من الخلفاء سواء الزبيريون أم

الأمويون توفي سنة ١١٠هـ (انظر تاريخ الأدب العربي لفروخ ١ - ٣) .

(٣٠) أرطأ بن سهبة المزني ، وسهبة أمه شاعر أدرك الجاهلية وعاش إلى خلافة عبد الملك بن مروان

ومدحه وأولاده من بعده توفي سنة ١٣٠هـ . التمازي ٣٤

يا عمرو ! هل أنت غاد معي ؟
فلما كان رأسُ الحولِ تمثُلُ قولَ لييد :
إلى الحولِ ثمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا
وَمَنْ يَتِكَ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَدَرَ

ثم ترك قبر ابنه^(٣١) .

وقال أبو عمرو بن يزيد :
مات أخُ مالك بن دينار^(٣٢) فبكى وقال :
يا أخى لا تفرَّ عيني بعدك حتى أعلم أفي الجنة أنت أم في النار ولا أعلم ذلك حتى
ألحق بك^(٣٣) .

وقال مسلم بن محارب :
لما أتت معاوية وفاة زيادٍ استرجع وقال : (الطويل)
وَأَفْرَدْتُ سَهْمًا فِي الْكِنَانَةِ وَاحِدًا
سَيَّرَمِي بِهِ أَوْ يَكْسِرُ السَّهْمَ كَاسِرًا^(٣٤)

وقال أبو زكريا العجلاني وغيره أن معاوية نُعي إليه سعيد بن العاصي^(٣٥) وعبد الله
ابن عامر^(٣٦) فاسترجع وقال : (الطويل)

(٣١) الخير في التعازي : ٣٤ .
(٣٢) مالك بن دينار البصري الزاهد أبو يحيى صدوق عابد ، من رواة الحديث ، يكتب المصحف
توفي بالبصرة سنة ١٣١ هـ . تقريب التهذيب ٢ - ٢٢٤
(٣٣) التعازي : ٣٨

(٣٤) البيت في الكامل : ١١٩١ . والخير في التعازي : ٣٨ .
(٣٥) سعيد بن العاصي استعمله عثمان على الكوفة ، وغزا بالناس طبرستان واستعمله معاوية على
المدينة ، توفي بالعرصة على بعد ثلاثة أميال من المدينة سنة ٥٩ هـ وله من العمر ٥٦ سنة . التعازي :
١٨ .

(٣٦) عبد الله بن عامر ، ابن خال عثمان بن عفان ولاء البصرة وفارس وافتتح خراسان وسجستان
وغيرهما . توفي ٥٩ هـ بمكة وله العمر ٥٥ سنة . التعازي ٣٩ .

إِذَا مَاتَ مِنْ خَلْفِ امْرِئٍ وَأَمَامَهُ
وَأَفْرَدَ مِنْ جِرَانِهِ فَهُوَ سَائِرٌ^(٣٧)

وقال عبد الله بن مسلم :

بكى رجل على شاة له أصيب بها فأكثر ، فراه رجل من باهلة يقال له الحارث

[السريع]

بن حبيب فقال :

يَا أَيُّهَا الْبَاكِيُّ عَلَى شَايِهِ يَبْكِي بُكَاءَ غَيْرِ إِسْتِرَارٍ
إِنَّ الرِّزِيَّاتِ وَأَنْشَاهَا مَالِقَى الْحَارِثِ فِي الدَّيَارِ
دَعَا بَنِي مَعْنٍ وَأَشْيَاعَهُمْ فَكَلَّمَهُمْ يَغْدُو بِمَنْقَارٍ

وكان للحارث المذكور عشرة بنين ، فَحَلَبَ يَوْمًا فِي عِلْبَةِ وَوَضَعَهَا فَصَّحَ فِيهَا أَسْوَدُ

سَالِحٌ فَبَعَثَ بِالْعِلْبَةِ إِلَى بَنِيهِ ، وَهُوَ لَا يَدْرِي ، فَشَرِبُوا فَمَاتُوا جَمِيعًا . وَقِيلَ : بَلْ كَانُوا

سبعة ، فَسَقَطَ عَلَيْهِمْ حَائِطٌ فَقَتَلَهُمْ^(٣٨) .

وقال خالد بن يزيد بن بشر :

جَزَعُ سَلِيمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَيَّ ابْنِهِ أَيُّوبَ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ

رَجُلًا حَدَّثَ نَفْسَهُ بِالْبَقَاءِ لَغَيْرِ الرَّأْيِ^(٣٩) .

وقال صدقة بن عبد الله المازني^(٤٠) .

مَاتَ حَنْظَلَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَسَدِيِّ^(٤١) . فَجَزَعَتْ عَلَيْهِ امْرَأَتُهُ ، فَنَهَتْ جَارَاتِهَا وَقَلْنَ

لَهَا :

(٣٧) البيت في الكامل : ١١٩٦ . والخبر في التعازي : ٣٨ ، ٣٩ .

(٣٨) الخبر في التعازي : ٣٩ ، وفي ل في البيت الثالث بنى معن وهو موافق لرواية التعازي .

(٣٩) الخبر في التعازي : ٤٠ .

(٤٠) صدقة بن عبد الله السمين أبو معاوية أو أبو محمد الدمشقي مات سنة ٦٦ هـ تقريبا التهذيب

١ - ٣٦٦ .

(٤١) هو حنظلة بن الربيع الكاتب ، وأبوه الربيع بن صيفي هو أخو أكرم بن صيفي وهو من

بنى أسيد بن عمرو بن تميم ، توفي سنة ٤٥ هـ التعازي : ٤٤ .

إن هذا يُخبط أجرك . فقالت :
تَعَجَّبَ الدَّفْرُ لِمُخْرَوْنَةٍ تُبْكِي عَلَى ذِي شَيْبَةٍ شَاحِبِ
إِنْ تُسْأَلِنِي الْيَوْمَ مَا شَفَّنِي أَحْبِرْكَ قَوْلًا لَيْسَ بِالْكَأِذِبِ
إِنَّ سَوَادَ الْعَيْنِ أَوْدَى بِهِ حُزْنَ عَلَى حَنْظَلَةَ الْكَأِذِبِ
وكان حنظلة قد كتب لرسول الله ﷺ (٤٢) .

وقال إسحاق بن أيوب ، وعامر بن حفص (٤٣) ومسلمة بن محارب :
قدم عروة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك ومعه محمد بن عروة فدخل مُحمَّد
دار الدواب فضربه دأبة فخرميتا ، ووقعت في رجل عروة الأكلة ، ولم يدع ورده
تلك الليلة .

فقال له الوليد :
اقطعها وإلا أفسدت عليك جسدك ، فقطعها بالمنشار وهو شيخ كبير . ولم يمسه
أحد . وقال :

﴿ لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ﴾ (٤٤)

وقدم على الوليد في تلك السنة قوم من بني عبس ، فيهم رجلٌ ضير فسأله الوليد
عن عينه فقال :

يا أمير المؤمنين بث ليلة في بطن وإد ولا أعلم عبيبا يزيد ماله على مالي ، فطرفنا
سئل فذهب بما كان لي من أهل ومال وولد غير بعير وصبي مولود . وكان البعير صعبا
فند ، فوضعت الصبي واتبع البعير ، فلم أجازه (٤٥) إلا قليلا حتى سمعت صبيحة
ابني ، فرجعت إليه ورأس الذئب في بطنه وهو يأكله ، ولحقت البعير لأحبسه فنفخني

(٤٢) الخبر في التعازي : ٤٤ .

(٤٣) عامر بن حفص عالم بالأنساب يلقب بسحيم توفي سنة ١٩٠ هـ . الأعلام : ٤ - ١٧ .

(٤٤) سورة الكهف : ٦٢ .

(٤٥) م : أجاوز .

برجله على وجهي فحطمه وذهب بعيني فأصبحت لا مال لي ولا أهل ولا ولد ولا بصر .

فقال الوليد :

انطلقوا به إلى عُرْوَةَ لِيَعْلَمَ أَنَّ فِي النَّاسِ مَنْ هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ بِلَاءِ .

وشخصَ عروة إلى المدينة فأتته قَرِيشٌ وَالْأَنْصَارُ فقال له عيسى بن طلحة بن عبيد الله :

أبشِيرِ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ فَقَدْ صَنَعَ اللَّهُ بِكَ خَيْرًا ، وَاللَّهُ مَا بِكَ حَاجَةٌ إِلَى الْمَشْيِ .
فقال :

مَا أَحْسَنَ مَا صَنَعَ اللَّهُ إِلَيَّ ، وَهَبَ لِي سَبْعَةَ بَنِينَ ، فَمَتَّعَنِي بِهِمْ مَا شَاءَ ، ثُمَّ أَخَذَ وَاحِدًا وَتَرَكَ سِتَّةَ ، وَوَهَبَ لِي سِتَّ جَوَارِحَ فَمَتَّعَنِي بِهِمْ مَا شَاءَ ، ثُمَّ أَخَذَ وَاحِدَةً وَتَرَكَ لِي خَمْسًا : يَدَيْنِ وَرِجْلًا وَسَمْعًا وَبَصْرًا^(٤٦) ثُمَّ قَالَ :

اللَّهُمَّ لَئِنْ كُنْتُ أَخَذْتُ لَقَدْ أَبْقَيْتَ ، وَلَئِنْ كُنْتُ أَبْتَلَيْتَ لَقَدْ عَافَيْتَ .

وكرر الموت سنةً بالبصرة ، فقليل للحسن :

يَا أَبَا سَعِيدٍ ، أَلَا تَرَى ،

فقال :

مَا أَحْسَنَ مَا صَنَعَ رَبُّنَا ، أَقْلَعَ مُذْنِبٌ ، وَأَنْفَقَ مُمَسِكٌ ، وَلَمْ يُغْلَظْ بِأَحَدٍ .

وقال مَخْلَدٌ^(٤٧) بن حمزة عن عبد الملك بن عمير^(٤٨) قال :

(٤٦) الخبر في التعازي : ٤٥ .

(٤٧) مخلد بن حمزة موافق لما جاء في رواية المدائني في كتابه التعازي : ٤٧ .

(٤٨) عبد الملك بن عمير بن سويد اللخمي راوية ثقة فقيه ، تولى قضاء الكوفة بعد الشعبي توفي

سنة ١٣٦هـ وقد بلغ من العمر المائة وثلاث . تقريب التهذيب : ١ - ٥٢١ .

دخل عبد الله بن الزبير^(٤٩) على أمه أسماء بنت أبي بكر ، فقال لها : يَا أُمَّة ، قد خذلني الناس فما بقي معي إلا من ليس عنده من الصبر أكثر من ساعة ، والقَوْمُ يُعْطَوْنِي مَا أَرَدْتُ ، فما رأيك ؟

قالت :

أنت أعلم بنفسك ، إن كنت تعلم أنك على حق ، والله^(٥٠) تدعو فامض على حَقِّكَ ، ولا تمكن غلمان بني أمية من نفسك .

قال :

وَقَفَّكَ اللهُ ، هذا رأيي ، وإني لحسنُ الظنِّ بيري ، فَإِنْ هَلَكْتُ فلا يَشْتَدَّ عَلَيَّ جَزَعُكَ ، فَإِنَّ ابْنَكَ لم يتعمد إتيانَ دَنِيَّةٍ ، ولا عملاً بفاحشة ، ولم يَجْرُ في حُكْمٍ . ولم يَسْعَ بغدر ، ولم يكن شيء آثر عنده من رضى ربه .

اللهم إني لا أقول هذا تركية لنفسى وأنت أعلم بي ، ولكنى أقوله تعزية لأُمى حتى

تسلو عنى^(٥١)

وقال على بن مجاهد بن عبد الأعلى بن ميمون :

دخل عبد الله بن الزبير على أمه ، فقال :

كيف أصبحت يا أُمَّة ؟

قالت :

إني لَوَجَعَةٌ !

قال :

إنَّ في الموت لراحةً

قالت :

(٤٩) عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي أبو خبيب ، كان أول مولود في الإسلام بالمدينة من المهاجرين ، تولى الخلافة بعد يزيد تسع سنين . قتله الحجاج سنة ٧٣ هـ تقريبا التهذيب :

٤١٥ - ١ .

(٥٠) ل : وإليه تدعو .

(٥١) التعازى : ٤٧ .

والله ما أحب أن أموت حتى آتى على أحد طرفيك ، إما ظفرت فقرت عيني ،
وإما قتلت فأحسبتك وإن أحبهما إلي أن تكون تصلى علي وتدفني .

فما دمعت عينه ولا عيها . فما ندرى من أيهما نعجب .

ولقد قال :

إني لا آمن إن قتلت أن أصلب ،

فقال له :

يا بني إن الشاة لا تألم للسليخ .

فحمل على أهل الشام وهو يتمثل :

[الطويل]

وَلَسْتُ بِمُبْتَعِ الْحَيَاةِ بِسْبَةِ

وَلَا مُرْتَقِيٍّ مِنْ حَشِيَّةِ الْمَوْتِ سَلْمًا^(٥٢)

قال أبو الحسن المدائني :

وأخبرنا يزيد بن عياض قال : لما مات علي بن الحسين ضربت امرأته على قبره

فُسْطَاطًا ، فأقامت فيه حولاً ، ثم رجعت إلى بيتها ، فسمعوا قائلاً يقول :

أدركوا ما طلبوا ؟

فأجابه مجيب :

بل يَسُؤُوا فأنصرفوا !^(٥٣) .

قال :

وأخبرنا علي بن مجاهد عن عبد الأعلى بن ميمون بن مهران عن أبيه قال :

عزى رجلٌ عمرَ بن عبد العزيز عن ابنه عبد الملك ، فقال عمر :

(٥٢) الخبر في التعازي : ٤٨ . والبيت للحصين بن الحمام المرى (أنظر هامش التعازي : ٤٨ ، ٤٩

والبيت الذي بعده

ولسنا على الأعقاب تدمي كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما

انظر شرح الحماسة للمرزوق : ١ - ١٩٨ .

(٥٣) الخبر في التعازي : ١٩ .

الذى نزل بعبد الملك أمرٌ كنا نتظره ، فلما وقع لم ننكره .^(٥٤)
قال :

واخبرنا بشر بن عبد الله بن عمر^(٥٥) قال : قام عمر على قبر ابنه عبد الملك
فقال :

رحمك الله يا بنى ، لقد كنت سارًا مولودًا ، وبارًا ناشئًا ، وما أحبُّ أنى دعوتك
فأجبتى !^(٥٦)

وقال الأصمعى :

دخل عمر بن عبد العزيز على ابنه عبد الملك وهو يجود بنفسه ، فقال :
كيف تجدك يا بنى ؟

قال :

أجدنى فى الموت ، فاحتسبى ياأمير المؤمنين ، فإن ثواب الله خير لك منى .
قال :

رضى الله عنك يا بنى فإنك لم تنزل تُسرُّ أباك وأنت فى الخرق ، وما كنت قط
أسرًّا لى^(٥٧) منك حيث يصيرك الله فى ميزانى ، فرضى الله عنك وعن كل شاهد
وغائب دعا لك بخير .

فجعل الناس يَدْعون له رَجاء أن يَدْخُلوا فى دعوة عمر . وعاش عمر بعده أربعين
يومًا ثم هلك .

وقال الأصمعى :

قال عمر : إنما الجزع قبل فوات الشىء فإذا فاتك الشىء فاله عنه
وقال الأصمعى :

كتب رجل إلى عمر يعزبه فأجابه :

إنى لم أزل فى صحة منه وسلامة ، موطنًا نفسى على فراقه . والسلام^(٥٨)

(٥٤) الخبر فى التعازى : ١٩ .

(٥٥) بشر هذا حفيد عمر بن عبد العزيز . (٥٦) الخبر فى التعازى : ١٩ .

(٥٧) ل : أسر لى .

(٥٨) الخبر فى التعازى : ٢٣ .

وأخبرنا أبو الحسن عن حدثه عن مسلمة (بن محارب) قال :
لما مات عبد الملك كشف أبوه عن وجهه وقال :
رحمك الله يا بنى ، سررتُ بك يوم بُشِرتُ بك ، ولقد عُمرت مسرورًا بك وما
أنت على ساعة أنابك فيها أسرُّ منى بك من ساعتى هذه ، أما والله إن كنت لتدعو
أباك إلى الجنة^(٥٩) .

وتحدث المدائنى عن سليمان بن أرقم أن عمر عبد العزيز قال لأبى قلابة - وكان
ولّى غُسل ابنه - إذا غسلته وكفنته فأذِنى به قبل أن تُعطى وجهه . فنظر إليه فقال :
رحمك الله يا بنى وغفر لك^(٦٠) .

وتحدث عن يحيى بن إسماعيل بن أبى المهاجر عن أبيه قال : استشهد ابن لأبى أمامة
الحمصى فكتب عمر إلى أبى أمامة :
(الحمد لله على آلائه وقضائه وحسن بلائه . فقد بلغنى الذى ساق معاد الله إلى عبد
الله بن أبى أمامة من الشهادة ، فقد عاش بحمد الله فى الدنيا مأمونا ، وأفضى إلى الآخرة
شهيدا ، وقد وصل إليكم من الله خير كثير إن شاء الله)^(٦١) .

وتحدث عن جعفر بن هلال بن حباب عن أبيه قال : كتب عمر إلى عماله : (إن
عبد الملك بن عمر كان عبداً من عبيد الله أحسن إليه وإلى أبيه فيه ، أعاشه ما شاء
ثم قبضه إليه . وكان ما علمت - والله به أعلم - خيراً ، من صالحى شباب أهل بيته
قراءة للقرآن وتحريماً للخير . وأعوذ بالله أن تكون لى محبة فى شىء من الأمور تُخالف
محبة الله ، فإن ذلك لا يحسن لى فى إحسانه لى ، وتتابع نعمه على .

وقد قلت عند الذى كان بما أمر الله عز وجل أن أقول عند المصيبة ثم لم أجد بحمد
الله إلا خيراً ، ولا أعلم ما بكت عليه باكية ، ولا نأجت عليه نائحة ، ولا اجتمع لذلك
أحد ، فقد نهينا أهله الذين هم أحق بالبكاء عليه^(٦٢) .

(٥٩) الخبر فى التعازى : ٢٠ .

(٦٠) الخبر فى التعازى : ٢١ ، ٢٢ .

(٦١) كرر هذا الخبر فى ل . ولم يذكر فى م . ونذكره ها هنا ضمن أخبار عمر بن عبد العزيز .

(٦٢) الخبر فى التعازى : ٢٢ ، ٢٣ .

تُحَدِّثُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَبَادِ (٦٣) أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ عُمَرَ لَمَّا مَاتَ ، فَخَرَجَ بِسَرِيرِهِ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ ، صَفَّ عَمْرَ النَّاسِ خَلْفَهُ ، ثُمَّ قَامَ حِيَالَ صَدْرِهِ أَوْ رَأْسِهِ ، وَقَالَ :
هَكَذَا يَقُومُ وَلِيُّ الرَّجُلِ مِنَ الرَّجُلِ ، وَمِنَ الْمَرْأَةِ يَقُومُ حِيَالَ وَسَطِهَا . فَلَمَّا صَارَ إِلَى الْقَبْرِ دَخَلَ فِيهِ وَأَخَذَ بِرَأْسِ ابْنَتِهِ حَتَّى وَضَعَهُ فِي اللَّحْدِ . ثُمَّ قَالَ :
وهَكَذَا يُصْنَعُ وَلِيُّ الرَّجُلِ بِالرَّجُلِ ، ثُمَّ قَامَ عَلَى قَبْرِهِ ، وَجَعَلَ الْقَبْرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَبْلَةِ ، فَلَمَّا رَأَى النَّاسَ قَائِمًا قَامُوا . فَقَالَ :

اجلسوا فإنما يجب القيام على أولياء الميت .

وَتُحَدِّثُ عَنْ مُسْلِمَةَ بْنِ عُمَانَ أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ :
هل يكون المؤمنُ في حالة تنزل به المصيبة ولا يتألم لها ؟
قال :

لا يا أمير المؤمنين ، لا يكون أن يستوى عندك ما تحب وما تكره ، أو تكون في الضراء والسراء عند أحدٍ سواءٍ . ولكن مَعُولُ الْمُؤْمِنِ الصَّبْرُ (٦٤) .

وقال عبد الله بن الأسود :
لما مات عاصم بن عمر بن عبد العزيز جزع عليه أخوه عبد الله فرثاه .
وانشدني هذا الشعر الرياشي :

[الطويل]

إِنْ تَكُ أَخْزَانَ وَفَائِضُ غَبْرَةٍ أَثْرَنَ دَمًا مِنْ دَاخِلِ الْجَوْفِ مُنْقَعًا
نَجْرَعْتُهَا فِي عَاصِمٍ فَاحْسَبْتُهَا لِأَعْظَمُ مِنْهَا مَا أَحْسَى وَنَجْرَعَا
فَلَيْتَ الْمَتَايَا كُنَّ صَادِقِينَ غَيْرَهُ فَمِشْنَا جَمِيعًا أَوْ ذَهَبْنَا بِنَا مَعَا

(٦٣) محمد بن عبد العباد بن كاسب كان شاعرًا وراويًا . الرسالة : ٦٠ .

(٦٤) التعازي : ٣٧ .

وقال ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب يرثي أخاه محمد بن عبد الله :

[البيسط]

أَبَا الْمُتَازِلِ يَا عَبْرَ الْفَوَارِسِ مَنْ يُفَجِّعُ بِمِثْلِكَ فِي الدُّنْيَا فَقَدْ فُجِّعَا
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَوْ حَشَيْتُهُمْ وَأَوْجَسَ الْقَلْبُ مِنْ خَوْفٍ لَهُمْ فَرَزَعَا
لَمْ يَقْتُلُوكَ وَلَمْ أُسَلِّمْ أَحَى لَهُمْ حَتَّى نَعِيشَ جَمِيعًا أَوْ نَمُوتَ مَعًا^(٦٥)

وكان قتله في المعركة عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله وهو الذي قتل ابراهيم أخاه^(٦٦) .

وقال أبو الحسن : أخبرنا العباس بن معاوية قال :

عزى محمد بن الوليد بن عتبة بن أبي سفيان عمر بن عبد العزيز عن ابنه عبد الملك فقال :

يا أمير المؤمنين لَيْشَعْلَكَ مَا أَقْبَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَيْكَ عَمَّنْ هُوَ فِي شُغْلٍ عَمَّا دَخَلَ عَلَيْكَ ،
وَأَعْدَدُ مَا تَرَى عُذَّةً تَكُونُ لَكَ جُنَّةً مِنَ الْحَزَنِ وَسِتْرًا مِنَ النَّارِ .

فقال عمر :

فَهَلْ رَأَيْتَ حَزْنًا يَنْكُرُ أَوْ غَفْلَةً أُتِبَهُ لَهَا ؟

قال :

يا أمير المؤمنين ، لو أن رجلاً ترك تعزية رجل لعلمه وانتباهه لكنته ، ولكن الله قضى أن الذكرى تنفع المؤمنين^(٦٧) .

وقال أبو الحسن :

دخل مسلمة^(٦٨) على عمر في مرضه فقال :

(٦٥) التعاوى : ٤٦ ، ٤٧ .

(٦٦) الخبر في التعاوى : ٥٣ .

(٦٧) الخبر في التعاوى : ٥٧ ، ٥٨ .

(٦٨) مسلمة بن عبد الملك بن مروان ، كان شجاعا وافتتح فتوحا كثيرة في الروم .

يا أمير المؤمنين ألا توصى ؟

قال :

وهل لي مال أوصى فيه ؟

فقال مسلمة :

هذه مائة ألف أبعث بها إليك فهي لك أوصو بها .

قال :

فهلا غير ذلك يا مسلمة ؟

قال مسلمة :

وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟

قال :

تردها من حيث أخذتها .

فبكى مسلمة وقال :

يرحمك الله ، فقد ألتت منا قلوباً قاسية ، وزرعت لنا في قلوب المؤمنين مودة ، وأبقيت لنا في الصالحين ذكراً^(٦٩) .

وقال أبو الحسن عن سعيد بن عامر عن محمد بن عمرو بن علقمة قال :

سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب وهو يقول :

ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه ، وعوضه من ذلك الصبر إلا كان ما عوضه أفضل مما انتزع منه . ثم قرأ : ﴿ إِنَّمَا يُؤَفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾^(٧٠)

وقال مقسم وهو مولى لبعض أهل المدينة يرثى عمر بن عبد العزيز [رضى الله عنه] :

[البيسط]

لَوْ أَغْظَمَ الْمَوْتُ خَلْقًا أَنْ يُلَاقِيَهُ لَأَعْظَمَ الْمَوْتُ أَنْ يَلْقَاكَ يَا عَمْرُ

(٦٩) التعازى : ٨٠ .

(٧٠) سورة الزمر : ١٠ .

لَهْفِي عَلَيْكَ وَلَهْفَ الْمُوجِعِينَ مَعِيَ عَلَى الْعُدُولِ الَّتِي نَعَى لَهَا الْحَفْرُ
ثَلَاثَةٌ لَا تَرَى غَيْرَ لَهُمْ شِبْهًا نَضُمُّ أَعْظَمَهُمْ فِي الْمَسْجِدِ الْجُدْرِ (٧١)
فَقَدْ بَلَّغْتَ وَلَمْ تَبْلُغْ فَعَالَهُمْ مَا فَوْقَهُ لِإِمَامٍ مُبْصِرٍ بَصْرُ

قال أبو الحسن :

وقال محمد بن حرب الملالي (٧٢) : كان رسول الله ﷺ إذا عَزَى يقول :

« آجِرْكُمْ اللَّهُ وَرَحِمِكُمْ » .

وإذا هنأ قال :

« بارك الله لكم وبارك عليك » .

وقال ابن الأعرابي (٧٣) :

وقف جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس على قبر أخيه محمد بن سليمان فقال :

اللهم إني أُمسيت أرجوك له وأخافك عليه ، اللهم فَصِدْقَ رَجَائِي وَأَمْنِ خَوْفِي ،
إنك على كل شيء قدير .

قال الأصمعي :

ولِي عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَعْبُ بْنُ سُوْرٍ (٧٤) قَضَاءَ الْبَصْرَةِ .

(٧١) أعظمهم : من ل .

(٧٢) محمد بن حرب الملالي من النباه الذين روى عنهم الجاحظ .

(٧٣) هو أبو عبد الله محمد بن زياد الكوفي اللغوي الشاعر توفى سنة ٢٣١ هـ وقد جاوز الثمانين .

(انظر الأعلام : ٦ - ٣٦٥)

(٧٤) كعب بن سور بن بكر الأزدي تابعي بعثه عمر قاضيا على البصرة وأقره عثمان عليها وفي عهد الفتن انضم إلى علي وكان يدعو إلى المصالحة ، قُتِلَ بسهم أصابه سنة ٣٦ هـ . من الأعلام بتصرف .

قال أبو العباس :

وكان سبب ذلك أنه حضر مجلس عمر ، فجاءت امرأة فقالت :

يا أمير المؤمنين إن زوجي صَوَّام ، قَوَّام . فقال عمر :

إن هذا رجل صالح ليتنى كنت كذا .

فَرَدَّتْ عليه الكلام . فقال عمر كما قال :

فقال كعب بن سور الأزدي :

يا أمير المؤمنين إنها تشكو زوجها ، تخبر أنها ليس لها منه حظ .

فقال :

علّي بزوجها . فأتى به . فقال له :

ما بالها تشكوك ، وما رأيت امرأة أكرم شكوى منها ؟

فقال :

يا أمير المؤمنين ، (أفي طعام أو شراب) ؟

قال :

لا

فقال عمر :

يا كعب كما فهمت كلامهما اقض بينهما .

فقال المرأة :

[الرجز]

أَلْهَى خَلِيلِي عَنْ فَرَاشِي مَسْجِدَهُ

نَهَارُهُ وَكَيْلُهُ مَا يَزُقُّدُهُ

فَأَقْضِرِ الْقَضَا كَعْبُ وَلَا تُرَدِّدُهُ

يَا أَيُّهَا الْقَاضِي الْحَكِيمُ رَشِدُهُ

رَهْدُهُ فِي مَضْجَعِي تَعْبُدُهُ

فَلَسْتُ فِي أَمْرِ النِّسَاءِ أَحْمَدُهُ

فقال الرجل :

أَتَى امْرُؤٌ أَذْهَلَنِي مَا قَدْ نَزَلَ

وَفِي كِتَابِ اللَّهِ تَخْوِيفٌ جَلَلٌ

رَهْدَنِي فِي فِرْشِيهَا وَفِي الْحَجَلِ

فِي سُورَةِ النَّحْلِ وَفِي السَّبْعِ الطُّوْلِ

قال كعب :

إِنْ لَهَا عَلَيْكَ حَقًّا يَا رَجُلُ نُصِيحَتَا فِي أَرْبَعٍ لِمَنْ عَقَلَ

فَاعْطِهَا ذَاكَ وَدَعْ عَنكَ الْعِلْلَ

ثم قال :

إن الله تعالى قد أحل لك من النساء مثني وثلاث ورباع ، فلك ثلاثة أيام وليالهن تعبد
فيهن ربك . ولها يوم وليلة .

فقال عمر :

والله ما أدرى من أى أمريك أعجب ، أمن فهمك كلامها ، أم من حكمك بينهما .
اذهب فقد وليتك قضاء البصرة^(٧٥)

قال أبو العباس : اتصل بهذا بخير الأصمعي :

فلم يزل [كعب قاضياً]^(٧٦) عليها حتى قتل عثمان . فلما كان يوم الجمل خرج مع أهل
البصرة وفي عنقه مصحف ، فقتل هو يومئذ وثلاثة إخوة أو أربعة . فجاءت أمهم
فوجدتهم في القتلى ، فحملتهم وجعلت تقول :

أَيَا عَيْنٍ بَكَى بَدَمْعَ سَرَبٍ عَلَى قِتْيَةٍ مِنْ خِجَارِ الْعَرَبِ
فَمَا ضَرَّهُمْ غَيْرُ حَيْنِ النَّفْسِ سِوَى أُمِّ أَمِيرِنِي قُرَيْشٍ غَلَبَ^(٧٧)

وقال أبو الحسن :

أخبرني مخبر قال : كتب غيلان إلى رجل من إخوانه أنه أصيب بابنه فجزع عليه :
أما بعد . فإن الله أعطاك هيبته ، وجعل عليك أدبه ومؤنته ، فأنت تحشى فنته ،
فاشدد بذلك سرورك ، فلما قبض الله هيبته ، وكفاك أدبه ومؤنته ، وأمن فنته ، اشدد
لذلك جزعك ، فأقسم بالله أن لو كنت تقياً لعزيت على ما هنتت عليه ، ولهنتت على
ما عزيت عليه ..

(٧٥) ما بين القويين من قوله (أى طعام إلى قوله : قضاء البصرة) من : ل هذا مع تصحيح
النقص الذى ورد في : ل .

(٧٦) [كعب قاضياً] توضيح لقوله : فلم يزل عليها .

(٧٧) البيتان لعبد الرحمن بن الحكم وهو شاعر إسلامي متوسط الحال في شعره يرثى قتل قريش
يوم الجمل انظر الكامل وهامشه ص ١١٩١ .

فإذا أتاك كتابي فاصبر على الأمر الذي لا غنى بك عن ثوابه ، ولا صبر لك على عقابه . واعلم أن كل مصيبة لم يذهب فرحُ ثوابها حزنها ، فذلك الحزن الدائم .^(٧٨)

وقال أبو الحسن .

لما هلك ابن عمر بن ذر^(٧٩) وقف عليه أبوه وهو مُسجى فقال : يا بني ، ما علينا من موتك غضاضة ، وما بنا إلى أحد سوى الله^(٨٠) من حاجة . فلما دُفِنَ قام على قبره فقال :

يا ذرّ غفر الله لك ، فقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك ، لأننا لا ندرى ما قلت وما قيل لك .

اللهم إني قد وهبت له ما قصر فيه مما افترضته عليه من حقّي ، فهب لي ما قصر فيه من حقك ، واجعل ثوابي عليه له ، وزدني من فضلك فإني إليك من الراغبين !
فسئل عنه فقيل :

كيف كان معك ؟

فقال :

ما مشيتُ معه بليل قطّ إلا كان أمامي ، ولا بنهار قطّ إلا كان خلفي ، وما علا سطحًا قطّ وأنا تحته رحمه الله تعالى .^(٨١)

وقال أبو الحسن :

أخبرني بعض قريش ، يرفع الحديث إلى ابن عباس قال :

(٧٨) الكامل : ١٠٢ .

(٧٩) عمر بن ذر عبد الله الهمداني الكوفي ثقة توفي سنة ١٥٣ هـ تقريبا التهذيب : ٢ - ٥٥ .
ووفيات الأعيان : ٣ - ٤٤٢ ، ٤٤٣ وفيه أنه توفي سنة ١٥٦ هـ .

(٨٠) م : وما بنا إلى سوى الله .

(٨١) الخبر في ترجمة عمر بن ذر : في وفيات الأعيان : ٣ - ٤٤٢ - ٤٤٣ .

هلك رجل من أهل المدينة ، فشهد جنازته عبد الله بن العباس رضى الله عنهما ، فلما
دُفِن الرجل ، قال بعض من شاهده :
ليت شعرى إلى ماذا صار صاحبنا ؟
فسمعه ابن عباس فقال :
أما تدري ؟

قال :

لا ، والله .

قال :

لكنى - والله - أدرى ، قال الله عز وجل :

﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ

﴿ ٨٨ ﴾ فَرَّحَ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٍ ﴿ ٨٩ ﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ

الْيَمِينِ ﴿ ٩٠ ﴾ فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿ ٩١ ﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ

الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿ ٩٢ ﴾ فَتَرَلُّ مِنْ حَمِيمٍ ﴿ ٩٣ ﴾

وليس صاحبنا من المكذبين الضالين ، فإن أخطأه أن يكون من المقربين فهو من
أصحاب اليمين . (٨٣) .

قال :

ففرح جميع القوم بما سمعوا .

وقال عن عوانة : (٨٤) .

لما بلغ خالد بن الوليد موت أبى بكر رضى الله عنه قال :

(٨٢) الواقعة : ٨٨ - ٩٣ .

(٨٣) فإن أخطأه أن يكون من المقربين . ليست فى ل .

(٨٤) أبو الحكم عوانة بن الحكم مؤرخ من أهل الكوفة ضرير . عالم بالإنساب والشعر قالوا عنه

إنه متهم بوضع أخبار لبنى أمية ، اعتمد عليه المدائنى فى كثير من الأخبار . توفى سنة ١٤٧ هـ

عن الأعلام : ٥ - ٢٨٢ بتصرف .

الحمد لله الذى أَمَاتَ أَحَبَّ خَلْقِهِ إِلَيَّ ، وَاسْتَخَلَفَ أَبْغَضَ الْأُمَّةِ إِلَيَّ . وَقَدْ اسْتَخَلَفَ عَلَيْكُمْ أَمِينَ أُمَّتِكُمْ ، يَعْنِي أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجِرَاحِ .

قال الأصمعي :

قام خالد بن الوليد على رأس أبي عبيدة فستره بردائه من الشمس فقبل له :
ما أردت إلى هذا ؟

قال :

أردت إعزاز الإسلام .

وقال أبو الحسن عن محمد بن الفضل . أبي حازم^(٨٥) قال :
مات عقبه بن عياض بن غنم الفهري^(٨٦) فعزى رجل أباه وقال :
- لا تجزع عليه فقد قتل شهيدا - وكان من سادة الجيش -
فقال :

وكيف لا أصبر وقد كان في حياته زينة الحياة الدنيا ، وهو اليوم من الباقيات الصالحات .

وأخبر عن عامر بن الأسود قال :
استشهد لمولتي لبنى نوفل بنون ، فعزاه رجل فقال :
آجرك الله في الباقيين ، ومتعك بالفانين .
فقال له رجل :
لعلك غلظت

(٨٥) أبو حازم الأعرج سلمة بن دينار المدني القاضي ثقة عابد مات في خلافة المنصور تقريبا التهذيب : ١ - ٣١٦ .

(٨٦) عياض هذا من كبار الصحابة وقوادهم . والخبر في التعازي : ٢٣ ، ٢٤ .

فقال :

لا ، إن الله يقول : ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ (٨٧) .

وأخبر عن عمر بن مجاشع (٨٨) قال :

قال نافع (٨٩) مولى [عبد الله بن] عمر بن الخطاب : سمع رسول الله ﷺ يقول :
- « نسأل الله تمام النعمة » .

فقال :

أتدري ما تمام النعمة ؟ إن تمام النعمة النجاة من النار (٩٠) .

وسمع ﷺ رجلا يقول :

اللهم ارزقني صبرا . فقال : يا عبد الله ، سألت بلاء فاسأل الله العافية (٩١) .

وعن عمر بن مجاشع قال :

قال رجل لابن عمر وعزاه : أعظم الله أجرك . فقال ابن عمر : نسأل الله
العافية (٩٢) .

قال : [أبو العباس]

وهذا حديث ثعلبيه ، وقد مضى في صدر الكتاب ناقصا ، فأتمنناه في هذا الموضوع
ليتوفر ، ويتصل به ما بعده .

تحدث المدائني عن يعقوب بن داود (٩٣) عن بعض أشيائه أن عبيد الله بن العباس بن

(٨٧) سورة النحل : ٩٦ . والخير في التعازي : ٢٤ .

(٨٨) عمر بن مجاشع المدائني مذكور في الثقات . (انظر ترجمته في لسان الميزان : ٤ - ٢٢٤) .

(٨٩) في الأصل نافع مولى عمر فقد صححناه من الخير في التعازي للمدائني : ٢٤ . ونافع هذا هو أبو عبد الله من أئمة التابعين في الفقه ورواية الحديث وهو ديلمى مجهول النسب ، أصابه ابن عمر في بعض مغازيه وأرسله عمر عبد العزيز إلى مصر ليعلم أهلها السنن : (انظر هامش التعازي ص ٢٤) وتقريب التهذيب : ٢ - ٢٩٦ .

(٩٠) ودخول الجنة : التعازي : ٢٤ . (٩١) التعازي : ٢٥ . (٩٢) التعازي : ٢٥ .

(٩٣) أبو عبد الله يعقوب بن داود ، كاتب الوزراء في الدولة العباسية ، علت منزلته عند المهدي ثم غضب عليه وحبسه ثم أخرجه الرشيد من السجن فأقام بمكة وتوفي سنة ١٨٧ هـ .

عبد المطلب كان عاملا لعلي بن أبي طالب عليه السلام على اليمن ، فخرج إلى علي ، واستخلف على صنعاء عمرو بن أراكة الثقفي . فوجه معاوية بـسـر بن أرطاة أحد بني عامر بن لؤي ، فقتل عمرو بن أراكة فيمن قتل . فجزع عليه أخوه عبد الله . فقال أبوه :

لَعَمْرِي لَئِن أَبَغْتِ عَيْنِكَ مَا مَضَى بِهِ الدَّهْرُ أَوْ سَاقَ الْجِمَامُ إِلَى الْقَبْرِ
لَتَسْتَفِيدَنَّ مَاءَ الشُّؤُونِ بِأَسْرِهِ وَلَوْ كُنْتُ نَعْرِيهِنَّ مِنْ تَبْحِ الْبَحْرِ
لَعَمْرِي لَقَدْ أُرْدَى ابْنُ أَرْطَاةَ فَارِسًا بِصَنَمَاءَ كَأَنَّ لَيْثَ الْهَزْبِ أَيْبَى الْأَجْرِ
فَقُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ إِذْ حَنَّ بَاكِيًا نَعْرُ وَمَاءَ الْعَيْنِ مَنَحِدِرٌ يَجْرِي

وانشدني التوزي عن أبي زيد إذ حن باكيا^(٩٤) :

تَبِيْنٌ فَإِن كَانَ الْبَكَارُذُ هَالِكًا عَلَى أَحَدٍ فَاجْهَدْ بِكَأَنَّكَ عَلَى عَمْرٍو
وَلَا تَبْكُ مَيِّتًا بَعْدَ مَيِّتِ أَجْتِهِ عَلَى وَعْبَاسَ وَآلِ أَبِي بَكْرٍ^(٩٥)

قال أبو العباس :

وكان بسر قد قتل خلقا باليمن . يقول بعضهم : حتى أخاض الخيل في الدماء . وكان فيمن قتل طفلان لعبيد بن العباس أحدهما من الكتاب . فروى أنه قتلها وما يقولان : يا عم لا نعود !

وأما الرواية الفاشية التي كأنها إجماع ، فإنه أحدهما من تحت ذيل أمهما ، وهي امرأة من بني الحارث بن كعب^(٩٦) . ففى ذلك تقول لما خرج بهما من عندها :

[مجزوء الوافر]

أَلَا مَنْ يَبْنِي الْأَخْوَانَ مِنْ أُمَّهُمَا هِيَ الْكُلِّي
تُسَائِلُ مَنْ رَأَى آتِيَهَا وَتَسْتَبْغِي فَمَا تُبْقِي^(٩٧)

(٩٤) وأنشدني التوزي ... باكيا . ليس موجود في ل .

(٩٥) هذا الخبر ذكر في مقدمة هذا الكتاب بشيء من التصرف ، وفي التمازي : ٢٥ ، وفي الكامل : ١١٩٤ .

(٩٦) هي جويرة بنت خالد الكنانية من بني الحارث بن كعب . انظر الكامل : ١١٩٥ .

(٩٧) ما بين القوسين : (عندها أيضا) من ل .

[البيسط]

وقالت أيضا :

يَا مَنْ أَحْسَّ بُنْيَى اللَّذِينَ هُمَا كَالذَّرْتَيْنِ تَشَطَّى عَنْهُمَا الصَّدْفُ
يَا مَنْ أَحْسَّ بُنْيَى اللَّذِينَ هُمَا قَلْبِي وَطَرْفِي فَقَلْبِي الْيَوْمَ مُخْتَطَفُ
يَا مَنْ أَحْسَّ بُنْيَى اللَّذِينَ هُمَا مِخُّ الْعِظَامِ فَمَخِي الْيَوْمَ مُزْدَهَفُ
بُتتُ بُسْرًا وَمَا صَدَقْتُ مَا ذَكَرُوا مِنْ قَوْلِهِمْ وَمِنْ الْإِفْكِ الَّذِي أَتَرَفُوا
أُنْحَى عَلَيَّ وَدَجَنِي شَيْلَى مَرْهَفَةً بَقِيًّا كَذَا وَعَظِيمَ الْبَغْيِ يُقْتَرَفُ^(٩٨)

وقال أبو الحسن :

مات الحسن بن الحُصَيْنِ أبو عبيد الله بن الحسن^(٩٩) - وعبيد الله يؤمئذ قاضي
البصرة وأميرها - فتذاكروا ما يتبين به جزعُ الرجل من صبره ، فأجمعوا على أنه إذا
ترك شيئًا كان يصنعه فقد جزع ، فاتاه صالح المرى^(١٠٠) فعزاه فقال :
يا هذا ، إن كات مصيبتك أحدثت لك عِظَةً في نفسك فَنِعْمَ المصيبة مصيبتك :
وإن كانت لم تحدث لك عِظَةً في نفسك فمصيبتك في نفسك أعظم من مصيبتك
بأبيك^(١٠١) .

وأخبر عن عامر بن حصين والمثنى بن عبد الله قالا : مات أخ محمد بن سيرين^(١٠٢)

- (٩٨) هذا تكملة للخبر السابق وورد في الكامل بيت آخر .
مَنْ ذَلَّ وَالْهَةَ حَرَى مُنْجَعَةً عَلَيَّ حَبِيْبِيْنَ غَابًا إِذْ مَضَى السَّيْفُ
الكامل ص ١١٩٥ . والودج : عرق الأخدع الذي يقطعه الذابح فلا تبقى معه حياة .
(٩٩) عبيد الله بن الحسن بن الحصين العنبري ولد سنة ١٠٥ هـ قاضي البصرة وفتيها ومحدثها
توفي سنة ١٦٨ هـ . تقريب التهذيب : ١ - ٥٣١ .
(١٠٠) أبو بشر صالح بن بشر المرى البصرى ، أحد رواة الحديث توفي سنة ١٧٣ هـ . تقريب
التهذيب : ١ : ٣٥٨ .
(١٠١) التعازى : ٢٦ ، ٢٧ .
(١٠٢) محمد بن سيرين ولد سنة ٣٣ هـ ، وكان إمام وقته بالبصرة ، اشتهر بالورع وكان ثقة
صدوقا ، وكان يعبر الرؤيا . توفي سنة ١١٠ هـ تقريب التهذيب : ٢ - ١٦٩ .

فجزع عليه ، فلما كان في مؤخر الدار ذكر أنه لم يسرح لحيته . فجلس ودعا بمشط
فسرح لحيته ورأسه ثم خرج^(١٠٣) .
وقال الأصمعي : وكان ابن سيرين يترجل غيًّا ، فجاءه نعي أخيه في يومٍ ترجله
فترجل .

وأخبر أبو الحسن عن عبد الله بن مرة عن بعض أشياخه أن عمر بن الخطاب رضی
الله عنه قال للخنساء :
ما أقرح مآقي عينيك ؟
قالت :
بكاتي على السادات من مُضرا !
فقال :
يا خنساء إنهم في النار .
قالت :
ذاك أطول لعويلي عليهم .
وقال عن أبي محمود :
قالت الخنساء :
كنت أبكي لصخر على الحياة ، فأنا اليوم أبكي^(١٠٤) له من النار .

وأخبر عن محمد بن عبد الحميد قال :
نعي رجل لرجل ابنه فقال :
قد نُعي لائي من قبل
فقال :

(١٠٣) الخبير : في التعازي : ٢٧ .

(١٠٤) ل : فأنا أبكي . والخبير في التعازي : ٢٧ ، ٢٨ .

ومن أعلمك موته وما نعاه غيرى ممن يعرفك ؟
قال :

نعاه الله حيث يقول لنيّه : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(١٠٥) .

* * *

وأخبر عن أبى المقدام ، وكان كبيراً ، أدرك سعيد بن المسيّب^(١٠٦) .
قال :

بلغنى أن أباً مُسَلِّمَ الحَوْلانى^(١٠٧) كان يقول :
لأن أقدم^(١٠٨) سقطاً أحبُّ إلى من أن أدع مائة من حَوْلان ، ولأن أقدم قرطاً^(١٠٩)
أحبُّ إلى من أن أحلف حَوْلان كلها^(١١٠) .

(١٠٥) سورة الزمر : ٣٠ . والخبر فى التعاوى : ٢٨ .

(١٠٦) سعيد بن المسيّب أبو محمد تابعى فقيه المدينة ، لم يترك الصف الأول فى الصلاة فى مسجد المدينة ، ولم يخضع للخلفاء والأمراء . جمع بين الحديث والفقة وتوفى سنة ٩٤ هـ . وقد ناهز الثمانين . وهو أحد الأئمة الفقهاء الكبار قال ابن المدينى : لا أعلم فى التابعين أوسع علماً منه .
تقريب التهذيب : ١ - ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

(١٠٧) أبو مسلم الحولانى عبد الله بن ثوب فقيه عابد زاهد من اليمن ، أدرك الجاهلية . وأسلم قبل وفاة النبي ﷺ سنة ٦ هـ . التعاوى : ٢٨ .

(١٠٨) النسقط : الولد الذى يسقط من بطن أمه من قبل تمامه .

(١٠٩) الفرط : ما يتقدم من أجر .

(١١٠) الخبر فى التعاوى : ٢٨ .

باب من التعازى والتعزى فى الأشعار

[أشعار لىلى الأَحْيَلِيَّة وصاحبها (توبة)]

[الطويل]

قال لىلى الأَحْيَلِيَّة (١) :

قال أبو العباس : قرأته على الرياشى :
أَقْسَمْتُ أَبْكَى بَعْدَ (تُوبَةٍ) (٢) هَالِكَا
لَعْمُكَ مَا بِالْمَوْتِ عَارَ عَلَى الْفَتَى
فَلَا الْحَى مِمَّا يُخْدِثُ الدَّفْرُ سَالِمَ
وَكُلُّ شَبَابٍ أَوْ جَدِيدٍ إِلَى بَلَى
فَلَا يَجْعَلُكَ اللهُ بِالتَّوْبِ هَالِكَا
فَأَقْسَمْتُ لَا أَنْفَكَ أَبْكَىكَ مَا دَعَتْ
فَيْهَلُ بِنِى عَرُوفٍ فَيَأْهَى لَهُ

وَأَخْفِلُ مَنْ دَارَتْ عَلَيْهِ الدَّوَابِرُ
إِذَا لَمْ تُعْبِئْهُ فِي الْحَيَاةِ الْمَعَايِرُ
وَلَا الْمَمِثُ إِنْ لَمْ يَصْبِرِ الْحَى نَاشِرُ
وَكُلُّ أَمْرِيءٍ يَوْمًا إِلَى اللهِ صَائِرُ
إِذَا الْحَرْبُ أَوْ دَارَتْ عَلَيْنَا الدَّوَابِرُ (٣)
عَلَى قَهْنٍ وَرَقَاءٍ أَوْ طَارَ طَائِرُ
وَمَا كُنْتُ إِهَاتِكُمْ عَلَيْهِ أَحَادِرُ (٤)

قال أبو العباس :

وأشعار المراثى كثيرة ، وإنما نختار عيوننا من جميعها ومن الشيء أحسنه وكذلك الكلام غير الشعر .

ولم تكن لىلى الأَحْيَلِيَّة امرأة لتوبة ، ولا بينهما نسب لاصق إلا أنهما جميعاً من بنى عَقِيلِ بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وكانت تحبه ويحبها وزوت الرواة أنه خلا بها مرة فأرادها على ما يريد الرجل ، فأبت واشتمأزت ففى ذلك تقول : [الطويل]

(١) هى لىلى بنت عبد الله بن الرحالة من شواعر العرب أدركت العصر الأموى ، وماتت فى خلافة عبد الملك بن مروان سنة ٨٠هـ ولها ديوان شعر . نشوة الطرب : ٥٠٤ ، معجم المؤلفين : ١٦٢ - ٨ .

(٢) توبة بن الحمير الخفاجى كان فارساً شاعراً عاشقاً لىلى ، قتلته بنو عوف بن عامر أبناء عمه فى خلافة معاوية . نشوة الطرب : ٥٠٤ ، وانظر تاريخ الأدب العربى لفروخ ١ - ٤٦٦ .

(٣) ل : الشطر الثانى فى ل : أَنَا الْحَرْبُ إِذْ دَارَتْ عَلَيَّكَ الدَّوَابِرُ .

(٤) الديوان : ٦٤

وَدَعَى حَاجِبَةً فَلَمَّا لَمْ يَلْبَسْهَا لَمْ يَتَّبِعْ بِهَا فَلَمَّسَ إِلَيْهَا مَا حَبِيتَ سَيْلٌ
لَمَّا حَاجِبٌ لَا يَتَّبِعِي أَنْ نَحْوَنِي وَأَنْتَ لِأَحْرَى حَاجِبٌ وَطَوِيلٌ^(٥)

فأقاما دهرًا على حب عفيف ، وهي السنة الجارية في المشاق الماضين من بني عُذرة
وغيرهم .

وكان سبب قتل توبة أن بني عوف كانوا يطلبونه فأحسوه ، وقد قدم من سفر
ومعه عبيد الله بن الحُمَيْرِ^(٦) أخوه وقابض مولاة وبينه وبين الحَيِّ ليلة ، فأتوه طروقًا ،
فهرب أصحابه واسلماه فقتل ، ففى ذلك تقول ليل : [الطويل]

دَعَا (قَابِضًا) وَالْمُرَهَّقَاتِ نَشْوَتُهُ فَتَبَحَّتْ فِدَاعُوا وَكَبِيتَ دَاعِيَا
فَلَمَّسَ عَيْدَ اللَّهِ حَلَّ مَحَلُّهُ فَأَوْدَى وَلَمْ أَسْمَعْ لِتُوبَةٍ تَائِيَا^(٧)
وقالت : [الطويل]

أَعْنَى الْأَفَابِكِي عَلَى ابْنِ مُصَيَّرٍ بِدَمْعٍ كَفَيْضِ الْجَادِلِ الْمُتَشَجَّرِ
لَتَبَّكَ عَلَيْهِ مِنْ حَفَاجَةِ يَمُوتُ بِمَاءِ شُرُونِ الْعُسْرَةِ الْمُتَحَلِّدِ

حفاجة بن عقيل^(٨)

سَمِعَنِي بِهَيْجَا أَوْجَفْتُ فِدَاكَ نَسِيءُ وَقَدْ يَبَعَثُ الْأَحْزَانَ طَوْلُ التَّلَاكُرِ
كَأَنَّ قَتَى الْفَتِيَانِ (تُوبَةً) لَمْ يُبْعِ يَنْجِدُ وَلَمْ يَطْلُعْ مَعَ الْمُتَمَوَّرِ
وَلَمْ يَرِدِ الْقَاءَ السَّدَامِ إِذَا بَدَا سَنَا الصَّحْحِ فِي أَغْشَابِ أَحْضَرَ مُدْبِرِ

السدام : الآبار القديمة المنذغة وجمعها سدوم .

وقولها : (سنا الصبح) السنا : من الضوء ، مقصور كقول الله عز وجل : (يَكَادِسُنَا
بِرُوقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ)^(٩) والسناء : من الشرف ممدود . وقولها : (في أغشاب أحضر
مدبر) تعنى الليل ، تريد بأحضر : أسود وجعلته مدبراً لورود الصبح .

وَلَمْ يَقْدَعْ الْخُضْمَ الْأَلْدَ وَيَمْلَأُ الدَّ جِفَانَ سَدِيفًا يَزَامُ نَكْبَاءَ صَرَّهَرِ

(٥) الديوان : ٩٥

(٦) م : عبيد الله بن توبة ، وهو خطأ .

(٧) الديوان : ١٢٣ . (٨) حفاجة بن عقيل من : ل .

(٩) سورة النور : ٤٣

النكباء : الريح بين الريمين : والسديف : شقق السنام^(١٠) . والصرصر الريح الشديد الصوت الباردة^(١١) .

أَلَا رُبَّ مَكْرُوبٍ أَجَبَتْ وَتَالِي وَتَالِي فَعَلَتْ وَمَعْرُوفًا لَدَيْكَ وَمَتَكَبِّرٍ^(١٢)
فَيَأْتِيهِ لِلْمَوْلَى وَيَأْتِيهِ لِلنَّدَى وَيَأْتِيهِ لِلْمُسْتَبِحِ الْمُتَوَسِّرِ
فَقَالَ لَهَا رَجُلٌ :

ما كان توبة كما ذكرت . وقلت : ففى الفتيان وما كان كذلك ، فقالت :
إن كنت كاذبًا فاشْتَلَّ اللهُ عَشْرَكَ^(١٣) ، وأدام فقرك . كان والله شديد الميرة^(١٤) لين
العطفة ، يرضيه أقل مما يُسخطه . وقالت أيضا :

نَظَرْتُ وَرَكَنْتُ مِنْ أَبَائِي ذُوتَهُ مَفَاوِزُ جِنْمِي أَيُّ نَظْرَةٍ نَاطِرٍ^(١٥)
كَأَنَّ قَسِيَّ الْفِتْيَانِ ذُوتَهُ لَمْ يُسْخِ فَلَاحِصٌ يَفْخَمُنَ الْحَصَى بِالْكَرَاكِرِ
وَلَمْ يَنْ أَبْرَادًا هَاتِلًا لِلنَّبِيَّةِ كِرَامٍ وَتَرَحَّلَ قَبْلَ فَيْءِ الْهَوَاجِرِ
قَسِيَّ لَا تَخْطَأُ الرِّفَاقِيَّ وَلَا يَسْرَى لِقَدْرِ عِيَالًا ذُونَ جَارٍ مُجَاوِرِ
فَإِنْ تَكُنَ النَّظْمَى بَرَاءً فَإِنَّكُمْ قَسِيَّ مَا فَتَحْنَا آلَ عَوْفِ بْنِ غَامِرٍ^(١٦)

البواء : الأمثال . يقال : بَاءَ فلان بفلان إذا قُتِلَ به . تقول : فإن تكن القتل بيوء
بعضها ببعض فإن توبة فوق ذلك .

وأما قوله عز وجل : ﴿إِلَىٰ أَرْبَابِهِمْ أَن تَبُوءَ بِإِذِينِهِمْ وَاللَّيْلُ﴾^(١٧) إنما هو إن فعلت
أن تحتمل الإيمين المتساويين : الذى رَدَّ عليك قربانك فلم يُقْبَلْ من أجله ، وقتلك إياى ،
وكان كل واحد منهما كفاء الآخر . هذا اشتقاق هذا المعنى .

ومن ذلك قول مهلهل بن ربيعة حين قتل بجير بن الحارث بن عباد : بُوَّ بِشْنَعِ
كَلْبِ ، فقيل للحارث بن عباد : إن ابنك بجيرًا قد قتل .

(١٠) شقق السنام : الشحم

(١١) الصوت الباردة : زيادة من ل .

(١٢) ل : ومعروف . ورواية (م) على التقدير النحوى .

(١٣) فَشَلَّ هُنَا : تراخى والعشر : أصابع اليدين وهذا دعاء عليه بالشلل .

(١٤) المرة : القوة . (١٥) الأباين : جيلان . (١٦) الديوان : ٧٤ .

(١٧) سورة المائدة : ٢٩

قال :

إنه لأعظم قبيل بركة إن أصلح الله به بين ابنتي وائل .
قيل :

إن مهلهلاً لما قتله قال : بُؤِ بِشِئْعِ كَلِيبِ^(١٨) .

فعند ذلك دخل الحارث في حربهم ولم يكن دخلها .

رَجَعَ الشَعْرُ^(١٩) :

وَأَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا بَوَاءٌ لَأَبْكُمُ سَتَلْقَوْنَ يَوْمًا سِيرَةً غَيْرَ صَادِرٍ
وَكُنْتُ إِذَا مَوْلَاكَ حَافٍ ظَلَامَةً دَعَاكَ وَلَمْ يَغْدِلْ سِوَاكَ بِصَاحِرٍ
وَقَدْ كُنْتُ مَوْهُوبَ الْجَنَانِ وَبَيْتَا وَمَجْدَامَ سَيْرِ ذَائِبَا غَيْرَ فَاتِرٍ
فِيهِمُ الْفَتَى إِنْ كَانَ نَزْوَةً فَاجِرًا وَفَوْقَ الْفَتَى إِنْ كَانَ لَيْسَ بِفَاجِرٍ
أَنَّه الْمَتَايَا دُونَ دَرَعِ حَصِينَةٍ وَأَسْمَرَ حَطَى وَجَرْدَاءَ صَاحِرٍ
فَسَالَهُ نَيْسَى يَتَّبِعُهَا أُمُّ عَاصِمٍ عَلَى مِثْلِهِ أُخْرَى اللَّيَالِي الْفَوَاسِرِ^(٢٠)

وروت الرواة أنها زارت قبره، فجعلت تقول:

ياتوبة! ياتوبة! ثم أقبلت على من معها بعد أن سلمت على القبر، فقالت: ما كذبتني قبلها
فقيل لها:

فيم ذلك وما تبينا منه كذباً؟

قالت لأنه قال في بعض قوله:

[الطويل]

وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى الْأَحْيَاءِ سَلَّمَتْ عَلَيَّ وَدُونِي ثَرْبَةً وَصَفَائِحُ
لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْزَقَا إِلَيْهَا صَدَى مِنْ دَاخِلِ الْقَبْرِ صَائِحُ^(٢١)

قال:

وهذا الكلام غاية المدح، لا لأنها جهلت حال الموتى، ولكن^(٢٢) دلت على أنه لم
تعرف منه كذبة قط حتى يُعْتَدَّ عليه بهذه^(٢٣) ميثاً.

(١٨) (بؤ بشيع كليب) سياق الكلام مفصلاً في آخر هذا الكتاب عند ذكر حرب البسوس .

ومعنى المثل : كن كفواً لشيع النعل وهي الجلدة التي بين الأصابع .

(١٩) رجع الشعر من ل . (٢٠) الديوان : ٧٤ . (٢١) الأغاني : ٩ - ٢٤٤

(٢٢) ولكنها دلت على أنه لم تُعرف . (٢٣) ميثاً زيادة من ل .

وقال سليمان بن قته^(٢٤) وهو مولى لبني تيم وانقطاعه إلى بني هاشم يذكر يوم الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام:

[الطويل]

مَرَزْتُ عَلَى آيَاتِ آلِ مُحَمَّدٍ فَلَمْ أَرَهَا كِمَهْدِهَا يَوْمَ حُلَّتِ
فَلَا يَتَعَدِ اللَّهُ الدِّيَارَ وَأَهْلَهَا وَإِنْ أَصْبَحَتْ مِنْ أَهْلِهَا قَدْ تَحَلَّتِ
وَكَانُوا رَجَاءً نَمَّ عَادُوا رِزْيَةً فَقَدْ عَظُمَتْ تِلْكَ الرِّزَايَا وَجَلَّتِ
وَإِنْ قَبِيلَ الطُّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ أَذَلَّ رِقَابَ الْمُسْلِمِينَ فَذَلَّتِ^(٢٥)
وَغَدَّ غَيْبِي قَطْرَةً مِنْ دِمَائِنَا سَتَجَزِيهِمْ يَوْمًا بِهَا حَيْثُ حَلَّتِ
إِذَا انْفَقَرَتْ قَيْسٌ جَبْرْنَا فَبِيْرَهَا وَتَقَلُّنَا قَيْسٌ إِذَا النُّغْلُ زَلَّتِ^(٢٦)

قال أبو العباس:

أنشدنيها الرِّياشي، وأنشدني ما بعدها مما أمله إلى انقطاعه .

وقال الفرزدق يذكر ابني مِسْمَعٍ، وكان قد قتلها معاوية بن يزيد بن المهلب بعد قتل ابنه وكانا مروانيين وكان سائر بكر بن وائل مع يزيد بن المهلب، وكان (المتوفى) مولى بني قيس بن ثعلبة على شرطة يزيد فقتل لسبب عنده^(٢٧) مع يزيد فبكته بكر ابن وائل وهو مولى، وأعرضت عن ابني مِسْمَعٍ وهما صليبة. فقال الفرزدق: [الطويل]

تُبْكِي عَلَى الْمَتُوفِ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ وَتَنْهَى عَنِ ابْنِي مِسْمَعٍ مَنْ بَكَاهُمَا
غُلَامَانِ شَبَابًا فِي الْحُرُوبِ وَأَذْرَكَ كِرَامَ الْمَسَاعِي قَبْلَ وَصْلِ لِحَاهُمَا
وَلَوْ كَانَ حَيًّا مَالِكٌ وَابْنُ مَالِكٍ إِذَنْ أَوْقَدَا نَارَيْنِ يَغْلُو سَنَاهُمَا^(٢٨)

وقال الفرزدق أيضا يرثي ابنين له ماتا في مدة يسيرة:

[الطويل]

يَفِي الشَّامَتَيْنِ التُّرْبُ إِنْ كَانَ مَسْنَى رِزْيَةُ شَيْلَى مُخْدِرٍ فِي الضَّرَاغِمِ

(٢٤) سليمان بن قته منسوب إلى أمه ولد بالبصرة، وكان شاعرا تشيع لآل البيت وهو من بني عدى وفي أبياته هذه رثاء للحسين ومن قتل معه بالطف توفي حوالي عام ٢٠ هـ .

(٢٥) الطف: أرض من ضاحية الكوفة، وفيها كان مقتل الحسين رضي الله عنه .

(٢٦) ديوان الحماسة: ١ - ٣٩٩ غير مرتبة مع اختلاف في بعض الألفاظ

(٢٧) لسبب عنده: من ل أي لصلة به .

(٢٨) الديوان: ٧٦٢

وَمَا أَحَدٌ كَانَ الْمَنَابِا وَرَاءَهُ
أَرَى كُلَّ حَى لَا تَزَالُ طَلِيعَةً
يَذْكُرْنِي ابْنِي السَّمَاكَانَ مَوْهِنَا
وَقَدْ رُزِيءَ الْأَقْوَامُ قَلِي بَيْنَهُمْ
وَمَاتَ أَبِي وَالْمُنْدِرَانَ كِلَاهُمَا
وَقَدْ كَانَ مَاتَ الْأَقْرَعَانَ وَحَاجِبٍ
وَقَدْ مَاتَ بِنْتَاطُمُ بْنُ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ
وَقَدْ مَاتَ خَيْرَاهُمْ فَلَمْ يُهْلِكَاهُمْ
فَمَا أَبْنَاكَ إِلَّا مِنْ بَنِي النَّاسِ فَاصْبِرِي
ويقال: حنين.

وماتت امرأة له أيضا وبها حنل، فقال:
وَجَفَنَ سِلَاحٌ قَدْ رَزْتُكَ فَلَمْ أَنْحِ
وَفِي جَوْفِهِ مِنْ دَارِمٍ ذُو حَفِيطَةٍ
[الطويل]

عَلَيْهِ وَلَمْ أَبْعَثْ عَلَيْهِ الْبَوَاكِيَا
لَوْ أَنَّ الْمَنَابِا أَرْجَأَتْهُ لِيَايَا (٣٠)
وقال بعض الشعراء يعزى رجلا عن ابنته:

اصْبِرِي لِكُلِّ مُعِيبَةٍ وَتَجَلَّدِي
وَإِذَا ذَكَرْتُ مُحَمَّدًا وَمُصَابَةَ
وَاعْلَمِي بِأَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مُخَلَّدِي
فَأَذْكُرُ مُصَابَكَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدِي
[الكامل]

وقال الحكمي (٣١) وأحسن جدا:
طَوَى الْمَوْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ مُحَمَّدِي
لَنْ أَوْحِشْتَ مِمَّنْ أَحِبُّ مَنَازِلِي
وَلَيْسَ لِمَا تَطْوِي الْمَيَّةَ نَاشِرِي
لَقَدْ أُنْسِتُ مِمَّنْ أَحِبُّ الْمَقَابِرِي
فَلَمْ يَتَّقِ لِي شَيْءٌ عَلَيْهِ أَحَادِرِي (٣٢)

وقال الحكمي يطلق على أبي نواس الشاعر المشهور .
[الطويل]

(٢٩) الديوان : ٧٦٤ . مع اختلاف في بعض الألفاظ .

(٣٠) الديوان : ٨٩٤ . مع اختلاف في بعض الكلمات .

(٣١) الحكمي يطلق على أبي نواس الشاعر المشهور .

(٣٢) الأبيات من قصيدة لأبي نواس يرثي بها المأمون راجع الديوان : ٢٩٩

وهذا يشبه قول التيمي في يزيد بن مزيّد^(٣٣) [الوافر]
لَقَدْ عَزَى رَيْعَةً أَنْ يُؤْمَا عَلَيْهَا مِثْلَ يَوْمِكَ لَا يَمُودُ

وقال حارثة بن بدر الغداني يريّ زياد بن أبيه: [البيسط]
صَلَى إِلَهَ عَلَى قَبْرِ وَطَهَّرَهُ عِنْدَ الثَّوْبَةِ يَسْفِي قَوْقَهُ الْمَوْرُ
رَفَثَ إِلَيْهِ قَرْنِشٌ نَعَشَ سَيْدَهَا فَالْجُودُ وَالْحَزْمُ فِيهِ الْيَوْمَ مَقْبُورُ
أَبَا الْمُغِيرَةَ وَالذُّنْيَا مُفَجَّعَةٌ وَإِنَّ مَنْ غَرَّتِ الدُّنْيَا لَمَغْرُورُ
قَدْ كَانَ عِنْدَكَ لِلْمَعْرُوفِ مَعْرِفَةٌ وَكَانَ عِنْدَكَ لِلنُّكْرَاءِ تَشْكِيرُ
وَكُنْتَ تُغْشَى وَتُعْطَى الْمَالَ مِنْ سِعَةٍ إِنْ كَانَ بَابُكَ أَرْضَى وَهُوَ مَهْجُورُ
فَالنَّاسُ بِعَدِّكَ قَدْ حَفَّتْ حُلُومُهُمْ كَأَمَّا تَفَعَّتْ فِيهَا الْأَعَاصِرُ^(٣٤)

وقال حُلَيْدٌ^(٣٥) عَمِيْنٌ يَرِيّ الْمُنْدَرَ بْنِ الْجَارُودِ الْعَبْدِيِّ^(٣٦)، وكانت بَحْرِيَّةُ بنت
المنذر تحت عبيد الله بن زياد، ومات المنذر بالسُّنْدِ في موضع يقال له: قُصْدَارُ^(٣٧).

[السرغ]

بَحْرِيٌّ قَوْمِي فَأَلْدَبِي مُنْدِرًا وَابِكِي ابْنَ بَشْرِ سَيِّدِ الْوَأْفِدِينَ
وَابِكِي أَبَا الْأَشْعَثِ لَمَّا نَوَى بِالْهِنْدِ لَمْ يَقْفُلْ مَعَ الْقَافِلِينَ
جَاوَزَ قُصْدَارَ وَأَكْأَفَهَا نَسْفِي عَلَيْهِ الرِّيْحُ مَوْرَ الدَّرِينِ
فِي جَدَثٍ عَافٍ بِمَهْجُورَةٍ نَاءٍ عَنِ الزُّوَارِ وَالْعَائِدِينَ
فَأَصْبَحَ الْمَجْدُ بِهَا ثَاوِيَا يَنْ صَفَا صُمٌّ وَصَخْرَ رَزِينِ
لِلَّهِ قُصْدَارَ وَأَكْأَفَهَا أَيْ قَسَى ذُلِيَا أَجْنَتْ وَدِينِ
قَدْ عَلِمْتَ نَفْسِي فَمَا أَمْتَرِي حَقًّا سِوَى الظَّنِّ وَقَوْلِ الْيَقِينِ

(٣٣) يزيد بن مزيّد بن زائدة الشيباني ولي أرمينية وأذربيجان كان كريما شجاعا توفي سنة ١٨٥ هـ . الأعلام : ٩ - ٢٤٤ .

(٣٤) الأبيات في الكامل للمبرد : ٢٧٢ . المور : التراب . الدارين : مكان بالبحرين يجلب إليه المسك من الهند .

(٣٥) اسمه خالد لكنه اشتهر باسمه مصغرا وهو من قرية بالبحرين تعرف بعينين كان يهاجى جريرا ، وهو من عبد القيس ...

(٣٦) ولاء عليّ ثم عزله ، وولاه عبيد الله بن زياد ثغر الهند توفي ٦١ هـ (انظر الأعلام : ٨ - ٢٢٦)

(٣٧) قُصْدَارُ أو قُذْدَارُ من نواحي السُّنْدِ . معجم البلدان (حرف القاف)

مَا الْحَيُّ وَالْمَيِّتُ فِيمَا نَرَى مِنْ حَدَثِ الدَّفْرِ وَرَبِّ الْمُنُونِ
إِلَّا كَفَادَ رَاحِ أَصْحَابِهِ أَوْرَاحٍ فِي أَثَرِ الْمُتَعَدِّينِ
مَاتَ بِهَا الْجُودُ وَأُزْدَى التُّدَى وَانْقَطَعَ الْخَيْرُ عَنِ السَّائِلِينَ

وقال جرير يروى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : [البيسط]
نَمَى الثُّغَاةَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَسَا يَاخِيَرَ مَنْ حَجَّ تَيْتَ اللَّهِ وَاعْتَمَرَ
حُمَلْتَ أَمْرًا عَظِيمًا فَاصْطَبْرْتَ لَهُ وَقُمْتَ فِيهِمْ بِأَمْرِ اللَّهِ يَا عُمَرَ
فَالشُّنْشُ طَالِعَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ نَجُومَ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَ (٣٨)

وقال بكير بن معدان اليربوعي يروى يحيى بن مَبَشَّرُ ، وكان قد قُتِلَ بِمَسْكِنِ (٣٩)
مع مصعب بن الزبير : [السريع]
صَلَّى عَلَيَّ يَخِي وَأَشْيَاعِهِ رَبَّ غَفُورٍ وَشَفِيعٍ مُطَاعٍ
لَمَّا عَصَى الْمُضْعَبَ أَصْحَابَهُ أَدَى إِلَيْهِ الْكَيْلَ صَاعًا بِصَاعٍ
أُمَّ عَيْدِ اللَّهِ مَخْزُونَةً مَا تَزُومُهَا بَعْدَكَ إِلَّا الرُّوَاغُ
يَا فَارِسًا مَا أَنْتَ مِنْ فَارِسٍ مُوْطَأُ الْبَنَاتِ رَحِيبِ الدَّرَاغِ
قَوْلٍ مَعْرُوفٍ وَفَعَالٍ لَمْ يَخْرُجْ الْأَضْيَافُ مِنْ بَيْتِهِ
مَنْ يَكُ لَأَسَاءَ فَقَدْ سَاءَ نَسِي تَرْكُ أَنْيَسِي إِلَى غَيْرِ رَاغٍ (٤٠)

وحدثنا بعض جلساء القَحْذَمِيِّ ، وذكر امرأة من الأعراب فقال : كان لها أربعة
بنين ، وكان يمر بها إخوة أربعة غادون لشأنهم ، وكانت تأنس بهم لمشاكلتهم بنيتها في
العدد والأسنان ، ثم أصيب بنوها الأربعة إما بطاعون وإما بشبهه واجتنبها الإخوة الأربعة

(٣٨) الكامل : ٦٥٢ .

(٣٩) مسكن : موضوع عند دير الجاثليق قتل به مصعب بن الزبير .

(٤٠) المفضليات القصيدة : ٩٢ .

إبقاء عليها من الحزن إذا رأتهم ، ثم عزموا عزيمةً على المرور بها مرحًا وبغياً .

فلما رأتهم ذرفت عيناها وتمثلت : [الكامل]

لَنْ يُلْبِثَ الْقَرْنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا لَيْلٌ يَكُرُّ عَلَيْهِمْ وَنَهَارٌ^(٤١)

فاعتل أحدهم فمات ، فغير الثلاثة لا يقربونها ، ثم فعلوا فلما رأتهم تمثلت : [السريع]

كُلُّ يَتِيٍّ أُمَّ وَإِنْ أَكْثَرَتْ يَوْمًا يَصِيرُونَ إِلَيَّ وَاحِدٍ

فلم يلبث واحد منهم أن مات ، وعبر الاثنان لا يقربانها ، ثم اجتازا بها على نحو ما فعلوا من المرح والدالة . فلما رأتهما قالت : [الوافر]

وَكُلُّ أَخٍ مُفَارِقُهُ أَحْوَهُ لَعَمْرُ أَبِيكَ إِلَّا الْفَرَقْدَانِ^(٤٢)

فمات أحدهما فأجتنبتا الباقي دهرا ، ثم مرَّ بها فتمثلت : [السريع]

وَالوَاحِدُ الْفَرْدُ كَمَنْ قَدْ مَضَى لَيْسَ بِمَشْرُوكٍ وَلَا خَالِدٍ

فقال :

أقبليني^(٤٣) جعلني الله فداك ، فإني والله غير عائد .

وقال أبو العباس :

[وأيضاً]^(٤٤) هذان بيتان قديمان لا يعرف قائلهما . ويروى أن أبا بكر الصديق

رضي الله عنه كان ينشدهما ، فبعض الناس يقول : هُمَالَهُ [مجزوء الكامل]

تَنَفَّكَ تَسْمَعُ مَا حَيٍّ مَتَّ بِهَالِكٍ حَتَّى تُكُونَنَّ

وَالْمَرْءُ قَدْ يَزْجُو الرَّجَاءَ مُعَيَّيَا وَالْمَوْتُ ذُونَنَّ

(٤١) البيت من قصيدة لجرير يرثي بها امرأته الكامل : ١١٩٧ . الديوان : ٢٣٩

(٤٢) البيت لعمر بن معدى كرب . الكامل : ١٢٤

(٤٣) التصحيح من الرسالة

(٤٤) أبو العباس والوافر من ل . وما بين القوسين من المحقق للتوضيح .

وقال وضاح اليمى: (٤٥)
يَا مَرُوثَ مَا إِنْ نَزَّالٌ مُعْتَرِضًا لَأَمِلَ دُونَ مُتَّهَى الْأَمَلِ
لَوْ كَانَ مَنْ فَرَّ مِنْكَ مُتَّفَلِّيًا إِذَنْ لَأَوْشَكْتُ رِخْلَةَ الْجَمَلِ

وقال معن بن أوس المزنى: (٤٦)
[الطويل]
أَلَمْ تَعْلَمِي عَمْرًا وَسُقْيَانَ بَعْدَهُ وَضَمْرَةَ أَمْسَى فَائِسَى وَمُسَافِعُ
أَوْلِيكَ لَا أَتْنُ كَانُوا فَوَارِسَى بِهِمْ كُنْتُ أَسْتَخْشَى الْعِدَا وَأَدَافِعُ
فَأَصْبَحْتُ أَرْقَى الشَّامِتِينَ رُقَاهُمْ لِيَرْبُوَ طِفْلٌ أَوْ لِيَجْبَرَ ظَالِعُ
وَصَانَعْتُ فِي أَشْيَاءَ لَوْ أَنَّهُمْ مَعِيَ لَبَاعَدْتُ حَتَّى تَسْتَفِيدَ التَّوَابِعُ

قال: وحدثني الرياشي في إسناد قال:

أنشد عروة بن الزبير قوله: (بهم كئنت أستخشي العدا وأدافع) فقال عروة:
فهلا قال:

(وبالله استخشي العدا وأدافع) ولا ينكسر شعره.

قال الرياشي:

وأنشد عبد الله بن عمر قول حسان بن ثابت:
[المنسرح]
يَأْبَى لِي السِّيفُ وَاللِّسَانُ وَقَوُّ مُمْ لَمْ يُضَامُوا كَلْبِدَةَ الْأَسَدِ (٤٧)
فقال:

هَلَّا قَالَ: (يَأْبَى لِي اللَّهُ). وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

(٤٥) اسمه عبد الرحمن بن اسماعيل أصله من اليمن اشتهر بالغزل والمغامرة وتهجمه على الحرمات وشعره في جميع الأغراض. قتل في إحدى مغامراته حوالي سنة ٩٠ هـ. (انظر تاريخ الأدب العربي لعمرو فروخ: ١ - ٥٢٣ - ٥٣٥)

(٤٦) هو معن بن أوس بن نصير ولد في الجاهلية ثم أسلم ووفد على عمر بن الخطاب واستقر في المدينة. كان ذامال وشجر وكان يتكسب بالشعر توفي سنة ٦٤ هـ (انظر تاريخ الأدب العربي لعمرو فروخ: ١ - ٤١٨).

(٤٧) ديوان حسان بن ثابت: ٦٧

وقال محمد بن حرب الهلالي :
أتى حَيَّانُ بن سلمى العامري قَبْرَ عامر بن الطَّفِيلِ ولم يكن شهده فقال :
أَلَيْعَمَ صباحًا أبا علي ، والله لقد كنت سريعا إلى المولى بوعدك ، بطيئا عنه
بإيماذك ، ولقد كنت أهدى من النجم ، وأجرا من السيل . ثم التفت إليهم فقال :
كان ينبغي أن يُصَيِّرُوا قبر أبي علي ميلا في ميل .

وقال محمد بن علي المنسوب إلى أمه الحنفية^(٤٨) :
أيها الناس ، إنكم في هذه الدار أعراضٌ تَنْتَضِلُ^(٤٩) فيكم المنايا ، لن يستقبل
أحد منكم يوما جديدا من عمره إلا بآخرٍ من أجله ، فأيةُ أكلةٍ ليس معها غَصَصٌ ،
أو آيةُ شربةٍ ليس معها شَرَقٌ ؟ فاستصلحوا ما تُقَدِّمُونَ عليه بما تَظَعُنُونَ عنه ، فإنَّ
اليوم غنيمةٌ وغدا لا يدري لمن هو . أهل الدنيا أهل سَفَرٍ / يَحُلُونَ عقد رحالهم
في غيرها ، قد حَلَّتْ مِنْ قبلنا أصول نحن فروعها ، فما بقاء الفرع بعد أصله ؟ أين
الذين كانوا أطول منا أعمارا وأبعد منا آمالا ؟ أذاك يا ابن آدم ما لا تردُّه ، وذهب
عنك ما لا يعود إليك . فلا تُعَدِّنْ عيشًا منصرفًا عيشا مالك منه إلا لذة تُزْدِلِفُ بك
إلى حِمَامِك ، وتقرِّبك من أجلك ، فكأنك قد صرت الحبيب المفقود والسَّوادِ
المُحْتَرَمِ . فعليك بذات نفسك ، ودع ما سواها ، واستعن بالله يُعْنِكَ .

ومما يُستحسن من قول مُتَمِّمِ بن نُؤَيْرَةَ الدالِّ على صحة عقله ، وتمكُّن الحزن
من قلبه ، وقلة نسيانه أخاه ، أنه لا يمر بقبر ولا يُذَكِّرُ الموت بحضرته إلا قال :
(يا مالك) ثم فاضت عبرته ، ففي ذلك يقول :
[الطويل]

(٤٨) أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية . أمه الحنفية بنت جعفر بن
قيس ولد سنة ٢١ هـ : أخو الحسن والحسين لأبيهما . كان كثير العلم والورع ، شديد القوة ،
خطيبا توفي سنة ٨١ هـ (انظر وفيات الأعيان : ٣ - ١٦٩ - ١٧٤) .
(٤٩) الانتضال : التسابق ومنه تنتضل : تتسابق أو تختار من قولهم : انتضل منهم رجلا : أى
اختاره . المعجم الوسيط : ٢ - ٩٢٧ .

وَقَالُوا أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرِ رَأَيْتَهُ لِقَبْرِ تَوَى بَيْنَ اللَّوَى وَالذَّكَادِكِ
فَقُلْتُ لَهُمْ إِنَّ الْأَسَى يَتَعَثُّ الْبَكَاءُ ذُرْوَى فَهَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكٍ (٥٠)

ومن هذه المختصرات قول هشام بن عتبة (٥١) ، أخى ذى الرمة ، وكان له إخوة
جماعة فمات أكبرهم ، وكان يقال له :
أوفى .

ثم مات ذو الرمة ، وكان يقال له : «غيلان» .

فقال هشام :
[الطويل]
تَسَلَّيْتُ عَنْ أَوْفَى بِغَيْلَانَ بَعْدَهُ عَزَاءً وَجَفَنُ الْعَيْنِ بِالْمَاءِ مَشْرَعُ
وَلَمْ تُسِنِّي أَوْفَى الْمُصِيبَاتِ بَعْدَهُ وَلَكِنْ نَكَءَ الْقَرْحِ بِالْقَرْحِ أَوْجَعُ (٥٢)

فاختصر هذا اختصاراً يوفر على كل واحد منهما نصيبه من الحزن .

(٥٠) ديوان الحماسة : ١ - ٣٣١ . وثالث الأبيات وهو أولها .

لقد لامنى عند القبور على البكا رقيقى لتذراف الدموع السؤافك
(٥١) هشام بن عتبة العدوى واحد من ثلاثة اخوة لذى الرمة أوفى وهشام ومسعود توفى نحو
١٢٠ هـ . (أنظر هامش الحماسة : ١ - ٣٢٨)

(٥٢) ديوان الحماسة : ١ - ٣٢٩ .

هذان البيتان مختاران من خمسة ابيات . ورد تعريت بدل تسليت . وملاق بدل بالماء ومعنى النكء :
قشرة القرحة قبل أن تبرأ . القرح : الجرح . أوجع : أشد وجعا .

[أخبار الخنساء الشاعرة]

ويروى من غير وجه أن حسان بن ثابت دخل على الثابتة الدياتي فتلقت الخنساء خارجة من عنده فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

[الكامل]

أَوْلَادُ جَفَنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ
يُبْعَثُونَ حَتَّى مَاتَهُرُ كِلَابِهِمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ^(١)

فقال :

إنك لشاعر وإن أخت بني سليم لكاءة

قال أبو العباس :

فما قدمناه من شعرها واستحسنه من تخلصها قولها :

[المقارب]

أَعْيَسَى جُودًا وَلَا تَجْمُودًا أَلَا تَبْكِيَانِ لِصَخْرِ النَّدَى ؟
أَلَا تَبْكِيَانِ الْجَرَىءِ الْجَمِيلِ أَلَا تَبْكِيَانِ الْفَتَى السَّيِّدَا ؟

فجعلته ساد حدثًا ووكّدت ذلك وزادت فيه وأوضحته بأن قالت :

طَوِيلَ الْعِمَادِ عَظِيمَ الرَّمَى دِسَادَ عَشِيرَتِهِ أَمْرَدَا^(٢)
إِذَا الْقَوْمُ مَدُّوا بِأَيْدِيهِمْ إِلَى الْمَجْدِ مَدًّا إِلَيْهِ يَدَا
قَالَ الْبَدِي فَوْقَ أَيْدِيهِمْ مِنَ الْمَجْدِ ثُمَّ نَمَا مُصْعِدَا
يُكَلِّفُهُ الْقَوْمُ مَا غَالَهُمْ وَإِنْ كَانَ أَضْعَرُهُمْ مَوْلِدَا
تَرَى الْمَجْدَ يَهْوَى إِلَى يَتِيهِ يَرَى أَفْضَلَ الزَّادِ أَنْ يُخَمِدَا^(٣)

فقرنت له المجد بالحمد .

ويقال :

(١) ديوان حسان : ١٧٩ . دار الصادر بيروت .

(٢) العماد : يقال رجل معمد أى طويل . ومنه قوله : إرم فى قوله (إرم ذات العماد) أى ذات

القدود الطوال ذات البناء الرفيع . الديوان . عظيم الرماد : كناية عن الكرم .

(٣) الديوان : ١٥ ، ١٦ .

بل صح أنه كان من دعاء سعد بن عبادة - وهو سيد الخزرج^(٤) :
(اللهم ارزقني مجداً وحمداً فإنه لا مجد إلا بمال ولا حمد إلا بفعل)

* * *

وكان سبب ميته صخر أخيها أنه شهد حرباً فأبلى فيها وتقدم ، فحمل عليه رجل من القوم فطعنه في خاصرته ، فتحامل بالجراحة فَجَوِيَ منها ، ولم يُفصد^(٥) فخرج منها كمثل اليد ، وأضنته حَوْلًا أو حولين لا يتبعثُ ، فسمع من يسأل امرأته عن علته ، وأين بلغت منه ، فقالت امرأته قولاً يدل على البرم به ، والمَلَل لصحبته : (لا حِي فِيرَجِي ولا مِيثُ فَيُحْتَسَبُ) ، والتفت إلى أمه فإذا دموعها تجري ، فقال : [الطويل]
أَرَى أُمَّ صَخْرٍ مَا تَجِفُّ دُمُوعَهَا وَمَلَّتْ سَلِيمِي فَضَجَمِي وَمَكَانِي
وَمَا كُنْتُ أَحْشَى أَنْ أَكُونَ جَنَازَةً عَلَيْكَ وَمَنْ يَلْقُرُ بِالْحَدَثَانِ
فَأَيُّ امْرِئٍ سَاوَى بَأَمِّ حَلِيلَةٍ فَلَا عَاشَ إِلَّا فِي شَقَا وَهَوَانِ
لَعَمْرِي لَقَدْ تَبَّهْتُ مَنْ كَانَ نَائِمًا وَاسْمَعْتُ مَنْ كَانَتْ لَهُ أَدْنَانِ
أَهْمُ بِأَمْرِ الْحَزْمِ لَوْ اسْتَطِيعَهُ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْغَيْرِ وَالشَّرَوَانِ^(٦)

فلما رأى ذلك برم بتلك الخراجة من جنبه ، فأشاروا بقطعها ففعل ، فلما قطعها

يخس من نفسه ففى ذلك يقول : [الطويل]

أَجَارَتْنَا إِنْ الْمَنُونُ قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ كُلِّ الْمُخْطِئِينَ تُصِيبُ
كَأَنِّي وَقَدْ أَدْنَوْنَا إِلَى شِفَارِهِمْ مِنَ الْبُرْلِ أَحْوَى الصَّفْحَتَيْنِ نَكِيبُ
أَجَارَتْنَا لَا تُسْأَلِينِي فَأُنْسِي مُقِيمٌ لَعَمْرِي مَا أَقَامَ عَسِيبُ^(٧)

قال أبو عبيدة :

(وعسيب) : جبل معروف ، فقبوره هناك معروف المكان . وقوله : (من البرل) :

(٤) أبو ثابت سعد بن عبادة صحابي جليل ، من أشرف الخزرج أهل المدينة نال صحبة الرسول عندما دخل المدينة . توفي سنة ١٤هـ .

(٥) جوى : نتن . يفصد : يشق الجرح .

(٦) الخبر والأبيات في الكامل : ١٢٢٥ . وانظر الديوان : ٢٠ .

(٧) الكامل : ١٢٢٥ . والديوان : ٢١ مع اختلاف في بعض الألفاظ .

بعضى : كأنى بعير قرم من الإبل قد كوى لئاء به ، فقول : أحلت ذلك الخل لقطع ذلك اللحم وكبه ، وجطه أحوى الصفحين ، وهما العقبان لتتابع الهاء عليه ضمًا به (والتكيب) و(الأنكب) واحد ، وهو الحامل ، وذلك مما يوصف به الفحل أنه يعمل نشاطًا وتكبرًا .

وكانت الخنساء تقول الأبيات اليسرة ، حتى أصيبت بأخيا صخر فجدت وأجدت ، وجمعت نفسها وشهرت . فما يستحسن من شعرها قولها فى قصيدة أولها :

يَا عَيْنُ جُودِي بِدَفْعِ فِنْكَ نَضْرَارٍ وَأَنْهَى لِصَخْرٍ بِدَفْعِ فِنْكَ بِلْرَارٍ
وقولها :

إِنِّى أَرَقْتُ فَيْثُ اللَّيْلِ سَاهِرَةً كَأَنَّمَا كُحِصْتُ غَيْبِي بِعُورٍ^(٨)
والعُورُ والعائر سَوَاءٌ ، وهو المُسْتَأْجِدُ ، اشدُّ الرمدِ وأغلبه ،
قال القائل :

بِأَعْيُنٍ لَمْ يُعْبَأَ عَائِرُ الرَّمْدِ

وكا قال الراعى^(٩) :

تَرْمِي الثُّيُوبَ بِغَيْبِهِ وَمَطْرَفُهُ
أَرْغَى النُّجُومَ وَمَا كَلَّفَتْ رَغْبَتَهَا
إِنِّى سَمِعْتُ فَلَمْ أَنْهَجْ بِهِ خَبْرًا
فَأَلَوْا : ابْنُ أُمِّكَ أَمْسَى لى الضَّرْحِ وَقَدْ
أَذْعَبَ فَلَا يَبْعُدُكَ اللهُ مِنْ رَجُلٍ
قَدْ كُنْتُ نَحْمِلُ قَلْبًا غَيْرَ مُؤْتَشِبِ
الحُورُ = الضعيف

(٨) فى البيت الثانى : العوار والعائر : القذى . ومنه يقال : رجل عوار إذا كان ضعيفًا .
(٩) أبو جندب عبيد بن الحصين ولقب بالراعى لكثرة وصفه للإبل عاصر جريرًا ونفرزدق وكان شاعرًا فحلًا . توفى سنة ٩٠ هـ . (أنظر تاريخ الأدب لفروخ : ٢ - ٥٢٥) .

قال : حدثني رجل من بني هاشم عن سعيد بن سلم الباهلي^(١) قال : كنت مع أمير المؤمنين هارون الرشيد في سفر ، فسأل عما حمل معه من الثلج ، فاستقل ما ذكر له فاغتاظ واحتد ، فتركته حتى سكن غرُّه ثم قلت :

يا أمير المؤمنين ، إني أقول كلامًا والله ما أريد به ملقا ولا تنبيها على نفسي ، لأنني فطنت إلى ما لم يَفْطَنَ إليه مَنْ سِوَايَ ، وما أقول إلا بالنصيحة المحضنة .
فقال :

هات فقلت :

يا أمير المؤمنين ، إنك قسمت الدهر شطرين ، شطرًا للحج وشرطًا للغزو ، والمسافر يردُّ على ضروب من المياه ، وسُفرك أكثر من حضرك ، فلو أن أمير المؤمنين عود نفسه الخشونة شيئا فمتى احتاج إليها لم تُنكرها النفس لتلك العادة .
قال :

فأطرق ثم قال :

ياسعيد ، بِنُصَحِ قَلْتِ ، ولكنا نلبسُ العافية ما لبسنا ، فإن اضطررنا رجعنا إلى أصل غير حوَّار .

رجع الشعر :

مِثْلُ السَّيْفِ كَهَيِّئِ الْبَدْرِ صَوْرَتُهُ	جَلْدُ الْعَرَبِيَّةِ حُرٌّ وَابْنُ أَحْرَارِ
فَسَوْفَ أَبْكِيكَ مَا نَاحَتْ مَطْوَفَةٌ	وَمَا أَضَاءَتْ لُجُومَ اللَّيْلِ لِلْسَّارِ
وَلَنْ أَسْأَلِمَ قَوْمًا كُنْتَ حَرْبَهُمْ	حَتَّى تَعُودَ بِيَاضًا حُلُكُهُ الْقَارِ
أَبْلَغَ حَقَافًا وَعَوْفًا غَيْرَ نَقْصِرَةٍ	عَمِيدَ قَوْمٍ نِدَاءَ غَيْرِ أَسْرَارِ
وَالْحَرْبُ قَدْ سَعَرَتْ حَرْبًا مُذَكَّرَةً	شَهَاءَ تَفْرَى بِأَيْتَابِ وَأَظْفَارِ
شُدُّوا الْمَازِرَ حَتَّى تَسْتَقِيدَ لَكُمْ	وَشَمَّرُوا إِلَيْهَا أَيَّامَ تَشْمَارِ
وَأَبْكُوا قَتَى الْحَيِّ لِأَقْبَى مَنِيَّتِهِ	وَكُلُّ نَفْسٍ إِلَى وَقْتٍ وَمِقْدَارِ
كَأَنَّهُمْ يَوْمَ رَأَوْهُ بِجَمْعِهِمْ	رَأَوْهُ الشَّكِيمَةَ مِنْ ذِي لِبْدَةٍ ضَارِ

(١) سعيد بن مسلم بن قتيبة الباهلي من بيت رئاسة وجاه عاش إلى زمن المأمون . (انظر تاريخ

والشكيمة : شدة النفس وصحة العزيمة . والشكيمة : الحديدة المترضة في اللجام .
حَتَّى تَفْرَجَتِ الْآلَافُ عَنْ رَجُلٍ مُجَدَّلٍ مَحْرُورًا غَيْرَ مُخْتَارٍ
تَجِيئُ مِنْهُ لَوْنِي الْقُدَى مُزْبَدَةٌ بِعَانِدٍ مِنْ نَجِيعِ الْجَوْكِ نُورٍ^(١١)
لَوْ مِنْكُمْ كَانَ لَنَا لَمْ يَتَلَّ أَبَدًا حَتَّى تَلْقُوا أُمُورًا ذَاتَ آثَارٍ
أَغْنَى الدِّينَ إِلَيْهِمْ كَانَ مَنزَلُهُ هَلْ تَعْرِفُونَ دِقَامَ الضَّيْفِ وَالنَّجَارِ؟

تُعَابِثُ خُفَافٍ مِنْ نُذْبَةٍ وَعَوْفًا لِأَنَّهَا هَرَبًا عَنْهُ وَهَمًّا مِنَ الْفُرْسَانِ الْمُعْتَدِينَ وَكَانَ
خُفَافٌ مِنْ غُرَبَانِ الْعَرَبِ ، وَأَدْرَكَ الْإِسْلَامَ فَاسْلَمَ ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ .
لَا صَلَاحَ حَتَّى تُكْفَرُوا الْخَيْلَ غَائِبَةً تَغْدُوا وَتَرْمِي بِمُهْرَاتٍ وَأَنْهَارٍ
فَتَسْلُبُوا عَنْكُمْ عَارًا تَجَلَّلَكُمْ غَسَلُ الْجَوَارِي عَيْضًا عِنْدَ أَطْهَارٍ^(١٢)
قال : هذا مثل .

وقالت أيضا ترى صخرًا : [المقارب]
أَلَا مَا يَعْنِيكَ أَمْ مَالُهَا لَقَدْ أَحْضَلَّ الدَّمْعُ سِرْبَالَهَا
فَأَقْسَمْتُ أَسَى عَلَى مَالِكَ وَأَسْأَلُ تَائِبَةً مَالَهَا
أَبْعَدُ ابْنِ عَمْرٍو وَبِنِ آلِ الشَّرِبِ مَدَّ حَلَّتْ بِهِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا
معنى حَلَّتْ بِهِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا : من الجَلِيَّةِ : أَى زَيْنَتْ بِهِ أَثْقَالَهَا ، تعنى الموتى .
من ذلك قول الله تبارك وتعالى :

﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾^(١٣) قالوا : يعنى الموتى .
لَقَمَرُ أَيُّهُ لَيْسَمُ الْقَلْبَى كَعُشُّ بِهِ الْحَرْبِ أَجْدَالُهَا
أى توقد به الحرب أجذالها . والجذال : أصل الشجرة فضربه مثلا لشدة الانتقاد ،
وأنه صاحب ذاك .

(١١) المزبدة : الطعنة التي يرى على الأرض زبدها من شدة فورها ، ودم عاند : يسيل جانباً .

(١٢) الديوان : ٣٣ - ٣٥ وورد في الكتاب معظم أبيات القصيدة مع اختلاف في بعض الألفاظ

(١٣) الزلزلة : ٢ .

حَدِيدُ السَّنَانِ ذَلِيْقُ اللِّسَانِ يُجَارِي المَقَارِيضَ أَمْثَالَهَا
وَحَيْلُ تَكْدُسُ مَشَى الوُعُو لَ نَازَلَتْ بِالسَّيْفِ أَبْطَالَهَا
بِمُعْتَرِكِ يَتَّهَمُ ضَيْقِي مَجْرُ المَيْتَةِ أَذْبَالَهَا
تُقَابِلُهَا فَإِذَا أَذْبَرَتْ بَلَّكَ مِنَ الطَّنَنِ أَكْفَالَهَا

الأكفال : واحدها كِفْلٌ ، وهو الرِّدْف من الرجل والمرأة .

لُهَيْنُ التُّفُوسِ وَهَوْنُ التُّفُوسِ غَدَاةُ الكَرِيهَةِ أَوْقَى لَهَا

ويروى عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال : (رب ميتة سببها طلب الحياة ،

وحياة سببها التعرض للموت .

وَرَجْرَاحِيَةٌ قَوْفَهَا بَيْضُهَا عَلَيْهَا المُضَاعَفُ زَقَا لَهَا

معنى قولها : (زَقَاها) أى جئنا نَمْشِي إليها هَوْنَا ، أو على دوابنا .

كَكِرْفَةِ الغَمِيثِ ذَاتِ الصَّبِيرِ تَرْمِي السَّحَابَ وَيَرْمَى لَهَا

الكرففة : واحدة الكرفاء وهو تكائف الغيم واسوداده .

قال : وحدثنا المازني بإسنادٍ آخِرُهُ رُوِيَةٌ بن العجاج قال : خرجت مع أبي نريد

الوليد بن عبد الملك ، فأهدى لنا جَنْبٌ من لحمٍ عليه كرفاء الشحمِ ووطب من لبن ،

فطبخنا هذا بهذا ، فما زالت ذِقْرِيَايَ تنتحانِ منه حتى رَجَعْنَا . وإنما شَبَّهه لكثرة

الشحم ، وركوب بعضه بعضا بكرففة الغيم .

وَذَاهِبِيَّةٍ جَرَّهَا جَارِمٌ ثِيْلُ الخَوَاصِرِ أَحْبَالَهَا

كَفَيْتَ ابْنَ عَمْرٍو وَلَمْ تُسَمِّنِ وَلَوْ كَانَ غَيْرُكَ أَذْنَى لَهَا

وَعَيْرَانِيَّةٍ كَأَنَّ التَّمِيْمَ لَ غَادَرَتْ بِالخَلِّ أَوْصَالَهَا

قولها : (وعَيْرَانِيَّة) تعنى : ناقةٌ مُشَبَّهَةٌ بِالْحِمَارِ الوحشى و(أتان التميل) صخرة تكون

في الحوض معروفة . و(التميل) بقية الماء . فتقول : هى صلبة كصلابة هذه الصخرة .

و(الخل) : الطريق في الرمل . فتقول : غادرتها هناك لشدة السير :

إِلَى مَلِكٍ لَا إِلَى سُوْقَةٍ وَذَلِكَ مَا كَانَ إِكْلَالَهَا

وَمُنْحَصَنَةٍ مِنْ بَنَاتِ المُلُوكِ لِكِ قَعَقَعَتْ بِالرَّمْحِ خَلْخَالَهَا

وَقَافِيَةٍ مِثْلِ حَدِّ السُّنَا
تَطَفَّتْ ابْنَ عَمَّرُو فَسَهَّتْهَا
فَإِنْ تَكُ مُرَّةٌ أَوْ دَثٌّ بِهِ
فَزَالَ الْكَوَاكِبُ مِنْ فَقْدِهِ
هَمَمْتُ بِنَفْسِي كُلَّ الْهُمُومِ
لَأُحْمِلَ نَفْسِي عَلَى آلِيَةٍ

ومما يؤثر ويُقتضى من قولها: [البيسط]

أَفْذَى بَعِينِكَ أُمُّ بِالْعَيْنِ عَوَّارُ
أَمْ أَوْحَشْتَ أَنْ عَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ^(١٥)

ويُنشده بعضهم :

قذى بعينك ، وهو أقوم للبيت ، وزيادة الألف في قولها : أفذى ؟ أبلغ . ولا ضرورة فيه ولكنه مخزوم [والمخزوم : زيادة أول البيت لا يعتد بها في التقطيع] .

تَبْكِي لِصَخْرٍ هِيَ الْعَمْرَى وَقَدْ تَكَلَّتْ
لَا بَدَّ مِنْ مَيْتَةٍ فِي صَرْفِهَا غَيْرَ
يَا صَخْرُ وَرَادَ مَاءٌ قَدْ تَنَادَرَهُ
وَأَهْلُ الْمِيَاهِ وَمَا فِي وَرْدِهِ عَارُ

وهذا بيت يُسأل عنه كيف تناذره أهل الماء ولا عار فيه . فالمعنى أنها تعنى الموت .
مَشَى السَّبْتِيُّ إِلَى هَيْجَاءٍ مُغْضِلَةٍ

يقال لكل جرىء الصدر : سبتدى وسبتتى

عَبَلُ الدَّرَاعِينَ قَدْ تُحْشَى بُوَادِرُهُ

فَمَا عَجُولٌ عَلَى بُوِّ تُطِيفُ بِهِ

تَرْفَعُ مَا غَفَلْتَ حَتَّى إِذَا ادَّكَّرْتُ

يَوْمًا بِأَوْجَعِ مَنَى حِينَ فَارَقْتَنِي

وَأَنَّ صَخْرًا لَوَالِيَنَا وَسَيِّدُنَا

وَأَنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُّ الْهُدَاةَ بِهِ

العلم هاهنا : الجبل ، وكذلك قال المفسرون في قول الله عز وجل ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ

الْمُنشآت فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾^(١٦) . ومنه قول جرير

[الرجز]

(١٤) الديوان : ٧٢ - ٧٧ أبيات مختارة مع تصرف في بعض الكلمات .

(١٥) في الديوان : قذى بعينك ، والشطر الثاني روى : أم أفقرت ، وأم ذرفت

(١٦) سورة الرحمن : ٢٤ .

إِذَا قَطَعْنَ عَلْمًا بَدَا عِلْمٌ فَهِنَّ بَخْنَا لِمَضَلَاتِ الْخَلْمِ^(١٧)
 طَلَّقَ الْيَدَيْنِ بِفِعْلِ الْخَيْرِ ذُو فَعْرِ ضَعُمُ الدَّسِيعَةِ فِي الْأَوَاءِ صَبَّارٌ
 مِثْلُ الرُّدَيْنِيِّ لَمْ تَنْقَدْ شَيْئُهُ كَأَنَّهُ نَحَتْ طَى الْبُرْدِ اسْتَوَارٌ
 لِيُنَكِّهَ مُفْتِرِ أَقْسَى حُلُوبَتَهُ دَفَّرَ وَحَالَفَهُ بُؤْسٌ وَاقْتَارٌ
 وَرَفَقَةٌ حَارَ هَادِيهِمْ بِمَهْلِكَةِ كَأَنَّ ظَلَمَتَهَا فِي الطُّغْيَةِ الْقَارِ
 لَمْ تَرَهُ جَارَةً يَمْشِي بِسَاحِهَا لِرِيَةٍ حِينَ يُغْلِي يَتَهُ الْجَارُ

فقولها :

(كأنه علم في رأسه نار) أحد ما قدمت به

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

أما رضييت أن تجعليه علماً حتى / جعلت في رأسه ناراً : ذاك رسول الله ﷺ يريد :
 البيان والدلالة .

وقال عمر في قول الخطيئة [الطويل]
 مَتَى تَأْتِيهِ تَغْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدُ عَجْرَ نَارٍ عِنْدَهَا عَجْرٌ مَوْقِدٌ
 كَذَبَ الْخَطِيئَةَ تِلْكَ نَارِ مُوسَى ﷺ . وهذا من نوادر الشعر^(١٨) .
 وقالت أيضا :

[الوافر]
 كَأَنَّ الْعَيْنَ خَالَطَهَا قَدَاهَا بِمُؤَارٍ فَمَا تَقْضَى كَرَاهَا
 عَلَى صَخْرٍ وَأَيُّ قَسَى كَصَخْرٍ إِذَا مَا الثَّابُّ لَمْ تَرَامِ طَلَاهَا

قولها :

(إذا ما الناب لم ترأم طلاها) : الطلا : الصغير من أولاد الوحش والنعم ، يقال ذلك
 في الآدميين ، وإنما تريد زمن الصر والبرد .

حَلَفْتُ بِرَبِّ صَهْبٍ مُغْمَلَاتٍ إِلَى الْبَيْتِ الْمُحْرَمِ مَتَّهَامَا
 لَمِنْ جِزْعَتْ بَنُو عَمْرٍو عَلَيْهِ لَقَدْ رُزِئْتُ بَنُو عَمْرٍو قَتَامَا
 قَسَى الْفِثْيَانِ مَا يُغْلَى مَدَاهُ وَلَا يُكْدَى إِذَا بَلَعَتْ كُدَاهَا

(١٧) تقدم البيت والتخرج

(١٨) القصيدة كاملة وهنا أبيات ممتازة منها ص : ٢٤ - ٢٨

(١٩) الخير بتامة في الأغاني : ٢ - ١٠٠

يقال :

أكدى : إذا أقل ، وأصل ذلك في البئر تحفر ، فإذا بلغ منها إلى حَجَرٍ أو كُدُنٍ^(٢٠) استصعب على الحافر . وقيل : قد بلغت كُدَيْتِهَا وجمعها : كُدَى فلا يخرج من التراب إلا اليسير ، فذلك قيل للذى يُعْطَى قليلاً أُكْدَى ، قال الله تعالى : ﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾^(٢١) فقالت :

إذا بلغ الجهد من الناس لم يكن عطاؤه قليلاً ولا نزرًا .

لَهُ كَفٌّ يَشِيدُ بِهَا وَكَفٌّ تَحْلُبُ مَا يَجْفُ ثَرَى نَدَاهَا
فَمَنْ لِلضَّيْفِ إِنْ هَبَتْ شَمَالَ مُزْغِرَةً يَجَاوِبُهَا صَبَاهَا
وَأَلْبَا بَرْدُهَا الْأَشْوَالَ جُدْبَا إِلَى الْحُجْرَاتِ بَارِزَةً كَلَاهَا^(٢٢)

يقول : لاشحم عليها .

هُنَالِكَ لَوْ نَزَلَتْ بِأَلِ صَخْرٍ قَرَى الْأَضْيَافِ شَخْمًا مِنْ ذَرَاهَا
هذا على مخاطبتين .

قالت :

(هُنَالِكَ لَوْ نَزَلَتْ) للذي تخاطبه ، ثم خبرته فقالت :

(قرى الأضياف) فتأويل هذا على ضريين :

أحدهما على حذف المفعول كأنها قالت :

لو نزلت به لرأيتَه يقرى الأضياف ، ويكون على أنها جعلته وغيره على مخاطبتين تتحول من إحداها إلى الأخرى كقوله عز وجل :

﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَبَ بِسَاحِلِهِمْ بِرِيحٍ طِبْئَةٍ﴾^(٢٣)

وكقول عنترة :

شَطَّتْ مَزَارَ الْعَاشِقِينَ فَأَصْبَحَتْ عَسْرًا عَلَى طِلَابِكِ ابْنَةَ مَحْرَمٍ^(٢٤)

ومثل هذا كثير جدا .

أَمْطَعِمَكُمُ وَحَامِلِكُمُ تَرَكْتُمُ لَدَى غَبْرَاءَ مَنَّهُمْ رَجَاهَا

(٢٠) الكُدَان : الأرض الغليظة أو الصلبة لا تعمل فيها الفأس : المعجم الوسيط : ٧٨٦ .

(٢١) سورة النجم : ٤٣

(٢٢) الديوان : ٨٦ ، ٨٧ آيات من قصيدة طويلة

(٢٣) سور يونس : ٢١

(٢٤) ديوان عنترة : حرف الميم

تَرَى الشُّمَطَ الْجَحَاجِحَ مِنْ سَلِيمٍ تَبْلُ ذَرَى مَدَامِهَا لُحَامَهَا
لَيْبِكَ الْغَيْرَ صَخْرًا مِنْ مَعْدٍ ذَوُ أَحْلَامِهَا وَذَوُ لُهَاهَا
وَخَيْلٍ قَدْ لَفَقَتْ بِجَمْعِ خَيْلٍ فَدَارَتْ بَيْنَ كَبْشِيهَا رَحَامَهَا^(٢٥)
مُحَافِظَةً وَمَخِيمةً إِذَا مَا تَبَا بِالْقَوْمِ مِنْ جَزَعٍ لَطَافَهَا^(٢٦)

وقالت أيضا :
[الوافر]
أَلَا يَا عَيْنُ فَالْهَيْلِي بِغُرِّ وَفِيضِي غَبْرَةً مِنْ غَيْرِ نَزْرٍ
وَلَا تُغْزِي عَزَاءً بَعْدَ صَخْرِ فَقَدْ غَلَبَ الْعَزَاءُ وَعَيْلَ صَبْرِي
لِمَرْزَبَةٍ كَأَنَّ الْجَوْفَ مِنْهَا بُعِدَ التَّوَمِ يُسَعَّرُ حَرَّ جَنْبِرِي
عَلَى صَخْرِ وَأَيُّ قَسِي كَصَخْرِ لِعَانَ عَائِلٍ عَلَيَّ بِوَأْسِرِي
وَلِلْأَضْيَافِ إِنْ طَرَقُوا هُدُوءًا وَلِلْكَوْلِ الْمُسْرِ وَكُلِّ سَفْرِي
إِذَا نَزَلَتْ بِهِمْ سَنَةٌ جَمَادٍ أَيْ بِالذُّرِّ لَمْ يُكْسَعِ بَقْرِي

كان من شأنهم إذا أجدبت السنة أو خافوا الجذب أن تنضح الصرُوع بالماء البارد ليقى اللبن فيها أدحارًا واسعدادًا وبخلًا من بعضهم .

فلذلك يقول الحارث بن حلزة :
[السريع]
لَا تَكْسَعُ الشُّوْلُ بِأَغْبَارِهَا إِنَّكَ لَا تَدْرِي مِنَ التَّاتِجِ^(٢٧)

العُيْرُ : بقية اللبن ، وغابر كل شيء . باقيه ، فيقول : لا تبخل فتحبس لبنك ، فإنك لا تدري لمن يكون ذلك اللبن : ألك أم لوارثك أم لغيرك عليك .

واصْنَبُ لِأَضْيَافِكَ أَلْبَانُهَا فَإِنَّ شَرَّ اللَّبَنِ الْوَالِجُ
وَكُلُّ مَرْدُودٍ مَكْسُوعٍ .

هُنَالِكَ كَانَ غَيْثٌ حَيًّا وَعِزًّا لِمَنْ أُرْسَى إِلَيْهِ غَيْرَ وَغَيْرِ^(٢٨)
وَأَحْيَا مِنْ مَخْبَأَةِ كِعَابٍ وَأَشْجَعَ مِنْ أَبِي شَيْلٍ هَزْبِرِ^(٢٩)

(٢٥) الديوان : وخيل قد دلفت لها بخيل .

(٢٦) الديوان : ٨٦ ، ٨٧ .

(٢٧) البيت في نهاية الأرب : ٣ - ٦٦ .

(٢٨) الديوان : هناك كان غيثا تلقحين

(٢٩) الديوان : وأحيامن مخبأة حياء

نداه وفي جناب غير وعر
وأجرأ من أي لث هزبر

هَرَيْتِ الشَّدْقِ رَبَّالِ إِذَا مَا
 لَدَيْنُ الْحَادِرَاتِ لَهُ إِذَا مَا
 غِيَاثُ إِنْ تَأَوَّبَهُ غَرِيْبٌ
 إِذَا مَا الْوَفْدُ حَلَّ إِلَى ذَرَاهُ
 تَفْرُجُ بِالتَّدَى الْأَبْوَابِ عَنْهُ
 دَهَشَى الْحَادِثَاتُ بِهِ فَأَضْحَتْ
 غَدَا لَمْ تَنْهَ غَدُوْهُ بِرَجْرِ
 سَمِيْنٌ زَيْرُهُ فِي كُلِّ فَجْرِ
 لِعَسْرِ فِي الْحَوَادِثِ أَوْ لِيَسْرِ
 تَلْقَاكُمْ بِوَجْهِ غَيْرِ بَسْرِ
 وَلَا يَكْتُمُنْ ذُوْنَهُمْ بِشَرِّ
 عَلَى هُمُوْمِهِ تَعْدُو وَتَسْرِ^(٣٠)

[البيسط]

إِذْ رَابَ دَهْرٌ وَكَانَ الدَّهْرُ رِيَابًا
 وَابْكِي أْحَاكِ إِذَا جَاوَزْتَ أَجْتَابًا
 فَعُدْنَ لَمَّا تَوَى سَيِّبًا وَإِنْهَابًا
 مُجْتَبِئٌ مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ جَلْبَابًا
 فَيَسْلُبُوا ذُوْنَ صَفِّ الْمَوْتِ أَسْلَابًا
 مَاوَى الْغَرِيْبِ إِذَا مَاجَاءَ مَتَابًا^(٣١)
 نَهْدُ الثَّلِيْلِ لِزُرْقِ السُّمْرِ رَكَابًا
 وَالصَّدْقِ حَوَزَتُهُ إِنْ قَرْنُهُ هَابًا
 إِنْ خَافَ مُغْضَلِيَةَ سَتَى لَهَا بَابًا^(٣٢)
 حَمَالُ الْوَيْتَةِ لِلْوَتْرِ طَلَابًا
 كَانَ الْوَعَى لَمْ يَكُنْ لِلْمَوْتِ هَيَابًا^(٣٣)

وقالت أيضا :

يَا عَيْنُ مَالِكِ لَا تُذْرِبِي نَسْكَابًا
 فَاْبْكِي أْحَاكِ لِأَيَّامِ وَأَرْمَلِي
 وَابْكِي أْحَاكِ لِخَيْلٍ كَالْقَطَا قُطْفِ
 يَغْدُو بِهِ سَابِغٌ نَهْدٌ مَرَاكِلُهُ
 حَتَّى يُصْبِحَ قَوْمًا فِي دِيَارِهِمْ
 هُوَ الْفَتَى الْكَامِلُ الْحَامِي حَقِيقَتُهُ
 يَهْدِي الرَّعِيْلَ إِذَا جَارَ السَّيْلُ بِهِمْ
 الْمَجْدُ حَلْتُهُ وَالْجُودُ عِلْتُهُ
 رَكَابٌ مُفْطَمَةٌ حَمَالٌ مُضْلَعَةٌ
 شَهَادُ الْوَيْتَةِ هَبَاطُ أَوْدِيَتِهِ
 سُمُّ الْعُدَاةِ وَفَكَكَ الْعَنَاءِ إِذَا

قال أبو العباس :

(والجود عننه) أى أن الناس إذا سئلوا اعتلوا في الجود بالعلل ، فَجَعَلْتَهُ هُوَ عِلْتُهُ الْجُودُ ،
 كما قال الله جل وعز : (النار وعددها الله الذين كفروا)^(٣٤) معناه : الوعد النار

(٣٠) الديوان : ٢٣ - ٢٤ .

(٣١) الديوان : وأبكيه للفارس الحامي حقيقته وللضريك إذا ما جاء متبابا

(٣٢) الديوان : خطاب مفضلة فراج مظلمة إن هاب مفضلة أتى لها بابا

(٣٣) من سم العداة إلى الوعد النار ناقص من : م والباية في الديوان : ١ ، ٢

(٣٤) سورة الحج : ٧٢ - معناه : الوعد النار : آخر الناقص من : م

[الوافر]

وَصَبْرًا إِنْ أَطَقْتَ وَلَنْ تُطِيقِي
وَفَارِسُهُمْ بِصَحْرَاءِ الْعَقِيقِ
وَأَيَّامَنَا بِلِسْوَى الشَّقِيقِ
عَلَى أَدْمَاءِ كَالْجَمَلِ الْفَيْيِقِ
أَصِيلِ الرَّأْيِ مَحْمُودِ الصَّدِيقِ
لِفَاحِشَةِ أُنْتِ وَأَلَا عُقُوقِ^(٣٥)
مِنَ الثَّغْلَيْنِ وَالرَّاسِ الْحَلِيقِ^(٣٦)

وكانوا في الجاهلية إذا بالغوا في الجزع حلق النساء رؤوسهن ، ولطنن خدودهن

وقالت أيضا ترى أخاها معاوية بن عمرو :
هَرِيقِي مِنْ دُمُوعِكَ وَاسْتَفِيقِي
وَقَوْلِي إِنْ خَيْرَ نَيْسِي سَلِيمِ
أَلَا هَلْ تَرَجَعُنَّ لَنَا اللَّيَالِي
وَإِذْ فِينَا مُعَاوِيَةَ بْنَ عَمْرٍو
فَبِكَيْهِ فَقَدْ وَلَّى حَمِيدًا
فَلَا وَاللَّهِ لَا تَسْلَاكَ نَفْسِي
وَلَكِنِّي رَأَيْتُ الصَّبْرَ خَيْرًا

وكانوا في الجاهلية إذا بالغوا في الجزع حلق النساء رؤوسهن ، ولطنن خدودهن بالنعال .

[البسيط]

ضَرَبْنَا أَيْمَانًا بِسَبْتِ يَنْعَجِ الْجِلْدِ^(٣٧)
تَوَلَّى بَعْدَهُ عَيْشُ أَيْيَقِ
إِلَى أَيْيَاتِنَا وَذَوْرِ الْحُقُوقِ
إِذَا فَرَّغُوا وَقَيَّانُ الْحُرُوقِ

الحروق : جمع تحرق ، وهو المتسع من الأرض ، من ذلك قول رؤبة بن العجاج :

[الرجز]

وَقَاتِمِ الْأَعْمَاقِ حَاوِيِ الْمُخْتَرَفِ
مُشْتَبِهِ الْأَعْلَامِ لَمَاعِ الْخَفِيقِ

وقاتم الأعماق حاوي المخترف أي المتسع .

وقال بعض المفسرين في قول الله عز وجل : ﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرُقَ الْأَرْضَ﴾^(٣٨) قال : تبلغ قطريها . والقول الفاشي إنما هو تنقبها بأجمعها إلى حيث بلغت .

(٣٥) الديوان : فلا والله ما سليت نفسي بفاحشة علمت ولا عقوق

(٣٦) الديوان : ٦١ .

(٣٧) شاعر جاهلي من هذيل . (انظر ديوان الهذليين : ٣٩/٢) والبيت في الديوان وفي الكامل :

السبت : النعل . ويلعج : يؤثر . والجلد بتحريك اللام لضرورة الشعر .

(٣٨) الإسراء : ٣٧ .

إِذَا مَا الْحَرْبُ صَلَّصَلْ نَاجِدْنِيهَا وَفَاجَأَهَا الْكُفْمَاءُ لَدَى الْمَضِيْقِ (٣٩)

وكان من خير مقتل معاوية بن عمرو وكان أخوا خنساء لأبيها وأمها ، وكان صخرًا أخواها لأبيها ، وكانت بصخر أمس لفضيلته على معاوية ولم يكن معاوية متخلفًا بل كان لاحقًا في السؤدد بأخيه ، أو دُوَيْتَه شيئًا .
قال أبو عبيدة معمر بن المثنى :

حدثني أبو بلال ، وربما قال : أبو بلال سهم بن أبي بن العباس بن مرداس قال :
غزا معاوية بن عمرو بن الشريد أخو خنساء ، مرة وفزارة ، ومعه خفاف بن ندبة فاعتوره هاشم ويزيد المزيان ، ابنا حرملة ، فاستطرد له أحدهما ثم وقف ، وشد عليه الآخر فقتله . فلما تناذوا : قتل معاوية !
قال خفاف :

قتلني الله إن رمت حتى أثار به فشد على مالك بن جمار سيد بني شمع بن فزارة فقتله وقال :

فَإِنْ تَكْ خَلِي قَدْ أَصِيَتْ صَمِيمُهَا فَعَمَدًا عَلَيَّ عَيْنِي تَيْمَمْتُ مَالِكَا
وَقَفْتُ لَهُ عَلْوَى وَقَدْ حَامَ صَحْتِي لِأَيْبِي مَعْدَا أَوْ لِأَنَارِ هَالِكَا
عَلْوَى : اسم فرسه

أَقُولُ لَهُ وَالرَّمْحُ يَأْطُرُ مَتَهُ تَأْمَلُ خَفَافًا إِيْنِي أَنَا ذَالِكَا (٤٠)

فلما بلغ صخرًا قتل أخيه ، أتى مرة في الشهر الحرام فوقف على ابني حرملة ، فإذا أحدهما به طعنه في عضده ، فقال :

أيكما قتل معاوية ؟

فسكتا ، فقال الصحيح للجريح :

مالك لا تبييه ؟

فقال :

وقفت له فطعنتي هذه الطعنة ، وشد عليه أخی فقتله ، فأبنا قتلت فقد أدركت بنارك ،
أما إنا لم نسلب أخاك

(٣٩) الديوان : ٦١ .

(٤٠) الخبير في الكامل : ١٠٠١ .

قال :

فما فعلت فرسه السماء ؟

قال :

هاهى تيك .

رُدّها عليه .

فردوها .

فلما أتى صخرٌ قومه قالوا :

اهجهم .

قال :

ما بيننا أجلٌ من القَدْع^(٤١) ، لو لم أكفّف عن هجائهم إلا رَغْبَةً بنفسي عن الخنا
لكفّفْتُ وقال :

وَعَاذِلِي هَبْتُ بِلَيْلٍ تُلُوْمِنِي أَلَا لَا تُلُوْمِنِي كَفَى اللَّوْمَ مَائِيَا
تَقُولُ : أَلَا تَهْجُو فَوَارِسَ هَاشِمِ وَمَالِي إِذْ أَهْجَوْهُمْ ثُمَّ مَالِيَا
أَبِي الشُّتَمِ أَلَيْ قَدْ أَصَابُوا كَرِيمِي وَأَنْ لَيْسَ إِهْدَاءُ الْخَنَا مِنْ شَمَالِيَا
إِذَا ذَكَرَ الْإِخْوَانَ زَفَرْتَ عَبْرَةَ وَحَيْثُ رَمَسَا عِنْدَ لِيَةِ ثَاوِيَا
إِذَا مَا امْرُؤٌ أَهْدَى لِمَيْتٍ تَحِيَّةَ فَحَيَّاكَ رَبُّ النَّاسِ عَنِّي مُعَاوِيَا
وَهَوْنٌ وَجَدِي أَلَيْ لَمْ أَقُلْ لَهُ كَذَبْتَ وَلَمْ أَبْخُلْ عَلَيْهِ بِمَالِيَا

ثم زاد عليها بيتًا بعدما أوقع بهم فقال :

وَذِي إِخْوَةٍ قَطَعْتُ أَرْحَامَ بَيْنِهِمْ كَمَا تَرَكُونِي وَاحِدًا لَا أَحَالِيَا^(٤٢)

(ثم غزاهم^(٤٣) في العام المقبل ، فلما دنا وعلا السماء قال :

إني أخاف إذا طلعت أن يعرفوا طلعة السماء ، فحمم غرّتها ، فلما أشرف على أداني

القوم ، قالت امرأة لاينها :

هذه - والله - السماء .

فنظر إليها فقال :

السماء غراء ، وهذه بهم .

(٤١) القدع : الشتم بكلام قبيح المعجم الوسيط : ٢ - ٧٢٨ .

(٤٢) الكامل : ١٢٢

(٤٣) من ثم غزاهم .. إلى : من لا ذنب له ليس موجودا في م ، وهو ما بين القوسين .

فلم يشعروا إلا والحيل دوائس ، وقتل صخر دريدا ، وأصابوا في مرة فقال :

[الكامل]

وَلَقَدْ قَتَلْتُمْ نِجَاءً وَمَوْحِداً وَتَرَكْتُمْ مِرَّةً مِثْلَ أَمْسِ الْمُدْبِرِ
وَلَقَدْ دَفَعْتُ إِلَى دُرَيْدِ طَعْنَةً نِجَلاءً تَزْغُلُ مِثْلَ غَطِّ الْمِنْخَرِ^(٤٤)

قوله :

(تَزْغُلُ) أى تفيض بسجال الدم . قال ابن أحرر يعنى القطة إذا مجت الماء في حوصلة

[السريع]

فرخها :

فَأَزْغَلْتُ فِي جِده زُغْلَةً لَمْ تُحْطِئِ الْجِدَ وَلَمْ تُشْفِتِرْ^(٤٥)
والإبزاع مثل الإزغال^(٤٦) .

وأما هاشم بن حرمة فإنه خرج غازياً ، فلما كان في بلاد جُشَمَ بن بكر بن هوازن
نزل فأخذ صُفْتَه - ويقال : صُفْنَه وخلا لحاجته بين الشجر ، ورأى غفلته قيس بن
الأصور الجشمى تبعه وقال :

هذا قاتل معاوية لا وَالْتِ إِنْ وَالِّ^(٤٧) . فلما قعد لحاجته تسر له بين الشجر حتى
إذا كان خلفه أرسل عليه مِعْبَلَةً^(٤٨) فَفَلَقَ فُحْقَحَه ، وهو العُصْعُصُ الذى عليه
عَجْبٌ^(٤٩) الذنب فقالت الخنساء :

فِدَى لِلْفَارِسِ الْجُشْمِىِّ نَفْسِى
فِذَلِكَ الْحَى حَتَّى بَنَى سُلَيْمِ
كَمَا مِنْ هَاشِمٍ أَقْرَزَتْ عَيْنِى
وَأَفْدِيهِ بِمَنْ لِي مِنْ حَيْمِ
بِطَاعِنِهِمْ وَبِالْأَتْسِ الْمُسْتَمِ
وَكَاثَ لَأَتْنَامُ وَلَا تُسَمِ^(٥٠)

(٤٤) الأغاني : ١٥ - ١٠٠ .

(٤٥) البيت في الأغاني : ١٥ - ١٠٠ . وقائله : أبو الخطاب عمرو بن أحرر الباهلى شاعر مخضرم
أسلم وحسن إسلامه . (أنظر الأعلام : ٥ - ٢٣٧ ، والبيت في الأغاني

(٤٦) الإبزاع والإزغال : هو إخراج البول أو الدم دفعة واحدة (الرسالة) والصفنة ما يتوضأ فيه

(٤٧) وأل : نجا وخلص . معناها : لا بجوت إن نجا .

(٤٨) المعبلة : النصل الطويل العريض .

(٤٩) أصل الذنب عند رأس المصعصع .

(٥٠) الديوان : ٨٠ . البيت الأول والثاني .

وكان هاشم من أشد العرب ، وله يقال :
أخيا أباه هاشم بن خزمنة يوم الملوك حوله مغزيلة
يقتل ذا الذئب ومن لا ذئب له^(٥١)

وقالت الخنساء تراثه بما كتب بعضه .

وقالت تراثي صحرا ومعاوية
بكت غني وعآودت السهودا
لذكري مفسر ولوا وخلوا
فكم من فارس لك أم عمرو
الحريد : البعيد

[الوافر]

وبث الليل جانحة عيدا
علينا من خلافتهم ففودا
يحوط سائنه الأسن الحريدا

إذا كاث وجوه القوم سودا
جدير يوم هيجا أن يصيدا
إذا لم نصبت الأم الوليدا
مع الهلاك قد لحقوا ثمودا^(٥٢)

كصخر أو معاوية بن عمرو
يرد الخيل دامية كلاها
يكبون العشار لمن أتاها
قتابع بينهم وزد فأضحوا

[الطويل]

إذا الخيل من طول القياد افسحرت^(٥٣)
طباقي كلاب في الهراش وصرت^(٥٤)

وقالت أيضا تراثي صحرا
ألهنى على صخر لكل عظيمة
إذا الخيل شككت في السريح وطابقت
يقال : شك الفرس والبعير وغير ذلك من الظهر إذا ظلت ظلما خفيا^(٥٥) كما قال ذو
الرمة :^(٥٦)

[البيسط]

كأنه مستبان الشك أوجنب^(٥٧) [وثب المسجح من عانات معلقة]

(٥١) الأغاني : ١٥ : ١٠٢ ، وإلى هنا نهاية النقص الذي في م .

(٥٢) الديوان : ١٦ . مع اختلاف يسير

(٥٣) ل : ألا لهنى . وفي الديوان : لهنى : ص ٨

(٥٤) ل : طباقي الكلاب .

(٥٥) ل : خفيا

(٥٦) غيلان بن عقبة المضرى ويلقب بذي الرمة شاعر أكثر شعره في التشبيب ، عشق مية المنقرية

واشتهر بها يقيم في الصحراء ، يحضر إلى الجامة والبصرة ، توفي بأصبهان سنة ١١٧ هـ وله من العمر

٤٠ سنة . معجم المؤلفين : ٨ - ٤٤ . (٥٧) البيت في اللسان مادة : جنب .

وإنما هذا من الخيلاء في هذا الموضع . و(طابقت) أى وقعت أرجلها مكان أيديها وصرت أذنانها .

وَحَيْلٌ تَنَادَى لَأَ هَوَادَةَ بَيْنَهَا
كَأَنَّ مُدِلًّا مِنْ أَسْوَدٍ تَبَالَةٍ
شَدَّدَتْ عِصَابَ الْحَرْبِ إِذْ هِيَ مَانِعٌ
وَكَانَتْ إِذَا مَا حَالَبَ يَسْتَدْرِهَا
فَكَانَ أَبُو حَسَّانٍ صَخْرٌ يَصُدُّهَا
مَرَزَتْ بِهَا دُونَ السَّوَامِ وَمَرَّتِ
يَكُونُ لَهَا حَيْثُ اسْتَدَارَتْ وَكَرَّتِ
فَأَلْقَتْ بِرِجْلَيْهَا مَرِيًّا وَذَرَّتِ
تَفْسُهُ بِإِيْزَاعٍ دَمًا وَاقْمَطَرَتْ (٥٨)

اقمطرت : معناه اشتدت .

وقالت أيضا ترثيه :
أَمِنْ حَدَثِ الْأَيَّامِ عَيْتِكَ تَهْمِلُ
أَلَّا مَنْ لِعَيْنٍ لَا تَجِفُّ دَمُوعُهَا
عَلَى مَا جِدَّ ضَخْمِ الدَّسِيعَةِ سَيِّدٍ
لَهُ سُورَةٌ فِي قَوْمِهِ مَا تَحْوُلُ (٥٩)

قال : السُّورَة ها هنا : الدرجة من الملك والقدرة العالية ، ومن ذلك قول النابغة

[الطويل]
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً
تَرَى كُلَّ مَلِكٍ ذُونَهَا يَتَذَبَذَبُ (٦٠)

ويقول الرجل :

سَرْتُ ، فَمَعْنَاهُ : ارتفعت وعلوت . قال العجاج :
يَارَبُّ ذِي سُورِدِي مَخْجُورٍ سَرْتُ إِلَيْهِ مِنْ أَعَالِي السُّورِ (٦١)

وقال الأخطل يصف خمرا خرجت حين فُتِحَ مَبْرَئُهَا (٦٢)
لَمَّا أَتَوْهَا بِمِصْبَاحٍ وَمَبْرَأِهِمْ
سَادَتْ إِلَيْهِ سُورُورُ الْأَبْجَلِ الضَّارِي (٦٣)

(٥٨) الديوان : ٧ مع تقديم وتأخير في الأبيات .

(٥٩) الديوان : ٦٥ .

(٦٠) ديوان النابغة : ١٨ .

(٦١) ل : بل رَبُّ . ل : في أعلى . والسرادق : واحد السرادقات وهو ما أحاط بالبيت أو المضرب

المعجم الوسيط : ١ - ٤٢٨ .

(٦٢) المبرل من أى : شقُّ يقال : بزل الشراب : ثقب إناءه ليسيل ، المعجم الوسيط : ١ - ٥٤

(٦٣) ديوان الأخطل : ص ١٤٣ .

[رجع إلى شعر الخنساء]

فَمَا بَلَغَتْ كَفَّ امْرِئٍ مُتَّوَالٍ وَمَا بَلَغَ الْمُهْلِدُونَ فِي الْقَوْلِ مِدْحَةً
وَمَا الْغَيْثُ فِي جَعْدِ الثَّرَى دَمِثَ الرَّبِيِّ
بِأَجْزَلِ سَيِّئًا مِنْ نَدَاكَ وَنِعْمَةً
وَجَارَكَ مَحْفُوظٌ مَنِيْعٌ بِنَجْوَةٍ
مِنَ الْقَوْمِ مَفْشَى الرِّوَاقِ كَأَنَّهُ
شَرَبْتُ أَطْرَافَ الْبِنَانِ ضِبَارِمَ
هَزْبَرٍ هَرِيثِ الشَّدَقِ رَبَّالِ غَابَةِ
أَحْوِ الْجُودِ مَعْرُوفٌ لَهُ الْجُودُ وَالنَّدَى

مِنَ الْمَجْدِ إِلَّا حَيْثُ مَا نِلْتَ أَطْوَلَ (٦٤)
وَأَنْ كَثُرُوا إِلَّا الَّذِي فِيكَ أَفْضَلُ (٦٥)
تَبَعَى فِيهِ الْوَابِلُ الْمُتَهَلِّلُ
تَعْمٌ بِهَا بِلَ سَيْبُ كَفَيْكَ أَجْزَلُ (٦٦)
مِنَ الدَّلِّ لَا يُؤْذَى وَلَا يَتَدَلَّلُ
إِذَا خَافَ صَبْحًا خَادِرٌ مُتَسَلِّلُ (٦٧)
لَهُ فِي عَرِينِ الْغَابِ عِرْسٌ وَأَشْبِلُ (٦٨)
مَخُوفُ اللَّقَاءِ كَالْيَاءِ الْعَيْنِ أَنْجَلُ (٦٩)
خَلِيفَانِ مَأْقَامَتِ تِعَارٍ وَيَذْبُلُ (٧٠)

(٦٤) م : متأل ، والتصحيح من ل والديوان : ٦٥ . (٦٥) ل : وإن كثرت . الديوان : ولا

صدق

(٦٦) ل : كففك . الديوان بدأ البيت بأوسع بدل : بأجزل ص ٦٦ .

(٦٧) الرواق : مقدم البيت - الخادر : الأسد الذي اتخذ الأجمة خذرا .

(٦٨) شرنيت ليست موجودة في ل ، ومعناها : الغليظ ، وهو صفة للأسد والعرس : اللبوة .

والأشبيل : أولاد الأسد . وضبارم : ضخم الرقبة .

(٦٩) هريت الشدق : واسعه . الرئبال : الأسد الجريء الشديد ، وفي ل : ربال غابة والأنجل واسع

شق العين

(٧٠) الديوان : مادامت بدل : لما والأبيات من قصيدة ص ٦٥ ، ٦٦ من الديوان .

[وصايا لأهل الدين والآداب]

قال أبو العباس :

ونذكر وصايا يؤثر بعضُهما عن أهل الدين وبعضها عن أهل الآداب والطبائع الحمودة .
وقد تجرَّ إلى أنفسها غير ذلك من سائر الوصايا .

ثم نعود إن شاء الله تعالى إلى التعازي بالمشور والمنظوم . وبالله الحول والقوة ، ونسُوِّبه
بشيء من الاعتبار :

وصية أبي بكر الصديق رضى الله عنه

قال فطر بن خليفة^(١) عن عبد الرحمن بن سابط قال :

أوصى أبو بكر الصديق عمر بن الخطاب رضى الله عنهما حين استخلفه فقال :
(إني مُستخلفك ، وأوصيك بتقوى الله يا عمر ، إن الله عملاً بالليل لا يقبله بالتهار ،
وعملاً بالتهار لا يقبله بالليل . وأعلم أنه لا يقبل نافلةً حتى تُؤدى الفريضة . وأنه
إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق . ويحق لميزان لا يوضع
فيه إلا الحق أن يكون ثقيلاً . وإنما خفَّت موازين من خفَّت موازينه يوم القيامة
باتباعهم الباطل في الدنيا . ويحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً .

إن الله جل ذكره ذكَّر أهل الجنة بحسن أعمالهم ، وتجاوز عن سيئاتهم ، فإذا
ذُكرتهم قتل إلى لأعافٍ ألا أكون من هؤلاء . وذكر أهل النار بسوء أعمالهم ،
فإذا ذُكرهم قتل إلى لأرجو ألا أكون من هؤلاء .

وَذَكَرَ آيَةَ الرَّحْمَةِ مَعَ آيَةِ الْعَذَابِ لِيَكُونَ الْعَبْدُ رَاغِبًا وَرَاهِبًا لَا يَمْتَنِي عَلَى اللَّهِ غَيْرَ
الْحَقِّ وَلَا يُلْقِي يَدَهُ إِلَى التَّهْلُكَةِ ، فَإِنْ حَفِظْتَ وَصِيَّتِي فَلَا يَكُونَنَّ غَائِبٌ أَحَبُّ إِلَيْكَ
مِنَ الْمَوْتِ وَلَسْتُ بِمُعْجِزَةٍ) رضى الله عنهما^(٢) .

(١) فطر بن خليفة الخزومي مولاها ، أبو بكر الحنَّاط صدوق روى بالتشيع من الخامسة مات بعد

سنة ١١٥٠هـ . تقريب التهذيب : ٢ - ١١٤ .

(٢) الوصية في البيان والتبيين : ٢ - ٤٥ وفي م : ونسُوِّبه بشيء من الاعتبار .

وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال فطر بن خليفة وغيره :

دعا عمر بن الخطاب عند موته عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فقال : (أى بُنَيَّ !
إذا قام الخليفة بعدى فأته قلل إن عمر يقرأ عليك السلام ، ويوصيك بقوى الله
لا شريك له ، ويوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً : أن تعرف لهم حاجتهم ويوصيك
بالأنصار خيراً : أن تقبل من محنتهم وتجاوز عن مسيئتهم . ويوصيك بأهل الأمتار
خيراً ، فإنهم يهبط العدو ورجاة القىء ، لا تحمل قنهم إلا عن فضل منهم . ويوصيك
بأهل البادية خيراً ، فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام أن تأخذ من حواشي أموالهم
قرء على فقرائهم . ويوصيك بأهل النمة خيراً : أن تقابل من ورائهم ولا يكلفوا
فوق طاقتهم) (١) .



وصية علي بن أبي طالب رضي الله عنه

قال لوط بن يحيى^(١) :

حدثني عبد الرحمن بن جندب عن أبيه قال :

دخلت علي بن أبي طالب أسأل عنه حين ضربه ابن مُلَجَم^(٢) فقممت ، ولم
أجلس لمكان ابنة له دخلت عليه وهي مسترة ، فدعا الحسن والحسين فقال (إني
أوصيكما بتقوى الله ، ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ، ولا تبكيا على شيء منها زوى
عنكما .

قولا الحق ، وارحما اليتيم ، وأعيننا الضائع ، واصنما للآخرة ، وكونا للظالم
خصما ، وللمظلوم عوناً ، ولا تأخذكما في الله لومة لائم . ثم نظر إلى ابن الحنفية
فقال له :

(فَهَيْتَ مَا أَوْصَيْتَ بِهِ أَخَوَيْكَ) ؟

قال :

نعم .

قال :

(أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك وتزيين أمرهما . ولا تقطع أمراً دونهما)

ثم قال :

(وأوصيكما به فإنه شقيقكما ، وابن أبيكما ، وقد علمتما أن أباه كان يُحِبُّهُ فَأَحِبَّاهُ) .

(١) لوط بن يحيى الأزدي من الكوفة راوية عالم بالسير والأخبار له تصانيف كثيرة توفى سنة
١٥٧ هـ . الأعلام : ٦ - ١١٠ . والوصية في الكامل : ٩٨٢ .

(٢) عبد الرحمن بن ملجم أسلم وكان من أنصار علي بن أبي طالب ، شهد صفين ثم خرج عليه ،
واتفق مع الخوارج على القتل . توفى سنة ٤٠ هـ الأعلام : ٤ - ١١٤ .

وصية معاوية بن أبى سفيان

رضى الله عنه

قال عيسى بن يزيد بن بكر بن داب: (١)

لما ثقل معاوية ، بعث إلى يزيد وهو في ضياعه ، فأتاه غلام له يقال له عجلان ، فأخبره
بثقل أبيه ، فأقبل وقد قال في ذلك شعرا :

جَاءَ الْبُرَيْدُ بِقِرْطَاسٍ يَحْبُبُ بِهِ فَأَوْجَسَ الْقَلْبُ مِنْ قِرْطَاسِهِ جَزَعًا
قُلْنَا : لَكَ الْوَيْلُ مَاذَا فِي صَحِيفَتِكُمْ قَالَ : الْخَلِيفَةُ أَمْسَ مِثْبَتًا وَجَمًّا
فَمَادَتْ الْأَرْضُ أَوْ كَادَتْ تَمِيدُ بِنَا كَأَنَّ أَغْبَرَ مِنْ أَرْكَانِهَا الصَّدْعَا
ثُمَّتْ مِلْنَا إِلَى عَيْسٍ مُزْمَمَةٍ نَعَشَى الْفِجَاجَ بِهَا لِأَتَائِلِي سَرَعَا
لَسْنَا ثِبَالِي إِذَا بَلَّغْنَا أَرْحَلْنَا مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ بِالْيَدَاءِ أَوْ ظَلَعَا
حَتَّى دَفَعْنَا لِرَأْسِ النَّاسِ كُلِّهِمْ هَلْدِيَا وَخَيْرِهِمْ فِعْلًا وَمُضْطَنَعَا
مَنْ لَمْ تَزَلْ نَفْسُهُ تُوفِي عَلَى شَرَفٍ ثَوْشِكَ مَقَادِيرُ تِلْكَ النَّفْسِ أَنْ تَقَعَا
لَمَّا انْتَهَيْتَا وَيَابَ الدَّارِ مُتَصَفِّقًا لِصَوْتِ رَمَلَةٍ (٢) رِيحَ الْقَلْبِ فَانْقَلَعَا

قال :

فلما دخل على معاوية خلاجه ، وأخرج عنه أهل بيته وقال : (يا بني قد جاء امر
الله ، وهذا أوان هلاكى ، ما أنت صانع بهذه الأمة من بعدى ؟ ، فمن أجلك أترث
الدنيا على الآخرة ، وحملت الوزر على ظهري ليعلو بنى أيك

قال يزيد :

أخذهم بكتاب الله وبسنة نبيه ، وأقتلهم عليه .

قال :

أولا تسير بسيرة أبى بكر الذى قاتل أهل الردة ، ومضى والأمة عنه راضون ؟

قال :

(١) أبو الوليد كان خطيبا وشاعرا وعالما بالأنساب من أهل المدينة توفى عام ١٧١هـ . الأعلام :

(٢) رملة أخت يزيد . الوصية والشعر فى الكامل لابن الأثير : خلافة معاوية : ٣ : ٢٦٠ .

لا ، إلا بكتاب الله وسنة نبيه ، آخذهم به وأقتلهم عليه .

قال :

أولا تسير بسيرة عمر الذي مَصَّرَ الأمصار وجنَّدَ الجنود ، وفَرَضَ الأَعْطِيَةَ ، وجَبَى الفِئءَ وقَاتَلَ العَدُو ، ومضى والأمة عنه راضون !

قال :

لا ، إلا بكتاب الله وسنة نبيه آخذهم به وأقتلهم عليه .

قال :

أولا تسير بسيرة عَمَّكَ عثمان بن عفان الذي أَكَلَ في حياته ، وورث في مماته ، واحتمل الوزرَ على ظهره ؟

قال :

لا إلا بكتاب الله وسنة نبيه آخذهم به وأقتلهم عليه .

قال :

يا يزيد انقطع منك الرجاء وأظنك ستخالف هؤلاء جميعا فتقتل خيار قومك ، وتغزو حرمَ ربك بأشابات الناس فَتُطْعِمُهُم لحومهم بغير حق ، فتُدْرِكُكَ مِيتَةٌ فجاءةٌ ، فلا دنيا أصبت ، ولا آخرة أدركت .

يا يزيد أما إذا لم تُصِبِ الرُّشْدَ فَإِنِّي قَدْ وَطَّأْتُ^(٣) لك الأمور ، وذَلَلْتُ لك أهل العِزِّ ، وأخضعت لك رقاب العرب ، وكَفَيْتِكَ الرُّحْلَةَ والتُّرْحَالَ وجمعت لك ما لم يجمعه واحدٌ ، وإنى لست أخاف أن ينازعك هذا الأمر إلا ثلاثة نفر : الحُسَيْن بن علي وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير . فأما ابن عمر فرجلٌ قد وَقَدَّتْهُ^(٤) العبادة ، وتخلَّى من الدنيا وشغلته نفسه بالقرآن ، ولا أظنه يُقَابِلُ عليها إلا أن تأتيه عفوا .

وأما الذي يَجِيءُ جُثُومَ الأسد ويروغ رَوْعَانَ الثعلب فإن أمكنته الفرصة وثب فابن الزبير ، فإن هو فعل فاستمكنت منه فقطعه إِرْبًا إِرْبًا إلا أن يلتبس منك صلحا ، فإن فعل فاقبل منه واحقن دماء قومه تُقْبِلُ قلوبهم إليك .

(٣) وطأت : سهلت . (٤) وقدته العبادة : غلبته المعجم الوسيط : ١٠٦١٢ .

وأما الحسين بن علي فإن له رِجْمًا وَحَقًّا وولادة من رسول الله^(ص)، ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه عليك ، فإن قَدَّرت عليه فاصفح عنه ، فإنني لو كنت صاحبه عفوت عنه . قُمْ عَنِّي) وصلی علیه عمرو بن العاص^(٦) .



وصية أبي عبيدة بن الجراح^(١)

تحديث لوط بن يحيى أبو مخنف قال :
لما طعن^(٢) أبو عبيدة بن الجراح بالأزدن - وبها قبره - دعا من حضره من المسلمين
فقال :

إني أوصيكم بوصية إن قبلتموها لم تزالوا بخير : أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ،
وصوموا شهر رمضان ، وتصدقوا وحجوا واعتمرُوا وتواصلوا ، وانصحوا لأمرائكم
ولا تغشوهم ولا تلهمكم الدنيا ، فإن امرءًا لو عُمر ألف حول ما كان له بد من
أن يصير إلى مثل مصرعى هذا الذي ترون .

إن الله كتب الموت على بنى آدم ، فهم ميتون ، وأكيسهم أطوعهم لربه ،
وأعملهم ليوم مياده . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
يا معاذ بن جبل^(٣) ، صل بالناس .

ومات رحمه الله فقام معاذ إلى الناس فقال :
يا أيها الناس ، توبوا إلى الله من ذنوبكم توبةً نصوحًا ، فإن عبدًا لا يلقى الله تائبًا
من ذنبه إلا كان حقا على الله أن يغفر له . من كان عليه دين فليقضه ، فإن العبد
مُرتنه بدينه ، ومن أصبح منكم مهاجرًا أخاه فليلقه فليصالحه ، ولا ينبغي أن يهجر
أخاه أكثر من ثلاث والذنب في ذلك عظيم .

إنكم أيها المسلمون قد فجعتم برجل ما أزعم أنى رأيت عبدًا أبر صدرًا ، ولا أبعد
من الغائلة ، وأشد حبا للعافية ، ولا أنصح للعامة منه ، فترحموا عليه رحمه الله ، ثم
احضروا للصلاة عليه .

(١) هذه الوصية ساقطة في : ل . وأبو عبيدة بن الجراح علم من أعلام الصحابة يكفيه أن النبي ﷺ
شهد له بالجنة ، فهو من السابقين الأولين ، وعزم أبو بكر على أن يوليه الخلافة بعد موت النبي
ﷺ . ولاة عمر قيادة الجيوش بعد خالد بن الوليد توفي سنة ١٨هـ ودفن في عمواس وقد أصيب
بالتاعون .

(٢) طعن : أصيب بالتاعون .

نقصت لصفحات من ص ١٤٣ الى

ص ١٤٦ ، به يوجد كتاب عليه تصور لصفحة

النافذة . عليه يتصور الكتاب خرائط للفائدة

حتى وجود كتاب آخر تصور لصفحة

بن زهير عن شهر

ص ١٤٦

أتى آت معاذ بن جبل عند موته فقال :

يامعاذ أوصني بما ينفعني قبل أن تفارقني ، فلعلى أحاج إلى سؤال الناس بعدك ، فلا
أجد فيهم مثلك .

قال معاذ :

بلى صلحاء الناس بحمد الله كثير ولن يضيع الله أهل هذا الدين . خذ عني ما أمرك
به .

كن من الصائمين بالنهار ، والمستغفرين بالأسحار ، والذاكرين الله على كل حال ،
ولا تشرب الخمر ، ولا تعقق والديك ، ولا تأكل مال اليتيم ، ولا تفر من الزحف ،
ولا تأكل الربا ، ولا تدع الصلاة المكتوبة ، وحب رحمتك لله ، وكن بالمؤمنين رؤوفا
رحيما . وأنا لك بالجنة زعيم . ثم مات رحمه الله . فصلي عليه عمرو بن العاص .

(١) معاذ بن جبل أبو عبد الله الأنصاري الحزرجي صحابي جليل أحد رواة الحديث والمجاهدين
وأحد الستة الذين جمعوا القرآن . توفي سنة ١٨ هـ وله من العمر ٤٨ سنة .

قال :

ثمانون ألف دينار

قال :

وفيم استدنتها ؟

قال :

في كريم سددتُ خَلله ، أولم اشترتِ عِرْضِي منه ، ثم قال سعيد : هذه خصلةٌ وبقيةٌ
خَصَلتان .

قال :

ما هما يا أبة ؟

قال :

يا بُنَيَّ لا تُزَوِّجُنْ بناقِي إلا من الأكفاء ولو بفلقِ حُبِزِ الشعير

قال :

أفعلُ .

قال :

يا بني ذهبتِ خصلتان وبقية خصلة

قال :

وما هي يا أبة ؟

قال :

يا بُنَيَّ إن قَعَدَ إخواني وجهي فلا يفقدن معروفِي

قال :

أفعل يا أبة

قال :

يا بُنَيَّ ما زلتُ أعرف الكرم في حَماليق عينيك ، وأنت يُحَرِّكُ بك في مَهْدِكَ حتى
بلغت ما أرى وقال : يا بُنَيَّ ما شاتمُ رجلاً منذ كنت رجلاً ولا زاحمتُ ركبتي
ركبتيه ، ولا كلَّفتُ من يرتجيني أن يسألني فيبذل وجهه ويرشح جبينه رَشْحَ السقاء ،
إذن - والله - فما وصلته .

يا بنى أخزى الله المعروف إذا لم يكن ابتداءً من غير مسألة ، فأماً إذا أتاك تكاد ترى دمه في وجهه مُحَاطِراً لا يدرى أتعطيه أو تمنعه ، فوالله لو خرجت له من جميع ما تملك ما كافأته ، ولا الذى بات يتململ على فراشه يُعَقَّبُ بين شفتيه أيجدنى موضعاً لحاجته أم لا ، هو اعظم على منة منى عليه ، إذا قضيتها له .

وفى هذا الحديث بغير هذا الإسناد ، ولكن عن الزبير بن أبى بكر قال : كانت علة التى مات فيها فى ضيعة له بقرب المدينة ، فلما اشتدت علة قال لابنه عمرو :
يا بُنى قد ترى منازل بي^(١٥)
فقال له عمرو :

يا أبه لو حُملت إلى المدينة
فقال :

يا بُنى إن الحركة تُتعبنى ، وإن أهلى لا يبخلون على رقابهم ساعة يا بُنى إن ضيعتى هذه مُتْرِيفٌ ، وليست بمال غلة ، فإذا أنا ميتٌ ففرغت من دفتى ، فوجه مطيتك نحو معاوية فانعنى له ، فإنه سيسألك عن دينى ويتضمنه ، فأعلمه أنى قد علمت ذلك وجزه خيراً . ثم قل له :

يا أمير المؤمنين إن له ضيعة أمر بييعها بقضاء دينه ، فإنه سيشتريها منك ، فاسأله أن يكتب لك بما لها إلى المدينة فاقم بها دينى وعِداتى^(١٦) .

فلما دفن كانت مطايا عمرو موقوفة فعزى عنه ، وركب إلى معاوية من ساعته حتى ورد عليه فتعاه له فتفجع وقال :
وما تخلف من الدين فهو على
فقال :

يا أمير المؤمنين قد علم ذلك فوصلتك رَحِمٌ ، ولكنه أمرنى بيع ضيعة له وهى الفلانية .
قال :

قد اشتريتها بدينه ، وكتب له بالمال إلى المدينة .

(١٥) ما نزل بى . من : ل

(١٦) العِدات : العطايا التى وعد بها مفردتها : عِدَة .

فجاءه صعلوك من صعاليك قريش بصك على أبيه بعشرين ألف درهم ، فيه شهادة
مولى له ، فقال له :

يا هذا ! إني أعرف هذا الخط ، إني أنكر أن يكون لمثلك مثل هذا المال عليه .
فدعا مّولاه فقال :

أتعرف هذا ؟

فشهد به فقال له :

ما سببه ؟

فقال :

إن أباك في وقت عزله - وكان معاوية يؤليه المدينة سنّة ويؤلى مروان بن الحكم
سنّة - رآه وحده وقد ركب لبعض حاجاته ، فسار معه حتى بلغها ورجع ، فلما انتهى
قال له :

يافتى ألك حاجة ؟

فقال :

لا ، ولكنى رأيتك منفرداً فأحبيت أن أصل جناحك ، فالتمس مالا يهبه له فلم يحضره .
فقال لي :

عجل على بصحيفة وكتب له بهذا ديتنا عليه حالاً .

فقال عمرو :

إذن والله لا تأخذها إلا مُعجَلة مُتقدّة .

قال ابن دأب :

لما حضر عمر بن عبد العزيز الوفاة قيل له :

ياأمير المؤمنين ! اكتب لى يزيد بن عبد الملك فأوصه بالأمّة خيراً

قال :

وبم أوصيه ؟ إنى لأعلم أنه من بنى مروان . ثم أمر بالكتاب إليه :

أما بعد . فاتق الله ، واتق الصرعة ، بعد الغفلة ، فلا تُقال العثرة ، ولا تُقدِرُ على

الرجعة . تترك ما تترك لمن لا يحمئك ، وتقدّم على من لا يعذرك والسلام

ويروى أن هشام بن عبد الملك لما احتضِرَ نظر إلى حَسَمِهِ وَلُحْمَتِهِ يكون ، ففتح عينيه فاطلع في وجوههم ثم قال :

جاد عليكم هشام بالدنيا ، وجُدْتُم عليه بالبكاء ، وترك لكم ما حَلَفَ وتركتم عليه ما اكتسب ما أسوأ حال هشام إن لم يغفر الله له !

* * *

ولما احتضِرَ معاوية أقبل على ابنة قَرْظَةَ [إحدى زوجاته] فقال :

بكنيني فقالت :

[الهمزج]

الْأَبْكِيهِه أَلَا أَبْكِيهِه أَلَا كَلَّ الْفَتَى فِيهِ
قال لابنتيه :

قلْباني فجعلنا نُثَقِّلْبانَه لجنب بعد جنب فقال :

إنكما لثَقِّلْبانَه حَوْلًا قَلْبًا إِنْ وَقَى كَبَّةَ النَّارِ^(١٧) ثم انشد

لَا يَتَعَدَّنْ رَيْبَعَةٌ بِنُ مَكَّدَمٍ وَسَقَى الْعَوَادِي قَبْرَهُ بِدَثُوبِ^(١٨)
ثم قال ليزيد :

إذا أنا قضيت فأحسين غسلي ، واجعل في آخره مسكًا وكافورًا ، وأحسن الصلاة

علَيَّ ثم ادْفِنِي في لحدِي ، ودَعْنِي وربِّي . فلما بلغ ابن عباس موته قال : [الكامل]

جَبَلٌ تَصَدَّعَ ثُمَّ مَالَ بِجَمْعِهِ فِي الْبَحْرِ لَارْتَقَتْ عَلَيْهِ الْأَبْحُرُ
وصية الرِّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ^(١٩)

روى إسرائيل عن يونس بن أبي اسحاق السَّبَّيْعِي عن سعيد بن مَسْرُوقِ الثَّوْرِي

عن مُنْذِرِ بْنِ يَعْلَى الثَّوْرِي قال :

أَوْصَى الرِّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ : (هذا ما أوصى الرِّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ : يشهد أن لا إله إلا الله

وكفى بالله شهيدًا ، وجزايرًا لعباده الصالحين ومثيًّا . إني رضيتُ بالله ربًّا ، وبالإسلام

دينًا ، وبمحمد ﷺ نبيًّا وبالقرآن إمامًا . وإني أوصى نفسي ومن أطاعني أن يعبد الله

في العابدين ، وَيَحْمَدَهُ في الخامدين ، وَيُنْصَحَ لجماعة المسلمين) .

(١٧) كبة النار : معظمها - والحَوْلُ : ذو الحيلة ، والقلب : الذي يقلب الأمور ظهرًا البطن .

(١٨) ربيعة بن مَكَّدَمٍ : من أبطال الجاهلية ، واحد من فرسان مضر المعدودين .

(١٩) الرِّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ بن عائد عبد الله أبو يزيد الكوفي ثقة عابد قال له عبد الله بن مسعود :

لو رآك رسول الله لأحبك مات سنة ٦٣ هـ . تقريب التهذيب : ١ - ٢٤٤ .

وصية جندب بن عبد الله البجلي

روى شعبة بن الحجاج عن يونس بن جبير قال :

شيعنا جندب بن عبد الله قلنا : أوصينا .

فقال :

أوصيكم بتقوى الله وبالقرآن ، فإنه نور الليل المظلم ، وهُدَى النهار ، فاعلموا واعملوا به على ما كان من جهد وفاقه ، فإن عَظُمَ بلاءٌ فقدم مالك دون نفسك ، فإن جاوز البلاء فقدم مالك ونفسك دون دينك^(١) .

واعلم أن المحروب من حُرِبَ دينه ، والمَسْلُوب من سلب دينه ، واعلم أنه لا غنى بعد النار ، ولا فقر بعد الجنة ، وأن النار لا يُفك أسيرها ، ولا يَسْتغنى فقيرها .

ولما حضرت الوفاة عمر بن هبيرة^(٢) جزع وجعل يقول :

لله تَرُّ البغلات المُسَرَّجات الواقفات بأبواب السلطان . والله لو دِدْتُ أني كنتُ راعي

إبل مائة لرجل سيء الملكة^(٣) .

ولما احتضر إبراهيم بن يزيد النخعي^(٤) جزع جزعا شديدا وجعل يقول :

نفسى أعزُّ الأنفس على .

فقيل له :

يا أبا عمران ! أتجزع هذا الجزع من الموت ؟

فقال :

(١) م : فإن عرض بلاءٌ فقدم مالك دون دينك وما أثبتناه من ل

(٢) هو أبو المثنى عمر بن هبيرة الفزاري أمير داهية شجاع ساعد بنى أمية على تثبيت ملكهم توفي سنة ١١٠ هـ .

(٣) سيء الملكة أى الذى لا يحسن صحبته الممالك . اللسان : ملك

(٤) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي أبو عمران الكوفي الفقيه ثقة إلا أنه يرسل كثيرا من الخامسة مات سنة ست وتسعين ، وهو ابن خمسين أو نحوها . تقريب التهذيب : ١ - ٤٦ .

وأى غرير أعظم ممّا أنا فيه^(٥) ، إنّما أتوقع رسولاً من ربي إما بجنته وإما بنار .

ويروى أن فتى من الأعراب حضرته الوفاة ، فنظر إلى أبيه وأمه يبكيان حوله بكاء

ذريعا فقال :

ما يبكيكما ؟

فقالا :

إننا لنعلم أن للموت ما تلد الوالدة ، ولكن ليزهر كان فيك .

فقال : آ الله ! ما يبكيكما إلا ذلك !

فحلفا على ذلك . فقال :

فوالله الذى لا إله إلا هو ما يسرنى أن إليكما من أمرى ما إلى ربي

ويروى أن رجلاً من أبناء فارس احتضير فجزع فقيل له :

ما بك ؟

فقال :

ما ظنكم بمن يقطع سفراً بعيداً بلا زاد ، ويقدم على حكم عادل بلا حجة ، ويسكن

قبراً موحشاً بلا مؤنس ؟

وصية المهلب بن أبي صفرة الأزدى^(١)

ولما حضرت المهلب بن أبي صفرة الوفاة^(٢) أوصى بنيه فقال :
أوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم ، فإن تقوى الله تُعقب الجنة ، وإن صلة الرحم
تُسيء في الأجل^(٣) ، وتثري المال ، وتجمع الشمل^(٤) ، وتكثر العدد ، وتعمّر الديار ،
وتغزّ الجانِب .

وأنهاكم عن معصية الله ، فإنها تُعقب النار ، وإن قطيعة الرحم تورث القلة والذلة ،
وتفترق الجمع^(٥) ، وتذرّ الديار بلاقيع^(٦) ، وتذهب المال . وتطمع العدو ، وتبدي
العورة .

يا بني قومكم قومكم^(٧) ! إنه ليس لكم فضل عليهم^(٨) بل هم أفضل منكم إذ
فضلوكم وسودوكم ووطؤوا أعقابكم . وبلغوا حاجتكم^(٩) فيما أردتم ، وأعانوكم ، فلهم
بذلك حقّ عليكم ، وبلاء عندكم ولا تؤثّون شكره^(١٠) ، (ولا تقومون بحقه ، فإن
طلبوا فاطبئوهم ، وإن سألوا)^(١١) فأعطوهم ، وإن لم يسألوا فابتدئوهم ، وإن شتموا
فاحملوهم ، وإن غشوا أبوابكم فافتتح لهم ولا تُغلق دونهم .

يا بني ! إني أحبُّ للرجل منكم أن يكون لفعله الفضل على لسانه ، وأكره للرجل
منكم أن يكون للسانه الفضل^(١٢) على لعله .

(١) أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة ، واسمه ظالم بن سراق الأزدي ولد قبل وفاة النبي ﷺ بستين
كان من أشجع الناس ، حمى البصرة من الخوارج . وله معهم وقائع كثيرة مشهورة . ولاة عبد
الملك بن خراسان سنة ٦٩هـ . ونهى عليها حتى توفي سنة ٧٣هـ . وفيها الأعيان : ٣٥٠-٣٥٩ .

(٢) لما احتضر المهلب بن أبي صفرة في ل .

(٣) تنسيء الأجل : تبعده وتؤخره .

(٤) الشمل : زيادة من ل .

(٥) ل : الجميع . (٦) ل : بلقما (٧) قومكم الثانية : ليست موجودة في ل .

(٨) ل : عليهم فضل . (٩) حاجاتكم لما في : ل (١٠) ل : لا يؤدون

(١١) ما بين القوسين ليس موجودا في ل . والمعنى : فإن طلبوا فاطبئوهم أي إن طلبوا شيئا

فأعطوهم . (١٢) ل : فضل

يَابُنَى ، اتقوا الجواب ، وَزَلَّهَ اللِّسَانَ ، فَإِنِ وَجَدْتُ الرَّجُلَ تَعَثَّرَ قَدَمَهُ فَيَقُومُ مِنْ زَلَّتِهِ وَيَتَمَشَّحُ مِنْهَا ، وَيَزِيلُ لِسَانَهُ فَيُوبِقُهُ ، وَتَكُونُ فِيهِ هَلَكَةٌ .

يَابُنَى ! إِذَا غَدَا عَلَيْكُمْ رَجُلٌ (١٣) أَوْ رَاحَ فَكْفَى بِذَلِكَ مَسْأَلَةً وَتَذَكْرَةً بِنَفْسِهِ .

يَابُنَى ! ثِيَابِكُمْ عَلَى غَيْرِكُمْ أَجْمَلٌ (١٤) مِنْهَا عَلَيْكُمْ ، (وَدَوَابُّكُمْ تَحْتَ غَيْرِكُمْ أَحْسَنُ مِنْهَا تَحْتَكُمْ) (١٥) .

يَابُنَى ! أَحْبَبُوا الْمَعْرُوفَ ، وَكَرِهُوا الْمُنْكَرَ وَاجْتَنِبُوهُ ، وَآثَرُوا الْجُودَ عَلَى الْبُخْلِ ، وَاصْطَنَعُوا الْعَرَبَ وَأَكْرَمُوهُمْ ، فَإِنَّ الْعَرَبِيَّ تَعْلَهُ (١٦) الْعِلَّةُ فَيَمُوتُ دُونَكَ وَيَشْكُرُ لَكَ ، فَكَيْفَ بِالصَّنِيعَةِ إِذَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ فِي احْتِمَالِهِ لَهَا ، وَشَكَرَهُ وَالْوَفَاءَ لِصَاحِبِهِ (١٧) .

يَابُنَى ! سُوِّدُوا أَكْبَارَكُمْ (١٨) وَاعْرِفُوا فَضْلَ قُوَى أَسْنَانِكُمْ تَعْظُمُوا بِذَلِكَ (١٩) ، وَارْحَمُوا (صَغِيرَكُمْ وَقُرْبِيهِ وَالْطُفُوهُ وَاجْبِرُوا) (٢٠) يَتِيمَكُمْ وَعُودُوا عَلَيْهِ بِمَا قَدَرْتُمْ ، (وَخَلُّوا عَلَى يَدَيْ سَفَهَاتِكُمْ ، وَتَعَاهَدُوا قُرَاءَكُمْ وَجِيرَاتِكُمْ بِمَا قَدَرْتُمْ عَلَيْهِ) (٢١) وَاصْبِرُوا لِلْحَقُوقِ وَنَوَائِبِ الدَّهْرِ .

وعليكم في الحرب بالأناة ، والتؤدة في اللقاء ، وعليكم بالتماس الخديعة في الحرب لعلوكم ، وإياكم والتترق والمجلة ، فإن المكيدة والأناة والخديعة في الحرب (٢٢) أنفع من الشجاعة وأعلموا أن القتال والمكيدة (٢٣) مع الصبر ، فإذا كان اللقاء ترك القضاء ، فإن ظفر امرؤ وقد (٢٤) أخذ بالحزم قال القاتل :
قد أتى الأمر من وجهه ، وإن لم يظفر قال :

ما ضيغ ولا قرط ، ولكن القضاء غالب . والزمو الحزم على أي الحالتين وقع الأمر

(١٣) رجل : زيادة من ل . (١٤) ل : أحسن . (١٥) ما بين القوسين زيادة من ل .

(١٦) تعله فعله وعد . يقال : وعده الأمر ، وبه وعده وعده . (١٧) ل : لصاحبها . (١٨) في

ل : كباركم . (١٩) ل : به

(٢٠) ما بين القوسين ليس موجودا في ل . (٢١) ما بين القوسين مأخوذ من ل

(٢٢) في الحرب . ليست في ل .

(٢٣) ل أن القتال والمكيدة . (٢٤) م : قد

والزموا الطاعة والجماعة ، وإياكم والخلاف تواصلوا وتآزرُوا^(٢٥) وتعاطفوا فإن ذلكم^(٢٦) يثبت المودة . وخذوا فيما أوصيتكم به بالجد والقوة والقيام به تظفروا بدنياكم ما كنتم فيها . وبآخرتكم إذا صيرتم إليها ، ولا قوة إلا بالله .

وليكن أول ما تبدؤون به أنفسكم إذا أصبحتم تعليم القرآن والسُنن والفرائض ، وتأدبوا بآداب الصالحين مِنْ قبلكم مِنْ سلفكم ، ولا تُثَقِّعُوا أهل الدَّعَاةِ والرِّيَّةِ ، ولا يَطْمَعُ في ذلك منكم طامع .

وإياكم والخفَّةُ في مجالسكم وكثرة الكلام ، فإنه لا يسلم منه صاحبه ، وأثوا حق الله عليكم ، فإني قد أبلغت إليكم وصيتي ، واتخذت لله الحجة عليكم .

* * *

وتوفى بمَرَوِ الرُّوْذِ^(٢٧) ، وتولى خراسان أربع سنين . فقال نهار بن توسعة^(٢٨) .

[الطويل]

أَلَا ذَهَبَ الْغَزْوُ الْمُقَرَّبُ لِلِنَفْسِ وَمَاتَ التَّدَى وَالْحَزْمُ بَعْدَ الْمُهْلَبِ
أَقَامَا بِمَرَوِ الرُّوْذِ رَهْنًا ثَرَابِهِ وَقَدْ غَيَّبَا عَنْ كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ^(٢٩)

قال :

نُمُّ وُلِّيَ مِنْ بَعْدِ الْمُهْلَبِ قَتِيبةُ بْنُ مُسْلِمٍ^(٣٠) ، فدخل عليه نهارُ بن توسعة وهو يعطى النَّاسَ ، فلما رآه عرفه ، وقال : أنت القاتل في المهلب ما قلت ؟

قال :

(٢٥) تآزرُوا : ليست موجودة في ل . (٢٦) ل : ذلك . وأيضا : تثبت بدل : يثبت .

(٢٧) مرو الروذ : مدينة من مرو الشاهجان . معجم البلدان : حرف م .

(٢٨) نهار بن توسعة بن أبي العجان شاعر بكر في خراسان اشتهر بالمدح والهجاء . توفى سنة ٨٣هـ

وانظر الأعلام : ٩ - ٢٤

(٢٩) رهني ... وعمينا في ل .

(٣٠) أبو حفص قتيبة بن مسلم الباهلي ، ولي الري في عهد عبد الملك وخراسان في عهد الوليد

وكرمه سليمان بن عبد الملك فخرج عليه قتيبة ، فسير إليه سليمان جيشا فهزمه وقتله سنة ٩٦هـ

(انظر الأعلام ٦ - ٢٨) .

بل أنا الذى أقول : [الطويل]
وَمَا كَانَ مُدْكُنًا وَلَا كَانَ قَبْلَنَا وَلَا هُوَ فِينَا كَائِنٌ كَائِنٌ مُسْلِمٌ
أَعْمٌ لِأَهْلِ الشَّرْكِ قِتْلًا بِسَيْفِهِ وَأَقْسَمَ فِينَا مَعْنَمًا بَعْدَ مَعْنَمِ
قال :

إن شئت فأقلل ، وإن شئت فأكثر ، لا تصيب منى خيرًا ، يا غلام ، حلق على
اسمه فلزم منزله حتى ولى يزيد بن المهلب خراسان ، فأتاه فدخل عليه وهو يقول :

[الطويل]
فَإِنَّ يَكْ ذَلْبِي يَا قَتِيَّةَ أَنْبَى بَكَيْتُ امْرَأًا قَدْ كَانَ فِي الْجُودِ أَوْحَدًا
أَبَا كُلِّ مَظْلُومٍ وَمَنْ لَا أَبَالَهُ وَغَيْثَ مُعِيشَاتِ أَطْلَنَ التَّلْدُودَا
فَسَأَلْتُكَ إِنَّ اللَّهَ إِنْ سُوتَ مُحْسِنٌ إِلَى فَقَدْ أَبْقَى يَزِيدَ وَمَخْلَدًا^(٣١)
فقال له :

احتكم

فقال :

مائة ألف .

ويقال :

إنَّ مَخْلَدَ بْنَ يَزِيدٍ هُوَ الَّذِي أَعْطَاهُ ، لِأَنَّ أَبَاهُ كَانَ قَدَّمَهُ خَلِيفَةً عَلَى خِرَاسَانَ . فَكَانَ
يَقُولُ بَعْدَ مَوْتِ مَخْلَدٍ «رَحِمَ اللَّهُ مَخْلَدًا مَا تَرَكَ لِي بَعْدَهُ مِنْ قَوْلٍ» .
وَكَانَ يَزِيدُ بْنُ الْمَهْلَبِ أَوْصَى مَخْلَدًا ابْنَهُ : لَمَّا سَارَ مِنْ خِرَاسَانَ إِلَى جُرْجَانَ^(٣٢) ،
فاسْتَخْلَفَهُ عَلَى خِرَاسَانَ ، أَنْ قَالَ لَهُ :

يَا بُنَى ! أَنْظِرْ هَذَا الْحَتَّى مِنْ الْيَمَنِ فَكُنْ لَهُمْ كَمَا قَالَ أَبُو دُوَادِ الْإِيَادِي : [الطويل]
إِذَا كُنْتُ مُرْتَادَ الرِّجَالِ لِتَفْعِهِمْ فَرِشٌ وَاصْطَنَعَ عِنْدَ الَّذِينَ بِهِمْ تَرْمِي^(٣٣)
وَكَئِنْ لِهَذَا الْحَتَّى مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ كَمَا قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ : [السريع]
يَا زَاكِبًا قُولَا لِإِخْوَانِنَا مَنْ كَانَ مِنْ كِنْدَةَ أَوْ وَائِلٍ

(٣١) أمالي القالى : ١٩٩ . (٣٢) جرجان : مدينة عظيمة بين طبرستان وخراسان .

(٣٣) البيت فى بلوغ الأرب ص ١١٤ وهو شاعر جاهلى شهد له العطية بالسبق .

إِنَّا وَ إِيَّاكُمْ وَمَا يَتَنَا كَمْوَضِعِ الزُّورِ مِنَ الْكَاهِلِ (٣٤)
قال :

وَتَمَى إِلَيَّ عَنْ مُسَلِّمَةَ بْنِ عَلْقَمَةَ قَالَ :

كُتِبَ مِرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ إِلَى وَلَدِ الْمَسُورِ (٣٥) يَعْزِيهِمْ عَنْ أَبِيهِمْ :

قَدْ بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي كَانَ مِنْ نَازِلِ قَضَاءِ اللَّهِ فِي الْمَسُورِ بْنِ عَمْرٍو ، وَمَا اخْتَارَ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْمَصِيرِ إِلَيْهِ ، فَعِنْدَ اللَّهِ يَحْتَسِبُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُصَابِهِ ، وَنِعْمَ الْمُتَوَفَّى تَوَفَاهُ اللَّهُ بَيْنَكُمْ وَفِي جُودِ اللَّهِ الْخَلْفِ الْكَافِي . وَقَدْ أَعَاظَكُمْ اللَّهُ مِنْ رِزِيَّتِكُمْ رَأْيَا مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ جَمِيلًا ، فِيهِ حَسَنُ الْخَلْفِ عَلَيْكُمْ . فَلْتَحْسُنْ ظَنُونَكُمْ بِرَبِّكُمْ وَخَلِيفَتِكُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْبِضْ وَلِيًّا لَهُ إِلَّا أَحْسَنَ خَلِيفَتِهِ فِي وَلَدِهِ وَأَهْلٍ لِحُمَّتِهِ (٣٦) .

وَتَحَدَّثَ يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدَ قَالَ :

عَزَى السَّائِبُ بْنُ الْأَمْرَعِ (٣٧) عَنْ ابْنِ لَهُ ، فَقَالَ السَّائِبُ : (هَكَذَا الدُّنْيَا تَصْبِحُ لَكَ

[الطويل]

سَارَةً وَتَمْسَى عَلَيْكَ مُتَكَرَّةً) ثُمَّ تَمَثَّلُ :

أَلَا قَدْ أَرَى أَنْ لَا لِحُلُودَ وَأَنْهُ سَيَنْعُقُ فِي ذَارِي غُرَابٍ وَيَخْجَلُ
وَيَقْسِمُ مِيرَائِي رِجَالَ أَعِزَّةٍ وَتَدَهَّلُ عَنِّي الْوَالِدَاتُ وَتُشْغَلُ (٣٨)

وَحَدَّثَ النَّضْرُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ :

مَاتَتْ امْرَأَةٌ بِبَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَزْنِيِّ (٣٩) فَاشْتَدَّ حُزْنُهُ عَلَيْهَا ، فَنَهَاهُ الْحَسَنُ فَقَالَ :

(يَا أَبَا سَعِيدٍ ! إِنَّهَا كَانَتْ مَوَاتِيَّةً ، وَكَانَتْ .. وَكَانَتْ ..)

فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ :

(٣٤) ديوان امرئ القيس : ٢٥٨ .

(٣٥) المسورين عمرو بن تميم كان من سادة أهل البصرة . التعازي : ٣٢ .

(٣٦) الخبير في التعازي . (٣٧) السائب بن الأمرع من بني ثقيف ولي أصبهان ، ومات بها وكان

عمره قد استعمله على المدائن

(٣٨) الخبير في التعازي : ٣٢ ، ٣٣ . (٣٩) بكر بن عبد الله المزني أبو عبد الله البصري ثقة ثبت

جليل مات سنة ١٠٦ هـ تقريبات التهذيب ١ - ١٠٦

(لا تياس فعند الله خير منها)

فتزوج أختها بعدها ، فمرَّ به الحسن بعد ذلك فقال :
(هذه خير من أختها)^(٤٠) .

قال أبو الحسن المدائني عن الحسن الجُفري قال :
لما مات سعيد أخو الحسن حزن عليه الحسن وقال :
(إنه لأعزُّ أهلي عليّ ولأنَّ يكون لي أحبَّ إليّ من أن أكون له) . فعاتبه بعض إخوانه
فقال الحسن :

يا عبد الله ! قد حزن يعقوب على ابنه يوسف فلم يُعتفه الله بذلك^(٤١) .

وقال عن كُليب بن خلف :

قال عبد الكريم المازني لعبد الله بن عبد الله بن الأهم :

كيف كان جَزَعُك على أهل بيتك ؟

فقال : ما ترك هم^(٤٢) الغداء والعشاء في قلبي حزنا على أحد .^(٤٣)

وقال يزيد بن عياض بن جُعْدبة :

كان عبد الله بن الزبير إذا أصابته مصيبة قال :

قد قتل أبي وإمامي عثمان بن عفان^(٤٤) فصبرت .

وقال أبو عبد الرحمن العجلاني :

أخبرني إسماعيل بن يسار قال :

(٤٠) التعازي : ٣٣

(٤١) التعازي : ٣٣ . (٤٢) ل : حُبْ : بدل / هم (٤٣) التعازي : ٣٤

(٤٤) الخبر في التعازي : ٣٤

مات ابن لأرطاة بن سُهيّة الثرعى من غطفان فأقام على قبره حَوْلًا يأتيه كل غداة فيقول :

يا عمرو! إن أقمْتُ حتى أمسى هل أنت راتح معى ؟ ويأتيه في المساء فيقول مثل ذلك ثم ينصرف .

فلما كان رأس الحول تمثل :

إلى الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا
وَمَنْ يَكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اغْتَدَرَ [الطويل]

وَقَفْتُ عَلَى قَبْرِ ابْنِ لَيْلَى فَلَمْ يَكُنْ
هَلْ أَنْتَ ابْنُ لَيْلَى إِنْ نَظَرْتُكَ رَائِحَ
فَلَوْ كَانَ : لَبَى شَاهِدًا مَا أَصَابَنِي
فَمَا كُنْتُ إِلَّا وَالِهَا بَعْدَ زَفْرَةٍ
مَتَى لَا تَجِدُهُ تَنْصَرَفُ لِطَيَاتِهَا
عَلَى الدَّهْرِ فَأَعْجِبْ إِنَّهُ غَيْرُ مُعْجَبٍ

وقال أبو محمد الكعبي :

قالى عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين استشهد أخوه زيد بن الخطاب بالجمامة ، وحضره رجل من بنى عدى بن كعب ، فرجع إلى المدينة ، فلما رآه عمر دمعت عيناه ثم قال :

أُحَلِّفُ زَيْدًا ثَاوِيًا وَأَبَيْتِي^(٤٦)

وقال المثنى بن عبد الله بن عوف :

كان عمر بن الخطاب إذا أصابته مصيبة قال :

قد فقدت زيدا فصبرت .

وكان يقول :

ما هبت الصبّا إلا وجدت نسيم زيد^(٤٧)

وقال أبو الحسن :

أخبرني من أتق به عن حكيم من الحكماء :

قال :

مات أخ له فجزع عليه ، فقال له قاتل من أصحابه :

اصنع بنفسك ما يصنعه بك الدهر

وأخبر عن أبي إبراهيم قال :

قال عباد بن مُحَاشِن :

استشهد لي ابنان فجزعت عليهما .

فقال له رجل :

ثم ماذا ؟

قال :

كان جرحًا فبرأ^(٤٨) .

وتحدث قال :

لما مات معاوية دخل على يزيد أشراف أهل الشام فلم يجتمع لأحد منهم تعزية مع

تهنئة إلا أعطاه بن أبي صَيْفِي فإنه قال :

يا أمير المؤمنين ! أصبحت قد رزئت خليفة الله ، وأعطيت خلافة الله . قضى معاوية

نحبه ، فغفر الله ذنبه ، وأعطيت بعده الرئاسة ، ومنحت السياسة ، فاحتسب عند الله

عظيم الرزية واشكره على حسن العطفية^(٤٩) .

وقال الأصمعي :

لما ماتت البانوقة بنت المهدي اشتد جزعه عليها وحجب الناس ، فتلطف شبيب بن

شبية فدخل عليه فقال :

يأمر المؤمنين ! والله لله خَيْرٌ لها منك ، ولثواب الله خَيْرٌ لك منها . وإن أَحَقُّ ما صَبِرَ عليه ما لم يُقَدَّر على دفعه .
فكان أول ما تسلى به ، وأذن للناس (٥٠) .

* * *

وقال جُوَيْرِيَّةُ بن أسماء :
اشتكى ابن لعبد الله بن عمر بن الخطاب فجزع عليه ، فلما مات لم يظهر منه مثل ما كان يظهر في مرضه . فقيل له في ذلك فقال:
كان ذاك منى رحمة له ورقة ، فلما وقع القضاء رضيْتُ وسلمتُ (٥١) .

* * *

وقال أبو الحسن :
أصبح رجل من بني نهشل وقد مرّت له عدة أباعر وشاء ، فقال :
لئن كانت المنية باتت تُطيف بي ثم أصبحت ، وقد زالت عنى إلى شاقٍ وبعورى ، ثم
جزعت إلى الجزوع . ثم قال :
[مجزوء الكامل]
الْمَرْءُ يَسْتَعِي سَادِرًا حَسَى يُقَالُ لَهُ : تَعَالَهُ (٥٢)

* * *

وتحدث أبو الحسن المدائني أو غيره عن أبان بن تغلب النحوى قال :
شهدت امرأة من الأعراب وبين يديها ابن لها رجلٌ وهو يجود بنفسه وعندها جماعة من قومها . فلما قضى وَتَبَتْ إليه فَعَمَّضَتْه وَعَصَبَتْه وترحمت عليه ، ثم تنحّت إلى مجلسها فقالت : يا أبان ! مِنْ حَقِّ من أَلْبَسَ النعمة وأطيلت به النَّظْرَةَ ألا يعجز عن التوثق لنفسه من قبل حلِّ عَقَدَتِهِ ، والحلول بعَقْوَتِهِ والحِمال بينه وبين نفسه .
قال :

فقال رجل من الأعراب ممن حضرها :
إنا لم نزل نسمع أنما الجزع للنساء ، فوأبيك لقد كرم صبرك ، وما اشبهت النساء !
فقالت :

ما مِيزَ إنسان بين صبر وجزع إلا وجد بينها منهجين بعيدي التفاوت في حالتيهما .

(٥٠) التمازي : ٤١ ، ٤٢ (٥١) التمازي : ٤٢

(٥٢) السادر : هو الذى لا يتم بشيء والخير فى التمازي : ٤٢

أما الصبر فحَسَنُ العَلَانِيَةِ ، محمود العاقبة . وأما الجزع فغَيْرُ معْوِضٍ عِوَضًا مع مَائِمِهِ ، ولو كانا رَجَلَيْنِ فِي صُورَةِ كَانِ الصَّبْرِ أَوْلَاهِمَا بِالغَلْبَةِ عَلَى الحَسَنِ فِي الخَلِيقَةِ وَالكَرَمِ فِي الطَّبِيعَةِ^(٥٣) .

* * *

وقال أبان :

حدثنا ابن السَّمَاكِ^(٥٤) قال :

جلسنا ننتظر جنازة لتخرج إذ مرَّ بنا أعرابيٌّ فوقف علينا فسَلَّمَ ثم قال :
إِنَّ أعْظَمَ المصِيبَةِ مُصَابِكُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، عَظَّمَ اللَّهُ أجْرَكُمْ ، وَرَحِمَ مِيتَكُمْ .
قال ابنُ السَّمَاكِ :

فَمَا يُحْتَمِلُ إِلَيَّ أَنِّي سَمِعْتُ كَلِمَاتٍ أَوْجَزَ مِنْهِنَّ : إِنَّهُ صَدَّرَ كَلَامَهُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ،
وَعَزَّانَا ، وَتَرَحَّمَ عَلَيَّ مِيتَنَا فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ .

وقال أبان :

سَمِعْتُ بَعْضَ الأَعْرَابِ يَتَلَهَفُ عَلَى حَمِيمٍ لَهُ ، ثُمَّ تَنَفَسَ الصَّعْدَاءُ وَقَالَ :
أَيْهَاتُ^(٥٥) عَتَبَ النَّاسُ عَلَى الدَّهْرِ ، فَلَمْ يُعْتَبْ مُسْتَعْتَبِيًّا ، وَلَمْ يَرِثْ لِمُتْلَهْفٍ عَلَيْهِ ، ثُمَّ
قال :

كُلُّ امْرِئٍ مَنَّا يَجْرِي فِي السَّوَابِقِ مِنْ حَتَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ .

* * *

وتحدث الجِرْمَازِيُّ قال :

كان مروان بن عبد الملك ، وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، من أحب ولد عبد الملك إليه ، فتوفى في حياة عبد الملك ، فكان أهل العلم بعبد الملك بن مروان يروون أنه لو بقي لثَلَثَ به في العهد . فكتب إلى عبد الملك بعض عمومته من بنى الحكم وهو غائب يعزيه عنه ويسأله كيف كان صبره .

(٥٣) التعازي : ٦٦ . (٥٤) هو أبو العباس محمد بن صبيح المعروف بابن السماك سمع من جماعة منهم سفيان الثوري ، وروى عنه أحمد بن حنبل ، وهو كوفي قدم بغداد زمن الرشيد فكان يكيه من قوة وعظمة ، مات بالكوفة سنة ١٨٣ هـ . التعازي : ٦٩ .

(٥٥) أيهات بمعنى هيات أي بعد .

فكتب إليه عبد الملك :
كَبَيْتُ نَسْأَلَ عَنْ صَبْرِي لَتَعْلَمَهُ
فَقَدْ صَبْرْتُ بِعَوْنِ اللَّهِ مُخْتَسِبًا
وَلَوْ حَزْنْتُ فَلَمْ أَصْبِرْ لِفِرْقَانِهِ
عَلَى الرَّزِيَّةِ فِي الْمَأْمُولِ مَرْوَانَ
لِمَوْعِدِ اللَّهِ مِنْ فَوْزٍ وَرِضْوَانٍ
مَا كَانَ فِي فَقْدِهِ مِنْهَاةٍ أُخْزَانِي
قال الحرمازي :

وكان سبب موت مروان بن عبد الملك أنه وقع بينه وبين أخيه سليمان كلامً فمَجَلَّ عليه سليمان ، فقال له :
يا ابن مُلْحِنٍ^(٥٦) أمه ، ففتح فاه ليحبيه وإلى جانبه عمرُ بنُ عبد العزيز فأمسك على فيه ورَدَّ كلمته وقال :

يا أبا عبد الملك أخوك وإمامك وله السنُّ عليك
فقال :

يا أبا حفص ! قتلتني

قال :

وما صنعتُ بك ؟

قال :

رَدَدْتُ فِي جَوْفِ أَحْرٍ مِنَ الْجَمْرِ . وَمَالَ لِحَبْهِ فَمَات .

وفيه يقول جرير يخاطب أخاه لأمه يزيد بن عبد الملك :
أَبَا خَالِدٍ فَارَقْتُ مَرْوَانَ عَنْ رِضَى
فَسَيِّرُوا فَلَا مَرْوَانَ لِلْحَيِّ إِنْ شِئُوا
وَلَا الرُّكْبِ إِنْ أَمْسُوا مُخْفِينَ جَوْعًا^(٥٧)
قال الحسن مازوى :

وبلغني أن عبد الملك أمر غاسله إذا فرغ من جهازه أن يُؤذنه ، ففعل ، فكشف عن وجهه ، ثم قال :
الحمد لله الذي يقتل أولادنا ونُحِبُّهُ .

* * *

(٥٦) لحن : نتن ، ويقال في السب : يا ابن اللخناء . المعجم الوسيط : ٢ - ٨٢٧ واللحن : نتن المغابن : وهي مطاوى الجسد
(٥٧) البيتان لابيوجدان في ديوان جرير .

قال أبو الحسن :

لما حضرت أيوب بن سليمان بن عبد الملك الوفاة - وكان ولّى عهد أبيه - دخل عليه وهو يجود بنفسه ومعه عمر بن عبد العزيز وسعيد بن عقبة ورجاء بن حيوة^(٥٨) قال : فجعل ينظر في وجهه وهو يفوق^(٥٩) بنفسه فَحَنَّقَتْهُ العَبْرَةُ فَرَدَّهَا ثم نظر إلينا فقال :

إنه - والله - ما يملك العبد أن يسبق الوجدُ إلى قلبه عند المصيبة والناس عند ذلك أخيف^(٦٠) ، فمنهم من يغلب صبرُه جزعُه ، فذلك الجَلْد الحازم المحتسب ، ومنهم من يغلب جزعُه صبرُه فذلك المغلوب الضعيف العقدة ، وليس منكم حِشْمَةٌ ، وإني أجد في قلبي لوعة إن لم أبرِّدها بعبيرة خفت أن تنصدع كبدي كمدا وأسفا .
فقال له عمر بن عبد العزيز :

يا أمير المؤمنين ! الصبر أولى بك فلا تُحْبِطُنْ أجرك .

قال سعيد بن عقبة :

فنظر إليّ وإلى رجاء بن حيوة نظر مُستغيث يرجو أن نساعده على ما أراد من البكاء .
أما أنا فكرهت أن أمره أو أنهاه ، وأما رجاء فقال :

يا أمير المؤمنين ! افعلْ فإني لا أرى بأسا ما لم تأت الأمر المُفْرِط وقد بلغني أن رسول الله ﷺ لما هلك ابراهيم اشتد وجده عليه فدمعت عيناه فقال :

«تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب ، وإني أباك يا إبراهيم محزونون .
قال : فأرسل عينيه فبكى حتى ظننا أن نياط قلبه^(٦١) قد انصدع
فقال عمر :

يارجاء ! هذا ما صنعت بأمر المؤمنين !

فقال :

دعه يا أبا حفص يَقْض من بكائه وطرا ، فإنه لو لم يخرج من صدره ما ترى لَحِيفَتَ
أن يأتى عليه ، ثم رَقَاتٌ عَبْرُهُ^(٦٢) ، فدعا بماء فغسل وجهه فأقبل علينا وقد قضى

(٥٨) رجاء بن حيوة الكندي من العلماء والوعاظ ، كان ملازما لعمر بن عبد العزيز في عهده الإمامة والخلافة توفي سنة ١١٢هـ .

(٥٩) يفوق : يموت من قولهم : فاق بنفسه عند الموت : مات ، المعجم الوسيط : ٢ - ٧١٣ .

(٦٠) أخيف : مخلفون : المعجم الوسيط : ١ - ٢٦٥ .

(٦١) نياط القلب : العرق الذي في القلب متعلق به

(٦٢) رفاً : سكن وجف : المعجم الوسيط : ١ - ٣٦٤ .

الفتى فأمر بجهازه ، وخرج يمشى أمام جنازته ، فلما دفن وحُثي^(٦٣) التراب عليه وقف قليلا ينظر إلى قبره ثم قال :

[الطويل]

وَقَفْتُ عَلَى قَبْرِ مُقِيمٍ بِقَفْرَةٍ مَتَاعٌ قَلِيلٌ مِنْ حَبِيبِ مُقَارِقٍ^(٦٤)
ثم قال :

[السريع]

السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَيُّوبَ
كُنْتُ لَنَا أَلْسًا فَأَوْحَشْتَنَا فَالْعَيْشُ مِنْ بَعْدِكَ مُرٌّ الْمَذَاقُ
ثم قال :

[البيسط]

أَذِنَ يَا غَلَامُ دَابِتِي فَرَكَبْتُ ثُمَّ عَطَفْتُ بِرَأْسِ دَابِتِي إِلَى الْقَبْرِ ثُمَّ قَالَ :
فَإِنْ صَبَرْتُ فَلَمْ أَلْفِظْكَ مِنْ شَيْعٍ وَإِنْ جَزَعْتُ فَمَلَقْتُ مَنَفْسَ ذَهَبًا
فقال عمر :

يا أمير المؤمنين! بل الصبر فإنه أقرب إلى الله وسيلة ، وليس الجزع يحيى من مات ،
وبالله العصمة والتوفيق^(٦٥) .

* * *

وقال الحسن بن عمارة^(٦٦) عن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد عن أبيه عن عائشة
قالت :

لما مات عبد الله بن أبي بكر وجد عليه أبو بكر وجدًا شديدًا ، ثم دخل عليّ فقال :
يا عائشة ! والله لكأنما أخذ بأذن شاةٍ من دارنا فأخرجت ، فقلت :
الحمد لله الذي عَزَمَ لك على رُشدك ، وربط على قلبك قالت :
ثم جاء بعد ذلك فقال :

أى بُنْيَةٍ ! أتخافين أن تكونوا دفنتم عبد الله وهو حي ؟
فقلت :

أستعذ بالله يا أبة .

فقال :

(٦٣) حنا عليه التراب : هاله عليه . (٦٤) الكامل : ١٢١٨ . (٦٥) الخير مُجَمَّلًا في الكامل .
١٢١٨ .

(٦٦) الحسن بن عمارة فقيه محدث ، ولاء المنصور قضاء بغداد ثقة فاضل توفي سنة ١٥٣ هـ .
تقريب التهذيب : ١ - ١٦٩ .

استعِذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، أئى بنية ، إنه ليس أحد إلا وله من الشيطان لَمَّةٌ (٦٧) .

فرثه عاتكة امرأته ، وهى ابنة زيد بن عمرو بن نفيل (٦٨) فقالت : [الطويل]
فَأَلَيْتُ لَأَنْتُفَكَ عَنِّي سَخِينَةً وَعَلَيْكَ وَجِلْدِي آخِرَ الدُّهْرِ أَغْبَرًا

* * *

وهذا يتصل بحديث ليس من هذا الباب

ولما مات عبد الرحمن بن أبى بكر ولم تحضره عائشة ، فأنت قبره فقالت :

يا أخى لو كنتُ شهدتُ وفاتك لم أزر قبرك ثم تمثلت :

وَكُنَّا كَنَدَمَائِي جُدَيْمَةَ حِقْبَةً مِنَ الدُّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ نَتَصَدَّعَا
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا لَطُولِ اجْتِمَاعِ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا (٦٩)

* * *

وحدثنا ابن عائشة وغيره وحديثه أتم أن عائشة حضرت أبا بكر وهو يقضى فقالت :

[الطويل]

أَمَاوِيُّ مَا يُغْنِي الثَّرَاءَ عَنِ الْفَتَى إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصُّدْرُ (٧٠)

فقال :

أى بنية لا تقولى هكذا وقولى :

﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾ (٧١) وهكذا كان يقرؤها أبو بكر رضى الله عنه

* * *

قال الهلالي :

كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وكان عثمان رحمه الله (٧٢) إذا قيل له :

مات فلان

قال : لا إله إلا الله .

(٦٧) اللمة : وسواس الشيطان يلزم بالإنسان .

(٦٨) قرشية عدوية من المهاجرات إلى المدينة صحابية شاعرة توفيت

(٦٩) البيتان لمتهم بن نويرة وقد مر . (٧٠) البيت لحاتم الطائى

(٧١) سورة ق : ١٩ وقراءة أبى بكر : (وجاءت سكرة الحق بالموت)

(٧٢) وكان عثمان ... زيادة من ل .

قال الهلالي :

قيل لمعاوية : مات زياد !

فقال :

وَأَرْجُلَاهُ ! ثم قال :

[الطويل]

أَفْرَدْتُ سَهْمًا فِي الْكِنَانَةِ وَاحِدًا سَيَّرَمِي بِهِ أَوْ يَكْسِيرِ السَّهْمِ كَأَسِيرِ

* * *

وقال :

لما هلك ابنُ معاذِ جَبَلٍ كتب إليه رسولُ الله ﷺ :

من محمد رسول الله إلى معاذ بن جبل .

«سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو .

أما بعد

فإن أنفسنا وأهلينا وأموالنا من ودائع الله جل ذكره وعواريه المستردة يُمتع بها من شاء إلى أجل معدود ، ويقبضها لوقت معلوم ، فأمرنا بالشكر إذا أعطانا ، وبالصبر إذا ابتلانا ، وكان ابنك من مواهب الله الهنية ، ومن عواريه المستودعة يمتع بها من شاء إلى أجل معدود ، ويقبضها لوقت معلوم . وقد متعتك الله به في غبطة وسرور ، وقبضه منك بأجر كبير ، فالصلاة والرحمة والهدى - يامعاذ - إن صبرك واحسبت . فلا يُذهبن جزعك أجرك فتندم على ما فاتك . فإنك لو قدمت على ثواب مصيبتك قد أرضيت ربك ، وتنجزت مؤعده علمت أن المصيبة قد قصرت عنك . واعلم أن الجزع لا يرد ميتا ولا يدفع حزنا . فأحسن العزاء ، وتنجز الموعد ، وليذهب أسفك ما هو نازل بك فكان قد .

* * *

ولما مات مسمع جردين جاء شيب بن شيبه حتى أخذ بالباب الذي فيه ولده وأهله وبنوعمه فقال :

[الكامل]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم قال :

بَكُوا حُدَيْفَةَ لَنْ تَرْتُوا مِثْلَهُ حَتَّى تَيْدَ قَبَائِلَ لَمْ تُخْلَقِ

* * *

وقال الأصمعي :

مر رجل على بعض مقابر الأعراب فإذا هو بشيخ قاعد على شفير قبر ، وبين يديه فتية كأنهم الرماح يدفنون رجلا ، والشيخ يقول :
اخشوا على الدَّيْسِمِ (٧٣) مِنْ بَرْدِ النَّرَى قَدَمَا أَبِي رَبُّكَ إِلَّا مَا نَرَى (٧٤)
قال :

فسألت الشيخ :

من الميت ؟

فقال :

ابنى .

فقلت :

فمن هؤلاء ؟

قال :

بنوه

* * *

وقال أبو جعفر الدمشقي :

حدثنا أبو بكر السلمى عن المُعَاْفَى بنِ عِمْران (٧٥) عن شهاب بن خراش عن عبد الرحمن بن عثمان قال :

دخلنا على مُعَاذ بن جَبَلٍ وهو قاعد عند رأس ابن له وهو يجود بنفسه ، فما ملكنا أنفسنا أن ذَرَفَتْ عيوننا ، وانتحب بعضنا ، فزجره مُعَاذ وقال : مَهْ! فوالله لعلم الله برضاى بهذا أحبُّ إلى من كل غزوة غزوتها مع رسول الله ﷺ ، فإني سمعته يقول : مَنْ كَانَ لَهُ ابْنٌ وَكَانَ عَلَيْهِ عَزِيْزًا أَوْ بِهِ ضَنِينَا ، فَصَبِرْ عَلَى مَصِيْبَتِهِ وَاحْتَسِبْهُ أَبَدَلَ اللَّهِ الْمَيْتَ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ ، وَقَرَارًا خَيْرًا مِنْ قَرَارِهِ ، وَأَبَدَلَ الْمَصَابِ الصَّلَاةَ وَالرَّحْمَةَ وَالْمَغْفِرَةَ وَالرِّضْوَانَ .

فما برحنا حتى قضى الغلام حين أخذ المنادى في النداء لصلاة الظهر ، فرحنا نريد

(٧٣) الديسم : اسم الميت . (٧٤) الخير في التعازى : ٢٣

(٧٥) المُعَاْفَى بنِ عِمْران الأزدي الفهمي أبو مسعود الموصلي ثقة عابد فقيه من كبار حفاظ الحديث

مات سنة ١١٨٥ هـ وقيل : ١١٨٦ هـ . تقريب التهذيب : ٢٥٨ رقم ١٢١٥ .

الصلاة فما جئنا إلا وقد غسله وحنطه وكفنه ودخل [رجل] بسريره غير منتظر لشهادة الإخوان ولا لجمع الجيران .
قال :

فلما بلغنا ذلك تلاحقناه فقلنا : يغفر الله لك يا أبا عبد الرحمن ، هلاً انتظرتنا حتى تفرغ من صلاتنا ، ونشهد ابن أختينا .
فقال :

أمرنا ألا نتنظر بموتانا^(٧٦) ساعة ، ماتوا من ليل أو نهار . والإذن فيهم من نعى الجاهلية .
قال :

فنزل في القبر ونزل معه آخر
فقلت :

الثالث يا أبا عبد الرحمن
فقال :

إنما يقول الثالث الذين لا يعلمون^(٧٧) .
فلما سؤى عليه التراب أراد الخروج فناولته يدي لأنشطه^(٧٨) من القبر فأنى وقال :
ما أدع ذلك لفضل قوة ، ولكنى أكره أن يرى الجاهل أن ذلك منى جزع أو استرخاء عند المصيبة .

ثم أتى مجلسه فدعا بدهن فادهن وبكحل فاكحل ، وببردة فلبسها ، وأكثر في يومه ذلك من التيسم ، ينوى به ما ينوى ، ثم قال :

إنا لله وإنا إليه راجعون . في الله خلف من كل هالك . وعزاء عن كل مصيبة ، ودرك من كل مافات .
فقال :

سمعت أبا القاسم عليه السلام وهو يقول :
(من أصيب بمصيبة فدعا عليها ويلاً غضب الله عليه ومن لطم عليها وجهها احتجب الله عنه ، ومن حرق عليها ثوباً حرق دينه ومزقه وبذده^(٧٩) .

(٧٦) في م : موتانا .

(٧٧) هامش م كتب : إنما يقول الثالث في أنزال الميت في قبره من لا يعلم .

(٧٨) نشطة وأنشطة : جذبه .

(٧٩) الحديث في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث : ٢٦/٢ الرسالة .

قال :

فلما كان طاعون عمواس طُعِنَ معاذ في يده ، فدخلنا عليه فرأيناهُ مغمىً عليه ،
باسطا يده كأنه يصافح قومًا ويرحِّب بهم . فلما أفاق قلنا له :

يا أبا عبد الرحمن ! رأيناك وأنت مغمى عليك باسطا يدك كأنك تصافح قومًا^(٨٠)

وترحب بهم .

فقال :

أجل شكر لي ربي بصبري^(٨١) على ابني فأرسل لي ملائكة من الكروبيين^(٨٢)

يشيعوني إلى قبري .



(٨٠) ل : يا أبا عبد الرحمن دخلنا عليك وكأنك تصافح قومًا .

(٨١) ل : شكرني ربي بصبري .

(٨٢) الكروبيين لعلها مأخوذة من الكرب ، ولعلمهم ملائكة جعلهم الله يمينون الكرب عن

المؤمنين . والله أعلم .

باب [مراثي أشعار المحدثين]

قال أبو العباس :

وقصدنا في وقتنا هذا لذكر مراثي أشعار المحدثين^(١) لتنزل بها من خشونة أشعار القدماء إلى لطف المولدين لمشاكلة الدهر وملاحة القول لثمضتي من ذلك شيئا ، ثم نعود إلى أمرنا الأول إن شاء الله تعالى من أشعار قديمة ومواعظ حكيمة . وبالله الحول والقوة :

قال مسلم بن الوليد^(٢) يرثي الفضل بن سهل ذا الرئاستين^(٣) : [الطويل]
وَهَلَّتْ فَلَمْ أَمْتَعْ عَلَيْكَ بِعَبْرَةً^(٤) وَأَكْبَرْتُ أَنْ أَلْقَى يَوْمَكَ نَاعِيَا
فَلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّهُ لَأَعْجُ الْأَسَى وَأَنْ لَيْسَ إِلَّا الدَّمْعُ لِلْحُزْنِ شَافِيَا
بَعَثْتُ لَكَ الْأَنْوَاحَ فَازْتَجَّ يَتِيهَا نَوَادِبُ يَنْدُبْنَ الْعُلَى وَالْمَسَاعِيَا
الْبِيَّاسُ أَمْ لِلْجُودِ أَمْ لِلْمَقَاوِمِ مِنَ الْمَلِكِ يَزْحَمَنَّ الْجِبَالَ الرَّوَاسِيَا
فَلَمْ أَرَ إِلَّا قَبْلَ يَوْمِكَ ضَاحِكًا وَلَمْ أَرَ إِلَّا بَعْدَ يَوْمِكَ بَاكِيًا^(٥)

* * *

وقال إبراهيم بن المهدي^(٦) يرثي ابنا له أصيب به بالبصرة وهو والها . وكان فيما يؤثر عنه يَسْتَحِقُّ (أن يرثي وأن يوصف ، وشعره هذا يستحق)^(٧) أن ييكي القلوب ،

(١) ل : مراثي من أشعار المحدثين .

(٢) مسلم بن الوليد المعروف بصريع الغواني شاعر من أهل الكوفة نزل بغداد ومدح هارون الرشيد والبرامكة . اتصل بالفضل بن سهل فولاه بريد جرجان إلى أن توفى سنة ٢٠٨ هـ له ديوان شعر .

معجم المؤلفين : ١٢ - ٢٣٤

(٣) أبو العباس ذو الرئاستين (الوزارة والسيف) وزير للمأمون وكان حازما فصيحا ، قتل في الحمام بسرخس مفاجأة فحزن عليه المأمون كثيرا سنة ٢٠٣ هـ (أنظر وفيات الأعيان ج ٤ ص ٤١)

(٤) في الديوان : دَهَلْتُ فَلَمْ أَنْقَعْ غَلِيْلًا بِعَبْرَةٍ .

(٥) شرح ديوان صريع الغواني : ٢٠٦ .

(٦) إبراهيم بن المهدي بن المنصور ، أخو هارون الرشيد ، عالم ، أديب ، شاعر ، له ترسل وشعر ، له مؤلفات منها : أدب إبراهيم ، والغناء ، والطب توفى عام ٢٢٤ هـ عن عمر بلغ ٨٢ سنة . معجم

المؤلفين : ١ - ١٦٦ .

(٧) ما بين القوسين من ل .

ويستنزل الدموع بحسن لفظه ، وصحة معناه وشرف قائله ، وأنه إذا سُمع علم أنه عن نية صادقة . فقال :

نَأَى آخِرَ الْأَيَّامِ عَنْكَ حَبِيبُ
دَعْنَهُ نَوَى لَا يُرْتَجَى أَوْبَةٌ لَهَا
يُؤُوبُ إِلَى أَوْطَانِهِ كُلِّ غَائِبٍ
تَبَدَّلَ دَارًا غَيْرَ دَارِي وَجِيرَةً
أَقَامَ بِهَا مُسْتَوْتًا غَيْرَ أَنَّهُ
تَوَلَّى وَأَبْقَى بَيْنَنَا طَيْبَ ذِكْرِهِ
خَلَا أَنْ ذَا يَفْتَى وَيَلَى وَذِكْرُهُ
كَأَنْ لَمْ يَكُنْ كَالدَّرِ يَلْمَعُ نُورُهُ
كَأَنْ لَمْ يَكُنْ كَالْفُصْنِ فِي مِعَةِ الضُّحَى
كَأَنْ لَمْ يَكُنْ زَيْنَ الْفِتَاءِ وَمَعْقِلَ النَّسْ
وَرِيحَانَ قَلْبِي كَانَ حِينَ أَشْمُهُ
قَلِيلًا مِنَ الْأَيَّامِ لَمْ أَرَوْ^(٩) نَاطِرِي
كَظَلِّ سَحَابٍ لَمْ يَقُمْ غَيْرَ سَاعَةٍ
أَوْ الشَّمْسِ لَمَّا عَنِ غَمَامٍ تَحَسَّرْتُ
كَأَنِّي بِهِ إِذْ كُنْتُ فِي التَّوَمِ حَالِمٌ
فَلَسْتُ لِحَطُوبِ الدَّهْرِ أَحْفَلُ بَعْدَهُ
وَلَأَلِي شَيْءٌ عَنْهُ مَا عِشْتُ لُدَّةً
وَكَأَنَّ نَصِيبَ الْعَيْنِ مِنْ كُلِّ لُدَّةٍ
وَكَأَنَّ وَقَدْ آزَى الرَّجَالَ بِعَقْلِهِ
بِمَا تَتَهَادَاهُ الرُّكَّابُ لِحُسْنِهِ

فَللْعَيْنِ سَخٌ دَائِمٌ وَغُرُوبٌ
فَقَلْبُكَ^(٨) مَسْلُوبٌ وَأَنْتَ كَهَيْبُ
وَأَحْمَدُ فِي الْغِيَابِ لَيْسَ يَأُوبُ
سِوَايَ وَأَحْدَاثُ الزَّمَانِ تُنُوبُ
عَلَى طُولِ أَيَّامِ الْمَقَامِ غَرِيبُ
كَبَابِي ضِيَاءِ الشَّمْسِ حِينَ تُغِيبُ
بِقَلْبِي عَلَى طُولِ الزَّمَانِ قَشِيبُ
بِأَصْدَافِهِ لَمَّا تَشْنُهُ تُقُوبُ
سَقَاةُ التَّدَى فَاهْتَزَّ وَهُوَ رَطِيبُ
سَاءَ إِذَا يَوْمٌ يَكُونُ غَصِيبُ^(٩)
وَمُؤِنَسٌ قَصْرِي كَانَ حِينَ أُغِيبُ^(١٠)
بِهَا مِنْهُ حَتَّى أَعْلَقْتُهُ شُعُوبُ
إِلَى أَنْ أَطَاحْتُهُ فَطَاحَ جُنُوبُ
مَسَاءً وَقَدْ وَلَّتْ وَحَانَ غُرُوبُ^(١١)
نَفَى لُدَّةَ الْأَخْلَامِ عَنْهُ هُبُوبُ^(١٢)
وَلَوْ كَانَ مَا مِنْهُ الْوَلِيدُ يَشِيبُ
وَلَوْ نَلْتُ مَا هَبَّتْ عَلَيْهِ هُبُوبُ
فَأَضْحَى وَمَا لِلْعَيْنِ مِنْهُ نَصِيبُ
فَإِنْ قَالَ قَوْلًا قَالَ وَهُوَ مُصِيبُ^(١٤)
وَيَفْحَمُ مِنْهُ الْكَهْلُ وَهُوَ أَرِيبُ^(١٥)

(٨) م : فَلْبِكَ . (٩) هذا البيت ليس موجودا في ل .

(١٠) الكامل وريحان صدرى . والبيت في ل قدم فيه : حين على كان في الشطرين .

(١١) ل : لم يُرَوْ .

(١٢) م : من سحاب . (١٣) هبوب : تَيْقُظ من هامش م

(١٤) آزى الرجال : حازاهم وداناهم .

(١٥) ليس (بما تتهاداه) في ل .

بَعْدَ إلهي وَهِيَ مِنْهُ سَلِيبٌ
وَوَهْرِي مُنْقَدُ الْقَتَاةِ صَلِيبٌ
فَيَفْتَحُ الْأَذْيَانِ وَهُوَ حَرْبٌ^(١٦)
دَوَاءَكَ مِنْهُمْ فِي الْبِلَادِ طَبِيبٌ
عَلَيْهَا بِأَشْرَاكِ الْمَثُونِ رَقِيبٌ^(١٧)
بِعَيْنِي مَاءٌ بِمَا بَتِي يُجِيبُ
أَوْ الْحَضْرُ فِي قَرَعِ الْأَرَاكِ قَضِيبٌ
عَلَيْكَ لَهَا نَحْتُ الْعُضْلُوعِ وَجِيبٌ
تَوَيْتُ فِي قَلْبِي عَلَيْكَ لُدُوبٌ^(١٨)
يَمْسُكُ مِنْهَا فِي الْمَمْرِ دَبِيبٌ^(١٩)
حَوَاكِ بِهَا بَعْدَ التَّعِيمِ قَلِيبٌ
وَسَادُكُ لَهَا جَنْدَلٌ وَجَبُوبٌ^(٢٠)
وَلَيْسَ لَنَا فِي الْعَيْشِ بَعْدَكَ طِيبٌ^(٢١)
أَحْوَاكِ وَرَأْسِي قَدْ عَلَاةٌ مَشِيبٌ
لَذَابٌ بِنَارِ الشَّقِيقِ فَهِيَ لُدُوبٌ
صَدَى يَتَوَلَّى نَارَهُ وَتَلُوبٌ
وَلَوْ كُنْتُ حُزْنَا عَلَيْكَ قَلُوبٌ^(٢٢)
بِأَلِي وَإِنْ أَبْطَأْتُ مِنْكَ قَرِيبٌ
صَبَّاحٌ إِلَى قَلْبِي الْغَدَاةُ حَبِيبٌ^(٢٣)

وَكَانَتْ يَدِي مَلَأَى بِهِ ثُمَّ أَصْبَحْتُ
وَكُنْتُ بِهِ فِي الثَّابِتَاتِ إِذَا عَزْتُ
بِحَالِ الْيَدِي يَجْتَاحُهُ السَّيْلُ نَجْدَةٌ
جَمَعْتُ أَطِبَاءَ الْعِرَاقِ فَلَمْ يُصِيبْ
وَلَمْ يَمْلِكِ الْأَسُونُ دَفْعًا، لِمُهْجَةٍ
سَابِكِيكَ مَا أَبَقْتُ دُمُوعِي وَالْبَكَا
وَمَا لَاحَ نَجْمٌ أَوْ تَعَثَّ حَمَامَةٌ
وَأَضْمِرُ إِنْ أَلْفَدْتُ دِمْعِي لَوْعَةً
حَيَاتِي مَا كَانَتْ حَيَاتِي فَإِنْ أُمْتُ
يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ تَسَالَكَ ذُرَّةً
وَمَا زَالَ إِشْقَاقِي عَلَيْكَ عَشِيَّةً
وَمَا زَالَ إِشْقَاقِي عَلَيْكَ عَشِيَّةً
فَمَا لِي إِلَّا الْمَوْتُ بَعْدَكَ رَاخَةٌ
قَصَمْتُ جَنَاحِي بَعْدَمَا هَدَى مَنَكِبِي
فَأَصْبَحْتُ فِي الْهَلَاكِ إِلَّا حُشَاةً
تَوَلَّيْتُمَا فِي جَبَّةٍ فَرَحْتُمَا
وَلَا رُزَّةً إِلَّا دُونَ رِزْكَ رِزْوَةٌ
وَأَلِي وَإِنْ قُدُمْتُ قَلْبِي لَعَالِمٌ
وَإِنْ صَبَّاحًا نَلْقَى فِي مَسَائِهِ

* * *

(١٦) وهو حرب : أي مسلوب .

(١٧) ل : لأشراك .

(١٨) اللدوب : الجراحات . (١٩) (تسالك) : تقرأ بالوجهين : التاء أو كالياء . (بنالك)

(٢٠) الجبوب : الثراب . (٢١) هد : من ل وى م : مد

(٢٢) رزتك : ناقصة في ل .

(٢٣) القصيدة في الكامل : ١١٩٢ .

وقال إسماعيل بن القاسم أبو العتاهية^(٢٤) يرثي أحمأ له يقال له علي بن ثابت ، وكان
علي ناسكا فاضلاً أديباً شاعرا :
[الوافر]
ألا من لي بأئسك أنى أحمأ
طوئك محطوب ذفرك بعد نشر
ولو نشرث فواك لي المنأيا
بكيتك أنى أحمأ بدر غنى
وكانت فى حياتك لى عطاك
شكوث إلك ما صنعث إلبا
فلم يعن البكاء عليك شيا
وأنت اليوم أوعظ منك حيا^(٢٥)

قال :

أخذ هذا المعنى مما يؤثر عن بعض ملوك العجم أنه احتضر فحضره من يحضر الملوك
من الحكماء حتى قضى .

فقال ذلك الحكيم :

كان الملك أمسر أنطق منه اليوم ، وهو اليوم أوعظ منه أمسر^(٢٦) .

وقال أبو العتاهية أيضا :

[الخفيف]
ياغلى بن ثابت أين أتنا
أنت بين القبور حيث دقتنا
يا غلى بن ثابت بان منى
صاحب جل فقهه يوم بتنا
قد لغمرى حكيت لى غصص المنو
ت وحركتنى لها وسكتنا^(٢٧)

أخذ هذا من قول بعض حكماء العجم ، وحضر ميتا منهم ارتفع البكاء عليه حين
قضى ، فقال الحكيم :

(حررنا بسكونه)^(٢٨) .

(٢٤) أبو العتاهية إسماعيل بن القاسم ولد سنة ١٣٠هـ وسكن الكوفة ثم بغداد وبها توفى سنة ٢١١
قال فى الغزل والمدح والهجاء ثم تسك وأكثر شعره فى الوعظ والحكم والأمثال . معجم المؤلفين

ج ٢ ص ٥

(٢٥) الديوان : ٤٩١ - ٤٩٢ . والشطر الأول فى البيت الرابع فى الديوان هو (بكيتك يا على

بدمع عبنى)

(٢٦) فى هامش م : (رأيت هذا مأثورا عن بعض من حضر الإسكندر ميتا مسجى على سرير

من حكمائه حين شرع كل حكيم يقول بقدر موهبته .

(٢٧) الديوان : ١٠٥ .

(٢٨) أخذ هذا المعنى من قول بعض الحكماء وحضر ميتا فارتفع البكاء عليه ...

وقال فيه أيضا :
صَاحِبٌ كَانَ لِي هَلَكٌ وَالسَّيْلُ الَّذِي سَلَكَ^(٢٩)
يَا عَلِيُّ بْنُ ثَابِتٍ غَفَرَ اللَّهُ لِي وَلَكَ
كُلُّ حَيٍّ مَمْلُوكٌ سَوْفَ يَفْنَى وَمَا مَلَكَ^(٣٠)

* * *

قال أبو العباس :

وانشدني أبو محمد التُّوزِّي لرجل من قيس^(٣١) يرثي ابنا له :
أَجَارَتْنَا لَا تَجْزَعِي وَأَنْبِيى
أَتَانِي مِنَ الْمَوْتِ الْمَطْلُ نَصِيى
تَوَى بَيْنَ أَحْجَارٍ وَبَطْنِ جُبِى
وَمَا كَانَ لَوْ مَلَيْتَهُ بِعَجِى
عَجِبْتُ لِاسْتِرَاعِ الْمَيِّتَةِ نَحْوَهُ
عَلَى أَلْتِي أَرْتِي لِكُلِّ سَلِى
وَمَا هَدُّ رُحْمِي أَنْ سَلَيْتُ جَمَالَهُ
وَلَوْلَا الْإِقْمَاءُ اللَّهُ طَالَ نَحْيِي
صَبْرْتُ عَلَى خَيْرِ الْفِتْوَى رُزْنُهُ
وَمِنْ وَرْدِ آبَارِي وَلَقَصِدِ شَعْيِي
وَمَا جَزَعِي مِنْ نَازِلٍ عَمَّ فَجَعُهُ
لَعَمْرِي لَقَدْ دَافَعْتُ مَوْتَ مُحَمَّدٍ^(٣٢)
وَكَانَ كَرِيحَانِ الْعَرُوسِ بَقَاؤُهُ
لَوْ أَنَّ الْمَتَابِيَا تَرَعَوِي لِطَبِى
ذَوَى بَعْدَ إِشْرَاقِ الْفُضُونِ وَطِى
فَيَاخِرْنَا نَلْعُثُ قُرْبَ مُحَمَّدٍ
كَسِيفِ الْمُحَامِي هَزُّ غَيْرِ كَذُوبِ
أَعْرُ طَوِيلِ السَّاعِدِينَ مُشِيْعُ
فَلَهُ مِنْ دَاعٍ دَعَا وَمُجِى
فَأَصْبَحْتُ أَبْدِي لِلْعَدُوِّ جَلَادَةً
وَيَالِكَ مِنْ قَلْبٍ هُنَاكَ كَيْبِ
يَذَكِّرُنِي نَوْحَ الْحَمَامِ فِرَاقَةً
وَإِزْنَانَ أَبْكَارِ النِّسَاءِ وَتَيْبِ
وَلِي كُلِّ يَوْمٍ عِبْرَةٌ لَا أَمِضُهَا
لَأَحْظَى بِصَبْرٍ أَوْ بِحَطِّ ذُئُوبِ
كَأَنَّ فُرَادِي فِي جَنَاحِ طَلُوبِ
كَأَنَّ فُرَادِي فِي جَنَاحِ طَلُوبِ

(٢٩) ورد : (مؤنس كان) وأيضا : (والسبيل التي) . (٣٠) الديوان : ٣٢٢ .

(٣١) هو بشار بن برد العقيلي بالولاء الضريير أبو مُعَاذ شاعر مشهور ، ولد أعمى ، أكثر الشعر ، وأجاد القول من البصيرة ، قدم بغداد وخدم الملوك ، وحضر مجالس الخلفاء ، واتهم بالزندقة فقتل عليها سنة ١٦٧ هـ وقد جاوز التسعين . ترك ديوان شعر كبير معجم المؤلفين : ٣ - ٤٤ .

والقصيدة في ديوان بشار : ١ - ٢٧٨ ، ٢٧٩ . الشعبي : مزادة الماء .

(٣٢) اسم ابن الشاعر .

إِذَا شِئْتُ زَاعَتِي مُقِيمًا وَظَاعِنًا
عَدَا سَلَفَ مِنَّا وَهَجَرَ رَائِحَ
مَوَانِحُنْ إِلَّا كَالْحَلِيطِ الَّذِي مَضَى
تُؤْمَلُ عَيْشًا فِي حَيَاةِ ذَمِيمَةٍ
وَمَاخِيرُ عَيْشٍ لَا يَزَالُ مُفْرَعًا
مَصَارِعُ شَبَانٍ لَدَيَّ وَشَيْبِ
عَلَى أَثَرِ الْغَادِينَ قَوْلُ جَنِيْبِ (٣٣)
فَرَائِسَ ذَهَبٍ مُخْطِئِ وَمُصِيبِ
أَضْرَثَ بِأَبْدَانِنَا وَقُلُوبِ (٣٤)
بِفَوْتِ نَعِيمٍ أَوْ بِمَوْتِ حَبِيبِ

* * *

قال أبو العباس :

حدثني المغيرة بن محمد المهلبى عن الزبير بن بكار الزبيرى عن سليمان بن العباس
السعدى قال :

جاء عبد الله بن عمر العبلى (٣٥) إلى (سويقة) وهو طريد بنى العباس ، وكان ذلك
بزمان خروج مُلْكِ بنى أمية وانتقاله إلى بنى العباس ، قاصدا لعبد الله وحسن ابنتى
حسن ، فاستنشداه عبد الله شعره ، فأنشداهم فقالوا :
نريد من شعرك ما رثيت به قومك ، وما كان من أمركم وأمر القوم فأنشداهم قوله :

[المتقارب]

تَقُولُ أَمَامَةَ لَمَّا رَأَتْ
وَقَلَّةَ نَوْمِي عَلَى مَضْجِعِي
أَبِي مَا عَرَكَ؟ فَقُلْتُ : الْهُمُ
عَرَيْنَ أَبَاكَ فَحَبَسْنَاهُ
لِفَقْدِ الْعَشِيرَةِ إِذْ نَالَهَا
رَمْتَهَا الْمُنُونُ بِلَا نُصَلٍ
بِأَسْهُمِهَا الْحَالِسَاتِ النَّفُوسِ
تُشَوِّزِي عَنِ الْمَنْزِلِ الْمُنْفَسِ
لَدَى هَجْعَةِ الْأَغِينِ الثَّمَسِ
مَ عَرَيْنَ أَبَاكَ فَلَا تُبْلِسِي
مِنَ الطَّرْدِ فِي شَرِّ مَا مَحْبَسِ
سِهَامَ مِنَ الْحَدَثِ الْمَوَسِّ
وَلَا طَائِشَاتٍ وَلَا نُكُوسِ
مَتَى مَا نُصِبَ مُهْجَةٌ تُخْلِسِ

(٣٣) معنى قود جنيب : يقادون متقاربين كما يقاد الفرس الذى يسير بجانب فرس آخر ويكون
متأخرا قريبا .

(٣٤) حصل فى نسخة (ل) تقديم صفحة على صفحة وما عليه نسخة (م) هو الصواب الذى سرنا
عليه .

(٣٥) عبد الله هذا شاعر مجيد من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية كان يميل إلى العلويين ، ثم
قصد السفاح فأكرمه وأخرج من كان مسجوناً من أهله ، ثم رحل إلى العلويين وباع محمد بن
عبد الله الذى خرج على المنصور وجاءه أن رجال المنصور قتلوا محمد بن عبد الله ففر إلى اليمن
سنة ١٤٥ هـ . السويقة : موضع قرب المدينة .

فَصَرَاعُهُمْ فِي تَوَاجِي الْبِلَا
تَقِيَّ أُصِيبَ وَأَنْوَابُهُ
وَأَحْرُ قَدْ رُسٌ فِي حُفْرَةٍ
فَكَمْ مِنْ كَوَابِ بَوَاكِي الْعِيُو
إِذَا مَا ذَكَرْنَهُمْ لَمْ تَنْمُ
يُرْجَفْنَ مِثْلَ بُكَاءِ الْحَمَا
فَذَاكَ الَّذِي غَالِي فَاصْتَبِي
وَفِي ذَاكَ أَشْيَاءٌ قَدْ ضِفْنِي
أَفَاضَ الْمَدَامِغَ قَتَلَى كُدَى
وَبِالزَّايَيْنِ نَفُوسٌ تُنَوْتُ
أَوْلِيكَ قَوْمٌ أَذَاعَتْ بِهِمْ
فَذَلَّتْ قَتَايَ لِمَنْ رَاهَهَا

قال :

فلما أتى عليها استبكى محمد بن عبد الله بن حسن ، فنظر عبد الله إلى أخيه حسن

فقال :

مالك تنظر إلي ! أما والله ، لو كان ابنك على غير ما ترى لكان خيرا لنا ولك .

فأقبل محمد على عمه بإظهار الشفقة على بني العباس ويقول :

إنهم ليسوا كبنِي أُمِيَة لقرب بني العباس من رسول الله ﷺ ، وقام الحسن إلى منزله فبعث إلى العبلي بخمسين دينارًا ، وأمر له عبد الله ومحمد وإبراهيم ابناه ، كل واحد بخمسين دينارًا وكانت هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن زعمه مقتفية بالعبلي وهند المذكورة هي امرأة عبد الله بن حسن ، ومحمد وإبراهيم ولداها . فقال العبلي : [الوافر] أقام ثوي بنت أبي عبيد بخير منازل الجيران جارا أئامهم حائفًا وجلًا طريدًا فصادف خير دور الناس دارا إذا ذم الجوار تزيل قوم شكرتهم ولم أذم جوارا

(٣٦) استنحس : يقال استنحس الأخبار يطلبها ويتبعها . المعجم الوسيط : ١١٤/٢

(٣٧) ضِفْنِي : يقال ضافه : نزل عنده . المعجم الوسيط : ١ - ٥٤٩ . وحلس : يقال حلس

فلان : ثبت إمام قرنه . المعجم : ١ - ١٩١ .

(٣٨) كُدَى : موضع بمكة . وكثوة : موضع .

(٣٩) الزايان وأبو فطرس : اسم لنهر قرب الرملة بأرض فلسطين . الرسالة :

فقال هند لعبد الله وابنيها محمد وإبراهيم :
والله ما مدحك بأفضل مما مدحني به فلتعظمتني عنى مثل ما أعطاه أحدكم . فأعطوه
عنها خمسين ديناراً .

قال الزبير :

إنما يُنسب عَيْلياً من كان من ولد أميه الأصغر ، وليس عبد الله هذا من ولده ،
إنما أمية عمه .

يقال : فلان يقضى بفلان إذا كان يؤثره . والقَفِيَّة : الطعام يُؤثر به الرجل واحداً
يقفيه^(٤٠) . ويقال للرجل يُختار ، ويُقصد بالبر : القَيْتُ قَفَيْتِي عليك .

* * *

قال أحد الأعراب الفصحاء :

لَعَمْرِي لَقَدْ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ
أَجَلٌ صَادِقًا وَالْقَائِلُ الْفَاعِلُ الَّذِي
فَتَى قَبْلَ لَمْ تُعْنَسِ السُّنُّ وَجْهَهُ
أَشَارَتْ لَهُ الْحَرْبُ الْعُرْوَانَ فَبَجَاءَهَا
وَلَمْ يَجْهَبْهَا لَكِنْ جَنَاهَا وَلِيَهُ

وقال أيضا يرثيه :

أَلَا لَهْفَ الْأَرَامِلِ وَالْيَتَامَى
لَعَمْرُكَ مَا حَشِيثٌ عَلَى حِيٍّ
وَلَكِيي حَشِيثٌ عَلَى حِيٍّ

* * *

(٤٠) ل : يقدمه بدل يقفيه . (٤١) الأبيات بدون نسبه في الكامل : ١٢٠١ . والأبيات في ديوان
الحماسة لأبي تمام منسوبة لسُدَيْدِ بْنِ الْمُرَائِدِ الْجَارِلِيِّ وفي الحماسة شرح لبعض مفرداتها والحماسة
ج ١ ص ٣٥٣ - ٣٥٤ مكتبة صبيح وفي الحماسة : نَبِيٌّ سَوِيدٌ يُقَالُ : انبَطَ الْمَاءُ فِي الثَّرَى إِذَا
أَخْرَجَهُ . وَفَتَى قَبْلَ : فِي مَقْتَبِلِ الْعُمُرِ . وَتُعْنَسُ وَجْهَهُ : تَغْيِرُ . وَاعْتَسَ الشَّيْبُ رَأْسَهُ : خَالَطَهُ
وَالْحَرْبُ الْعُرْوَانَ : الَّتِي قُوتِلَ فِيهَا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ . وَالْقَعْقَعَةُ : الصَّوْتُ لِلسَّلَاحِ وَغَيْرِهِ . وَالْأَقْرَابُ جَمْعُ
قَرَبٍ وَهُوَ غَمْدُ السِّيفِ . وَآدَاءَةٌ : أَعَانَةٌ

(٤٢) مر تخرج هذه وهى بدون نسبة . في الكامل . ونسبها أبو تمام في ديوان الحماسة لكعب
ابن زهير يرثي رجلا اسمه أبى شرح النيريزى ج ١ - ٤٢٠ - ٤٢١ وفي الحماسة (بين قَوْ وَالسُّلَيْي)

[الطويل]

فَمَاتُوا وَأَطْرَافُ الْقَنَا تَفْطَرُ الدِّمَا
وَلَكِنْ رَأَوْا صَبْرًا عَلَى الْمَوْتِ أَكْرَمًا
بِحَيْشَانٍ مِنَ السَّبَابِ مَجِيدٍ تَصَرَّمًا^(٤٣)

[الوافر]

بِداوودِ وإخوته الجذوع
تُحومُ عليهم طيرٌ وقُوعٌ
فيسفر عنهم وهم زكوعٌ
وأهل الأمن في الدنيا هجوعٌ^(٤٤)

[البيسط]

أَسْلَمْتُمْوهُ وَلَوْ قَاتَلْتُمْ اِمْتَعَا
نَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا صَرًّا أَوْ نَفْعًا
إِلَّا مِنْ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ صَتَعًا^(٤٥)

[البيسط]

وأهل وُدَى جميع غير أشنات
نوى بكيت على أهل المودات
مقسومة بين أحياء وأموات

وكان أبو عبد الرحمن وسيطا في قريش من ولد عتبة بن أبي سفيان وكان معدينا من معادن العلم بالأخبار - جاهليتها وإسلامها - وكان بالإسلام أخبر . وتوالى له بنون موتا ، وراثهم مرأى كثيرة نذكر بعضها مع ما في غيرهم من المراثى إن شاء الله .

وقالت امرأة من كندة ترى إخوتها :
أَبُوا أَنْ يَقْرُوا وَالْقَنَافِي تُحورِهِمْ
وَلَوْ أَنَّهُمْ قَرُوا لَكَانُوا أَعِزَّةً
هَوَتْ أُمَّهُمَ مَاذَا بَيْنَهُمْ يَوْمَ صَرَعُوا

وقال رجل من الخوارج^(٤٦) يرى عددا منهم :
أَلَا فِي اللَّهِ لَا فِي النَّاسِ سَأَلَتْ
مَضُوعًا قَلًّا وَتَشْرِيدًا وَصَلْبًا
إِذَا مَا اللَّيْلُ أَظْلَمَ كَابَدُوهُ
أَطَارَ الْخَوْفُ نَوْمَهُمْ فَقَامُوا

وقالت الكندية :

لَا تُخْبِرُوا النَّاسَ إِلَّا أَنْ سَيِّدَكُمْ
أَغْنِي قَتَى لَمْ تَهْبُ الرِّيحُ رَائِحَةً
الْوَاهِبِ الْأَلْفِ لَا يَنْبَغِي لَهَا ثَمْنَا

* * *

وقال أبو عبد الرحمن العنبي^(٤٧) :

قَدْ كُنْتُ أَبِي عَلَى مَنْ فَاتَ مِنْ سَلْفِي
وَالآنَ إِذْ فَرَّقْتَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ
وَمَا بَقَاءُ أَمْرِيءَ كَانَتْ مَدَامِعُهُ

(٤٣) مضى نسبه الآيات وتخرجهما . (ترقى إخوتها) .

(٤٤) هو عيسى بن فاتك الحبطي ، أحد بني وديعه بن مالك . انظر الكامل : ٩٩٥ .

(٤٥) الكامل : ٩٩٨ .

(٤٦) الكندية هي أم صريح الكندية وورد في ديوان الحماسة : ٤٠٤ البيت الأول والثاني .

(٤٧) أبو عبد الرحمن محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عتبة المعروف بالعنبي الشاعر البصري كان أديبا فاضلا شاعرا مجيدا ، له علم ورواية بأخبار العرب توفي حدود سنة ٢٣٠ هـ وفيات الأعيان : ٤ - ٣٩٨ .

[الكامل]

أَضَعْتُ بِخَدَيِ لِلدُّمُوعِ رُسُومًا
وَالصَّبْرَ يُحَمِّدُ فِي الْمَصَائِبِ كُلِّهَا
يَا وَاحِدًا مِنْ بَيْتَةِ أَسْكَتَهُمْ
لَوْلَا مَعَالِمُ رُوسِهِنَّ لَمَا اهْتَدَى

[المنسرح]

وَذُقْتُ تَكْلًا مَا ذَاقَهُ أَحَدٌ
ذَابَ عَلَيْهَا النَّوَادُ وَالْكَبَدُ
فِي فَنِيَانٍ حَرَّهَا تَقَبُّدُ
أَخْتَاءٍ مَنْ لَمْ يَمُتْ لَهُ وَلَدٌ
إِلَّا لِيَالٍ لَيْسَتْ لَهَا عَدُوٌّ
جَمْرٌ وَأَذَى أَرْجَالِهَا الْكَمَدُ
فَرٌّ وَخُرْنِي يُجِدُّهُ الْأَبْدُ

فمن ذلك قوله :
أَضَعْتُ بِخَدَيِ لِلدُّمُوعِ رُسُومًا
وَالصَّبْرَ يُحَمِّدُ فِي الْمَصَائِبِ كُلِّهَا
يَا وَاحِدًا مِنْ بَيْتَةِ أَسْكَتَهُمْ
لَوْلَا مَعَالِمُ رُوسِهِنَّ لَمَا اهْتَدَى
وقال أيضا :

كُلُّ لِسَانِي عَنْ وَصْفِ مَا أَجِدُ
وَأُوْطِنْتُ خُرْقَةً حَشَايَ قَعْدُ
إِنْ أَرَمَّتْ بِالْقَزَاءِ لَجَّ بِهَا الشُّوْ
مَا عَالَجَ الْحُزْنَ وَالْحَرَارَةَ فِي الْ
فَجَعْتُ بِأَبْتَيْنِ لَيْسَ بَيْنَهُمَا
فَالْقَسُ نَعْلَوِي عَلَى أَحْرَ مِنْ الْ
وَكُلُّ حُزْنٍ يَتْلَى عَلَى قَدَمِ الدُّ

ويروى عن الحسن البصري أنه قال :

قدم علينا بشر بن مروان وهو أشرف الناس ، وأجمل الناس ، وأشب الناس ابن
خليفة وأخو خليفة فلبث خمسة وأربعين يوما ثم طعن في بطنه فمات . فخرج به إلى
قبره والناس معه .

وجاء سودان ثلاثة يحملون أسود ، فدفن هذا وهذا . وخرجت إلى الصحراء ، ثم
رجعت ، وقد انصرف عنهما ، فلم اعرف قبر هذا من قبر هذا .

قال أبو العباس :

وحدثني هارون بن محمد بن عبد الملك المعروف بالزيات^(٤٨) - وحدثني بهذا
الحديث الذي أذكره غيره أيضا

أن محمد بن عبد الملك كانت له جارية ، وكان بها ضنينا ، وكان له منها ابن
يقال له عمر وهو باق الآن ، فماتت وابنها هذا صغير .

(٤٨) محمد بن عبد الملك بن الزيات شاعر مجيد وفاضل نبيل ، وزر لثلاثة خلفاء من بني العباس
المعتصم والواثق والمتوكل ، كان عالما بالبحر واللغة والأدب وقال الشعر في جميع الأغراض وبخاصة
الثناء ، قتل المتوكل سنة ٢٣٣هـ عن ستين سنة (انظر وفيات الأعيان : ٥ - ١٠١) ومعجم
الأدباء : ٥ - ٢٥٤ .

وسمعتُ أبا أيوب سليمان بن وهب يتحدث بقطعة من خبر محمد بن عبد الملك في ضئته بابه هذا . فرثاها بيبتين هما جاريان على أنس الناس مشهوران : [الطويل]
يَقُولُ لِي الْخِلَانُ لَوَزَزْتُ قَبْرَهَا وَقُلْتُ : وَهَلْ غَيَّرَ الْفَوَادِ لَهَا قَبْرُ ؟
عَلَى حِينٍ لَمْ أَحْدِثْ فَأَجْهَلُ عَهْدَهَا وَلَمْ أَبْلُغِ السَّنَّ الَّتِي مَعَهَا الصَّبْرُ
ورثاها فقال شعراً يَقْرُبُ من القلب ، وَيُضْطِرُّ إِلَى تصديقه ، وَيُرْتاحُ لعهد قائلة ،

ويرحم لشكوى به وهو :

أَلَا مَنْ رَأَى الطَّفَلَ الْمُفَارِقَ أُمَّهُ
رَأَى كُلَّ أُمٍّ وَابْنَهَا غَيْرَ أُمِّهِ
يُرْنُ بِصَوْتٍ فَضَّ قَلْبِي نَشِيجُهُ
وَيَاكُ وَحِيدًا فِي الْفِرَاشِ تَحْتَهُ
أَلَا إِنَّ سَجَلًا وَاحِدًا إِنْ هَرَقْتَهُ
فَلَا تَلْحَيَانِي إِنْ بَكَيتُ فَإِنَّمَا
وَأَنَّ مَكَانًا فِي الثَّرَى لِحُطِّ لَحْدُهُ
أَحَقُّ مَكَانٍ بِالزِّيَارَةِ وَالْهَوَى
فَهَبْنِي عَزَمْتُ الصَّبْرَ عَنْهَا لِأَنِّي
ضَعِيفُ الْقَوَى لَا يَطْلُبُ الْأَجْرَ حِسْبَةً
أَلَا مَنْ أَمْنِيهِ الْمُنَى وَأَعْدُهُ
أَلَا مَنْ إِذَا مَا جِثَّ أَكْرَمَ مَجْلِسِي
فَلَمْ أَرْ كَالْأَيَّامِ كَيْفَ نَصِيئِي
وَلَا مِثْلَ أَيَّامٍ فَجَعْتُ بِفَقْدِهَا
أَعْيَيْتِي إِلَّا تُسْعِدَا الْيَوْمَ عِبْرَتِي
أَعْيَيْتِي إِنْ أَلْعَ السَّرُورُ وَأَهْلُهُ
أَعْيَيْتِي إِنْ أَبَكَ الْبِشَاشَةُ وَالصَّبَا
أَلَا إِنْ يَتَا لَمْ أَرْزُهُ لَشُدِّ مَا
أَلَا إِنْ يَتَا لَمْ أَرْزُهُ لِعَزْمَا

بُعَيْدَ الْكَرَى عَيْنَاهُ تَسْكِبَانُ ؟
بَيْتَانِ تَحْتِ اللَّيْلِ يَتَجَبَّانِ
وَسَخَّ دُمُوعِ ثَرَّةِ الْهَمَلَانِ
بِلَايِلِ قَلْبٍ دَائِمِ الْخَفَقَانِ
مِنَ الدَّمْعِ أَوْ سَجَلِينَ قَدْ شَفِيَانِي
أَدَارِي بِهِذَا الدَّمْعِ مَاتَرِيَانِ
لِمَنْ كَانَ فِي قَلْبِي بِكُلِّ مَكَانٍ
فَهَلْ أَتَمَّا إِنْ عُجْتُ مُتَطَّرَانِ ؟
جَلِيدُ قَمَنْ بِالصَّبْرِ لِابْنِ ثَمَانِ ؟
وَلَا يَأْتِسِي بِالنَّاسِ فِي الْحَدَثَانِ
لِعُكْرَةِ أَيَّامٍ وَضَرْفِ زَمَانِ ؟
وَأَنْ غَيْبَتْ عَنْهُ حَاطِنِي وَكَفَانِي ؟
وَلَا مِثْلَ هَذَا الدَّهْرِ كَيْفَ رَمَانِي
وَلَا مِثْلَ يَوْمٍ بَعْدَ ذَلِكَ دَهَانِي
فَبَسَّ إِذْنُ مَا فِي غَدِ تَعْدَانِي
وَعَهْدِ الصَّبَا عِنْدِي فَقَدْ نَعْيَانِي
فَقَدْ آذَنَّا مِنِّي وَقَدْ بَكِيَانِي
تَلْبَسَ مِنْ قَلْبِي بِهِ وَعَنَانِي
تَضَمَّنَ مِنْهُ فِي الثَّرَى الْكَفَّانِ (٤٩)

وقال رجل من الأنصار يذكر امرأة كانت به بره ، وكانت له حافظة إذا غاب ،
وسارة إذا حضر ، فأصيب بها :

[الطويل]

أَيَا مَا لِهَذَا أَلَيْتَ لَيْسَ بِيَدِي أَهْلِي
أَيَا جَارَاتَا لَا تُبْعِدِي خَيْرَ جَارَةٍ
فَلَوْ أَنِّي كُنْتُ الْعَلِيلَ لَا يَفْطُتْ
تَنَكَّرْتُ مَا قَدْ كُنْتُ تَأَلَّفَ مِنْ قَبْلِي
لِبَعْلِ وَأَخَاهُ عَلَى وَلَدٍ طِفْلِ
بَيْنَهَا وَمَا نَامَتْ وَلَا فَعَلْتُ فِعْلِي

وقال رجل من بني شيبان^(٥٠) يرثي مَعَنَ بن زائدة : [الطويل]
أَجِينَ قَوِي مَعَنَ قَوِي الْجُودِ وَالنَّدَى
فَيَا قَبْرَ مَعَنٍ أَتَى آخِرُ حُطْبَةٍ
وَيَا قَبْرَ مَعَنٍ كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ
بَلَى قَدْ وَسِعَتْ الْجُودَ وَالْجُودُ مَيِّتٌ
فَتَى عَيْشٍ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ
وَأَصْبَحَ عَزِينُ الْمَكَارِمِ أَجْدَعَا
مِنَ الْأَرْضِ حُطَّتْ لِلْمَكَارِمِ مَضْجَعَا
وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبُرِّ وَالْبَحْرِ مَثْرَعَا
وَلَوْ كَانَ حَيًّا ضَفَّتْ حَتَّى تُصَدَّعَا
كَمَا عَادَ غَيْثٌ بَعْدَ جَدْوَاهُ مَرْتَعَا^(٥١)

وقال عبد الصمد بن المعدل^(٥٢) يرثي سعيد بن سلم . وشهرة أفعال سعيد وبعده
صيته في عقله وأدبه ، وجاهه وقدره وكثرة معرفته وتمكينه من الخلفاء ، تُغْنِي عن
ذكر شيء من أفعاله :

مَالِ السَّمَاءِ عَلَيْهِ لَيْسَ تَنْفِطِرُ
وَاللِّبْلَادِ أَلَا تَسْمُو زَلْزَلَهَا
إِنَّ النَّدَى وَأَبَا عَمْرٍو تَضَمَّنَهُ
لَهُ حَزْمٌ وَجُودٌ ضَمَّهُ جَدُّهُ
يَا طَالِبَا وَرَزَا مِنْ رَبِّبِ حَادِئَةٍ
أَبِكِي عَلَيْكَ عِيُونَ الْحَيِّ مِنْ يَمَنِ
كُلُّ الْقَبَائِلِ قَدْ رَدَّتْ أَرْدِيَةَ
مَا حَصَّ رُزُوكَ لَا قَيْسًا وَلَا مُضَرَ
لَوْ كَانَ يَكْبِي كَابُ اللَّهِ مِنْ أَحَدٍ
وَاللَّكْوَاكِبِ لَا تَهْوِي فَتَسِيرُ ؟
وَالرَّاسِيَاتِ أَلَا تَرْدِي فَتَقْعِرُ ؟
قَبْرٌ يَبْلُغَادُ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطَرُ
وَمَكْرُمَاتٍ طَوَاهَا التُّرْبُ وَالْمَدْرُ
أَوْدَى سَعِيدٌ فَلَا كَهْفٌ وَلَا وَرْزُ
وَمِنْ رَيْبَةٍ مَا تَبْكِي لَهُ مُضَرُ
مِنْ فَضْلِ نَعْمَاكَ لَا يَجْزِي بِهَا شُكْرُ
إِنَّ الرُّزْيَةَ مَعْمُومٌ بِهَا الْبَشْرُ
لَطُولِ الْإِفِّ بِكَتْكَ الْآئِي وَالسُّورُ

(٥٠) هو الحسين بن مطير بن مكمل مولى لبني أسد بن خزيمه ثم لبني سعد بن ملك بن ثعلبة
شاعر إسلامي أدرك بنى أمية وبنى العباس فصيح متقدم في الرجز والقصيد يعد من فحول المحدثين
من شعراء عصره توفي في خلافة المهدي . ديوان الحماسة : ١ - ٢٨٧ ، ٢٨٨ . وانظر تاريخ
الأدب العربي لفروخ : ٢ - ٨٢ - ٨٤ .

(٥١) الشطر الثاني من ل . وفي م : كما عاد بعد السيل مجراه مريعا .

(٥٢) عبد الصمد بن المعدل بن غيلان بن الحكيم كان شاعرا فصيحاً من شعراء الدولة العباسية
واشتهر بالهجاء ولكن حبه لسعيد بن سلم جعله يرثيه بتلك القصيدة البديعة توفي عبد الصمد في
حدود سنة ٢٤٠هـ . معجم المؤلفين : ٥ - ٢٣٧ ، وتاريخ الأدب العربي لفروخ : ٢ - ٢٧٦ .

أَبُو الْأَرَامِلِ وَالْأَيْتَامِ لَيْسَ لَهُ
لِلْهَارِيِّينَ مَصَادٌ غَيْرُ مُطَّلَعٍ
مِنْ كُلِّ أَفْقٍ إِلَيْهِ الْعَيْسُ مُغْمَلَةٌ

المصاد : رأس الجبل يتحصن فيه الخائفون

إِذَا أَبْرَزَ الْخَوْفُ الْكِبَابَ فَأَيْلَهُمْ
مُشِيعٌ لَا يَفُوتُ الدَّخْلُ صَوْلَتَهُ
لَا يَزِدُّهُ لِعَيْرِ الْحَقِّ مَنطِقَةٌ
تَبَّتْ عَلَى زَلَلِ الْأَيَّامِ مُضْطَلَعٌ
سَامِي الْجُفُونِ يَرُوقُ الطَّرْفُ مَنظَرَهُ
الْحِلْمُ يَضْمِيهِ وَالْعِلْمُ يَنْطِقُهُ
لَمْ تَسْمُ هَمَّتُهُ يَوْمًا إِلَى شَرَفٍ
يُعْطِيكَ فَوْقَ الْمَنَى مِنْ فَضْلِ نَائِلِهِ
يُرِيدُ مَعْرُوفَةً كِبْرًا وَيَرْفَعُهُ
وَلَيْسَ يَسْعَى لِغَيْرِ الْحَمْدِ يَكْسِيهِ
عَفَى الضَّمِيرِ رَحِيبُ الْبَاعِ مُضْطَلَعٌ
مَا أَتَيْتُكَ فِي كُلِّ فَجٍّ مِنْ نَدَى يَدِهِ
لَوْهَابٍ عَنِ عِزَّةٍ أَوْ نَجْدَةٍ قَدَرُ
لَيْتِكَ فَقَدَكَ أَطْرَافُ الْبِلَادِ كَمَا
وَلَيْتِكَ الْمُرْمَلُونَ الشُّعْثُ ضَمَّهُمْ
وَذَاتُ هِذْمِينَ تُرْجَى دَرْدَقًا قَرَمًا
وَلَيْتِكَ الدِّينُ وَالدُّنْيَا لِرَغِيهِمَا
كَفَلْتِ عِشْرَةَ أَقْوَامٍ مُهَاجِرَةً
وَقَدْ نَصَرْتِ وَقَدْ آوَيْتِ مُخْتَبِيًا

كما قال أوس بن حجر : [الطويل]

مَصَادٌ لِمَنْ يَأْوِي إِلَيْهِمْ وَمُعْقِلٌ (٥٣)
وَأَكْرَمُ النَّاسِ عَفْوًا حِينَ يَفْتَدِرُ (٥٤)
وَلَا تُتَاجِبُهُ إِلَّا بِالتَّقَى الْفِكْرُ
بِالتَّائِبَاتِ لِصِغَبِ الدَّهْرِ مُقْتَسِرُ
وَأَطْهَرُ النَّاسِ غِيَا حِينَ يُخْتَبِرُ
وَفِي تَقَى اللَّهِ مَا يَأْتِي وَمَا يَذُرُ
إِلَّا حَيَاةً بِمَا يَسْمُو لَهُ الظَّفَرُ
وَلَيْسَ يُعْطِيكَ إِلَّا وَهُوَ مُعْتَذِرُ
أَنْ الْجَسِيمَ لَدَيْهِ مِنْهُ مُخْتَصِرُ
وَلَيْسَ إِلَّا مِنَ الْمَعْرُوفِ يَذْخِرُ
لِحُرْمَةِ اللَّهِ وَالْإِسْلَامِ مُتَصِرُ
لِلنَّاسِ جُودَانِ مَخْوِيٍّ وَمُنْتَظَرُ
مِنَ الْبَرِيَّةِ حَلَقًا هَابِكِ الْقَدَرُ
لَمْ يَخُلْ مِنْ نِعْمَةٍ أَسَدَيْتَهَا قَطْرُ
مِنْ كُلِّ أَوْبٍ إِلَى آيَاتِكَ السَّفَرُ
مِثْلَ الرِّثَالِ حَيَاهَا الْبُؤْسُ وَالْكَبِيرُ (٥٥)
وَالْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَالْإِعْسَارُ وَالْيُسْرُ
عُثْمَانُ جَدُّهُمْ أَوْ جَدُّهُمْ عَمْرُ
أَبْنَاءَ قَوْمٍ هُمْ آوُوا وَهُمْ نَصَرُوا

(٥٣) ما بين القوسين ليس موجودا في : م . والبيت في الديوان : ٩٥ .

(٥٤) مشيع : قوى . الذحل : النار .

(٥٥) الهدم : الثياب الخلقية . تُرْجَى دَرْدَقًا : تسوقه أمامها وهي رائحة إلى هذا الكرم تسأله عوننا .
والدردق الصبي . والقزم : الصغير الجثة الذي لا غناء عنده والرثال : جمع رأل وهو ولد النعامة .

يَارْبُ أَرْمَلَةٍ مِنْهُمْ وَمُكْتَهِلٌ
 اللَّهُ شَمْلٌ جَمِيعٌ كَانَ مُلْتَمَا
 أَمْسَى لِفَقْدِكَ ظَهَرَ الْأَرْضِ مُخْتَشِعًا
 أَحْيَاكَ عَمَرَوُ وَزَلَوَاهُ وَإِخْوَتُهُ
 الْهَمْتُهُمْ طَوَعَهُ فَأَلْقَاهُ رُشْدَهُمْ
 كَأَنَّهُمْ كَتَفَاهُ وَهُوَ بَيْنَهُمْ
 بِنُوقِيَّةٍ نُورُ الْأَرْضِ نُورُهُمْ
 إِذَا تَشَاكَهتِ الْأَيَّامُ وَاشْتَبَهتِ
 إِمَّا ثَوَيْتِ فَمَا أَبْقَيْتِ مَكْرَمَةَ
 إِنَّ اللَّيَالِيَّ وَالْأَيَّامَ لَوُ نَطَقَتْ
 كَانَ التَّدَى فِي شَهْرِ الْحَوْلِ مِقْتَسَمًا

قال :

وكان سعيدٌ عامرًا لَطْرُقَ الخَيْرَ عَوَادًا عَلَى الْاَيْتَامِ وَالْاَرَامِلِ ، وَعَلَى اَبْنَاءِ الْمُهَاجِرِينَ
 وَالْاَنْصَارِ ، وَكَانَ حَسَنَ الْعِزَاءِ ، وَكَانَ يُقَدِّمُ مِنْ بَنِيهِ عَمْرًا وَسَلْمًا ، فَأَتَاهُ مَوْتُ ابْنِ
 لَهُ يُقَالُ لَهُ الْعِبَاسُ فِي يَوْمِ مَاتَ سَلْمٌ بِحَضْرَتِهِ ، وَكَانَتْ مَيْتَةُ الْعِبَاسِ بِكِرْمَانَ (٥٦) قَتَلَهُ
 بِهَا الْخَوَارِجُ ، فَذَكَرَ الْحَسَنُ بْنُ رِجَاءٍ أَنَّهُمْ دَخَلُوا عَلَيْهِ مَعَ رِجَاءِ بْنِ أَبِي الضَّحَّاكِ لِيَعْزُوهُ
 عِنْمَا ، فَرَأَوْا عِنْدَهُ مِنَ الْعِزَاءِ مَا لَوْ شَهِدَهُ مِنْ لَمْ يَعْرِفِ الْقِصَّةَ لَظَنَّ أَنَّهُ الْمَعْرِيُّ .

وحدثني ابن لموسى بن سعيد بن سلم أن سعيدًا كان عنده قومٌ على الطعام في عقب
 موت سلم ، فحدثتهم حديثًا ثم قال لهم ، واللقمة في يده :

حدثني بهذا ابني سلم رحمه الله ، ثم وضع اللقمة في فيه :

وقال عبد الصمد فيه :

رُبُّ طِفْلِ نَعَشْتَهُ بَعْدَيْتُمْ
 وَفَقِيرَ أَعْيَيْتَهُ بَعْدَ عُدْمِ
 كَلَّمَا عَصَّتِ الْحَوَادِثُ نَادَى
 رَضِيَ اللَّهُ عَنِ سَعِيدِ بْنِ سَلْمِ

وقال عبد الصمد يرى عمرو بن سعيد بن سلم :
 هَرِيقًا دَمًا إِنْ أُفْقِدَتْ عِبْرَةٌ تُجْرَى
 أَبِي الصَّبْرِ أَنَّ الرُّزْءَ جَلَّ عَنِ الصَّبْرِ

[الطويل]

(٥٦) كرمان : ناحية كبيرة بين سجستان وخراسان .

وَقَرَطَ الْأَسَى فَقَدْ الْمُعَيَّبِ فِي الْقَبْرِ (٥٧)
 مِنَ الصَّبْرِ يَوْمًا بَعْدَ عَمْرٍ وَعَلَى غَدْرِ
 عَلَى جَسَدِ بَابِ بِلْمَاعَةِ قَفْرٍ (٥٨)
 وَقَدْ كُنَّ حَسْرَى حِينَ يَجْرِي كَمَا تَجْرِي
 فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا بَعْدَ عَمْرٍ وَسِوَى الذَّكْرِ
 صَنَائِعَ مِنْهُ لَا تَبِيدُ عَلَى الشَّشْرِ
 حِمَاهُ مَصُونٌ الْعَرْضِ مُبْتَدَلُ الْوَفْرِ
 عَلَى أَهْلِهِ مِنْ أَرْضِ بَرْ وَلَا بَحْرِ
 رُكُوبَ الَّتِي تَسِي هَيُوبَ الَّتِي تُزْرِي
 فَمَا كَانَ غَيْرَ الْحَمْدِ يَرْغَبُ فِي ذُخْرِ
 بِهِ دَوْلَ الْأَيَّامِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ
 تُضَافُ لَهُ مِنْهَا عَوَانٌ إِلَى بَكْرِ
 وَمَا نَطَقَتْ إِلَّا بِهِ أَلْسُنُ الْفَخْرِ
 عَلَيْهِ وَلَمْ يَكْسِبْ طَرِيقًا مِنَ الشُّكْرِ
 وَلَيْسَ بِهِ إِلَّا الْجَلَالَةُ مِنْ كِبَرِ
 بغيرِ احْتِسَابِ الْحَمْدِ مُشْتَغِلِ الْفِكْرِ
 فَعَمُوا عَلَيْهِ بِالْمُصِيبَةِ وَالْأَجْرِ
 لِمَصْرَعِهِ ثَبِيهِ قَطْرًا إِلَى قَطْرِ
 وَأَضْحَتْ عَلَيْهِ وَهِيَ خَاشِعَةُ الظَّهْرِ
 إِذَا مَا جَفَا أَقْطَارَهَا سَبَلُ الْقَطْرِ
 أُدِيلَ الْغِنَى فِي كُلِّ فَجٍّ مِنَ الْقَفْرِ
 وَعِزًّا لِدِينِ اللَّهِ ذُلًّا عَلَى الْكُفْرِ
 إِلَيْكَ وَبَيْنَ التَّسْرِ بَيْنَكَ وَالنَّسْرِ (٥٩)
 وَلَا لَيْنَ لِلْحَادِثَاتِ عَلَى النَّسْرِ
 لَمَا نَالَ عَمْرًا لِلْحِمَامِ شَبَابًا ظَفْرٍ (٦٠)

وَلَا تُحْمَدَا عَيْنِي قَدْ حَسَنَ الْبُكَاءِ
 لِيَعْرُكَمَا بِالْبَيْتِ أَنْ لَسْتُ وَأَقْفَاءِ
 سَلَامًا وَسُقْيَا مِنْ يَدِ اللَّهِ ثَرَّةً
 جَرَتْ فَوْقَهُ الْأَرْوَاحُ أَمَّا لِجَزِيهِ
 تَوَلَّى التَّدْيِ وَالنَّاسُ وَالْحِلْمُ وَالنَّقْيِ
 فَإِنْ تَطَوَّرَ الْأَيَّامُ لَا تَطَوَّرَ بَعْدَهُ
 مَتَى تَلَقَّه لَا تَلَقَّ إِلَّا مُنْتَمَا
 وَأَيُّ مَحَلٍّ لَا لِكُفَيْهِ نِعْمَةً
 وَمَا اخْتَلَفَتْ حَالَانِ إِلَّا رَأَيْتَهُ
 وَمَنْ تَكُنِ الْأَوْزَاقُ وَالتَّيْرُذُحْرَهُ
 كِلَا حَالَتِيهِ الْجُودُ أَيْ تَصَرَّفْتُ
 وَمَا عُدِمْتُ يَوْمًا لِكُفَيْهِ أُنْعَمَ
 وَمَا التَّسَبُّتُ إِلَّا إِلَيْهِ صَنِيعَةً
 يَرَى غِنَا يَوْمًا يَمُرُّ وَلَيْلَةً
 تُغَضُّ لَهُ الْأَبْصَارُ عِنْدَ اجْتِلَائِهِ
 وَلَمْ يَصْنَعْ مِنْ يَوْمٍ وَلَمْ يُنْسِ لَيْلَةً
 وَكَانَتْ تُعْمُ النَّاسَ نِعْمَاءُ كَفِهِ
 تَتَاعَاهُ أَقْطَارُ الْبِلَادِ تَفْجَعَا
 تَبَاشَرَ بَطْنُ الْأَرْضِ أُنْسًا بِقُرْبِهِ
 وَلَمْ تَكُ تُسْقَى الْأَرْضُ إِلَّا بِسِنِيهِ
 إِذَا نَشَأَتْ يَوْمًا لِكُفَيْهِ مُزْنَةً
 هَوَى جَبَلُ اللَّهِ الَّذِي كَانَ مَعْقِلًا
 عَجِبْتُ لِأَيْدِي الْخَفِيفِ كَيْفَ تَعْلَعْتُ
 وَمَا كُنْتُ بِالْمُغْضَى لِذَهْرِ عَلَى الْقَدَى
 وَلَوْ دَفَعَ الْعِزُّ الْجِمَامَ عَنِ امْرِئٍ

(٥٧) هذا البيت من ل .

(٥٨) الثرة : الغزيرة . اللماعة : الفلاة يلمع فيها السراب .

(٥٩) النسران : كوكبان في السماء هما ما يسمى بالنسر الطائر والنسر الواقع .

(٦٠) شبا : جمع شبابة ، وهي حد كل شيء .

ألم تلك أسباب الردى طوع كفه
 إذا صاح داعى الروع سار أمامه
 يقسم آجال العدى عزم بأسه
 وماذب إلا عن حمى الدين سيفه
 وقد كان يقرى الخنف أعداء سلميه
 ثولى أبو عمرو فقلنا لنا عمرو
 وكان أبو عمرو معادا حياثه
 وكنا عليه نخدر الدهر وحده
 وهون وجدى أن من عاش بعده
 وهون وجدى أنى لا أرى امرءا
 رمنا الليالى فيك يا عمرو بعدما
 ساخرتك شكرى ما حياث فإن أمث
 وأوثر حزنى فيك دون تجلدى

قال أبو العباس:

وكان مروان^(٦٤) بن أبى الجنوب بن سليمان بن يحيى بن أبى حفصة مداحا للخلفاء
 من لدن المهدي إلى أن قام محمد ولى عهد ، ولم يبلغ خلافته . وكان مطبوعا خطيبا
 فى شعره ، صحيح المعانى ، قليل الإغماض صلب الكلام ، وأعطاه المهدي فأكثر .
 وفى ذلك يقول :

صَدَقْتَ يَا خَيْرَ مَأْمُولٍ وَمُتَّجِعٍ ظَنَّنِي بِأَضْعَافٍ مَا قَدِ كُنْتُ أُحْتَسِبُ
 أَعْطَيْتَ تَسْعِينَ أَلْفًا غَيْرَ مُتَّبِعِهَا مَنَّا وَلَسْتُ بِمَتَّانٍ لِمَا تَهَبُ

(٦٤) مروان بن أبى الجنوب بن مروان بن سليمان بن يحيى بن أبى حفصة شاعر من الولاة ، سلك
 سبيل جده فى الطعن على آل على بن أبى طالب ، وحسنت حاله عند المتوكل العباسى ، وخص
 به وتادمه ، وقلده المتوكل بالجمامة والبحرين وطريق مكة . من آثاره : ديوان شعر فى نحو ١٥٠
 ورقة معجم المؤلفين : ١٢ - ٢٢٠ .

(٦١) ل : ألم يك . و : تبين لصرفى . ومعنى : يريش من رشا أى جعل له رشاء . أى ريشا :
 المعجم الوسيط ج ١ ص ٢٤٨ ، ويبرى من برا السهم أو القلم : نَحَتْه وَسَوَّاهُ : المعجم الوسيط :
 ١ - ٥٢ .

(٦٢) ل : يلاقى الذى يلقى . (٦٣) الوتر : الفرع والمكروه : المعجم الوسيط : ٢ - ١٠٢٠ .

فلما مات المهدي جزع عليه جزعا شديدا ، ورثاه بأشعار اخترنا منها

[الكامل]

قوله :

لَوْ حُلِدَتْ بَعْدَ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ
كَمْ قَاتِلٍ لَمَّا أَتَاهُ نِعْيُهُ
إِنَّ الْبِلَادَ غَدَاةٌ أَصْبَحَ ثَاوِيَا
تَرَكَ الْمَسَامِيعَ فَقَدَهُ مُسْتَكَّةً
فَالْيَوْمَ شَاغَبَتِ الثُّمُوسَ حَرَارَةٌ
وَالْيَوْمَ أَظْلَمَتِ الْبِلَادُ وَرُزْمَا
وَالْيَوْمَ أَصْبَحَتِ الْأَرَامِلُ وَهَلَا
كَانَتْ تُعَوِّدُ مِنَ الشِّتَاءِ إِذَا شَتَّتْ
وَبَيْتِ آمِنَةً لَدَى حُجْرَاتِهِ
أَقْبَى الْبُكَاءِ عَلَى الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ
لَمَّا اسْتَارَ بِيْطِنَ مَكَّةَ هَلَكُهُ
فَرَحَتْ بَطُونُ الْأَرْضِ إِذْ كَسِيَتْ بِهِ
وَبَكَتْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ظُهُورَهَا
كَانَتْ خِلَافَتُهُ خِلَافَةَ رَحْمَةٍ
مَامَرٌ مِنْ يَوْمٍ عَلَيْهِ وَكَلْبَةٌ
رَوَى الظَّمَاءَ بَوَادِيَا وَعَوَادِيَا
عَمَّ الصُّخَّاحَ بِعَدْلِهِ وَبِعَرْفِهِ
وَصَلَّتْ جَنَاحِي مِنْ فَوَاضِلِ سَيِّدِهِ
فَلَا بَعْنَ لَهُ الْمَدِيحَ مَرَاتِيَا
أَتَيْتِي لِأَجْزِيَةِ أَيَادِي عَرْفِهِ

نَفْسِي لَمَّا فَرَحْتُ بِطُولِ بَقَائِهَا
لَيْتَ اللَّيَالِي أَدْنَتْ بِفَنَائِهَا
كَادَتْ تُعَوِّدُ جِبَالَهَا كَصَفَائِهَا
وَشَجَا الثُّمُوسِ وَحَالَ دُونَ عَزَائِهَا
كَالْثَّارِ مُوصَدَةً عَلَى أَحْسَائِهَا
كَشَفْتُ بِعُزَّتِهِ دُجَى ظُلْمَائِهَا
تَدْعُو وَمَا ظَلَمْتُ بِطُولِ شَقَائِهَا
بِفَنَائِهِ وَتَعِيشُ فِي أَذْرَائِهَا^(٦٥)
كَحَمَامٍ مَكَّةَ قَطْبًا وَطَبَائِهَا
مَاءَ الْعِيُونِ فَأَسْقَدْتُ بِدِمَائِهَا
حَنَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ مِنْ بَطْحَائِهَا
نُورًا جَلَا ظُلْمَائِهَا بِجَلَائِهَا
إِذْ غَابَ زَيْنُ عَشِيَّتِهَا وَضَحَائِهَا
حَتَّى مَضَتْ أَيَّامُهُ لِمَضَائِهَا
إِلَّا تَدْفُقُ كَفَّهُ بِعَطَائِهَا
عَفْوًا بِأَرْشِيَةِ التَّدَى وَدِلَائِهَا
وَشَفَى الْمَرِيضَ بِسَيْفِهِ مِنْ دَائِهَا
سَبْعُونَ أَلْفًا رَاشِيًا بِجَبَائِهَا^(٦٦)
يَنْقَى عَلَى الْمَهْدِيِّ حُسْنَ نَبَائِهَا
عِنْدِي وَلَسْتُ يَبَالِغُ لِجَزَائِهَا

(٦٥) أذرى : استر واحتمى وصار في كنفه . المعجم الوسيط : ١ - ٣٦ . والأذراء جمع ذرى

وهو كل ما استظل به اللسان : ذرا

(٦٦) راشني : أكرمه . وحياه : اختصه ومال إليه . المعجم الوسيط : ١ : ١٥٤

أَقْلَى الْحَيَاةِ إِذَا رَأَيْتَ قَصُورَهُ
وَجِيَادَهُ قَدْ عُرِيَتْ وَقَبَابَهُ
فَقَدَّتْ مُشْرِفَهَا الْجِيَادُ فَأَصْبَحَتْ
فَفُحُولُهُنَّ عَنِ الْحُجُورِ ذَوَاهِلُ
سُقِيَتْ عَلَى الظَّمَا القِرَاحَ لِفَقْدِهَا
وَلَقَدْ تَرَاهَا وَالْحَلِيبُ صَبُوحُهَا
قُلِعَتْ لِسِرِّكَ رُكُوبُهَا غِلْمَانُهَا

القلعُ : الذي لا يستقر على سرج .

رَهَجُ القِتَامِ فَحَالَ دُونَ ضِيَائِهَا
لِصَدَاكَ فَاصِلَةٌ عَلَى أَصْدَائِهَا
مِنْ حُفْرَةٍ حَدْرُوكِ فِى أَرْجَائِهَا
فِيهَا فَإِنَّ لِيْلِكَ فَضْلَ سَنَائِهَا
رَبُّ المَتُونِ فَحَالَ دُونَ ثَوَابِهَا
مَا إِنْ تَمَلَّ عَلَيْكَ طُولُ بُكَائِهَا
نَسِيَتْهَا المَاضِينَ مِنَ الحُلَفَائِهَا
حُرْمَ الحُقُوقِ مُوَكَّلِ بَادَائِهَا
يَأْوِي المَبِيتُ بِهَا إِلَى آبَائِهَا
عَنَّا بِقِيَّةِ عَيْشِنَا بِرَحَائِهَا

قال أبو العباس :

كتب الحسن بن وهب^(٦٨) إلى الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر يُعزِّيه عن مصيبة :

(٦٧) الحجور : مفرد حجر وهو ما يتخذ من إناث الخيل للنسل ويجمع أيضا على أحجار المعجم

الوسيط : ١ : ١٥٧ والأفلاء : الأتان أو الفرس . المعجم الوسيط : ١ - ٧٠٩ .

(٦٨) أبو علي الحسن بن وهب كاتب من الشعراء . ولى ديوان الرسائل توفى سنة : ٢٥٠ هـ .

الاعلام : ٢ - ٢٥٠ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أطال الله إبقاء الأمير مسرورًا غير محزون^(٦٩) ومُعْطَى غير مسلوب ، ووقفه في أحواله كلها لما يستديم به النعمة ، ويستحقُّ عنه الثوبة . أفضتني - أعز الله الأمير ما رأيت بالأمير - جعلني الله فداءه - من هذه الرزية التي كادت تكون أشبه بالثعم منها بالرزايا ، لما وَفَّرَ اللهُ إن شاء الله للأمير - أيده الله - من ثوابها ، وبقي له في نفسه - حاطها الله - من بعدها فإن حياة الأمير - مدَّ اللهُ في عمره حياة لأهله وذوى تأميله ، بعد الذي جعل اللهُ للدين والخلافة من الأتس والعز بسلامته ، وللأمة من جميل مكانه وموضعه ، فَوَفَّرَ اللهُ للأمير ، ولا نقصه ، وتولاه يُحسن المدافعة عنه والحياطة ولا أراه سوءًا في نفس ولا حميم بقدرته .

وهذه جعلت فداء الأمير - أحيانًا ينظر فيها - أيدهُ اللهُ - عند نشاطه إن شاء الله :

(مجزوء الكامل)

قُلْ لِلْمُجِيرِ عَلَى الدُّهُورِ	وَمُقِيلِ ذِي الجَدِّ العُورِ
وَلِمَنْ يُصْمِرُ كِبْرَهُ	مُسْتَغْظَمِ الخُطْبِ الكَيْرِ
حَتَّى يُرَى بَعْدَ الجَلَا	لَهُ مِنْهُ فِي حَالِ الصَّغِيرِ
إِنَّ الأَمِيرَ أَجَلٌ قَدْ	رَأَى فِي مِلْمَاتِ الأُمُورِ
مِنْ أَنْ تَفِيضَ دُمُوعُهُ	بِفِرَاقِ إلفِ أَوْ عَشِيرِ
لَا، بَلْ يَكُونُ مُسَلِّمًا	لِحُكُومَةِ المَلِكِ القَدِيرِ
وَيَلُكُهُ مِنْهُ الرُّضَى	غَنَهُ بِإِحْلَاصِ الضَّمِيرِ
وَالصَّبْرُ فِي البُلُوى لِيَفِ	طَى وَافِيًا أَجَرَ الصَّبُورِ
وَالشُّكْرُ فِي التَّغْمَى لِيَفِ	نَمَ مَايُضَاعَفُ لِلشُّكُورِ
فَاللهُ يُنْسِيءُ غَمْرَهُ	فِي مُتَهَي رُتَبِ الحُجُورِ
وَإِذَا بَكَتْ غُرُزُ العُيُورِ	نِ فَلَا بَكَتْ عَيْنُ الأَمِيرِ
لَا، بَلْ تَبِيثُ قَرِيرَةَ	أَبْدًا عَلَى بَرْدِ السُّرُورِ
مَاذَا بَعْدَ ذَلِكَ مُنْذَرًا	كَ مِنْ الكَاتِبَةِ وَالقُّسُورِ

(٦٩) أطال الله بقاء الأمير مسرورًا غير محزون : من ل .

عَبْدُ يَرَاكَ وَلَيْ نَعْمَ . حَمِيهِ إِلَى يَوْمِ النُّشُورِ
وَيَرَاكَ جَابِرٌ مَا وَهَى مِنْ عَظْمِهِ ذَاكَ الْكَسِيرِ
وَيُجِنُّ وُدًّا لِحُبْرُهُ عِنْدَ الْعَلِيمِ بِهِ الْخَيْرِ

وكان الحسن بن وهب يقدم حبيب بن أوس أباتام الطائي تقدما يتجاوز فيه ، ولا يرى له في الشعر ندًا قديما فضلا عن حديث فأتاه خبر موته بالموصل فرثاه بشعر سلك فيه مثل طريقه ، وترك مذهبه في السهولة والبيان والألفاظ الكتاب

قال :

سَقَى بِالمَوْصِلِ القَبْرَ القَرِيْبَا
إِذَا أَطْلَقْتَهُ أَطْلَقْنِ فِيهِ
الشعيب : المزادة التي يحملها البعير .

وَتَشَقَّتْ الرُّعُودُ لَهَا جُورِنَا
وَأَطْمَتِ البُرُوقُ لَهَا حُدُودَا
فَإِنَّ ثَرَابَ ذَاكَ القَبْرِ يَخْوِي
لِيَا شَاعِرًا فَطِنَا أَدِيْنَا
إِذَا شَاهَدْتَهُ رَوَاكِ مِمَّا
أَبَاءْتُمَامِ الطَّائِيَّ إِنَّا
فَقَدْنَا مِنْكَ عِلْقَا لَانْرَانَا
وَكُنْتَ أَحَالِنَا يَدِنِي إِلَيْنَا
وَكَانَتْ مَذْحِجٌ تُطْوِي عَلَيْنَا
فَلَمَّا بَنَتْ نَكْرَتِ اللَّيَالِي
وَأَبْدَى الدَّهْرُ أَقْبَحَ صَفْحِيهِ
فَأَخْرَجَ بَأْنَ يَطِيْبِ المَوْتِ فِيهِ

(٧٠) ل : ثم تشرنا . (٧١) ل : وأخر بعيشة ألا يطيبنا القصيدة في أخبار أبي تمام : ٢٧٥ ، ٢٧٦

مع اختلاف في بعض الألفاظ وزيادة بيت بعد الخامس

إِذَا شَاهَدْتَهُ رَوَاكِ مِمَّا يَسْرُكُ رِقَّةً مِنْهُ وَطِيْنَا

(المقارب)

يُقِي البَنَاتِ وَيُقِي البَيْنَا (٧٢)
فَلَمْ تَبْقَ فَوْقَ غُصُونِي غُصُونَا
وَقَدْ فَفَرُوا أَعْيُنَ الحَاسِدِينَا
كَمَرُ الدَّرَاهِمِ بِالتَّاقِدِينَا
وَالْقَيْنَ ذَاكَ إِلَى مُلْحِدِينَا
نِ حَتَّى أَمَاتَهُمْ أَجْمَعِينَا
فَقَدْ أَلْعَبُوا بِالدُّمُوعِ العِيُونَا
تَرَى حَاسِدِيهِ لَهُ رَاحِمِينَا (٧٣)
فَصَارُوا إِلَى بَطْنِهَا يَتَقَلَّبُونَا
فَحُزْنِي تُجَدِّدُهُ لِي السَّنُونَا (٧٤)

[الكامل]

لِحُدُودِهِمْ تَحْتَ الجُوبِ وَسَادُ
بَعْضَا فَهَنْ وَإِنْ قَرْنَنْ بَعَادُ
قَدْ أَسْلَمَتْ أَطْقَابُهُ الأَوْثَادُ
إِلَّا بَكَتْ حَتَّى بَكَى الحَسَادُ
سَيُّونَ أَكْمَلَهَا لِي المِيلَادُ؟
فُلَ الجَمِيعِ وَغُيَّبَ الأَوْلَادُ (٧٥)

[الطويل]

فَلَمْ يَبْقَ لِي إِلَّا التَّاسُفُ مِنْ جَهْدِي
مِنَ الحُزْنِ مَا لَبِى عَلَى الرَّجُلِ الجَلْدِ (٧٦)
عَنْ ابْنَةِ أُمِّي مَدَقَّمَا لَعَلِّي وَغَدِي

وقال أبو عبد الرحمن العتبي يرى بنيه :
أَمَا يَزُجِرُ الدَّهْرُ عَنِي المُنُونَا
وَأَلَحَّ عَلَيَّ بِلا رَحْمَةٍ
وَكُنْتُ أبا سَيِّئَةٍ كَأَبْدُورِ
فَمَرُّوا عَلَيَّ حَادِثَاتِ المُنُونِ
فَالْقَيْنَ ذَاكَ إِلَى صَارِخِ
فَمَا زَالَ ذَلِكَ ذَابُ الزُّمَانَا
وَحَتَّى بَكَى لِي حُسَادُهُمْ
وَحَسْبُكَ مِنْ حَاسِدٍ بِأَمْرِي
رَأَيْتُ يَتَى عَلَيَّ ظَهْرَهَا
فَمَنْ كَانَ يُسْلِيهِ مَرُّ السَّيْنِ

وقال فيهم :

يَاسِيَّةَ أَوْدَعْتُهُمْ حَفَرَ البَلَى
مَتَّعُوا جُفُونِي أَنْ يُصَافِحَ بَعْضُهَا
لَمَّا بَقِيَتْ عِمَادُ بَيْتِ مُفْرَدَا
لَمْ تَبْقَ عَيْنٌ أَسْعَدَتْ ذَا عِبْرَةٍ
مَاذَا أَرْجَى بَعْدَ حُمْسٍ بَعْدَهَا
وَسَطَّتْ عَلَيَّ مِنَ الزَّمَانِ يَدُ بِهَا

وقال يرى أخته :

لَقَدْ حَاتَنِي دَهْرِي بِأَمِّ مُحَمَّدِ
سِوَى أَنْ صَدْرِي تَحْتَهُ مُسْتَكِنَةٌ
وَأِنِّي مَدَّ اليَوْمِ الَّذِي لَمْ أَطِقْ بِهِ

(٧٢) ل : عا . (٧٣) ل : حادث ، بدل : حاسد .

(٧٤) الفاضل : ٦٧ .

(٧٥) أنظر الفاضل : ٦٧ (٧٦) المستكنية : المسترة المعجم الوسيط : ٢ - ٨٠٨ .

وقال يربى محمد بن عبد بن حبيب المهلب^(٣) :

[الطويل]
مُحَمَّدُ إِنْ آتَيْتَ مِنِّي جَانِبًا بِقُرْبٍ لَقَدْ أَوْحَشْتَ بِالْبَعْدِ جَانِبًا
وَقَدْ عَظُمْتَ فِيكَ الْمَصَائِبُ إِنَّهَا تُصَغَّرُ عِنْدِي فِي سِوَاكَ الْمَصَائِبَا
سَلَوْتُ بِهِ عَمَّنْ تَقَدَّمَ قَبْلَهُ وَأَلَيْتُ أَصْفَى بَعْدَهُ الْوُدَّ صَاحِبَا
مَسَّبِكَ أَحْلَاقُ الْمَرْوَةِ إِنَّهَا مَعِيَّةَ مَا ذُنْتُ عَنْهُنَّ غَائِبَا

وقال يربى ابنه سليمان ، وكان نفيسا من ولده :

[الطويل]
سَلِيمَانُ وَاللَّهِ الَّذِي آتَا عِبْدَهُ لَقَلْبِي عَلِيلٌ مَا حَيْثُ حَزِينُ
تَقَاضَاكَ دَهْرٌ فَأَقْضَاكَ بِدِينِهِ وَلِلدَّهْرِ فِي نَفْسِي عَلَيٌّ دُونَ
فَقَرْتُ عِيُونَ كُنْتُ شَجَلٌ جُفُونَهَا وَجَادَاتُ بِحَزْنٍ بِاللِّدْمَاءِ عِيُونَ
فَلَيْسَ عَلَيَّ دَهْرٌ مُجِيرٌ إِذَا عَدَا يَكْرَهُ وَلَا خَلْقٌ عَلَيْهِ مُعِينُ
ذَقْتُ بِكَفِّي بَعْضَ نَفْسِي فَأَصْبَحْتُ لَهَا دَافِنٌ مِنْ نَفْسِهَا وَدَفِينُ
فَلِلَّهِ مَا أُعْطِيَ وَاللَّهِ مَا حَوَى وَآخِرُ بِأَمْرٍ كَائِنٍ سَيَكُونُ
فَيَأْتِجُمَةُ الدُّنْيَا بِمَنْ شِئْتُ بَعْدَهُ فَيَسَانُ مَضُونٍ بِهِ وَضِينُ

وقال يربى صديقا له يقال له عيسى بن القاسم :

[الطويل]
بَكَتْ عَيْنٌ مَنْ لَمْ يَلِكْ عَيْسَى بْنِ قَاسِمٍ بِأَرْبَعَةٍ حَتَّى تَجِفَّ نَوَاطِرُهُ
فَتَى غَابَ عَنْهُ أَقْرَبُوهُ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَنْ يُحَامِي دُونَهُ وَيُؤَارِزُهُ
مَرَزْتُ عَلَى زَنْجٍ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ قَبَاطِنُهُ يَشْكُو الْخَرَابَ وَظَاهِرُهُ
تَكَادَ مَعَانِيهِ تَقُولُ لِفَقْدِهِ لِسَائِلِهَا عَنْ أَهْلِهِ : مَا تِ عَامِرَةٌ^(٧٨)
سَلَامٌ عَلَيَّ الْإِخْوَانَ وَالْعَيْشَ بَعْدَهُ وَمَنْ كَانَ يُسَلِّي أَلْهَمَ عَيْبِي حَدِيثُهُ
فَإِنْ أَسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ فَمَا عَنْهُ سَلْوَةٌ إِذَا ضَاقَتْ بِأَمْرِي مَصَادِرُهُ
رَمَهْمَا أَضْيَعُهُ فَإِنِّي ذَاكِرُهُ

(٧٧) هو أمير البصرة في زمن المأمون العباسي ، قال الميرد : كان سيد أهل البصرة أجمعين .

الأعلام : ٧ - ٥٠ ،

(٧٨) ل : لسائلها .

وقال في ابن له يكنى أبا عمرو - مات آخر ولده - قصيدة^(٧٩) يطيلها ، فأخترت

منها هذه الأبيات :

[الطويل]

لَقَدْ ضَمِتَ الْأَعْدَاءُ بِي وَتَعَيَّرَتْ
تَجْرًا عَلَيَّ الدُّهْرُ لَمَّا . فَقَدْتُهُ
أَسْكَانَ بَطْنِ الْأَرْضِ لَمْ يَقْبَلِ الْفِدَى
فِيَايَتٍ مَنْ فِيهَا عَلَيْهَا وَلَيْتَ مَنْ
فَمَاثُوا كَأَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْمَوْتَ غَيْرَهُمْ
عَيُّونَ أَرَاهَا بَعْدَ مَوْتِ أَبِي عَمْرٍو
وَلَوْ كَانَ حَيًّا لَاجْتَرَأْتُ عَلَيَّ الدُّهْرُ
فُدَيْتُمْ وَأَعْطَيْتَا بِكُمْ سَاكِبِي الظُّهْرُ
عَلَيْهَا تَوَى فِيهَا مُقِيمًا إِلَى الْحَشْرِ
فَكَكَلْتُ عَلَيَّ نُكْلًا وَقَبَّرْتُ إِلَى قَبْرِ^(٨٠)

وقال دعلج بن علي الخزاعي^(٨١) يرثي أبا القاسم نصر بن حمزة :

كَانَتْ حُرَاةٌ مَلَأَ الْأَرْضَ مَا اتَّسَعَتْ
هَذَا أَبُو الْقَاسِمِ الثَّأْوِي بِنَلْقَعَةٍ
هَبْتُ وَقَدْ عَلِمْتُ أَنْ لَأَهْبُوبُ بِهِ
أَضْحَى قَرِيًّا لِلْمَتَايَا إِذْ تَزَلَّنْ بِهِ
فَقَصُّ مَرِّ اللَّيَالِي مِنْ حَوَاشِيهَا
تَسْتَفِي الرِّيَّاحُ عَلَيْهِ مِنْ سَوَافِيهَا
وَقَدْ تَكُونُ حَسِيرًا إِذْ يُجَارِيهَا
وَكَانَ فِي سَالِفِ الْأَيَّامِ يَقْرِيهَا^(٨٢)

[السرعة]

وقال أشجع بن عمرو السلمى^(٨٣) يرثي محمد بن منصور
أَنْعَى قَتَى الْجُودِ إِلَى الْجُودِ
أَنْعَى قَتَى أَصْبَحَ مَعْرُوفَهُ
أَنْعَى إِلَى الْفَيْتَانِ أَعْلَامَهُمْ
أَنْعَى ابْنَ مَنْصُورٍ إِلَى سَيِّدِ
وَأَشْعَثُ يَسْقَى عَلَيَّ صَيِّتَهُ
وَطَارِقِ أَعْيَا عَلَيْهِ الْقَرَى
فَمَا مِثْلُ مَنْ أَنْعَى بِمَوْجُودِ
مُتَّسِبًا فِي الْبَيْضِ وَالسُّودِ
كَتَبَا وَأَوْلَاهُمْ بِتَمَجِيدِ
وَأَيْدٍ لَيْسَ بِرَغْدِيدِ
مِثْلُ فِرَاحِ الطَّيْرِ مَنَّهُودِ
وَمُسْلِمٍ فِي الْقَدِّ مَصْفُودِ

(٧٩) القصيدة ليست في م .

(٨٠) الكامل : ١٢٠٣ . ذكر فيها بعض الأبيات غير مرتبة كما ذكرت هنا ومن غير نسبة .

(٨١) دعلج بن علي الخزاعي الشيعي شاعر أهل الكوفة ، كان أكثر مقامه في بغداد ، ودخل دمشق توفى سنة ٢٤٦هـ وعمره ٩٨ سنة . له ديوان شعر . معجم المؤلفين : ٤ - ١٤٥ .

(٨٢) ديوان دعلج : ٢١٣ .

(٨٣) يكنى أبا الوليد أشجع بن عمرو السلمى شاعر إسلامي عياشي نشأ بالبصرة ومدح البرامكة والرشيدي فأغدق عليه فأكثر له المدح توفى نحو سنة ١٩٥هـ (انظر ديوان الحماسة : ١ - ٥٤)

بِقِيَّةِ الْمَاءِ مِنَ الْغُودِ
 جَانِبَهَا لَيْسَ بِمَسْدُودِ
 يَنْلَأُ مَايْنِ ذَرَى الْيَدِ
 قَدْ جُمِعَا فِي بَطْنِ مَلْحُودِ
 وَعَدْوَةٌ الْبُحْلِ عَلَى الْجُودِ
 مَايْنِ اغْتَاقِ الْقَرَادِيدِ^(٨٤)
 مَا مِنْ حَاجَاتِ الْمَجَاهِدِ^(٨٥)
 مِنْ رَغَدِ الْعَيْشِ بِتَضْرِيدِ^(٨٦)
 مِنْهُ بِأَذْنَابِ الْمَوَاعِيدِ
 أَبْوَابُهَا دُونَ الْقَتَى الْمُودِي
 مَضَى قَتَامَا بِالْمَقَالِيدِ
 فِي الْمَجْدِ يَوْمَ غَيْرِ مَحْمُودِ
 مِنْ أَجْلِ قَدْ حُطُّ مَعْدُودِ^(٨٧)
 عَلَى لِسَانِ غَيْرِ مَفْقُودِ
 أَغْلَامُهُ فِي بَطْنِ أَحْمُودِ
 يَاعَيْنِ لَا عُذَّتْ بِمَجْلُودِ^(٨٨)
 وَإِنْ تَغَالَى - غَيْرُ مَفْقُودِ
 طَلَبْتَمَا نَحَتْ الْجَلَامِيدِ
 مُحَمَّدٌ فِي جَوْفِ مَلْحُودِ
 وَلَيْسَ مَا فَاتَ بِمَرْدُودِ
 وَسَاعِدَا لَيْسَ بِمَغْضُودِ
 أَرْغُ الْمَتَايَا فِي الصَّنَادِيدِ^(٨٩)
 مِمَّنْ عِمَادًا غَيْرَ مَهْدُودِ

أَلْعَى قَتَى مَصُّ الثَّرَى بَعْدَهُ
 وَالْقَلَمَ الْمَجْدُ بِهِ تَلَمَّةٌ
 أَلْعَى قَتَى كَانَ وَمَعْرُوفُهُ
 فَأَصْبَحَا بَعْدَ تَسَامِيهِمَا
 الْيَوْمَ تُحْشَى عَكَرَاتُ النَّدَى
 يَارَاكِبَ الْعَيْسِ الَّتِي تُحْطَى
 إِنَّ يَبَابَ الْبَرْدَانَ الْفَتَى الضُّ
 مَنْ قَعَّ الْمَسْكِينَ لَمَّا مَضَى
 مَنْ لَمْ يَكُنْ سَائِلُهُ مُنْسِكَا
 لَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ أَغْلَقَتْ
 لِيُرْجِ الْبُحْلُ عَلَيْهَا فَقَدْ
 أُوْرَدَهُ حَوْضًا عَظِيمَ الثَّمَايِ
 كُلُّ قَتَى يَسْعَى إِلَى مُدَّةِ
 سَيَطِئُ الشُّقْرُ بِأَيَّامِهِ
 كَفَاكَ أَنْ الْمَجْدُ قَدْ أَصْبَحَتْ
 جُودِي بِدَمْعِ أَوْ دَمِ جُودِي
 فَكُلُّ مَفْقُودٍ إِلَى جَنْبِهِ
 يَا وَاللَّيْ قَوْمِهِمَا إِنْ مَنْ
 طَلَبْتَمَا الْجُودَ وَقَدْ ضُمَّهُ
 فَاتَكَمَا الْمَوْتُ بِمَعْرُوفِهِ
 يَاعْضَلَا لِلْمَوْتِ مَفْعُوتَةٌ
 أَوْ مَنْ زَلَدْنِيهِ وَأَكْبَاهُمَا
 وَهَذَا الرُّكْنُ الَّذِي كَانَ بِالْأُ

(٨٤) اختطى : تجاوز وتعدي المعجم الوسيط : ١ - ٢٤٥ . القراديد : ما ارتفع وغلظ من الأرض
 والفعل قرد . (٨٥) البردان : اسم القرية من قرى العراق .
 (٨٦) صرد : قتل والتصريد : التعليل . المعجم الوسيط : ١ - ١٤ .
 (٨٧) هذا البيت من ل . (٨٨) مجلود من جلد : تصير وتشجع . (٨٩) أوهن : أضعف .

[مواعظٌ وتعازٍ وأشعارٌ]

قال أبو العباس :

قد أملينا من أشعار المحدثين جملةً يُخافُ على مثلها الملل ، وإنما كتابنا هذا - وإن كان يُقصدُ به معنى واحدٌ - فإنما يخرجُه شيءٌ في ذلك المعنى إلى آخر منه . فكأنه بابٌ يخالف بابًا .

(وهذا بابٌ مواعظٌ وتعازٍ^(١)) وأشعارٍ داخله في ذلك موصولةٌ به :

وقد كنا أملينا أخبارًا عن عروة بن الزبير في قطع رجله ، ومصاب ابنه بضرب دابةٍ إياه . وهذا الذي نذكره مما يتصل بجملة إخباره :

قال إسماعيل بن يسار^(٢) يرضى محمد بن عروة : [الخفيف]

تِلْكَ عِرْسِي رَأَمْتُ سَفَاهَا فِرَاقِي وَجَفَّتْ سِي فَمَا تُرِيدُ عِنَاقِي
رَعَمْتُ أَلَمًا هَلَاكِي مَعَ الْمَا لِ وَأَلِي مُخَالِفِي إِمْلَاقِي
وَتَسَّاسَتْ رَزِيَّةٌ بِدِمَشْقٍ أَشْخَصَتْ مُهَجَّتِي فَوَيْقُ التَّرَاقِي
يَوْمَ أَدْعَى إِلَى ابْنِ عُرْوَةَ نَعْنَا فَوْقَ أَيْدِي الرُّجَالِ وَالْأَعْنَاقِ
مُسْتَحْتًا بِهِ سِاقَ إِلَى الْقَبْرِ مِ وَمَا إِنْ يَحْتَهُمْ مِنْ سِيقِ
بِمَقَامِ رَنْجٍ أَجُّوا شَخْصَهُ ازْتَقُوا وَلَيْسَ بِرَاقِ

(مكان رنج : إذا كان لا يُستقرُّ عليه)^(٣)

ثُمَّ وَلَيْتُ مُوجَعًا قَدْ شَجَانِي قُرْبُ عَهْدٍ بِهِ وَبُعْدُ تَلَاقِ
وَلَقَدْ كُنْتُ لِلْحُحُوفِ عَلَيْهِ مُشْفِقًا لَوْ أَعَادَهُ إِشْفَاقِي
فَإِذَا الْمَوْتُ لَا يُرَادُ بِحِرْصِي مِنْ حَرِيصِي وَلَا لِرُقِيَةِ رَاقِ

(١) ما بين القوسين من : ل .

(٢) إسماعيل بن يسار النسائي أصله من أذربيجان سكن المدينة وكان أبوه يعد الطعام للأفراح ولذلك سمى النسائي كان طيب النفس حسن الحديث كان شاعرا مجيدًا سهل التراكيب قريب المعاني ، وكانت وفاته سنة ١١٠ هـ (انظر تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ : ١ - ٦٤٣)

(٣) ما بين القوسين ليس موجودا في ل .

وَعَيْنَا كَاتِبِي نُورَةَ يَوْمَا
ثُمَّ صِرْنَا لِفِرْقَةِ ذَاتِ بَعْدِ
فِي رَحَاءِ وَلَذَّةِ وَالْفَسَاقِ^(٤)
كُلُّ حَيٍّ مَصِيرُهُ لِفِرَاقِ^(٥)

[الكامل]

وقال أيضا يرثيه: ^(٦)

صَلَّى إِلَاهُ عَلَى امْرِئٍ فَارَقَهُ
يَوْمَئِذٍ يَدِي دَارَ مَقَامِهِ
وَلَمَّا تَرَكْتُكَ يَا مُحَمَّدُ ثَاوِيَا
وَعَبْرْتُ أَغْوِيَهُ وَقَدْ اسْلَمْتُهُ
وَأَرَى الْوُفُودَ لَدَى الْمَنَازِلِ مِنْ مَنِي
أَعْنَى ابْنِ عَزْوَةَ إِنَّهُ قَدْ هَدَانِي
وَالْمَرْءُ زَهْنُ مَنِيَّةٍ يَدْعَى لَهَا
وَإِذَا ذَهَبَتْ إِلَى الْعَرَءِ أُرِيدُهُ
غَلَبَ التَّعْزَى إِنْسِي لِفِرَاقِهِ

بِالشَّامِ فِي حَدِّ الضَّرِيحِ الْمُلْحَدِ^(٧)
نَائِي الْمَحَلَّةِ عَنِ مَزَارِ الْعُودِ
لَمَّا تَرُوحُ مَعَ الْكِرَامِ وَتَعْتَدِي
لِسَفَى الْأَمَاعِرِ وَالْمَزَارِ الْأَبْعَدِ^(٨)
شَهَدُوا وَإِنَّكَ غَائِبٌ لَمْ تَشْهَدِ
فَقَدْ ابْنُ عَزْوَةَ هَدَّةٌ لَمْ تَقْصِدِ
لَا بَدَّ أَسْرَعَ مِنْ رِذَاءِ الْمُرْتَدِي
غَلَبَ الْعَرَءُ وَحِيلَ دُونَ تَجَلْدِي^(٩)
لَيْسَ الْعَدُوُّ عَلَيَّ جِلْدُ الْأُرَيْدِ^(١٠)

* * *

وقال البيهقي : ومات ابن له يرثيه بشعر حفظ منه بيت استحسانا^(١١) [الطويل]

فَصَادَفَ مَنِي غُصَّةً مَا يُسِيغُهَا
شَرَابٌ وَلَمْ يَذْهَبْ مَرَارَتُهَا الْعَسَلِ^(١٢)

* * *

(٤) ابنا نويرة : هما مالك وتمام ابنا نويرة . وقد تقدم ما كان من أمرهما في أول الكتاب

(٥) ل : لفرّاق . (٦) الأبيات الثلاثة الأولى في التعازي للمدائني ٣٦ .

(٧) ل : حدث الضريح . (٨) الأعر : الأرض ليس فيها نبات .

(٩) دون : زيدت من ل .

(١٠) الأريد : الأسد .

(١١) البيهقي : هو خدّاش بن بشر شاعر مشهور ، هاجى جريرا ، وكان من أشهر خطباء تميم ،

توفي سنة ١٤٣ هـ . (انظر تاريخ الأدب لفروخ : ١ - ٧٣١ - ٧٣٢) .

(١٢) ل : لايسيفها ، وجاء البيت في التعازي للمدائني ٤٣ . موافقا لما في م .

وأخبرنا محمد بن حمزة عن عبد الملك بن عمير قال: (١٣) دخل عبد الله بن الزبير على أمه أسماء بنت (١٤) أوى بكر رضى الله عنهما فقال: يا أمه قد خذلتى الناس، فلم يبق معى إلا من ليس عنده الدفع (١٥) أكثر من صبر ساعة، والقوم يعطونى ما أردت. فما رأيك؟ قالت:

يا بُنى أنت أعلم بنفسك، إن كنت تعلم أنك على حق، وإليه تدعو، فامض على حقلك، ولا تمكن غلمان بنى أمية من نفسك. قال:

وفقك الله هذا رأى، وإنى لحسن الظن برى (١٦)، فإن هلكت فلا يشتد جزعك على، فإن ابنك لم يتعمد إتيان دنية ولا عملاً بفاحشة، ولم يسع بغدر، ولم يجز فى حُكم، ولم يكن شىء آثر عنده من رضى ربه. اللهم إنى لأقول هذا ترقية لنفسى. أنت أعلم بى. ولكنى أقوله لتسلو عنى.

ويروى أنه خرج فحمل على أهل الشام وهو يتمثل:

فَلَسْتُ بِمُبْتَاعِ الْحَيَاةِ بِسَبَبِ

وَلَا مَرْتَقٍ مِنْ عَشِيَةِ الْمَوْتِ سَلْمًا (١٧)

[الرجز]

الدُّرْعُ وَالْبَيْضَةُ لَا تُتَجِنِي
قَدْ عَلِمَ الْأَعْبُدُ أَنَّ دُونِي
إِيهَا شِمَالِي غَاوِنِي يَمِينِي
فَأَيْمًا يُضُنُّ بِالضُّيُنِ

وقال رحمه الله تعالى:

يَا أُمَّ إِنْ مِتُّ فَلَا تُبْكِينِي
مِنْ قَدْرِ اللَّهِ إِذَا يَأْتِينِي
ضَرْبًا كَأَبْرَاحِ الْمَخَاضِ الْجُونِ
فَإِنْ كَرِهَتْ صُحَّتِي فِينِي

* * *

وَتُحَدِّثُ عَنْ سَفِيَانَ (١٨) بِنِ عَيْنَةَ قَالَ:

(١٣) مر هذا الخبر فيما سبق . (١٤) ل : ابنة . (١٥) ل : المتع . (١٦) م : ربه .

(١٧) انظر التمازى ص ٤٧ ، ٤٨ . مع اختلاف يسير فى اللفظ .

(١٨) سفيان بن عيينة بن ميمون الكوفي المكي أبو محمد محدث فقيه ولد بالكوفة سنة ١٠٧ هـ طلب الحديث وجاب البلاد واجتمع عليه خلق كثير وانتهى اليه علو الإسناد فسر القرآن وجزء فيه أحاديث توفى سنة ١٩٦ هـ معجم المؤلفين ٤ - ٢٣٥ .

رأى سعيد بن جبيرة^(١٩) ابنه يطوف بالبيت فقال :
(هذا أعز الخلق علي ، وما شيء أسر إلي من أن يكون في ميزاني)

* * *

وأخبرنا عن عامر بن حفص قال :
[الطويل]
جَزَعُ الْقَلَاخِ^(٢٠) بِنُ حَزْنٍ عَلَى أَخِيهِ جَحْنَاءَ فَقَالَ :
أَعَادِلُ مَنْ يُرْزَأُ كَجَحْنَاءَ لَا يَزُولُ حَزِينًا وَيَزْهَدُ بَعْدَهُ فِي الْعَوَاقِبِ
يَمَالُ أَنَاوُ كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَهُمْ وَيَدْفَعُ عَنْهُمْ كُلَّ أْبْلَخٍ شَاغِبٍ^(٢١)
الأبلخ : المتكبر .

[المقارب]

وقال ضمرة بن ضمرة^(٢٢) :

مَآوِي لَسْتُ بِرَغْدِيْدَةٍ
أَبْلَخُ جَادَ عَلَى الْمُفْلِمِ

* * *

وقال عن الحسن بن دينار :
جَزَعُ رَجُلٍ عَلَى ابْنِ لَه ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ :
هَلْ كَانَ ابْنُكَ هَذَا يَغِيْبُ عَنْكَ ؟
قال : نعم كانت غيبته عنى أكثر من حضوره .
قال :
فَأَنْزَلَهُ غَائِبًا ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِبْ عَنْكَ غَيْبَةً ، الْأَجْرُ لَكَ فِيهَا أَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ الْغَيْبَةِ .
ومن غير هذا الإسناد أنه قال :

(١٩) سعيد بن جبيرة أبو عبد الله ولد سنة ٤٣هـ تابعى كتب لعبد بن مسعود حين كان على قضاء الكوفة انضم الى عبد الرحمن بن الأشعث حين خرج على عبد الملك فلما قتل عبد الرحمن قتلته الحجاج سنة ٩٥هـ التعازى ص ٤٣ انظر صفة الصفوة : ٣ - ٤٢ .
(٢٠) القلاخ بن حزن بن فخر بن عبيد بن الحارث كان شاعرا ، ومن أشهر الرجاز . التعازى ص ٤٤
(٢١) الخير في التعازى : ٤٤ .
(٢٢) ضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطن بن سهل شاعر جاهلى كان كثير المقامرة (أنظر بلوغ الأرب : ١ - ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠)

فأنزله غالباً عنك ، فإنه إن لم يقدم عليك قَدِمْتَ عليه .
قال :

يا أبا سعيد ، قد هونت من وجدى على ابنى .

* * *

واخبر المدائنى عن أبى إسماعيل الهمداني عن مجالد^(٢٣) عن الشعبي^(٢٤) قال :
مات ابن لشریح^(٢٥) فلم يشعر أحد بموته ، ولم يصرخ أحد عليه ، فغدا قوم إلى
شریح يسألونه عن ابنه فقالوا : كيف أصبح مريضك يا أبا أمية ؟
قال :

قد سكن عَظْرَه ورجاه أهله ، وما كان منذ اشتكى أسكن منه الساعة^(٢٦) .
الغاز : شدة القلق .

[الطويل]

قال أحد بنى كليب :

وإن رأيت مهتلاً ظنك مرتقباً

كأنى رأيت للنجم أو غلباً

* * *

وأخبر عن أبى عمرو بن يزيد قال :
احتضر رجل فوضع رأسه في حجر أخيه ، فدمعت عين أخيه فقطرت قطرة من
دموعه على خد المريض ، فأفاق من غشائه ، فنظر إلى أخيه يبكي فقال :

أخسب كذا فسرق الدهر يتتا

إلى الأمد الأقصى ومن يأمن الدهراً^(٢٧)

* * *

(٢٣) مجالد بن سعيد بن عمرو الهمداني راوية للأخبار والأنساب ليس بالقوى فيما يروى مات
سنة ١٤٤ هـ . تقريب التهذيب : ٢ - ٢٢٩ .

(٢٤) عامر بن شراحيل الشعبي أبو عمرو ثقة مشهور ، قبه فاضل مات سنة ١٠٩ هـ وله من
العمر ٨٢ . تقريب التهذيب : ١ - ٣٨٧ .

(٢٥) شریح بن الحارث بن قيس الكوفي النخعي القاضى أبو أمية مات قبل الثمانين وقد عمر طويلاً :
تقريب التهذيب : ١ - ٣٤٩ .

(٢٦) التمازى : ٥٣ . (٢٧) التمازى : ٥٣ .

وَتُحَدِّثُ عَنْ عَمْرِ بْنِ غِيَاثٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَرْبٍ قَالَ :

كُتِبَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي يَحْيَى إِلَى بَعْضِ الْخُلَفَاءِ يَعْزِيهِ :

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَوْلَى مَنْ عَرَفَ حَقَّ اللَّهِ عَلَيْهِ فِيمَا أَخَذَ مِنْهُ مَنْ عَظَّمَ حَقَّ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ عِنْدَهُ فِيمَا أَبْقَى لَهُ . وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَاضِيَ قَبْلَكَ الْبَاقِي لَكَ ، وَأَنَّ الْبَاقِيَ بَعْدَكَ هُوَ الْمَاجُورُ فَيْكَ ، وَأَنَّ أَجْرَ الصَّابِرِينَ فِيمَا يُصَابُونَ بِهِ أَعْظَمُ مِنَ النِّعْمَةِ عِنْدَهُمْ فِيمَا يُعَافُونَ مِنْهُ . (٢٨) .

* * *

وَقَالَ عَمْرُ بْنُ غِيَاثٍ :

عَزَى رَجُلٌ قَوْمًا فِيهِمْ نَصْرَانِيٌّ قَالَ :

مِثْلِي لَا يُعْزِيكَ ، وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى مَا زَهَدَ فِيهِ الْجَاهِلُ فَارْغَبْ فِيهِ (٢٩) .

* * *

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ :

حَدَّثَنِي مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ (٣٠) أَنَّ أُمَّهُ لَمَاتَ ، قَالَ : فَكُنْتُ أُرْغَبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ

وَجَلَّ أَنْ أَرَاهُ فِي نَوْمِي ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِشُعَيْبِ بْنِ الْحَبَّابِ فَقَالَ :

إِنَّ الْحَزْنَ يَنْضُوعُ عَنْ ابْنِ آدَمَ كَمَا يَنْضُوعُ الصَّبْغُ فِي الثَّوْبِ ، وَلَوْ دَامَ عَلَى ابْنِ آدَمَ

لَقَتَلَهُ . (٣١) .

* * *

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ :

سَمِعْتُ بَعْضَ الْمُحَدِّثِينَ يَقُولُ :

نُعِي مَجْرَأَةُ بَنِ ثَوْرٍ السَّدُوسِيَّ (٣٢) إِلَى أَخِيهِ شَقِيقِ بْنِ ثَوْرٍ فَكَأَنَّهُ لَمْ يُرْ ذَلِكَ فِيهِ ، فَقَالَ

لَهُ صَاحِبُ (٣٣) الْبَرِيدِ :

(٢٨) التَّعَاذِيُّ : ٧٩ (٢٩) التَّعَاذِيُّ : ٦٣

(٣٠) مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ التَّمِيمِيُّ أَبُو مُحَمَّدٍ الْبَصْرِيُّ يَلْقَبُ بِالطَّفِيلِ ثِقَةٌ مِنْ كِبَارِ الْمُحَدِّثِينَ ، مَاتَ سَنَةَ ١٨٧هـ ، وَقَدْ جَاوَزَ الثَّانِينَ . تَقْرِيبُ التَّهْذِيبِ : ٢ - ٢٦٣ .

(٣١) ل : يَنْضُوعُ عَنْ ابْنِ آدَمَ كَمَا يَنْضُوعُ صَبْغُ الثَّوْبِ ، وَلَوْ بَقِيَ عَلَى ابْنِ آدَمَ قَتَلَهُ .

(٣٢) مَجْرَأَةُ بَنِ ثَوْرٍ بِنْتُ غَفِيرِ صَحَابِيٍّ شَجَاعٌ قَتَلَ فِي افْتِتَاحِ مَدِينَةِ أُسْتَنْسَرِ سَنَةَ ٥٢٠هـ . الْأَعْلَامُ :

٦ - ١٦٤ .

(٣٣) مِنْ ل وَفِي م لَمْ يَرِ ذَاكَ فِيهِ فَقَالَ صَاحِبُ .

هل نعاها إليك أحد قبلي ؟

قال :

نعم . قد خَبَّرنا الله عز وجل أننا كلُّنا سنموت .

* * *

قال الأصمعي :

ماتت امرأة عبد الله بن مُطَرِّف بن عبد الله بن الشَّخِير ، فتبخَّر ولبس حُلَّة ، فقالوا

له في ذلك ، فقال :

أكره أن أستكين للمصيبة .

* * *

وقال أبو الحسن المدائني عن سعيد بن عبد العزيز^(٣٤) :

إن مسلمة بن عبد الملك كان له صديق يقال له شراحيل فمات ، فجزع عليه ، وخرج

فصلَّى عليه ، ودخل قبره ، فلما خرج أتاه المُعزُّون ، وفيهم عبدُ الله بن عبد الأعلى ،

فعرَّاه ، فبكى مسلمة وقال :

[الطويل]

وَهَوْنٌ وَجِدِي عَنْ شَرَّاحِيلِ النَّسِي

إِذَا شِفَتْ لَأَقِيَتْ امْرَأَةً مَاتَ صَاحِبُهُ^(٣٥)

* * *

وَقَالَ الْقَاسِمُ بْنُ الْوَلِيدِ :

حدثني أبي ، الوليدُ بن خلف ، أنَّ الحجاج بن يوسف أوفد مالك بن أسماء بن

خارجة^(٣٦) إلى عبد الملك بن مروان فدخل عليه ، فسَمِعَ صوارخَ في داره ، فقال :

ما هذه الصوارخ يا أمير المؤمنين ؟

فقال له عبد الملك :

(٣٤) سعيد بن عبد العزيز التنوخي (أبو محمد) الدمشقي ثقة إمام فقيه سماه أحمد بالأوزعي توفي

سنة ٦٧ هـ وقيل بعدها وله بضع وسبعون : تقريب التهذيب : ١ - ٣٠١ .

(٣٥) التعازي : ٥٣ .

(٣٦) مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري شاعر غزل ظريف له شعر كثير توفي سنة ١٠٠ هـ

التعازي : ٣١ ، وأيضا الخبر مجمل في التعازي : ٣١ ، ٣٢ .

مات أبان بن عبد الملك في هذه الليلة .
فقال له مالك :

أجرك الله يا أمير المؤمنين ، فوالله ما على ظهر الأرض أهل بيت أعظم مَرْزِيَّةً واحدة على الناس ، ولا الله أكفى لهم بالواجد الباقي من أنفسهم منكم أهل البيت .

فأعجب عبد الملك كلامه ، فاستعاده ، وفضله على أصحابه .

وكان الحجاج لا يستعمل مالكا لإذمائه الشراب واستهتاره به ، فكتب إلى الحجاج :
إنك أوفدت علي رجل أهل العراق فوله واستعمله وأكرمه .

* * *

قال أبو الحسن المدائني عن عامر بن الأسود وغيره أن الحجاج رأى في منامه كأن عينيه ذهبتا . فلما طلق هند ابنة أسماء وهند ابنة المهلب ظن أنها تأويل رؤياه . فلما مات ابنه محمد وأتاه موت أخيه محمد قال :

﴿هذا تأويل رؤياي من قبل﴾ (٣٧)

* * *

وأخبر المدائني عن أبي محمد بن عمرو الثقفي قال :

لما مات محمد بن الحجاج جزع عليه فقال

إذا غسلتموه فأذنونى به . فأعلموه فدخل البيت فنظر إليه فقال : [الكامل]

الآن لما كنت أكمل من مشى وأقترنا بك عن شبة القارح

وتكاملت فيك المروءة كلها وأعنت ذلك بالفعل الصالح (٣٨)

فقل له :

اتق الله واسترجع

(٣٧) سورة يوسف : ١٠٠ . وأصل الخبر في التعازى : ٥٨ .

(٣٨) البيتان لزياد الأعجم ضمن قصيدة يرثى بها المغيرة بن المهلب . ومطلع القصيدة .

إن السماحة والمروءة ضمنا قبرا بمرجو على الطريق الواضح

التعازى : ٥٨ . اقتر : بدا ولمع . وشبة كل شيء : حدّه . القادح : الفرس استتم الخامسة ودخل

في السادسة . يريد أنه قد استتم شبابه .

فقال : «إنا لله وإنا إليه راجعون» وقرأ :

﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ
﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿٣٩﴾

وأناه موث محمد بن يوسف فكان بينهما جمعة ، فقال : [الطويل]
حَسْبِي حَيَاةُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ مَيِّتٍ وَحَسْبِي بَقَاءُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ هَالِكٍ
إِذَا مَا لَقِيتُ اللَّهَ رَبِّي مُسْلِمًا فَإِنَّ نَجَاةَ النَّفْسِ فِيمَا هُنَاكَ
وجلس الحجاج للمُعزين ، ووضع بين يديه مرآة ، وولى الناس ظهره وقعد في مجلسه
فكان ينظر إلى ما به مون ، فدخل الفرزدق فلما نظر إلى فعل الحجاج تبسم ، فلما
رأى الحجاج منه ذلك قال :

أتضحك وقد هلك الحمدان فأنشأ يقول : [الطويل]
لَيْنَ جَزَعِ الْحَجَّاجِ مَا مِنْ مَصِيبَةٍ تَكُونُ لِمَحْزُونٍ أَجَلٌ وَأَوْجَعًا
مِنَ الْمُصْطَفَى وَالْمُصْطَفَى مِنْ خِيَارِهِمْ

جَنَاحِيهِ لَمَّا فَارَقَاهُ فَوَدَّعَا
أَخْ كَانَ أَغْنَى أَيْمَنَ الْأَرْضِ كُلِّهَا وَاعْتَى ابْنُهُ أَمْرَ الْعِرَاقَيْنِ أَجْمَعَا
جَنَاحَا عَقَابِ فَارَقَاهُ كِلَاهُمَا وَلَوْ قُطِعَا مِنْ غَيْرِهِ لَتَضَعَعَا
سَمِيًّا نَبِيَّ اللَّهِ سَمَاهُمَا بِهِ أَبٌ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ النَّوَابِ احْتَضَعَا^(٤١)

وكتب إليه الوليد يعزيه عن محمد بن يوسف ، ويحثه على الصبر فكتب إليه :
(كتب إلي أمير المؤمنين يعزيني عن محمد بن يوسف ويذكر رضاه عنه ، ويأمرني
بالصبر ، وكيف لا أصبر وقد أبقي الله لي أمير المؤمنين ؟) (٤١) .
وتحدث المدائني عن يونس بن حبيب قال :

(٣٩) البقرة : ١٥٦ - ١٥٧ . (٤٠) ديوان الفرزدق : ٤٠٤ . والخبر في التعازي : ٥٩ .

(٤١) التعازي : ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ .

كان الحجاج إذا سمع نوحًا في دار هدمها ، فلما مات ابنه وأخوه كان يعجبه أن يسمع
النوح ، وكان يتمثل بشعر الفرزدق :

[الطويل]

هَلْ إِبْنِكَ إِلَّا مَنْ بَنَى النَّاسَ فَاصْبِرِي
فَلَنْ يُرْجِعَ الْمَوْتَى حِينَ الْمَآئِمِ (٤٢)

قال أبو العباس :

حدّثني التّوزيّ قال :

سمعت أبا زيد يُشيد : (حين المآثم) . وكان يتمثل أيضا بشعر ليزيد بن الحكم الثقفى :

[الطويل]

إِنْ تَخْسِبَ تُوجِزْ وَإِنْ تُبَكِّهْ تُكُنْ

كِبَاكِبَةٍ لَمْ يُخَيِّ مَيْتًا بُكَارَهَا

وَمِنْ شَرِّ حَظِيٍّ مُسْلِمٍ مِنْ حَمِيمِهِ بُكَاءٌ وَأَحْزَانٌ قَلِيلٌ جَدَاؤُهَا (٤٣)

وتحدّث المدائني عن عوانة قال : أرسل الحجاج إلى علي بن ثابت بن قيس الأنصاري

[المنسرح]

فقال : أنشدني مرثيتك ابنتك فأنشده :

يَا كَذَّبَ اللهُ مَنْ نَعَى حَسَنًا لَيْسَ لِتَكْذِيبِ نَفِيهِ تَمَنُّ
أَجُولُ فِي الدَّارِ لَا أَرَاكَ وَفِي الدُّ ارْ نَاسٌ جَوَارُهُمْ غَبْنُ
كُنْتُ حَلِيلِي وَكُنْتُ خَالِصِي لِكُلِّ حَيٍّ مِنْ أَهْلِهِ سَكَنُ
بُدُّتُهُمْ مِنْكَ لَيْتَ أَنَّهُمْ أَمْسَوْا وَبَيْنِي وَبَيْنَهُمْ عَدَنُ

فقال الحجاج :

إرث ابني محمدا ، قرّناه . فقال الحجاج :

مرثيتك ابنتك أجود .

قال :

إِنَّ قَلْبِي وَجِدَ عَلَى ابْنِي أَكْثَرَ مِمَّا وَجِدَ عَلَى ابْنِكَ .

قال :

(٤٢) الخبر في التعازي : ٦٠ والحين : رفع الصوت بالبكاء والنحيب .

(٤٣) التعازي : ٦١

كيف كان حُبُّك له ؟

قال :

لم أَمَلْ من النظر إليه ، ولم يرغب عني إلا اشتقتُ إليه .

قال :

كذلك كنتُ أجد بابني محمد .

وقال الفرزدق :

[البسيط]

إِنِّي لَبَاكِ عَلَى ابْنِي يُوسُفَ عُمَرَى وَمِثْلُ هُلُكِهِمَا لِلدِّينِ يَكِينِي^(٤٤)
مَاسَدَ حَتَّى وَلَا مَيِّتَ مَسَدَهُمَا إِلَّا الْخَلَائِفَ مِنْ بَعْدِ الثَّيْنِ

وقال أيضا :

[الكامل]

إِنَّ الرِّزْيَةَ لَا رِزْيَةَ مِثْلَهَا فُقْدَانُ مِثْلِ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدٍ
مَلِكَانَ قَدْ حَلَّتِ الْمَتَابِرُ مِنْهُمَا أَحَدَ الْمُنُونِ عَلَيْهِمَا بِالْمَرْصِدِ^(٤٥)

وأخبر المدائني عن سلمة بن عثمان وغيره أن الحجاج جزع على ابنه محمد ، فقيل

لرجل من بني عَقِيل كان الحجاج قتل ابنه :

إن الحجاج شديد الجزع على ابنه محمد ، وقد أتته وفاة أخيه محمد بن يوسف ،

فتمثل العقيلي :

[الطويل]

ذُوقُوا كَمَا ذُوقَا غَدَاةَ مُحَرَّقٍ

مِنَ الْغَيْظِ فِي أَكْبَادِهِمُ وَالتَّحُوبِ^(٤٦)

وتحدث المدائني عن إسحاق بن أيوب عن مُطَيْرِ مولى يزيد قال :

كتب الوليد بن عبد الملك إلى الحجاج يعزيه عن أخيه محمد بن يوسف ، فكتب إليه الحجاج :

ما التقيت أنا ومحمد بن يوسف مذ كذا وكذا عامًا ، وما غاب عني غيبة أنا ،

لطول اللقاء فيها أرجى من غيبته هذه في دارٍ لا تَفْتَرِقُ فيها .^(٤٧)

(٤٤) البيتان للفرزدق التعازي : ٦٢ . (٤٥) البيتان في التعازي : ٦٣

(٤٦) البيت للعقيلي الغنوي والبيت في الصحاح واللسان مادة : (حوب) والخبر من التعازي : ٤١ .

(٤٧) لا يفترق فيها مؤمنان - هكذا في م واخترنا ما في : ل

وقال ابن كناسه^(٤٨) :

مات محمد بن الحجاج ونُعيَ محمد بن يوسف في جُمعة فخطب الحجاجُ الناسَ فقال :
إنَّ محمد بن الحجاج ومحمد بن يوسف ماتا في جمعة فكأن الباقي منا ومنكم قد فني ،
وكان الحي منا ومنكم قد بلى ، وتُدال الأرض منا ومنكم فتأكل من لحومنا كما أكلنا
من ثمارها ، وتشرب من دماننا كما شربنا من أنهارها ، ولنجدنَّها كما قال الله عز وجل
﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾^(٤٩) .

وقال عوانة بن الحكم :

لما مات محمد بن الحجاج ووافاه نعي أخيه بعث إلى مالك بن أسماء وهو في السجن فقال
أنشدني مرثيتك أخاك فأنشده :

أَفْطَعُ اللَّيْلَ زَفْرَةً وَنَحِييَا وَلَمَّا قَدْ لَقِيْتُ أُنْسِي كَيِّيَا
أَذْكُرُ الْيَأْسَ مِنْ بَقَائِكَ فِي الدُّ يَا وَعْهَذَا مِنَّا وَمَنْكَ قَرِييَا
يَوْمَ أَذْعُوكَ لِلْخُطُوبِ وَلَوْ يُس جِعُ دَاعِيكَ مَنْ دَعَا لِأَجِييَا

قال :

وأنا والله لو أسمعتهما النداء لأجابه^(٥٠) .

* * *

وقال إبراهيم بن سعد :

سمع علي بن الحسين واعية^(٥١) من بيته وهو في مجلسه وعنده جماعة ، فنهض إلى
منزله فسكنهم ثم خرج إلى مجلسه فقالوا له :

أَمِنْ حَدَثٍ كَانَتْ الْوَاعِيَةُ ؟

فقال :

نعم . ابن لي

(٤٨) محمد بن عبد الله بن عبد الأعلى المازني ابن كناسه فاضل له علم بالعربية والشعر وأيام الناس

توفي بالكوفة سنة ٢٠٧ هـ وله من العمر ٨٤ سنة . معجم المؤلفين : ١٠ - ٢٢٢ .

(٤٩) سورة يس : ٥١ . (٥٠) ل : لأجابا .

(٥١) الواعية : الصارخة .

فجزوه وتعجبوا من صبره .

فقال :

إنا أهل بيت نطيع الله جل جلاله ، فيما نحب ونكره ، ونحمده ، فإذا نزل بكروه حمدناه واحتسبنا^(٥٢) .

* * *

قال أبو القاسم بن قيس العامري :

لما دُفن عليُّ بن أبي طالب فاطمة عليهما السلام تمثل عند قبرها [الطويل]

وإن أفتقادي وإحدًا بعد وإحد

دليلٌ عليّ ألا يدوم خليل^(٥٣)

وتمام هذا الشعر : [الطويل]

ذَكَرْتُ أبا أَرْوَى فَبِثُّ كَأَنِّي بِرَدِّ الْأُمُورِ الْمَاضِيَاتِ وَكَيْلِ
لِكُلِّ اجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيَّتَيْنِ فُرْقَةٍ وَكُلِّ الَّذِي دُونَ الْفِرَاقِ قَلِيلِ
وإن أفتقادي وإحدًا بعد وإحد دليلٌ عليّ ألا يدوم خليل

* * *

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه للأشعث بن قيس^(٥٤) وعزاه عن ابن له :
يا أشعث ، إن تجزع على ابنك فقد استحققت ذلك منك الرحم ، وإن تصبر ففى الله
الخلف .

يا أشعث ، إنك إن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور ، وإن جزعت جرى عليك
القدر وأنت مأزور^(٥٥) .

(٥٢) الخبر في التعازي : ٦٤ . والواعية : الصارخة وقيل الواعية : الصراخ على الميت ونعيه . اللسان (وعى) .

(٥٣) الخبر في التعازي : ٥٨ . البيت الثاني من تمام هذا الشعر في الكامل : ١١٩٨ .

(٥٤) الأشعث بن قيس بن معدى كرب أمير كندة في الجاهلية والإسلام ولد سنة ٢٣ ق.هـ ثم أسلم وحضر اليرموك ، وأخباره كثيرة في الفتوحات ، انضم مع علي ضد معاوية ، وتوفى اثر اتفاق معاوية والحسن سنة ٤٠ هـ . التعازي (انظر ابن عساكر : ٣ : ٦٤)

(٥٥) التعازي : ٦٧ .

وكان على بن أبي طالب كرم الله وجهه يقول إذا عَزَى :
إن تجزعوا فالرحم أهل ذلك منكم ، وإن تصبروا ففي ثواب الله تحلّف من المصيبة .
عظّم الله أجركم .

* * *

وعزّى رجلٌ رجلاً عن ابنه فقال :
ذهب أبوك وهو أصلك ، وذهب ابنك وهو فرعك ، فما حال الباقي بعد أصله
وفرعه؟^(٥٦)

وعزّى رجلٌ رجلاً فقال :
ما كان لك في الآخرة أجراً ، خير لك مما كان في الدنيا سروراً^(٥٧)

وقال موسى^(٥٨) الهادي لإبراهيم بن سلّم وعزّاه عن ابنه :
أيسرّك وهو بلية ودفنته ، ويحزنك وهو صلاة ورحمة ؟

* * *

قال سعيد بن عبد الله :

قال الحسن لرجل عزاه عن ابنه :
إنما يستوجب عليّ الله وعده من صبر الله بحقه . فلا تجمع إلى ما أصبت به الفجيعة
بالأجر فإنها أعظم المصيبتين عليك ، وأنكأ المرزيتين لك^(٥٩) .

* * *

وقيل لهرم بن حيّان^(٦٠) :

أوص

(٥٦) التعازى : ٦٩ . (٥٧) الخبر في التعازى : ٦٧ .

(٥٨) موسى الهادي بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور ولد سنة ١٤٤ هـ من خلفاء الدولة
العباسية ولى بعد وفاة أبيه ، وأراد خلع أخيه هارون الرشيد لابنه جعفر ولم ترض أمه بذلك فسلطت
جواربها فخنقته فهلك سنة ١٧٠ هـ .

(٥٩) الخبر في التعازى : ٦٨ .

(٦٠) هرم بن حيّان العبدي من بنى عبد القيس من كبار التابعين ، وكان من قادة الفتح مات
في إحدى الغزوات بعد سنة ٢٦ هـ . التعازى : ٦٧ ، ٦٨ .

فقال :

صَدَّقْتَنِي فِي الْحَيَاةِ نَفْسِي ، مَالِي مَالٌ أَوْصِيكُمْ بِهِ ، وَلَكِنِّي أَوْصِيكُمْ بِخَوَاتِيمِ سُورَةِ
الْبَقَرَةِ^(٦١) .

* * *

وأخبرنا أبو الحسن عن شعبة بن عبد الله الأنصاري قال : عزى إياس بن
معاوية^(٦٢) رجلاً على ابنه فقال :
لَا يَنْقُصُ اللَّهُ عِدْدَكَ ، وَلَا يَرُدُّ نِعْمَةً عِنْدَكَ ، وَعَجَّلَ اللَّهُ لَكَ مِنَ الْخَلْفِ خَيْرًا مِمَّا
رُزِئْتَ بِهِ^(٦٣) .

وعزى آخر رجلاً فقال :

إِنْ فِيمَا عَوَضَكَ اللَّهُ مِنَ الْأَجْرِ خَيْرًا مِمَّا فَجَعَلَكَ بِهِ مِنَ الرَّزِيَةِ .
وقيل لأعرابية :

مَا أَحْسَنَ عَزَاءِكَ عَنِ ابْنِكَ !

قالت :

إِنْ فَقْدَانَهُ آمَنْتِي الْمَصِيْبَةَ بَعْدَهُ^(٦٤) .

* * *

قال :

أخبرني سعيد عن رجل منهم قال :
خَرَجْتُ إِلَى الْيَمَنِ فَتَزَلَّتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنْهُمْ ، فَرَأَيْتُ مَالًا كَثِيرًا وَرَقِيْقًا وَوَلَدًا وَحَالًا حَسَنَةً ،
فَأَقَمْتُ حَتَّى قَضَيْتُ حَاجَتِي . فَلَمَّا أَرَدْتُ الرَّحِيلَ قَلْتُ لَهَا :

أَلَيْكَ حَاجَةٌ ؟

قالت :

(٦١) الخبر في التعازي : ٦٧ ، ٦٨ . ورد قول المدائني : أوصيكم بخواتيم سورة النحل .
(٦٢) إياس بن معاوية بن قرة بن إياس المزني أبووائللة البصري القاضي المشهور بالذكاء ثقة توفي
بواسط سنة ١٢٢هـ وله من العمر ٧٥ سنة : تقريب التهذيب : ١ - ٨٧ .
(٦٣) الخبر في التعازي : ٦٨ .
(٦٤) ل : عن ابنك فقالت : إن فقدانيه أمتني من المصائب بعده .

نعم ، كلما نزلت هذه البلاد فانزل عليّ
فعبرت أوعاما ، ثم أتيت اليمن ، فأتيت منزل المرأة فإذا حالتها قد تغيرت^(٦٥) ، وذهب
رقيقها ، ومات ولدها ، وباعت منزلها ، وإذا هي مسرورة بحالها ، ضاحكة . فقلت :
أتضحكين مع ما قد نزل لك ؟
قالت :

يا عبد الله كنت في حال النعمة ولى أحزان كثيرة ، فعلمت أن ذلك من قلة الشكر ،
فأنا اليوم في هذه الحال أضحك شكرا لله على ما أعطاني من الصبر .
فقلت لعبد الله بن عمر :

ما رأيت منها ؟

فقال :

ما كان صبرُ أيوب النبي ﷺ إلى هذه بشيء^(٦٦) .

* * *

وقال سفيان^(٦٧) :

شكا الربيع بن أبي راشد إلى مُحارب بن دثار^(٦٨) إبطاء .
خبر أخيه جامع .

فقال له محارب :

إن لم تكن وَطُئْتَ نفسك على فراق جامع فأنت عاجز .

* * *

وقال محمد بن أبي محمد :

(٦٥) ثم أتيت اليمن ، فأتيت منزل المرأة فإذا حالتها قد تغيرت . تكلمة من ل .

(٦٦) الخبر في التعازي : ٧١ ، ٧٢ .

(٦٧) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي ثقة حافظ فقيه وكان ربما دلس
مات سنة ١٦١ هـ وله من العمر ٦٣ سنة . تقريب التهذيب : ١ : ٣١١ .

(٦٨) محارب بن دثار الدوسي الكوفي القاضي ثقة زاهد توفى سنة ١١٦ هـ ، تقريب التهذيب :

بلغنى أن الإسكندر مرّ بمدينة قد ملكها أملاك^(٦٩) سبعة ، وبادوا . فقال :
هل بقى من نسل الأملاك الذين ملكوا هذه المدينة أحد ؟
قالوا :

رجل يكون فى المقابر .

فدعا به فقال :

ما دعاك إلى لزوم المقابر !

قال :

أردت أن أعزل عظام الملوك من عظام عبيدهم ، فوجدت ذلك سواء .

قال :

فهل لك أن تتبعنى فأحى بك شرف آبائك إن كانت لك همة ؟

قال :

إن همتى عظيمة إن كانت بغيتى عندك .

قال :

وما بغيتك ؟

قال :

حياة لا موت فيها ، وشباب لا هرم معه ، وغنى لا يتبعه فقر ، وسرور لا يغيره مكروه .

قال :

ما أقدر على هذا .

قال :

فامض لشأنك ، واخلنى أطلب بغيتى ممن هى عنده

فقال الإسكندر

هذا أحكم من رأيت^(٧٠) .

* * *

(٦٩) الأملاك : الملوك والمفرد ملك الصحاح : ملك .

(٧٠) الخير فى التعازى : ٨١ .

وقال عبد الله بن عباس :

ما قيل لقوم قط طوى لهم إلا خبأ لهم الدهر يوم شر ، فالصبر خير مغبة^(٧١) .

وتحدث أبو الحسن المدائني قال

قال بعثر بن لقيط بن خالد بن نضلة النعقي وهلك ابنه طعمة فورثه بُردين فلبسهما

[الطويل]

وأنشأ يقول :

كَسَانِي ثَوْبِي طَعْمَةَ الْمَوْتِ إِذَا مَا أَتَى
رَاثِ وَإِنْ عَزَّ الْحَبِيبُ الْغَنَائِمُ
إِذَا تَفَحَّتْ رِيَاهُمَا الرِّيحُ تَفْحَةً
أَيْثُ كَأَنَّي غَضَّةَ الطَّرْفِ رَائِمُ

يقول :

أَبَيْتُ أَجْرُنُ كَالنَّاقَةِ الرَّامِ حِينِنَا إِلَى ابْنِي . وَالرَّامِ : النَّاقَةُ يَفَارِقُهَا وَلِدَهَا فَيَحْشَى جِلْدَ
فَصِيلِ تَبْنًا أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ ، وَيُلَطِّخُ بِشَيْءٍ مِنْ سَلَاهَا ، وَيَحْشَى عُمَامَةً فِي أَنْفِهَا ، وَيَجْعَلُ
دَرْجَةً فِي حَيَاتِهَا ، فَتَفْتَحُ عَيْنَهَا ، وَذَلِكَ الْجِلْدُ مَحْشُوٌّ كَأَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا ، وَرَائِحَةٌ فِيهِ ،
وَتَنْزِعُ الْعُمَامَةَ مِنْ أَنْفِهَا فَتَجِدُ لَذَلِكَ رَائِحَةً ، فَكَأَنَّهَا قَدْ وُلِدَتْ ، فَإِذَا تَشَمَّتْ ذَلِكَ
الْوَلَدَ فَقَدْ رَأَتْهُ ، فَيَنْزِلُ اللَّبْنُ ، فَكَأَنَّهُمْ خَدَعُوهَا عَنْ لَبْنِهَا .

وقال شعيب بن صفوان :

كَانَ لِحَضْرَمِيِّ بْنِ عَامِرِ الْأَسَدِيِّ^(٧٢) إِخْوَةٌ فَهَلَكُوا ، فَوَرِثَ أَمْوَالَهُمْ ، فَرَّاحَ ذَاتَ يَوْمٍ
فِي بُرْدَيْنَ لَهُ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ يَقَالُ لَهُ جِزْءُ بِنُ فَاتِكَ ، فَقَالَ لَهُ :

لَقَدْ أَمْسَيْتَ يَا حَضْرَمِيُّ جِدْلَانَ فَأَنْشَأَ يَقُولُ وَجَزَعٌ :
يَقُولُ جِزْءٌ وَلَمْ يَقُلْ جَلًّا
إِنِّي تَرَوُحْتُ نَاعِمًا جَدِلًا
إِنْ كُنْتُ أَرَزْتَنِي بِهَا كَذِبًا
جِزْءٌ فَلَأَقِيَنَّ مِثْلَهَا عَجَلًا
أَفْرَحُ أَنْ أَرَزَا الْكِرَامَ وَأَنْ
أُورِثَ ذَوْدًا شَصَائِصًا تَبْلًا^(٧٣)

(٧١) الخير في التعازي : ٧٣ .

(٧٢) أبو كدام وهو حضرمي بن عامر بن مجمع الأسدي صحابي من المخضرمين توفي عام ١٧ هـ .

الإعلام : ٢ - ٢٨٩ .

(٧٣) الأملاني لأبي علي القالي : ١ - ٦٧ . وأزنتني : من أزرته الأمر إزنانا : اتهمه به ، عجلا :

أي لقاء عجلا . الرسالة . وفي الأملاني : سدداً مكان : جُللاً . واحتضن الأبطال مكان : واشتمل

الذود : القليل من الإبل . يقال : (من الذود إلى الذود إبل) والشصائص : المهازيل العجاف . والتبيل : يقول أصحاب الغريب إنها الحقيرة ، وإنما من الأضداد .
كَمْ كَانَ فِي أُخْوَتِي إِذَا اشْتَمَلَ الْأُ نَطَّالٌ نَحَتْ الْعَجَاجَةَ الْأَسْلَا
مِنْ قَارِسٍ مَاجِدٍ أُخِي ثَقْبَةَ يُعْطَى جَزِيلاً وَيُقْتَلُ الْبَطْلَا
وقال أبو الحسن المدائني :

لَمَّا هَلَكَ يَزِيدُ بْنُ الصَّعِقِ وَرَثُهُ مَعِيَّةُ بْنُ يَزِيدٍ قَدَّرَهُ وَجَفَّنْتَهُ ، فَقَالَتْ لَيْلَى بِنْتُ يَزِيدٍ :
[الطويل]

يَزِيدُ أَبَا قَيْسٍ وَهَلْ تَسْمَعُنِي
لَأَصْبَحَ مَا جَمَعْتَ مِنْ كُلِّ صَالِحٍ
وَعِنْدَكَ تَغْيِيرٌ لَوْ أَنَّكَ تَسْمَعُ
مَعِيَّةُ يُعْطَى النَّاسَ مِنْهُ وَيَمْنَعُ
فَلَا تَأْمَنَنَّ الدَّهْرَ شَيْئًا رَأَيْتَهُ
وَلَا أَنْ يَسُوقَ النَّاسَ عَبْدٌ مُجَدِّعُ

[الوافر]

وقال سعيد بن قيس المُحَارِبِيُّ :

أَبَايَرُ قِسْمَةَ الشُّرَكَاءِ مَالِي
وَقَالُوا حَقًّا الْفُلَّانِ مِنْهُ
إِذَا حَسَبُوا وَهُمْ حَوْلِي قُودُ
وَقَدْ صَدَّقُوا لَعْنَتِي أَوْ يَزِيدُ
تَقُولُ عَجُوزُهُمْ فِي ذَاكَ سَهْمِي
بَلَى وَبِسَهْمِكَ الْعَيْنُ الشَّدِيدُ
وَكَاثَ قَبْلَ تَمْلِكُهُ جَمِيعًا
تُعْنَى بِالْبَيْدَيْنِ كَمَا تُرِيدُ

وقالت المُحَيَّاةُ بنت طلق الجِشْمِيَّةُ من بني تيم اللات بن ثعلبة في الإسلام ، وجاء

العَصْبَةُ يفتسمون دارها التي كانت لزوجها ، فسمعت أصواتهم فقالت : [السريع]

أَدْعُوهُ مَا دَعَوْتِي غَامِرًا
تَاللَّهِ لَوْ يَسْمَعُ دَعْوَاهُمْ
بِاللَّهِ لَوْ يَسْمَعُنِي لِاسْتَجَابَ^(٧٤)
لَقَالَهُمْ عَنِّي بِظَفَرٍ وَكَاثَ^(٧٥)

[الطويل]

فرجعوا عنها ، وغبروا حيناً ، ثم عادوا ، فقالت :

لَقَدْ بُدِّلَتْ دَارُ الْأَجْبَةِ بَعْدَهُمْ
فَلَوْ أَنَّ دَارًا أَعْرَلَتْ فَقَدْ أَهْلَهَا
مَوَالِي مِنْهُمْ مُلْحَقُونَ وَتَابِعُ
بَكَتْ دَارُنَا وَالتَّحَّ مِنْهَا الْمَسَامِعُ

[مجزوء الكامل]

فرجعوا حيناً ، ثم عادوا ، فقالت :

الذَّارُ تَبْكِي أَهْلَهَا
وَبُكَاءُهَا شَيْءٌ عَجِيبٌ

فيقال : إنهم تركوها لها .

وقال المدائني :

توفى ابنُ خالد بن صفون يكنى أبا الحصين فقال :
رحم الله أبا الحصين . والله إن كان ما علمته ، لَبَرًّا بوالديه ، وَصَولًا لرحمه بعيدًا مما
يُعرفُ به الشَّبَّانُ
قال أبو العباس :

وحدّث بهذا الخبر على غير هذا . إنه توفى ابن له يُقال له نُعَيْمٌ فقال :
لا أنسى نعيمًا أبدًا . وفي هذا الخبر : ولقد ذكرت عند موته قول الشاعر - يعني أبا
خراش الهذلي :

فوالله لا أنسى قبيلاً رزئتُهُ
بجانبِ قوسى ما مشيتُ على الأرض^(٧٦)

ثم علم أنه سيئسأه فقال :

بلى إنها تغفوَ الكُلوْمُ وإنما
يوكَّلُ بالأذنى وإنَّ جَلَّ ما يَمْضِي^(٧٧)

(٧٦) قوسى : بلد بالسراة قتل به عروة أخو أبن خراش .

(٧٧) البيتان من أبيات للشاعر المذكور . وورد بدل : بلى ، على . الحماسة : ١ - ٣٢٦ -

[أخبار الطاعون]

قال أبو الحسن في أخبار الطاعون :

الذئبي^(١) بلغنا من خبر الطاعون أن الناس لا يجزعون فيه على موتاهم كجزعهم في غير الطاعون ، وذلك لتأسي الناس بعضهم ببعض ، ولما يَدْخُلُهُم من الخوف ، فكل إنسان يخاف على نفسه فيسلو عن الولد والأهل^(٢) والقراية .

قال :

وكانت الطواعين العظام المشهورة في الإسلام بالعراق خمسة :

- طاعون شيرويه بالمداين^(٣) سنة ست من الهجرة .

- طاعون الجارف سنة تسع وسبعين في شوال . هلك في ثلاثة أيام في كل يوم سبعون ألفا . مات لأنس بن مالك فيه ثلاثة وثمانون ابنا ، ويقال : وسبعون . مات لعبد الرحمن ابن أبي بكرة^(٤) أربعون ابنا ، وهرب عبيد الله بن عمير ، فمات له ثلاثون ابنا ، وإنما هرب بهم من الطاعون .

وقال البراء المازني :

مات في الطاعون لصدقة بن عامر المازني سبعة بنين في يوم واحد ، فدخل ، فوجدهم قد سُجِّوا جميعا فقال :

(اللهم ، إني مُسَلِّمٌ ، مُسَلِّمٌ) .

* * *

وقال محمد أبو عبد الله التميمي :

هرب المرقع بن العلاء ، أحد بنى ربيعة بن مالك بن زيد مناة من الطاعون ، وله اثنا عشر ابنا ، فماتوا جميعا ، فدفنهم في سفح سنام^(٥) فرثاهم فقال : [الوافر]

(١) ، ٢ ، ٣) الذئبي ، والأهل ، وبالمداين ليست موجودة في م .

(٤) ل : عبد الرحمن بن أبي بكر والصحيح ابن أبي بكرة الثقفي من التابعين ، توفي سنة ٩٦ هـ .

تقريب التهذيب : ١ - ٤٧٤

(٥) سنام : جبل مشرف على البصرة .

دَفَنْتُ الدَّافِعِينَ الضَّيْمَ عَنِّي بِرَأْيِيهِ مُجَاوِرَةَ سَنَامَا
أَقُولُ إِذَا ذَكَرْتُهُمْ جَمِيعًا بِنَفْسِي تِلْكَ أَصْدَاءُ وَهَامَا
فَلَيْتَ حِمَامَهُمْ إِذْ فَارَقُونَا تَلَقَّانَا وَكَانَ لَنَا حِمَامَا
فَلَمْ أَرْ مِثْلَهُمْ هَلَكُوا جَمِيعًا وَلَمْ أَرْ مِثْلَ هَذَا الْعَامِ عَامًا^(٦)

قال :

أنشدني الرياشي ثلاثة أبيات منها ، ولم ينشدني الرابع .

* * *

قال علي بن القاسم :

حدثني رجل قال : رأيت في المنام أيام الطاعون كأنه أُخْرِجَتْ من داري اثنتا عشرة
جنازة وأنا وعيالي اثنا عشر ، فمات منا أحد عشر وبقيت وحدي ، فقلت في نفسي :
أنا تمام العيلة ، فخرجت من الدار ثم رجعت من غدي إليها فإذا لص قد دخل للسرقة
فطعن في الدار فمات ، فأخرجنا جنازته .

* * *

قال أبو الحسين :

بلغني أن رجلاً نيش في الطاعون قَبْرًا فَأَخْرَجَ المِيتَ من قبره وأخذ ثيابه ، فطعن من
ساعته ، فوجد والثياب معه .

* * *

وقال سليمان بن قَحْذَم^(٧) :

خرجت في الطاعون الجارف^(٨) إلى مكة ، ودارنا مشحونة ، فرجعت وقد خلت ،
فقال لي أبي :

يا بُنَيَّ ما بقي في الدار أحد ممن تركت غيري وغير أمي جَدَّتْكَ .

* * *

وقال معاذ التَّمَار :

(٦) الكامل : ١٢٠٣ ، ١٢٠٤ .

(٧) م : سليمان أبو قَحْذَم . (٨) الجارف من ل .

بلغنى أن دورًا كثيرة مات أهلها ، فلما قدم الحجاج هدمها مخافة أن يكمن فيها الخوارج ، واشترى الناس دورًا كثيرة فدفنوا فيها .

* * *

قال :

وبلغنى أن داراً مات أهلها جميعاً ، فأغلقوا بابها وفيها صبي صغير رضيع لم يعلموا به ، فلما خف الطاعون فتحوا الباب بعد أشهر فإذا صبي يجبو ، فتعجبوا منه ، فإذا كلبة تطفر^(٩) إلى الدار فتربض ناحية ، ويجبو إليها الصبي ويشرب من أطباؤها^(١٠) ، ثم تطفر الحائط إلى الخارج . فلم يزل ذلك دأب الصبي حتى حباً حبوا .

* * *

قال :

وأخبرت أن الدار كانت تُصبح وفيها خمسون ، وتُصبح الغد وليس فيها واحد .

* * *

قال :

وكان الرجل بعد الطاعون يلقي المرأة ، فلو شاء أن يعصمها نفسها فعل قبل أن يمر أحد .

* * *

ثم خف الطاعون وخليفة مصعب بن الزبير^(١١) على البصرة سنان بن سلمة^(١٢) الهذلي ، فخطب الناس فقال :

اتقوا الله أيها الناس ، فإن عند الله أياماً مثل شوال . قال وكان طاعون القينات^(١٣) أيضاً في شوال سنة سبع وثمانين ، مات فيه الجوارى

(٩) تطفر : تثب .

(١٠) الأطباء جمع طبي وهو لذوات الخوافر كاللدى للمرأة ، وكالضرع لغيرها .

(١١) مصعب بن الزبير أخو عبد الله وأمه أسماء بنت أبي بكر ، ولاه أخوه عبد الله العراق ، وظل عليها إلى أن هزمته جيوش عبد الملك بن مروان مات سنة : ٧١ هـ وله من العمر : ٤٥ .

(١٢) سنان بن سلمة ولد يوم حنين فسماه النبي ﷺ سنان ، وهو أحد الشجعان طال به العمر

إلى آخر أيام الحجاج . تقريب التهذيب : ١ - ٣٣٤ .

(١٣) سمى بطاعون القينات لأنه أصاب أول ما أصاب النساء وكان بالشام وواسط والبصرة .

ثم كان طاعون سنة إحدى وثلاثين ومائة في رجب فاشتد في شهر رمضان ، فكان
يحصى في سكة الميزب في كل يوم عشرة آلاف جنازة أياماً ، وخف في شوال .

* * *

وقال طارق : (١٤)

أخبرني رجل قال :

تزوجت امرأة ، فدخلت بها ليلة الإثنين ، وأصبحت غاديا من عندهم ، وهي عند
أبيها وأمها وأختها وخدمهم ، فعدت إليهم يوم الجمعة فلم يبق منهم أحد .

* * *

وهرب من الطاعون علي بن زيد بن جُدعان إلى السيادة (١٥) ، وكان يجمع كل جمعة
ويرجع . فكان إذا جمع صاحوا به :
فر من الطاعون ، نضر فمات بالسيادة .

وهرب عمرو بن عبيد . ورباط بن محمد بن رباط إلى الرباطية (١٦) ، قال إبراهيم
بن علي بن عبد الرحمن العنسي :

[الطويل]

لَمَّا اسْتَفْزَزَ لَمَوْتُ كُلِّ مُكْذِبٍ

صَبْرٌ ، وَلَمْ يَهَيِّزْ رِبَاطٌ وَلَا عَمْرُو

* * *

ورأى نافع (١٧) رجلاً قد خرج من البصرة على حمار فرقا من الطاعون ،

وكان نافع يعرفه فقال :

أنظروا ابغرو من انه عن حمار !

* * *

(١٤) طارق بن شهاب بن عبد شمس البجلي الأحمسي أبو عبد الله الكوفي مات سنة اثنتين أو ثلاث
وثمانين تقريبا التهذيب ١ - ٣٧٠ .

(١٥) السيادة : أرض في حريف حج قريب من المدينة .

(١٦) الرباطية : ماء في البصرة من جزيرة العرب .

(١٧) نافع بن جبير بن عمير السدوسي أبو محمد أو أبو عبد الله المدني ثقة فاضل من رواة الحديث
مات سنة ٩٩ . تقريبا تهذيب : ٢ - ٢٥ .

وكان ابن شَيْبَل بن مَعْبِدِ البَجَلِيِّ (١٨) بشيراز فمات أهله بالطاعون فبلغه فجزع [الطويل]

عليهم فقال:
سَمَا لَكَ فِي شِيرَازَ هَمٌّ فَلَمْ تَتَمَّ
بَرْتِي صُرُوفَ الدَّهْرِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
أَقُولُ لِأَصْحَابِي وَقَدْ قَدَّفْتُ بِنَا
مَتَى الْعَهْدُ بِالْأَهْلِ الَّذِينَ تَرَكْتَهُمْ
وَهَلْ تَرَكَ الطَّاعُونَ لِي مِنْ قَرَابَةِ
وَكُنَّا نُرْجِي أَنْ نَصِيرَ إِلَيْهِمْ
مَقَادِيرُ لَا يُغْفَلَنَّ مَنْ حَانَ (١٩) يَوْمُهُ
سَقِينِ بِكَاسِ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ أَصْبَنَهُ
فَقَدْ أَصْبَحُوا لَا دَارَ لَهُمْ مِنْكَ غُرْبَةً
وَهَوْنٌ عَنِّي بَعْضٌ وَجَدِي أَنِّي
وَأَلِي رَأَيْتُ النَّاسَ أَقْبَى كِرَامَتِهِمْ
وَمَا نَحْنُ إِلَّا مِنْهُمْ غَيْرَ أَنَا

* * *

قال أبو عبد الرحمن المعجلاني عن سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت قال :
مات في طاعون (عمواس) (٢٠) من آل الوليد بن المغيرة عشرون قتي ومن آل صخر
مثلهم ، فقال رجل منهم :

مَنْ يَتَزَلَّ الشَّامَ وَيَغْرَسُ بِهِ
فَالشَّامُ إِنْ لَمْ يُفْتِنَا كَارِبٌ (٢١)

يقول :

إن لم يفتنا فهو يقارب ذاك . يقال : كرب الشيء يكرب إذا قرب .

(١٨) م : وكان ابن الفضيل بن معبد الجهني .

(١٩) ل : من كان يومه .

(٢٠) كان طاعون عمواس سنة ١٧هـ وقيل : سنة ١٨هـ (الطبرى) .

(٢١) من أبيات قالها المهاجر بن خالد بن الوليد . (انظر تاريخ الطبرى : ٣ - ١٦٥)

أَفَى بَنِي صَخْرٍ وَقُرْسَانَهُمْ عَشْرِينَ لَمْ يَطْرُزْ لَهُمْ شَارِبٌ
وَمِنْ بَنِي أَعْمَامِهِمْ مِثْلَهُمْ وَلِمِثْلِ هَذَا الْعَجَبِ الْعَاجِبِ
طَعْنَا وَطَاعُوا مَتَابَاهُمْ ذَلِكَ مَا حَطَّ لَنَا الْكَاتِبُ

واستشهد بالشام من بني المغيرة سبعة وسبعون رجلاً في وقعة ، فقال خالد بن الوليد
بنفسى أنتم . زعم ابن خنثمة - يعنى عمر بن الخطاب - أن بني المغيرة لا يُستشهدون .

* * *

قال المدائني :

كان بالكوفة طاعون سنة خمسين ، فقال المغيرة بن شعبة لأبي موسى الأشعري^(٢٢) :
انطلق بنا .

فخرج إلى (دابق)^(٢٣) من الطاعون ، فقال أبو موسى :

إلى الله أبقُ لا إلى دابق .

فخرج المغيرة . فلما خف الطاعون ، قيل له :

لو رجعت إلى أهلك !

قال :

ما تريدون مني ؟

فلم يزالوا به حتى أقبل إلى الكوفة ، فقال :

كانكم بالطاعون قد قتلني^(٢٤) في خصاص بني عوف ، فطعن فمات . واستخلف
على الكوفة جرير بن عبد الله البجلي^(٢٥) .

* * *

(٢٢) أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس من قحطان صحابي جليل تاريخه في الإسلام معروف
وأحد رواة الحديث حكم بين علي ومعاوية فوقع في خديعة عمرو بن العاص توفى بالكوفة سنة
٤٤ هـ عن عمر ناهز الستين . (أنظر تقريب التهذيب : ١ - ٤٤١) .

(٢٣) ل : فلما خرج خف

(٢٤) ل : ختلني : أي خدعني والخصاص : جمع حُص وهو بيت من قصب أو شجر .

(٢٥) أبو عمرو جرير بن يزيد بن عبد الله من بجيلة قدم على رسول الله سنة عشر فأسلم وبايع ،
ولما قامت الفتنة بين علي ومعاوية اعتزلهما وأقام في الجزيرة وناحيتها توفى سنة ٥١ هـ . تقريب

التهذيب : ١ - ٧

وقال أبو إسماعيل عن مجالد عن الشعبي أن صديقا لشریح خرج هاربا من الطاعون ، فأقام بالنجف^(٢٦) ، فكتب إليه شریح : إن المكان الذى أنت به بعين من لا يفوته طلب ، ولا يُعجزه مهرب ، والمكان الذى خلقت لا يُعجل امرئا إلى جمامه قبل أجله ، ولا يظلمه أيامه ، وأنت وهم على بساط واحد ، وإن النجفة من ذى القدرة لقريب .

* * *

وقال أبو عاصم من ولد عبّاد بن زياد^(٢٧) : كانت الطواعين بالشام كثيرة ، وكانت الخلفاء وأبناء الخلفاء يتبدون ويهربون من الريف فينزلون البرية خوفا من الطاعون . فلما أراد هشام بن عبد الملك أن ينزل (الرصافة)^(٢٨) قيل له : يا أمير المؤمنين لا تجزع فإن الخلفاء لا يطعمون ، ولم نسمع بخليفة طعن ولم تره . قال :

أتريدون أن تُجربوا فى ؟
فتحول فنزل الرصافة ، وهى برية ، وبنى فيها قصرين .

* * *

قال^(٢٩) : وكان عبد العزيز بن الوليد ينزل (أسيسا)^(٣٠) ، فقدم على أبيه بدمشق غلام للوليد ، فقال الوليد لابنه عبد العزيز : يا بنى ، ارجع إلى منزلك . فقال :

(٢٦) النجف : كذلك تسمى النجفة المكان المشهور بالعراق فيه قبر على بن أبى طالب .
(٢٧) عبّاد بن زياد بن أبيه أبو حرب كانت إقامته بالبصرة ومن المقربين للأمويين توفى سنة ١٠٠هـ : تقريب التهذيب : ١ - ٣٩١ .
(٢٨) رصافة هشام بن عبد الملك فى غربى الرقة بناها لما وقع الطاعون . بالشام .
(٢٩) قال : زيادة من ل .
(٣٠) أسيس : ماء فى شرقى دمشق .

أبيت الليلة ، ثم أغدو^(٣١) .

قال :

عزمت عليك إلا رَجَعْتُ . فرجع ولم يدعه بيت .

* * *

قال أبو عبيدة عن أنى عمرو بن العلاء : إن رجلا من أهل البصرة أيام الطاعون الجارف - لما رآه قد كثر - أراد الهرب ، فعمد إلى حمار له فجعل عليه متاعه وغلّام له يناوله جهازه والغلّام يرتجز :

[مشطور الرجز]
لَنْ يُسَبِّقَ اللهُ عَلَى حِمَارٍ وَلَا عَلَى ذِي مَيْمَةٍ مَطَّارٍ
قَدْ يُصْبِحُ اللهُ أَمَامَ السَّارِي^(٣٢)

فقال له^(٣٣) الرجل

صدقّت . ثم حطّ رحله وأقام ، فمات فيمن مات .

* * *

قال المدائني :

قال الحسن البصرى - وذكر عنده الطاعون :

ما أحسن ما أبلى الله فيه : ارتدع مذنبٌ ، وأنفقَ ممسِكٌ ، ولم يُغلَطْ بأحد .

(٣١) ثم أغدوا : زيادة من ل

(٣٢) الميعة : الجرى السريع . مطّار : السريع العدو . والخبر في زهر الآداب : ٢ - ٩٩٥ .

(٣٣) له : من ل .

[ما قالوه عند الاحضار]

قال أبو الحسن المدائني عن جناب بن موسى عن جعفر بن محمد عن أبيه قال :
لما احتُضِر رسول الله ﷺ جاءه جبريل عليه السلام فخيره بين البقاء في الدنيا أو المصير
إلى رحمة الله ورفعته إلى الله وتعجيل ما وعده^(١) .

فقال ﷺ : «بل الرفيق الأعلى» فكان يقول ذلك حتى قضى عليه السلام .
وأخبر المدائني عن شعبة عن سعد بن إبراهيم عن عروة عن عائشة قالت :
كنت أسمع أن النبي ﷺ لا يموت حتى يُخَيَّر فسمعتة يقول في مرضه ﷺ :
«الرفيق الأعلى مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين»
فظننت أنه خير فاختار الآخرة .

* * *

وقال خلاد بن عُبيدة عن علي بن زيد عن الحسين قال :

قيل لأبي بكر في مرضه :

لو أرسلت إلى الطبيب !

فقال :

قد رأي

قالوا :

فما قال لك ؟

قال :

(إني فعال لما أريد)^(٢) وفي رواية : (إني أفعل ما أشاء) .

قال أبو محمد الناجي عن الحسن :

إنّ أبا بكر سمع عائشة رضی الله عنهما وهو في سكرات الموت وهي تقول :

[الطويل]

(١) وتعجيل ما وعده زيادة من ل

(٢) إني فعال لما أريد ، اقتباس من قوله تعالى : ﴿فعال لما يريد﴾ سورة البروج : ١٦ .

لَعَمْرُكَ مَا يُعْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الْفَتَى
إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ^(٣)

قال :

يا بِنْتِ : هلا قلت : ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾^(٤) وقال

متمثلاً :

[مخلع البسيط]
وَكُلُّ ذِي إِبِلٍ مُورِثُهَا وَكُلُّ ذِي سَلْبٍ مَسْلُوبُ
وَكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يَوْوبُ وَغَائِبُ الْمَوْتِ لَا يَوْوبُ^(٥)
وآخر ما تكلم به :

رب ﴿توفني مسلماً والحقني بالصالحين﴾^(٦)

وقال أبو بلال الأشعري عن محمد بن عاصم الأسلمي عن موسى بن عُقْبَةَ الْمَدَنِيِّ قال :
كتب أبو بكر وصيته بيده وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوصى به أبو بكر الصديق عند آخر عهده بالدنيا خارجاً منها ، وعند
أول عهده بالآخرة داخلاً فيها ، حيث يؤمن الكافر ويتقى الفاجر .. ويصدق
الكاذب . إلى أستخلف عليكم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاستمعوا له وأطيعوا .
فإن عدل فذلك ظني به ورأى فيه ، وإن جار وبذّل فالحير أردت ، ولا أعلم
الغيب ، ولكل امرئ ما اكتسب ﴿وسيعلم الذى ظلموا أى منقلب ينقلبون﴾^(٧) .

* * *

وقال عمر بن غياث عن الهلالى :

كان رسول الله ﷺ إذا أفرطت عليه الحمى فى وجعه الذى توفى فيه قالت فاطمة :
بأبى وأمى ثم تمثلت :

(٣) البيت لحاتم الطائى وقد سبق . (٤) سورة ق : ١٩ . (٥) البيتان لعبيد بن الأبرص

(٦) سورة يوسف : ١٠١ . (٧) سورة الشعراء : ٢٢٧ .

وَأَبِيضَ يُسْتَسْقَى الْعَمَامَ بِوَجْهِهِ
تِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةً لِلْأَرَامِلِ^(٨)

* * *

قال :

فَأُفَاقَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ :

ذَلِكَ قَوْلُ عَمِكَ أَبِي طَالِبٍ . ثُمَّ قَالَ ﷺ :

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾^(٩)

* * *

قال أبو الحسن عن عاصم بن عمر^(١٠) عن عبيد الله بن عمرو^(١١) عن زيد بن أسلم^(١٢) عن أبيه عن جده أن كعب الأخبار^(١٣) قال لعمر بن الخطاب : يا أمير المؤمنين أنت ميت في ثلاث أجد ذلك في بعض الكتب :

قال :

أَتَجِدُ اسْمِي وَنَسْبِي ؟

قال :

لا ، ولكن أجد صفتك وسيرتك وزمانك .

(٨) ديوان أبي طالب عم النبي ﷺ . حرف اللام وفي سيرة النبي لابن هشام من قصيدة طويلة منسوبة لأبي طالب .

(٩) سورة آل عمران : ١٤٤ .

(١٠) عاصم بن عمر بن الخطاب ولد في حياة الرسول ﷺ ومات سنة سبعين وعمره ٦٤ سنة .

تقريب التهذيب : ١ - ٣٨٥

(١١) عبيد الله بن عمرو أبو وهب الأسدي من حفاظ الحديث ، وكان مفتي الجزيرة في عصره

توفي سنة ١٨٠هـ وقد زاد على الثمانين . تقريب التهذيب : ١ - ٥٣٧ .

(١٢) زيد بن أسلم العدوي أبو عبد الله المدني ثقة عالم ، وكان يرسل مات سنة ١٣٦هـ . تقريب

التهذيب : ١ - ٢٧٢ .

(١٣) كعب بن نافع الحميري أبو إسحاق المعروف بكعب الأخبار ثقة مخضرم كان من أهل اليمن

فسكن الشام ومات في خلافة عثمان وقد جاوز المائة . أخذ عنه الإخباريون الكثير من الأخبار .

تقريب التهذيب : ٢ - ١٣٥ .

فقال عمر :

تَوَعَّدَنِي كَغَبِّ ثَلَاثَا يَعُدُّهَا وَلَا شَكَّ أَنْ الْقَوْلَ مَا قَالَلِي كَغَبِّ
وَمَا بِي خَوْفُ الْمَوْتِ إِلَيَّ لَمَيِّتٌ وَلَكِنَّ خَوْفَ الذُّلِّ يَتَّبِعُهُ الذُّلُّ

وقال هشام بن عاصم عن الشعبي أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال عند موته :
ليتني أنجو من هذا الأمر كفافاً لالى ولا على . يا عبد الله ضع خدي على الأرض ،
وَيْلٌ لَعَمْرَ وَأَمَّ عَمْرَ إِنْ لَمْ يَنْجِهْ اللَّهُ .

وقال الأصمعي : لما طعن العليُّ عمر ألقى مِلْحَقَةً كانت عليه وقال : يا الله للمسلمين .
وقال الأصمعي أيضاً :

لما طعن العليُّ^(١٤) عمر قال :

﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾^(١٥)

* * *

وقال سعيد بن مسلم عن أبيه أن عثمان بن عفان رضى الله عنه يَوْمَ دُخِلَ عَلَيْهِ فَقُتِلَ ،
دعا بالمصحف فنشره ، فكان أوَّلَ حرفٍ نظر إليه : ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ﴾^(١٦) وتمثل

[الطويل]

أَرَى الْمَوْتَ لَا يَتَّقِي عَزِيْزًا وَلَمْ يَدْعُ

لِعَادِ مَلَائِكَا فِي الْأُمُورِ وَمَرْتَبَا

يُتِيُّ أَهْلَ الْحِصْنِ وَالْحِصْنُ مُغْلَقٌ وَيَأْتِي الْجِبَالَ مِنْ شَمَارِيحِهَا الْغَلَا

* * *

وقال أبو الحسن عن سعيد بن عبد العزيز السُّلَمِيِّ عن أبيه أن الزبير^(١٧) قال لما طعنه
ابن جُرْمُوزٍ :

(١٤) العليُّ : الأعجمي الكافر والمراد به أبو لؤلؤة الجوسى .

(١٥) سورة الأحزاب : ٣٣ . (١٦) سورة البقرة : ١٣٧

(١٧) أبو عبد الله الزبير بن العوام وأمه صفية عمة النبي ﷺ من أوائل المسلمين بمكة وأحد العشرة
المبشرين بالجنة ، وزوج أسماء بنت أبى بكر قتله ابن جرْمُوز ليلة يوم الجمل روى له البخارى وتوفى

سنة ٣٦ هـ وله من العمر ٦٤ . (انظر تقريب التهذيب : ١ - ٩

ماله - قاتله الله - يُذَكِّرُ بالله وينساه ! وذلك أن الزبير لما رآه همّ به ، فقال له ابن جرموز :

أَذْكُرُكَ اللهُ ، فتركه ثم تَغَفَّلَهُ فطعنه وتمثّل الزبير : [الكامل]
وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَوْ أَنَّ عَلِيَّ نَافِعِي أَنَّ الْحَيَاةَ مِنَ الْمَمَاتِ قَرِيبٌ

* * *

وقال طَلْحَةَ بن عبيد^(١٨) الله يوم الجمل عند موته : [مجزؤ الكامل]
صَرَفَ الزُّبَيْرُ جِوَادَهُ أُنَى لَتَدْرِكُهُ وَقَائِلُهُ
ثم قال حين نزل به الموت :

تالله ما رأيتُ كالיום مصرع شيخ^(١٩) أضيّع وتمثّل : [الطويل]
أَرَى الْمَوْتَ أَغْدَادَ الثُّفُوسِ وَلَا أَرَى
بَعِيدًا غَدًا مَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ غَدٍ^(٢٠)

* * *

وقال يعقوب بن داود الثقفي عن الحسن بن بزيع :
إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ خَرَجَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي ضَرَبَ فِيهَا فِي السَّجَرِ ، وَهُوَ يَقُولُ :
أَشَدُّ حَيَازِيمِكَ لِلْمَوْتِ فَإِنَّ الْمَوْتَ لِأَقْيَمَا
وَلَا تَجَزَعُ مِنَ الْمَوْتِ إِذَا حَلَّ بِوَادِيكَ^(٢١)
وضربه ابن مُلْجَم فقال :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾^(٢٢) .

وقال حين ضُرب :

(١٨) طلحة بن عبيد الله أحد العشرة المبشرين بالجنة من كبار الصحابة خرج يوم الجمل للمطالبة بدم عثمان فقتل سنة ٣٦ هـ وله من العمر ٦٢ سنة . (انظر تقريب التهذيب ١ - ٢٧٩)
(١٩) ل : مصرع أسد . (٢٠) البيت لطرفة بن العبد .
(٢١) البيتان في الكامل : ٩٣٢ .
(٢٢) سورة البقرة : ٢٠٧

فُزْتُ ورب الكعبة)
وكان آخر ما تكلم به أن قال :

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا
يَرَهُ ۖ ﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۖ ﴿٢٣﴾

* * *

وقال أبو الحسن عن علي بن مجاهد عن عبد الأعلى بن ميمون بن مهران عن أبيه :
إن معاوية قال في مرضه الذي مات فيه :

إن رسول الله ﷺ كساني قميصا فرقعته ، وقلم أظفاره يوما فأخذت قلامتها فجعلتها
في قارورة ، فإذا متُّ فألبسوني ذلك القميص وقطعوا تلك القلامة واسحقوها وذروها
في عيني وفمي ، ثم أغمى عليه ، فقالت ابنته أو امرأة من أهله متمثلة : [الطويل]
إِنْ مَاتَ مَاتَ الْجُودُ وانقطع النَّدى مِنْ النَّاسِ إِلَّا مِنْ قَلِيلٍ مُصَرِّدٍ
وَرُدَّتْ أَكْفُ السَّائِلِينَ وَأَمْسَكُوا مِنْ الدِّينِ وَالدُّنْيَا بِخَلْفٍ مُجَدِّدٍ ﴿٢٤﴾

ثم أفاق فقال لمن حضره من أهله :

اتَّقُوا اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ يَفِي مِنْ اتِّقَاهُ ، وَلَا وَاقِيَةَ لِمَنْ لَا يَتَّقَى اللَّهَ .

وقال عوانة :

لَمَّا حَضَرَتْ مَعَاوِيَةَ الْوفاةُ قَالَ :

[البيط]

يَوْمَ مِنْ ابْنِ الْأَدْبَرِ ﴿٢٥﴾ طَوِيلٌ ! ثُمَّ تَمَثَّلَ :

لَقَدْ جَمَعْتُ لَكُمْ مِنْ جَمْعِ ذِي حَسَبٍ وَقَدْ كَفَيْتُكُمْ التَّرْحَالَ وَالنَّصَبَ ﴿٢٦﴾

ثم قال :

إِنكُمْ لَتَقْلِبُونَ حَوْلًا قُلُوبًا ﴿٢٧﴾ ، إِنَّ نَجْمًا مِنْ كَبَّةِ النَّارِ فَهوَ الرَّجُلُ .

(٢٣) سورة الزلزلة : ٧ ، ٨ (٢٤) ديوان الأخطل : ٢٨١

(٢٥) ابن الأديب هو حُجْر بن عدى : صحابي شجاع تمرد على معاوية فقتله مكبلا في الحديد وفيه

تقول ابنته

ألا ياليت حُجْرًا مات موتا ولم ينحر كما نحر البعير

(٢٦) انظر تاريخ الطبري : ٤ - ٢٤١ . (٢٧) الحول : ذى الحيلة . والقلب الذى يقلب الامور .

وفي غير هذا الإسناد أنه قال حين احتضِر لابنة قرظة^(٢٨) :
انديني

[الهجج]

فقلت :

أَلَا أَبِكِيهِ إِلَّا أَبِكِيهِ إِلَّا كُلَّ الْفَتَى فِيهِ

وقال لابنتيه :

قَلْبَانِي ، ففعلتا .

فقال :

[الكامل]

إنكما لتقلبانه حُولا قُلُبا إن وُق كِبَّة النَّار . ثم تمثل :

لَا يَعْدُنْ رَيْعَةٌ بِنُ مَكْدَم

وَسَقَى الْغَوَادِي قَبْرَهُ بِذُنُوبِ^(٢٩)

وقال سعيد بن بشر :

إنَّ عبد الملك بن مروان ليلَّة قُبِض ، قَلِقَ فسمع صوت قصَّار فقال :

ما هذا ؟

فأخبر

فقال حين ثقل :

ليتني كنت غسالا أعيش بما أكسب يوما بيوم .

فقليل لأبي حازم :

إن عبد الملك قال كذا وكذا .

فقال :

الحمدُ لله الذي جعلهم يتمنون عند الموت ما نحن فيه ، ولا نتمنى ما هم فيه .

وقال عبد الرحمن بن أبي الزناد^(٣٠) عن أبيه أن سليمان بن عبد الملك قال عند الموت

(٢٨) إحدى زوجاته واسمها فاخته والبيت في الكامل : ١٢٦٩ .

(٢٩) البيت لحسان بن ثابت الكامل : ١٢٥١ .

(٣٠) عبد الله بن ذكوان المدني صدوق فقيه كثير الحديث توفي سنة ١٧٤ هـ (انظر تقريب

[الرجز]

متمثلاً بقول الحارث بن عبّاد^(٣١) .

إِنَّ نَيْيَ صَيْبَةَ صِغَارٍ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ كِبَارُ
إِنَّ نَيْيَ غِلْمَةَ صَيْفِيُونَ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ رَبْعِيُّونَ
فقال له عمر بن عبد العزيز :

يا أمير المؤمنين : ﴿[قد] أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾^(٣٢)

فقالها ، ثم قال :

أَسْأَلُكَ مُنْقَلَبًا كَرِيمًا .

ثم قضى .

* * *

وقال مسلم بن خالد^(٣٣) عن ابن أبي نجيح :

تَأَوَّهَ طَاوُسٌ^(٣٤) فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ

فَقِيلَ لَهُ :

يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ شَكُوتَ رَبِّكَ

فَقَالَ :

لَيْتَنِي أَخْرَجَ مِنْ مَرَضِي هَذَا لَا عَلَيَّ وَلَا لِي .

* * *

وقال محمد بن جعفر عن أبيه :

دَخَلَتْ عَلَيَّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ فِي مَرَضِهِ

فَبَكَى وَقَالَ :

(٣١) شاعر جاهلي من سادات العرب . والبيتان له (انظر فصل المقال ٢٢٩) والولد الصيفي هو

الذي يولد للرجل الكبير السن . والرُبمى : الذي يولد له في عنقوان الشباب .

(٣٢) سور الأعلى : ١٣ ، ١٤ .

(٣٣) الخزومي المكي المعروف بالزنجي ، فقيه صدوق وكثير الأوهام . مات سنة ١٧٩ . تقريب

التهذيب : ٢ - ٢٤٥

(٣٤) طاوس بن كيسان اليماني الفارسي يقال له زكوان ثقة فقيه فاضل من كبار التابعين تقشفا

في العيش وجرأة في وعظ الخلفاء والملوك مات سنة ١٠٦هـ (انظر تقريب التهذيب : ١ - ٣٧٧)

أبكى إصبيات خلف هذا الستر ، لولا هن لَهانَ على الموت ، إني لمؤمن ، وإني لنائب ،
وإن الله لغفور رحيم .

قلتُ :

رحمك الله فالذي رجوتَه لمغفرة ذنبيك فأرجه لخير بناتك

فقال :

صدقت ، جزاك الله خيرا .

* * *

وقال أبو الحسن عن معاوية بن محمد عن عبد الله بن بُجير قال :

قال عبد الله بن عمرو بن العاص لأبيه :

يا أبة ، كنتَ تقول : ليتني ألقى رجلا عاقلا عند نزول الموت به يحدثني ما يجد .

وقد نزل بك وأنت ذلك الرجل ، فصف لي الذي تجد

قال :

يا بني لكأن جنبي في تحت^(٣٥) ، ولكأن أتنفس من سمِّ إبرة ، ولكأن غصن شوك

يُجرِّبه من قدمي إلى هامتي ، ثم قال متمثلا قول أمية بن أبي الصلت^(٣٦) :

[الخفيف]

لَيْتِي كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدَّ بَدَأَ لِي

فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ أَرْعَى الوُغُولَا

والله ، ليتني كنتُ حيضةً عركها الإمام . ثم مدَّ يده فقال :

اللَّهُمَّ إِنِّي لَسْتُ ذَا قُوَّةٍ فَأَنْتَ صِر ، ولا إذا براءة فأعتذر . اللهم إني مُقرُّ مُذنب مُستغفر .

وقال عوانة :

قال عمرو بن العاص عند موته : اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنَا فَلَمْ نَأْتِمْ ، وَزَجَرْتَنَا فَلَمْ نَزْدَجِر .

فإنا لا نعتذر ، ولكننا نستغفر .

(٣٥) التخت : وعاء [من خشب] تصان فيه الثياب . المعجم الوسيط : ١ - ٨٢

(٣٦) أمية بن أبي الصلت بن أبي ربيعة من ثقيف ، كان تاجرا أمينا كان يعتقد وجود الله ، وكاد

أن يسلم لما جاء الإسلام لولا موقف ثقيف من العداء لرسول الله ﷺ ، فمات على الكفر سنة

سبع أو ثمان من الهجرة (انظر تاريخ الأدب لعمر فروخ ١ - ٢١٦ ، ٢١٧

وقال يعقوب بن عوف بن عبد الملك بن ثوفل :
لما نزل بالمغيرة بن شعبة الموت قال :
اللهم ، هذه يدى بايعتُ بها نبيك ، وجاهدت في سبيلك فأغفر لى ما يعلمون من
ذنوبى ومالا يعلمون .

* * *

وقال أبو الحسن عن مسلّمة بن محارب :
لما نُقِلَ زياد^(٣٨) قديم عليه الهيثم بن الأسود النَّحَعَى بعهدِه على الحجاز فقيل له ، فقال :
شربة من ماءٍ أسيغها أجدُ طعمها أحب . إلى مما جاء به الهيثم .

* * *

وقال عليّ بن مجاهد عن محمد بن إسحاق^(٣٩) عن الزُّهرى^(٤٠) قال أبو العباس وحدثنى
بعض هذا الحديث ، وزاد عليه شيئا العباس بن الفرّج الرّياشى قال :
أغمى على أمية بن أبى الصلت فى مرضه الذى مات فيه وهو يقول :
لَيْبِكَمَا لَيْبِكَمَا ، هأنذا لديكما لا برىء فأعتذر ، ولا ذوقوة فأنتصر ثم أغمى عليه ،
ثم أفاق وهو يقول : لَيْبِكَمَا لَيْبِكَمَا هأنذا لديكما لا مالٌ يفدينى ، ولا عشيرة تحمىنى .
وأغمى عليه ثم أفاق وهو يقول لَيْبِكَمَا لَيْبِكَمَا هأنذا لديكما محفوف بالنعم . [الرجز]
إِنْ تَغْفِرَ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلْمَا
ثم قال

كُلُّ عَيْشٍ وَإِنْ تَطَاوَلَ يَوْمًا فَصُرَّةٌ مَرَّةً إِلَى أَنْ يَزُولَا
لَيْتِي كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدْ بَدَأَ لِي فِي زُرُوسِ الْجِبَالِ أَرْعَى الوَعُولَا

(٣٧) الحيضة : الحفرة تضعها المرأة لتلقى دم الحيض . المعجم الوسيط : ١ - ٢١١

(٣٨) هو زياد بن أبيه ولى إمرة فارس لعل بن أبى طالب والعراق جميعه لمعاوية وتوفى سنة ٥٣ هـ .
حوالى ٥٣ سنة .

(٣٩) محمد بن إسحاق بن يسار من أقدم مؤرخى العرب ، من أهل المدينة توفى ببغداد سنة ١٥١ هـ .

(٤٠) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى من قريش أول من دون الحديث وأحد كبار

الحفاظ والفقهاء تابعى مات سنة ١٢٤ هـ .

اجْعَلِ الْمَوْتَ نُصْبَ عَيْنِكَ واحْذَرْ
غَوْلَةَ الدَّفْرِ إِنَّ لِلدَّفْرِ غَوْلًا^(٤١)

* * *

قال أبو الحسن عن إسحاق بن أيوب :
إنَّ عبد الله بن عبد الملك بن مروان لما نزل به الموت بُشِّرَ بقدم مالٍ له كثيرٍ كان
له بمصرَ ، فقال :
مالى وله! لَيْتَهُ كان بَعْرًا حائلاً بنجد .

* * *

وقال عوانه :
قال نافعُ بنُ علقمة^(٤٢) حين حُضِرَ : لَيْتَ القِرابَةَ التي كانت بينى وبين مروان كانت
بينى وبين رجلٍ من الرُّنَجِ ، ولم أدخل في شيءٍ من هذا الأمر .

وقال أبو الحسن عن الحسن بن دينار :
كان الحسن البصرى يغمى عليه ثم يُفِيقُ فيقول :
ساعةٌ صبرٍ واحتسابٍ وتسليمٍ لأمر الله عز وجل حتى مات .

* * *

قال :
وكان محمد بن سيرين يقول وهو في الموت : في سبيل الله نفسى أعزَّ الأنفس على
حتى هلك .

* * *

وقال يحيى بن زكريا^(٤٣) عن أبيه : إن الشعبي قال وهو بالموت : اشهدوا أنى قد
احتسبتُ نفسى عند الله تعالى .

* * *

(٤١) الأغاني : ٤ - ١٣٢ .

(٤٢) نافع بن علقمة بن نضلة بن صفوان خال مروان بن الحكم وكان والياً على مكة المدينة .

(٤٣) يحيى بن زكريا أبو سعيد من الفقهاء المحدثين ولى قضاء المدائن توفى سنة ١٨٢ هـ .

وقال قيس بن الربيع :

بلغنى أن ابراهيم التَّحَمَّى بكى عند الموت فقيل له :

ما يبكيك ؟

قال :

ولم لا أبكى ؟ وإنما أنتظر مُبَشِّرًا يُبَشِّرُنِي بِالْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ . والله لو ددت أنها تجلجل في صدري إلى يوم البعث .

* * *

وقال حَفْصُ بن ميمون عن يونس و غيره عن الحسن أنه قال :

إذا كان يومُ القيامة قيل لمن كان يُحَدِّثُ بِالرُّخْصِ :

لَمْ حَدِّثْتُمْ عِبَادِي بِالرُّخْصِ ؟

قالوا :

سمعناك تذكر أن رحمتى وسعت كلَّ شيء ، وأنتك تغفرُ الذنوبَ غيرَ الشُّركِ ، فحدِّثناهم يَشْكُرُونَ ، ولا يَقْنَطُوا من رحمتك .

فيقول لهم جلَّ جلاله :

قد جعلت ثوابكم على ذلك الجنة .

* * *

وقال أبو الحسن :

بلغنى أن سليمان التُّيمى^(٤٤) قال لابنه وهو بالموت :

يا بُنَى حَدِّثْنِي بِالرُّخْصِ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ وَأَنَا لَهُ رَاجٍ .

وقال أبو الحسن عن أبى محمد الناجى قال : قال حذيفة^(٤٥) وهو بالموت :

حبيب جاء على فاقية ، لا أفلح من ندم ، الحمد لله الذى سبق لى^(٤٦) الفتن أليس بين يدي ما أعلم .

(٤٤) سليمان بن طرخان البصرى ، كان من العباد النساك .

(٤٥) حذيفة بن اليمان أبو عبد الله ، صحابى من الولاة الشجعان الفاتحين توفى بالمدائن سنة ٣٦ هـ .

تقريب التهذيب : ١ - ١٥٦ .

(٤٦) م . الحمد لله سبق فى الفتن وهو تحريف صوابه من : ل .

وقال النَّضْرُ بن إِسْحَاقَ :

قيل للحسن : إن الحجاج قال عند الموت :

(اللهم إن هؤلاء يزعمون أنك لا تغفر لي . اللهم فاغفر لي ذنوبي فإنها صغيرة في جنب عفوك) .

فقال الحسن :

أقالها ؟

قال :

نعم

قال :

عسى

* * *

وقال أبو الحسن عن سلمة بن محارب قال :

قال مسلمة بن عبد الملك لعمر بن عبد العزيز :

أوصو إليَّ بَيْنِكَ أو ألا توصى إليَّ بَيْنِكَ ؟

فقال :

(أوصى بهم إلى^(٤٧) الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين . ونظر إلى ولده فقال :

بنفسى فتية أفقرتهم^(٤٨) من هذا المال ، ثم قال :

نعم المَذْهُوبُ إليه ربي .

وقرأ قارىء من ناحية البيت : ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً

فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾^(٤٩) فقالتا عمر ، ثم قضى

* * *

وقال عوانة :

(٤٧) م أوصى إلى .

(٤٨) م أفقرت أفواههم .

(٤٩) القصص : ٨٣

قال الوليد بن عقبة^(٥٠) عند الموت وهو بالبلخ من أرض الجزيرة^(٥١) :
(اللهم إن كان أهل الكوفة صدقوا عليّ فلا تُلُقْ رُوحِي منك رَوْحًا ولا رَيْحَانًا^(٥٢) ،
وإن كذبوا عليّ فلا تُرَضِّهِمْ بِأَمِيرٍ ، ولا تُرَضِّ أَمِيرًا عنهم ، وانتقم لي مِنْهُمْ ، واجعله
كفارة لما لا يعلمون من ذنوبي .

* * *

قال أبو الحسن عن علي بن سليمان :
دخل عمر بن عبد العزيز على رجل وهو يجود بنفسه فقال له :
استغفر الله
فقبل له :
يا أبا حفص لو لقتته شهادة أن لا إله إلا الله .

فقال عمر :
إِنَّ لا إله إلا الله من ذنبي ، وله ذنوب يستغفر الله منها ، وإذا استغفر الله وحده ، وإنَّ
المستغفر الخائف بِعَرَضٍ خَيْرٍ .

* * *

وقال أبو الحسن المدائني عن المنهال بن عبد الملك مولى بنى أمية :
حبس هشام بن عبد الملك عياض بن مسلم - كاتب الوليد بن يزيد - وضربه وألبسه
المسوح ، فلم يزل محبوسا مدة هشام ، فلما ثقل هشام وصار في حدٍّ من لا يرجي
برؤه رَهَقَتْهُ غَشِيَةٌ ، فظنوا أنه قد مات ، أرسل عياض بن مسلم إلى الخُرَّان أن احتفظوا
بما في أيديكم ، فلا يَصِلَنَّ أَحَدٌ إلى شيء ، وأفاق هشام من غَشِيَتِهِ ، فأرسل يطلب
من الخُرَّان شيئا فَمُنِعَ .

فقال هشام :

(٥٠) أبو وهب الوليد بن عقبة الأموي القرشي أخو عثمان بن عفان من أمه ولاء الكوفة بعد سعد
بن أبي وقاص ، توفى بالرقعة سنة ٦١ هـ . (انظر الأعلام : ٥ - ١٠٣) .
(٥١) البلخ موضع بالرقعة يسير إلى موضع قد بنى عليه مسلمة بن عبد الملك حصنا . معجم
البلدان : حرف الباء .
(٥٢) روح وريحان : الرُّوح : الرحمة . والريحان : كل نبات طيب الرائحة .

أرانا كنا حُزَّائًا للوليد ، فخرج عياض من ساعته من الحبس ، فختم الأبواب والخزائن ، وأمر بهشام فأنزل عن قُرْشِهِ ، ومنعهم أن يُكفِّنُوهُ من الخزائن . فكفَّنه غالب ، مولى هشام ، ولم يجدوا قَمَقْمًا يُسَخِّنُ فيه ماء حتى استعاروه ، فقال الناس :
إن هذه لعبرة لمن اعتبر

* * *

قال أبو الحسن عن عبد الله بن قائد من أشياخ بنى تميم قالوا :
خرج إياس بن قتادة^(٥٣) يوم الجمعة من المسجد فنظر في السماء ثم قال :
مرحبا بك ، قد كنت أنتظر مجيئك ! ثم سقط فَحِمِلٌ إلى أهله ، فمات . فحمل إلى ملحوب^(٥٤) فدفن بها ، فيها قبره .

* * *

وقال أبو المنذر عن عمه عامر بن حفص قال :
قيل للربيع بن خُثَيْم حين ثقل : ألا ندعو لك أصحاب الطب ؟
قال :
قد أردتُ ذاك ، ثم ذَكَرْتُ عَادًا وثمود وأصحاب الرُّسِّ وقرونا بين ذلك كثيرًا ، وعلمتُ
أنه كان فيهم الداء والمداوى . فهلكوا جميعًا .

* * *

وقال أبو مخنف :
مرض معبد بن طوق العنبري^(٥٥) فجزع فقيل له :
كأنك تخاف الموت !
فقال :
أنى والله ، ما أَمْرَضُ إلا خفتُ ذاك .
قيل له :

(٥٣) إياس بن قتادة المجاشعي ابن أخت الأحنف بن قيس . صفة الصفوة : ٣ - ١٤٤
(٥٤) ملحوب : اسم ماء لبني أسد بن خزيمية . وقيل : اسم موضع .
(٥٥) معبد بن طوق العنبري يُكْنَى أبا أسد من أعراب بادية البصرة شاعر جيد الشعر .

وَلِمَ ؟

قال :

لأنى قد استأنيت احتضار المدة ، وانقضاء العدة ، وتمام الظمأ ، واتجاه القرب .

* * *

وقال عوانة عن الأسود بن عبيد :

قال أبو قيس بن الأسلت عند الموت : (اللهم إناك تعلم أنى لم أقطع رَحِمًا ، ولم أشرب بإناء غادر ، ولم أصب بِكِنَّةٍ^(٥٦) ، ولم أبت ليلةً جُنبا حتى أصبح فاغفر لى) .

* * *

وقال الجرمازى :

هَلَكَ لرجل من أهل البادية ابنان ، فسئل عن جَزعه عليهما فقال :

كنت أتوهمهما حتى كأن الأرض تُثشِّقُ عنهما فأنظر إليهما .

قيل له :

مَه ؟

قال :

ثم كان جُرحا فبرأ .

* * *

وقال أبو الحسن :

أخبرنى بعضهم قال : أتيت امرأةً أعزَّيها عن ابنها ، قال :

فجعلت تُثنى عليه قالت :

كان - والله - مَالَةٌ لغير بطنه ، وأمرُهُ لغير عرسه وكان :

[الطويل]

رَحِيبَ الدَّرَاعِ بِالتَّى لَا تُشِينُهُ

وإن كَانَتِ الفَحْشَاءُ ضَاقَ بِهَا دَرَعَا

قال :

فقلت لها : هل لك منه خَلْفَ ؟ - وأنا أعنى الولد -

(٥٦) الكنة : امرأة الابن أو الأخ .

قالت :

نعم بحمد الله كثير ، طيب ثواب الله عليه ، ونعم العوض من الدنيا والآخرة .

* * *

وقال :

دخل درواس بن حبيب العجلي على جعفر بن سليمان^(٥٧) يمزيه بأخيه محمد بن سليمان ، فلما نظر إليه جعفر قال :

إن كان عند أحد فرج فعند درواس .

فسلم ثم قال :

أيها الأمير ، اتمس ثواب الله بحسن العزاء ، والشكر لأمر الله واذكر مصيبتك في نفسك تنسك فقد غيرك ، واذكر قول النبي ﷺ :

«من أصابته مصيبة فليذكر مصيبتك في فإنها من أعظم المصائب»^(٥٨)

واذكر قول الله عز وجل لنبيه ﷺ :

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(٥٩) وقوله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾^(٦٠) .

وخذ بقول عبد الله بن أراكة في أخيه عمرو :

تَفَكَّرْ فَإِنْ كَانَ الْبَكَاءُ رَدًّا هَالِكًا عَلَى أَحَدٍ فَاجْهَدْ بُكَاءَكَ عَلَى عَمْرٍو
وَلَا تَبْكُ مَيِّتًا بَعْدَ مَيِّتٍ أَجْنَهُ عَلَى وَعَجَّاسٍ وَأَلِّ أَبِي بَكْرٍ^(٦١)

* * *

قال :

وهلك أخ لبعض الأعراب فأظهر له الشماتة بعض بنى عمه ، فأنشأ الأعرابي يقول :

[الكامل]

(٥٧) هو جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد الملك ابن عم السفاح والمنصور

المعارف : ١٦٤ .

(٥٨) مر تخرج الحديث في المقدمة .

(٥٩) سورة الزمر : ٣٠ .

(٦٠) سورة الأنبياء : ٣٤ .

(٦١) سبق التعريف بعبد الله بن أراكة والأبيات في المقدمة .

وَلَقَدْ أَقُولُ لِدِي الشَّمَاةِ إِذْ رَأَى

جَزَعِي وَمَنْ يَذِي الْفَجِيعَةَ يَجْزَعُ

اشمّت ففقد قرع الحوادث مروتى وأفرخ بمروتك التى لم تُفزع

قال :

وهلك أخ لبعض الأعراب فأظهر له الشماتة بعض بنى عمه ، فأنشأ الأعرابي يقول :

[الكامل]

إِنْ تَبَى ثَفَجَعُ بِالْأَجْبَةِ كُلِّهِمْ أَوْ تُرْدِكِ الْأَحْدَاثُ إِنْ لَمْ تُفْجِعِ^(٦٢)

قال :

ومات بنون لامرأة تباغاً فكلمنها ، فحدثنا ساعة ، ثم ضحكت فقالت لها امرأة :

أتضحكين ! أجنون بك أم فند^(٦٣)

قالت : لا ، وأبيك - ولكن الشر لم يجد لى مزيداً .

قال أبو الحسن المدائنى :

[الطويل]

أنشد ابن كنانة :

لَا تُجْزِعِي يَا أُمَّ زَيْدٍ فَائِسُهُ سَتَأْتِي الْمَنَايَا كُلَّ حَافٍ وَذِي نَعْلٍ

فَلَوْلَا الْأَسَى مَابِثٌ فِي النَّاسِ لَيْلَةٌ وَلَكِنْ إِذَا مَا شِفْتُ جَاوَيْبِي مِثْلِي^(٦٤)

* * *

وقال محمد بن كنانة^(٦٥) عن حُثَافِ الْفَقْعَسِيِّ قال :

حدثتني أُمِّي قالت : دخلت علينا عجوزٌ للحى اسمها بادية ورحالٌ إخوتي ثمانية فى جانب

البيت - فقالت لى :

لِمَنْ هَذِهِ الرَّحَالُ ؟ أَنْزَلَ بِكُمْ اللَّيْلَةَ رَكْبٌ ؟

(٦٢) الأبيات لابن عبد الأعلى يريث بها سليمان بن عبد الملك .

(٦٣) الفند الحرف والخطأ فى الرأى والقول . المعجم الوسيط : مادة فند .

(٦٤) البيتان من خمسة أبيات قالها الحرث بن زيد الخيل (انظر ديوان الحماسة لأبى تمام ج١ ص :

٣٥٠ ط . صبيح .

(٦٥) ابن كنانة محمد بن عبد الله بن عبد الأعلى المدنى ، له علم بالعربية والشعر وأيام الناس توفى

بالكوفة سنة ٢٠٧ هـ ، وله من العمر ٨٤ سنة .

قلت :

هذه رجال إخوتي

فقلت :

لقد ولدت لك أمك حزناً طويلاً .

قالت :

[الكامل]

وصدقت بادية ، ذهبت نفسي عليهم قطعاً ، وأنشدت :

ذَهَبُوا بِنَفْسِي أَلْفَسَا إِذْ فَارَقُوا

فَأَلْمَيْشُ بَعْدَ مُنْعَمٍ مَذْمُومٌ

* * *

وقال عمر بن غياث :

أخبرني الثقة قال : دفن أعرابي ابناً له ، فلما أجهت وقف على قبره ، وأنشأ يقول :

[الكامل]

لَمَّا مَشَى وَرَجَوْتُهُ لِقَائِهِ وَطَمَعْتُ أَنْ يَقْوَى بِهِ أَرْزِي
وَيَكُونَ مِنْ أَعْمَامِهِ خَلْفًا فَيَقُومَ بَعْدَ تَأْطُرِ ظَهْرِي
قَدْ كَانَ يَضْرِبُ مَنْ مَضَى مَثَلًا وَجَدَ التَّكْوِيلَ وَكُنْتُ لَا أُدْرِي
مَا ذَاكَ حَتَّى دَقَّتْ لَوْعَتُهُ فَأَلْدُ مِنْهَا لَوْعَةَ الضَّرِّ

* * *

وخرج رجل^(٦٦) مع خالد بن الوليد فأستشهد بدومة الجندل^(٦٧) ، فجزع عليه أبوه

فبكاه حتى كثر عليه بكأوه ، فليم في ذلك وعوتب فقال :

دَعُونِي أَبْكِي مَا عَلَيْهِ أَسْعَدَتْنِي عَيْنِي ، فَإِنَّ دَمُوعَهَا سَتَنْفَدُ وَتَبْلَى كَمَا ذَهَبُ نَافِعٍ وَبَلَى .

[الكامل]

وقال يرثيه :

مَا بَالَ عَيْنِي لَا تُعْمَضُ سَاعَةً إِلَّا اغْتَرَبْتَنِي عَبْرَةَ تُعْشَانِي

(٦٦) نافع بن غيلان بن سلمة الثقفي . هامش التعازي : ٥٠ .

(٦٧) دومة الجندل حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبل طى في نجد . التعازي : ٥٠ .

أَرعى لُجُومَ اللَّيْلِ عِنْدَ طَلُوعِهَا وَهَمَّا وَهْنٌ مِنَ الْفِيَارِ دَوَانٍ (٦٨)
يَانَا فَمَا مَنَ لِلْفَوَارِسِ أَحْجَمَتْ عَنْ شِدَّةِ مَذْكَورَةٍ وَطَمَانٍ؟
فَلَوْ اسْتَطِيعَ جَعَلْتُ مَتَى نَافِعًا بَيْنَ اللَّهِاءِ وَبَيْنَ عَكْدِ لِسَانِي
يَانَا فَمَا مَنَ لِلْفَوَارِسِ إِذْ نَوَّزَا فِي يَوْمِ بُوْسٍ أَوْ يَوْمِ لِيَانٍ (٦٩)

* * *

قال أبو الحسن :

حدثني كليب بن خلف عن إدريس بن حنظلة قال : أصيب عمرو بن كعب التَّهْدِي
بُتْسْتَر (٧٠) مع مجزأة بن ثور (٧١) فكتموا أباه الخبر ، ثم عَلِمَ بَعْدُ ، فلم يجزع وقال :
الحمد لله الذي جعل من صُلْبِي من أصيب شهيدًا وقال : [الوافر]

فَهَلْ تَغْدُو الْمَقَادِرُ بِالْقَوْمِي هَلَاكَ الْمَالِ أَوْفَقَدَ الرَّجَالِ؟
فَكَلًّا قَدْ لَقَيْتُ وَقَلْبِي صُرُوفُ الدَّهْرِ حَالًا بَعْدَ حَالِ
فَمَا أَبْقَيْنَ مِنِّي غَيْرَ نَضْرٍ بِهِ أَثَرُ الرَّحَالَةِ وَالْحِجَالِ
عَرُوفٌ كُلَّمَا جَلَبَتْ قُرُوحَ بِهِ لُكَيْتُ بِأَعْدَالِي تُقَالُ

ثم استشهد ابن له آخر يقال له (حَمَل) مع سعيد بن العاصي بمرجان فبلغه فقال :
الحمد لله الذي توفى متى شهيدًا ، وقال : [الطويل]

جَزَى حَمَلًا جَزَى الْعِبَادِ كَرَامَةً

وَعَمْرُو بْنُ كَعْبٍ خَيْرٌ مَا كَانَ جَازِيًا
خَلِيلِي وَابْنِي الَّذِينَ تَتَابَعَا شَهِيدِينَ كَانَا عِصْمَتِي وَرَجَائِيَا
وَمَنْ يُعْطِهِ اللَّهُ الشَّهَادَةَ يُعْطِهِ بِهَا شَرَفًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِيَا

* * *

وقال محمد بن كُنَاسَة :

(٦٨) الوهن : نحو منتصف الليل (انظر التعازي)

(٦٩) الخبر في التعازي : ٥٠ .

(٧٠) تستر : مدينة كبيرة في خوزستان .

(٧١) مجزأة بن ثور السدوسي صحابي من شجعان الفاتحين فاضل قتل في أيام عمر . التعازي : ١٨ .

زَوْجَ زَبَّانِ بْنِ مَنْصُورِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ خَوْلَةَ ابْنَةِ زَبَانَ ، فَمَكَثَتْ عِنْدَهُ
خَوْلًا لَا تَذْهَنُ وَلَا تَكْتَحِلُ حَتَّى وَضَعَتْ لَهُ ابْنًا ، فَاتَّحَلَتْ وَتَهَيَّأَتْ لَهُ .

فَقَالَ لَهَا الْحَسَنُ :

مَا حَمَلَكِ عَلَيَّ مَا صَنَعْتَ ؟

فَقَالَتْ :

كَرِهْتُ أَنْ تَقُولَ النِّسَاءُ احْتَفَلْتُ فَلَمْ تَصْنَعْ شَيْئًا : فَأَمَّا إِذَا جَاءَ هَذَا فَلَا أَبَالِي مَا كَانَ .

فَقَالَ لَهَا الْحَسَنُ : وَابْنِي أَنْتِ !

فَلَمَّا مَاتَ الْحَسَنُ اشْتَدَّ حُزْنُهَا عَلَيْهِ ، فَقَالَ زَبَّانُ :

[الكامل]
لَيْسَتْ خَوْلَةَ أَمْسٍ قَدْ جَزَعَتْ مِنْ أَنْ تُنَوَّبَ نَوَائِبُ الدَّفْرِ
لَا تَجْزَعِي يَا خَوْلُ وَاصْطَبِرِي إِنَّ الْكِرَامَ بُنُوا عَلَى الصَّبْرِ

* * *

وقال : وخبرني رجل من بَجِيلَةَ [حى باليمن] عن امرأة من بنى العنبر يقال لها مبدية .

قال : وكان لها بنون وإخوة فماتوا حتى بقي لها ابن فمات فقالت : [الوافر]

أَمْتَجَابَ الْأَكَارِمِ مَنْ لِرَكْبٍ أَنَاخُوا جَنْبَةً وَدَنُوا أَصِيلًا
أَمْتَجَابَ الْأَكَارِمِ عُدَّ إِلَيْنَا لَكِنِّي نَشْفِي بُرُؤَيْتِكَ الْغَلِيلًا
كَأَنَّكَ لَمْ تَقُلْ لِلرَّكْبِ سِيرُوا وَلَمْ تَرْحَلْ عُدَّافِرَةً دُمُولًا^(٧٢)

* * *

وقال عن علي بن سليمان عن الحسن قال :

(الخير الذي لا شرَّ معه الشكر مع العافية ، والصبر عند المصيبة فكم من مُنعم عليه غيرُ

شاكِر ، ومُبتلى غيرُ صابر) .

* * *

وقال أبو الحسن :

(٧٢) ل : العُدَّافرة : العظيم الشديد من الإبل . ودَمَل : سار سيرًا لنا .

قال جهم بن حسان : بلغني أن ثوسعة بن أبي عتيان^(٧٣) جزع على أخيه عتبة فقال يكيه :

[الكامل]

مَنَعَ الرَّقَادُ ثَعُوبِي مَا أَهْجَعُ وَتَبَا بَجْنِي عَن فِرَاشِي مَضْجَعُ^(٧٤)
أَعْتَبْتُ قَدْ كُنْتُ امْرَأًا لِي جَانِبُ حَتَّى رُزِيتُكَ وَالْجُدُودُ تُضْغَعُ
فَلَمَنْ أَقُولُ إِذَا تِلْمٌ مُلْمَةٌ أَرِنِي بِرَأْيِكَ أَمِ إِلَى مَنْ أَفْرَعُ؟
قَدْ كُنْتُ أَنْظُرُ فِي الْمَقَامَةِ سَادِرًا فَظَنَرْتُ قَصْدِي وَاسْتَقَامَ الْأُحْدَعُ^(٧٥)
وَفَقَدْتُ إِخْوَانِي الَّذِينَ بِقُرْبِهِمْ أُعْطِيَ الدَّنِيَّةَ مِنْ أَشَاءِ وَأَمْنَعُ
نِعْمَ الْفَتَى مِنْ آلِ بَكْرِ الْأَسْبَا أَتَوَابُهُ فِي اللَّخْدِ ثُمَّ تَصَدَّعُوا
عَنْهُ وَمَا طَابَتْ بِذَلِكَ نَفْسُهُمْ وَلِكُلِّ جَنْبٍ لَا مَحَالَةَ مَصْرَعُ^(٧٦)

* * *

وجزعت عليه أخته عمرة^(٧٧) فقالت :

قُلْ لِلْأَرَامِلِ وَالْيَتَامَى قَدْ تَوَى فَلَتَبِكَ أَعْيُنُهَا عَلَى عَنَابِ
أَوْدَى ابْنِ كُلِّ مُخَاطِرٍ بِسَلَادِهِ وَيَنْفَسِيهِ بُقْيَا عَلَى الْأَخْسَابِ
الرَّاكِبِينَ مِنَ الْأُمُورِ صُدُورَهَا لَا يَرْكَبُونَ مَعَاقِدَ الْأَذْنَابِ^(٧٨)

* * *

قال أبو الحسن :

قال الهلالي : أغمى على سعيد بن المسيب فوجه ثم أفاق فقال :

ما هذا ؟

فقليل له ...

فقال :

(٧٣) ابن أبي عتيان . التعازي : ٤٩

(٧٤) التحوب : التوجع والجزى .

(٧٥) الأخدع : عرق في العنق .

(٧٦) الخير في التعازي ٤٩ .

(٧٧) من ل والتعازي أخته عمرة

(٧٨) الخير في التعازي : ٤٩ ، ٥٠ .

أوليس وجهي لله عز وجل ذكره حيث كان !

وقال الهلالي :

كان عثمان بن عفان (رضى الله عنه) إذا وقف على قبر بكى فقليل له :
يا أمير المؤمنين إنك لتبكي عند القبر بكاءً ما تبكيه عند شيء ؟

فقال :

نعم ، إنه آخر منازل الدنيا ، وأوّل منازل الآخرة ، فإن شُدّد على صاحبه فما بعدهُ
أشدُّ وإن هوّن على صاحبه^(٧٩) فما بعده أهون . سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ما
رأيت منظراً قط إلا والقبر أفضح منه»^(٨٠) .

وقال الهلالي :

لما حضرت معاوية الوفاة ، قيل له :

قل : لا إله إلا الله . فضعف عنها . ثم قيل له فضعف ، فثُلت عليه فقال :
أولسنتُ من أهلها !

قال الهلالي :

أثنى قومٌ على عوفٍ الأعرابي وهو في الموت فقال :

(يا قوم أمدونا بالدعاء^(٨١) ، وأغضونا من الشاء) .

(٧٩) م : عليه

(٨٠) الترمذي : باب فظاعة القبر ٤٧٩ رقم ٢٣٠٨ رواية عثمان بن عفان .

(٨١) ل : أمدونا بالدعاء .

ذِكْرُ الْجُفَاءِ عِنْدَ الْمَوْتِ

قال أبو العباس رحمه الله تعالى : ونذكر الجفأة عند الموت .
قال علي بن محمد عن علي بن مجاهد عن ابن إسحاق عن الزُّهري إن رسول الله ﷺ
قال لأبي طالب وهو في الموت :
يا عم ، قل لا إله إلا الله أشهد لك بها عند ربي .
قال :
يا ابن أخي ، لولا أن تكون سبباً عليك بعدى لأقررت بها عينك .

* * *

وقال : قال الزهري :
مر عبد الله بن مسعود^(١) بأبي جهل^(٢) فقال :
الحمد لله الذي أخزأك يا عدو الله .
قال :
يا ابن أم عبد ، ما أخزاني الله . لست بأول سيد قتلته قومه إن أشد من ذلك علي ألا
يكون ولي ذلك مني ما تريد أن تليه رجل من صميم المطيبين^(٣) ، فوضع ابن مسعود
رجله على عنقه فقال [أبو جهل] :
أرؤيعيًا^(٤) بالأمس بمكة ! لقد ارتقيت مرتقى صعبا .

* * *

(١) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل من أوائل الصحابة الذين أسلموا بمكة ، خادم
النبي ﷺ ، ورفيقه ، وصاحب سره ، ومن كبار العلماء ، مناقبه جمّة ، أمره عمر على الكوفة ،
توفي بالمدينة سنة ٣٢ هـ تقريبا التهذيب : ١ - ٤٥٠ .
(٢) عمر بن هشام بن المغيرة المخزومي ، أشد أعداء الإسلام والمسلمين ، قتل يوم غزوة بدر ، أجهز
عليه ابن مسعود .
(٣) المطيبون : حلف في الجاهلية ، تعاهد فيه بنو عبد مناف على أخذ مافي يَدَي بني عبد الدار
من الحجابة وغيرها ، وتطيبوا لذلك .
(٤) الرويعي : تصغير الراعي ، وقد كان عبد الله راعيا في صغره والتصغير هنا للتحقير .

قال أبو العباس : قال أبو الحسن :

سئل وكيع ابن الدُّورِقيَّة^(٥) :

كيف قتلت عبد الله بن خازم^(٦) ؟

قال :

قعدت على صدره ، وغلبته بفضل فتاء^(٧) كان لي عليه . وناديت :

يا لثارات (دُوَيْلَة) يعنى أخاه من أمه . وكان دويلة أخوا وكيع من أمه ، قتله عبد الله .

قال : وكنت طعنته في شِدْقِهِ ، فجمع ما كان في فيه من الدَّم والرَّيْق فتنخم به ، فملاً

وجهى وقال :

تبحك الله ، أتقتل كبش مضر بأخ لك لا يساوى كَفَّ تَوَى

قال :

فكان ابن هبيرة يقول :

هذه والله البسالة ، لقدرته على كثرة الريق عند الموت .

* * *

وقال عبد الله بن قائد :

كان طريف بن نافع الباهلي عالماً بالنسب ، فلما تُقِلَّ قال لقومه وهو في الموت ؟

بُلُوًّا فمى بماء ، فعصروا في فيه ماء بقطنة . ثم قال :

أجلسوني ، فأجلسوه فقال :

فلان ليس لأبيه الذى يُدْعَى له :

فقبل له :

أتقول هذا وأنت في هذه الحال !

(٥) وكيع بن عمير القرظي السعدي المعروف بابن الدورقية ، وهى أمه كانت من سبى (دورق) وهى بلدة بخراسان ، وويع هذا هو الذى تولى قتل عبيد الله بن خازم الخارج على عبد الملك بن مروان سنة ٧٢ هـ .

(٦) عبد الله بن خازم السلمى البصرى هو أمير خراسان من قبل بنى أمية انضم إلى عبد الله بن الزبير لما خرج على عبد الملك ، قتله وكيع توفى سنة ٧٢ هـ (الرسالة)

(٧) فتاء من الفتوة والمقصود هنا : الشجاعة (راجع إن شئت كتابنا الفتوة في الإسلام : ص ١٥)

فقال :

خِفتُ أنْ أموتَ وأنتم في شكٍ منه .
ثم أضجعوه فمات .

* * *

وقال يعقوب بن عوف عن عبد الله بن أبي بكر أن بَجْرَةَ بنِ فِرَاسِ القُشَيْرِيّ قِيلَ لَهُ -
وقد نزل به الموت :

قل لا إله إلا الله

فقال :

أشهد أن أبا الزاهرية أو أبا حرب كان نعم الفارس يوم النُخَيْلِ (٨) ثم مات .

* * *

وقال عَوَاتَّةُ :

قال الحجاج لوزاع بن ذُوَالَةِ الكَلْبِيِّ :

كيف قتلت همام بن قبيصة الفزاري ؟

قال :

مرّيتُ والناس منهبون ، ولو شاء أن يفوتني فعل ، فلما رآني قصدني فضربني وضربته ،
وسقط . فحاول القيام فلم يقدر عليه ، وقال وهو يموت : (٩)

[الطويل]
نَعَسْتُ ابْنَ ذَاتِ البُظْرِ أَجْهَزَ عَلَيَّ امْرِئٌ يَرَى المَوْتَ خَيْرًا مِنْ قِرَارٍ وَأَكْرَمًا
وَلَا تَتْرُكُنِي بِالحِشَاشَةِ إِنِّي صَبُورٌ إِذَا مَا التَّكْسُ مِثْلُكَ أَحْجَمًا

فدنوت منه فقال :

أجهز عليّ قُبْحِكَ اللهُ ، فقد كنتُ أجبُّ أن يلى هذا منى أربط جأشًا منك . فاختزرتُ
رأسه ، فأتيْتُ به مروان وأخبرته الخبر ، فقال :

لا تبتعد رجالا قيس !!

(٨) النخيل : اسم عين قرب المدينة .

(٩) البظر : تنوء في فرج المرأة ، وعند بعض الشعوب يقطع كله أو بعضه وفي م : ابن ذات
التؤف : أى المكان المرتفع الذى لم يقطع ، وهو فى معنى البظر . والمقصود التحقير والإهانة .

قال أبو عبد الرحمن التيمي :

جاء رجل من كلب برأس زيادة بن عمرو العُقَيْلِي إلى مروان ، فقال له مروان :
مَنْ قَتَلَ هَذَا ؟

قال :

أنا

قال :

كذبت ! هذا أشرف وأشجع من أن تقتله .

قال :

أنا ، والله قتلته ، مرى يعدو به فرسه وهو يقول : [مشطور الرجز]
قَدْ طَابَ وَرْدُ الْمَوْتِ مَرْوَانَ فَرْدٌ لَا تَخْسَبَنَّ الْعَيْشَ أَذْنَى لِلرَّشْدِ
لَا خَيْرَ فِي طُولِ الْحَيَاةِ فِي كَبْدِ

فطعنته فسقط ثم نزلت إليه وهو يجود بنفسه ويقول : [السريع]
بُعْدًا وَسُخْفًا لِأَمْرِيءِ عَاشٍ فِي ذُلٍّ وَفِي كَفَيْهِ عَضْبٌ صَقِيلٌ^(١٠)

* * *

وقال يزيد بن قُحَيْفٍ :

لما قتل حَلْحَلَةَ بن قيس وسعيد بن عيينة . من قَتَلَ من (كلب) رجعوا إلى خير^(١١) ،
فأقاموا . فلما ظفر عبد الملك استعداه الكَلْبِيُّونَ ، وقالوا :

دِمَاءَنَا !

فأخذ عبد الملك سعيدًا وحَلْحَلَةَ . فأما سعيد فكان يُسَبِّحُ ويستغفر ، وأما حَلْحَلَةَ
فقال :

أرحنا منك يا ابن الزرقاء^(١٢) ، فلو ملكتها منك ماترتكك طرفة عين .

وقال :

[الطويل]
إِنْ أَكُّ مَقْتُولًا أَفَادُ بِرُمَيْتِي فَمِنْ قَبْلِ قَتْلِي مَا شَفَى نَفْسِي الْقَتْلُ

(١٠) العضب : السيف الصقيل .

(١١) خير : بلاد على بعد خمسة أميال من المدينة .

(١٢) الزرقاء أم مروان ويُذكرونه بها تحقيرا .

وَقَدْ تَرَكْتَ حَرْبِي زُفَيْدَةً كُلَّهَا مُحَالَفَهَا فِي دَارِهَا الْجُوعُ وَالذُّلُّ
وَمِنْ عَبْدٍ وَدُّ قَدْ أَبْرَثَ قَبَائِلًا فَعَادَزْتُهُمْ كَلًّا يُطِيفُ بِهِ كُلُّ
[الطويل] وقال أيضا :

لَعَمْرِي لَيْنَ شَيْخَا فَرَاةَ أَسْلَمَا لَقَدْ حَزَيْتَ قَيْسَ وَقَدْ ظَفَرْتَ كَلْبُ
فَلَا تَأْخُذُوا عَقْلًا وَحُصُورًا بِغَارَةٍ بَنَى عَبْدٌ وَدُّ بَيْنَ دُؤْمَةٍ وَالنَّهْضِ
سَلَامٌ عَلَى حَيْنِي عَدِيٍّ وَمَازِنِ جَمِيعًا وَحُصَاً بِالسَّلَامِ أَبَا وَهْبِ

أبو وهب هو زَبَان بن منظور بن زَبَان فقال لما بلغه قوله (وخصًا بالسلام أبا وهب) :
رحمك الله أبا ثَوَابَةٍ ، لقد كفيتنا العار والنار ، وأدركت الثأر وللقوم فينا فضلٌ ، فلم
تُخْصُصْنَا عَلَيْهِمْ ، وقد ظلمتهم !

فَلَمَّا دُعِيَ بِهِ لِيُقْتَلَ قِيلَ لَهُ :

[الرجز] اصْبِرْ حَلْحَلْ ، فَبِرْكَ وَقَالَ :

أَصْبِرْ مِنْ عُوْدٍ بِجَنَّتِيهِ الْجُلْبُ قَدْ أَثَرَ الْبِطَانُ فِيهِ وَالْحَقْبُ^(١٣)

[الرجز] وقال :

أَصْبِرْ مِنْ ذِي ضَاغِطٍ عَرَكَرِكَ أَلْقَى بَوَانِي زُورِهِ لِلْمَبْرُكِ^(١٤)
وَمَدَّ عُنُقَهُ فَقَتَلَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ وَدِّ .

* * *

وقال عَوَانَةُ وَيَزِيدُ بن عِيَاضُ : إِنَّ مُسْلِمَ بن عَقْبَةَ المُرِّيَّ^(١٥) لما قتل أهل المدينة ،
وتوجه إلى مكة ، فنزل به الموت بِثَنِيَّةِ هَرَسَا أو بِقِفَا المُشَلَّلِ فدعا حُصَيْنَ بن ثُمَيْرِ
السُّكُونِيَّ^(١٦) فقال :

(١٣) انظر الكامل ١٢٤٥ . العود : المسن . والجلب : آثار الدبر ، والبطان : الخزام الذي يجعل
تحت بطن الداية . والحقب : الخزام الذي يلي حقو البعير .

(١٤) ذو الضاغط هو البعير الذي حز مرفقه جنبه والعركرك : القوى من الجمال . والبواني :
أضلاع الزور وهو أعلى الصدر .

(١٥) أحد القادة الذين ولاهم يزيد بن معاوية القيادة للانتقام من أهل المدينة فأسرف في القتل
والنهب ولم يراع حرمة . مات سنة ٦٣ هـ وهو متوجه إلى مكة لمحاربة عبد الله بن الزبير وكان
هلاكه في ثنية قرية من الجحفة القريبة من مكة .

(١٦) أبو عبد الرحمن الكِنْدِيُّ ثم السُّكُونِيُّ من قادة الأمويين تولى محاربة عبد الله بن الزبير بمكة
وضرب الكعبة بالمنجنيق حتى أنهى حكم ابن الزبير .

يا بَرْدَعَةُ الحِمَارِ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَهْدَ إِلَيَّ إِنْ نَزَلَ بِي الْمَوْتُ أَنْ أَوْلَيْكَ ، وَأَكْرَهُ
خِلَافَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانَ الْوَالِي حُبَيْشُ بْنُ دَلَجَةَ^(١٧) ، فَإِنَّهُ أَوْلَى بِذَلِكَ
مِنْكَ . احْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ لَا تَطِيلَنَّ الْمَقَامَ بِمَكَّةَ ، فَإِنَّهَا أَرْضٌ جَرْدَةٌ مَحْتَدِمَةٌ الْحَرَّ ،
وَلَا تَصْلُحُ الدُّوَابَّ بِهَا ، وَلَا تَمْنَعُ أَهْلَ الشَّامِ مِنَ الْحَمَلَةِ ، وَلَا تُمَكِّنُ قَرِيشًا مِنْ أُذُنِكَ ،
فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ خُدَّعٌ . وَلِيَكُنْ أَمْرُكَ الْوَقَافُ ثُمَّ التَّقَافُ ثُمَّ الْإِتِّصَافُ . وَلَعَنَ دَخَلْتُ النَّارَ
بَعْدَ قَتْلِ أَهْلِ الْحَرَّةِ^(١٨) إِنْ إِيذَنَ لَشَقِي .

* * *

قال عثمان بن الضحاك عن ذكوان - مولى مروان - قال :
بعث يزيد بن معاوية بطبيب إلى مسلم بن عقبة المري فقال مسلم للطبيب :
وَيْحَكَ ، إِنَّمَا كُنْتُ أَحَبُّ أَنْ أَبْقَى حَتَّى أَشْفِي نَفْسِي مِنْ قَتْلَةِ عُثْمَانَ ، وَقَدْ أَدْرَكْتُ
مَا أَرَدْتُ . فَمَا شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الْمَوْتِ عَلَى طَهَارَتِي قَبْلَ أَنْ أَحْدُثَ حَدَثًا ، فَإِنِّي
لَا أَشْكُ فِي أَنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ طَهَّرَنِي مِنْ ذُنُوبِي بِقَتْلِي هَؤُلَاءِ الْأَرْجَاسِ .

وقال ابن جُعْدَبَةَ :

قال مسلم بن عقبة وهو بالموت لِحُصَيْنِ بْنِ نُمَيْرٍ : إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ لَا عُدَّةَ وَلَا
سِلَاحَ لَهُمْ ، جِبَالٌ مَشْرِفَةٌ عَلَيْهِمْ ، فَانصِبْ عَلَيْهِمُ التَّجَنُّيقَ عَلَى مَوْضِعَيْنِ بَيْنَ جَبَلَيْنِ ،
فَإِنْ تَعَوَّذُوا بِالْبَيْتِ فَارْمِهِ ، فَمَا أَقْدَرَكَ عَلَى بِنَائِهِ ، وَمَاتَ .

* * *

وقال حمزة بن إبراهيم بن مُضَرَّسٍ :
قِيلَ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي قَرَيْعٍ : قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَقَدِّمْ خَيْرًا .

[البسيط]

فقال :

(١٧) حبيش بن دلجة القيني من قادة الأمويين شهد صفين مع معاوية ، واشترك في معارك العراق
ضد ابن الزبير ، وقتل في البصرة وهو يحارب واليها من قبل ابن الزبير .
(١٨) الحرّة : للمدينة في طرفها الشرق والغرب حرتان ، وكانت الواقعة المشهورة في الشرقية ،
وفيها استباح يزيد بن معاوية المدينة .

يَارْبُ قَائِلَةٌ يَوْمًا وَقَدْ لَبِثَتْ كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى حَمَامٍ مِنْجَابٍ^(١٩)
ومات من ساعته

وقال عبيدة العنبري :

قيل لعبد الله بن شعبة بن القلعم :

لَوْ قَدَّمْتَ لِنَفْسِكَ خَيْرًا

فقال لبيبه :

يا بني إن قومًا يقولون لكم بعدى : اقضوا دين أيكم عنى ، فلا تفعلوا ، فإن لأيكم
ذنوبًا كلها أعظم من الدين . اللهم إن تغفر تغفر جمًا .

فبكت امرأته فقال :

لا تُعَصِّرِي عَيْنِكَ عَلَيَّ ، وَإِذَا مَتَّ فَارَكِبِي بَعْلًا قَوِيًّا وَطُوفِي الْبَيْنَ ، وَانظُرِي أَطُولُ
بَنِي تَمِيمٍ رَقَبَةً فَتَزُوجِيهِ .

فلما هلك تزوجها أبو شيخ بن العرق الفقيمي .

وقال : ولما حضرت ليبد بن ربيعة الوفاة قال لبينى عمه :

أَسْمَعُونِي كَيْفَ تَبْكُونُ عَلَيَّ .

فقال رجال منهم أشعارًا لم يرضها ، فقال بعضهم :

لَتَبْكُ كَيْسَرًا كُلَّ قِدْرٍ وَجَفْنَةٍ وَتَبْكُ الصَّبَا مَنْ فَاذَ وَهُوَ حَمِيدٌ^(٢٠)

ولما حضرت الفرزدق الوفاة قال لأهله ، ومن اجتمع إليه من قومه [الوافر]

أُرْوَى مِنْ يَقُومٍ لَكُمْ مَقَامِي إِذَا مَا الْأَمْرُ جَلَّ عَنِ الْعِتَابِ

إِلَى مَنْ تَفَرَّعُونَ إِذَا حَيْثُمْ بِأَيْدِيكُمْ عَلَيَّ مِنَ الثَّرَابِ^(٢١)

(١٩) منجاب : حمام منجاب بالبصرة .

(٢٠) فاد : مات .

(٢١) الديوان : ١١٤

فقالت مولاة له :

إلى الله .

فقال :

وأنت تعيشين في مالي ؟ امحوا اسم الخبيثة من الوصية .

وقال المدائني :

لما هلك الأحوص بن محمد بن عبد الله بن ثابت الأنصاري^(٢٢) كان آخر ما قال ،

[الطويل]

ورأسه في حجر جارية يقال لها بَشْرَة :
مَا الْجَدِيدِ الْمَوْتِ يَا بَشْرُ لَذَّةٌ وَكُلُّ جَدِيدٍ تُسْتَلَدُ طَرَائِفُهُ
فَلَا ضَيْرَ إِنْ اللَّهُ يَا بَشْرُ سَائِقِي إِلَيَّ مَنْزِلٌ فِيهِ تَكُونُ خَلَائِفُهُ
فَلَسْتُ وَإِنْ عَيْشٌ قَوْلِي بِجَارِعِ وَلَا أَنَا مِمَّا حَمَلَ الْمَوْتَ حَائِفُهُ^(٢٣)

وقال عوانة :

لما حُضِرَ بِأَخْرَقٍ قِيلَ لَهُ :

قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

قال :

قد بلغ الأمر إلى هذا ؟

وقال مُقَلِّسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَارِثِيُّ :

كنت بساباط^(٢٤) فسمعت غلاماً يصيح واسيده ، يعني نوفل بن صالح مولى بني

جعفر ، فأتيته فإذا هو يجود بنفسه . فقلت :

(٢٢) عبد الله بن محمد بن عبد الله الأنصاري المعروف بالأحوص شاعر اشتهر بالفزل وبالهجاء

توفي بدمشق سنة ١٠٥ هـ ، وله من العمر ٣٥ سنة (انظر تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ

١ - ٦٣٧ .

(٢٣) شعر الأحوص : ١٥٩ .

(٢٤) ساباط : موضع بالمداين .

[الطويل]

أبا صالح ، قل لا إله إلا الله ، فأبى وقال :

أَيَاوَيْحَ نَفْسِي حَسْبُ نَفْسِي الَّذِي بِيهَا

وَيَاوَيْحَ أَهْلِي مَا أَصِيبُ بِهِ أَهْلِي

فقلت :

قل لا إله إلا الله

فأبى ، وجعل يردد هذا البيت حتى قُبِضَ .

* * *

وقال يونس بن حبيب^(٢٥)

لما حَصَّرَتْ أَخَا الْأَبِيحِ الْكِنْدِيَّ الْوَفَاءُ قِيلَ لَهُ :

قل لا إله إلا الله ، فلما أَكْثَرُوا عَلَيْهِ جَعَلَ يَتَقَلَّبُ عَلَى جَنْبِهِ وَيَقُولُ :

وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْغَيْرِ وَالتَّرْوَانِ^(٢٦)

* * *

وقال أبو عمرو الهذلي وغيره :

إن سالم بن داره^(٢٧) - وهى أمه ، وأبوه مُسَافِعُ بن عقبة من بنى عبد الله بن

غطفان - وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ زُمَيْلِ بْنِ أُمِّ دِينَارٍ^(٢٨) - وأبوه أُبَيْرُ بْنُ بَنِي فَزَارَةَ - شَرٌّ ،

فَضْرَبَهُ فَجَرَحَهُ أُبَيْرُ ، فَأَدْخَلَ الْمَدِينَةَ وَحَمَلَ إِلَى عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ ، فَأَمَرَ عَثْمَانَ الطَّيِّيبَ

فَنَظَرَ مَا مَبْلَغُ جَرْحِهِ ، ثُمَّ أَمَرَ فِدَاوَاهُ ، فَأَفَاقَ مِنْ وَجَعِهِ ، فَدَسَّتْ أُمُّ الْبَنِينَ بِنْتَ عُيَيْنَةَ

بَنِ حِصْنٍ - وهى امرأة عثمان - إِلَى الطَّيِّيبِ دِينَارِينَ .

وقال قوم : بل أعطاه ذلك منظور بن سيار^(٢٩) ، فسمَّ جرحه ، فانقض فقال لأبيه

وهو يحضه على قتل منظور

[البيسط]

(٢٥) يونس بن حبيب من أئمة النحاة بالبصرة .

(٢٦) شطر البيت لصخر أخی الخنساء وقد مر . وصدرة (أهمَّ بأمر الحزم لو أستطيعه)

(٢٧) سالم بن مسافع بن يربوع شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام كان يهجو بنى فزاره هجوا

شنيعا فقتله زميل الفزارى : الرسالة

(٢٨) زميل بن أم دينار ، أحد بنى مازن بن فزاره من المخضرمين أدرك الجاهلية والإسلام .

(٢٩) منظور بن زيان بن سيار الفزارى شاعر مخضرم ، كان من الصحابة وتوفى سنة ٢٥ هـ . تقريب

التهذيب : ٢ - ٢٢٧ .

أَيْدِغْ أَبَا سَالِمٍ عَنِّي مُغْلَقَةً فَلَا تَكُونَنَّ أَدْنَى الْقَوْمِ لِلْعَارِ
لَا تَأْخُذَنَّ مِائَةَ مِئِي مُكَمَّلَةً وَإِنْ أَتَاكَ بِهَا تُخَدِي ابْنَ عَمَارِ
لَوْ كَانَ زَيْدٌ هُوَ الْمَقْتُولُ لَاغْتَرَفُوا وَسَطَ الدِّيَارِ غَلَامًا غَيْرَ عَوَّارِ

ومات من يومه . فقال أبوه :

إن ابني عَقَنِي فِي حَيَاتِهِ ، وَكَلَفَنِي تَعَبًا بَعْدَ مَمَاتِهِ .

* * *

وقال أبو الحسن - قال أبو العباس : وحدثني أبو عثمان المازني ، وحدث به أبو الحسن
عن عبد الله بن مسلم قال :

قيل لأمرأة من بنى نعيم : أوصي - فحدثني أبو عثمان المازني أنها قالت :

ما أحب أن أوصي

قيل : إن لك في ذلك لأجرًا .

قالت :

[الوافر]

من الذي يقول :

لَعَمْرُكَ مَارِمَاخُ يَبْنِي لِنَيْمِ بِطَاطِئَةِ الصُّدُورِ وَلَا قِصَارِ

قالوا :

زياد الأعجم .

قالت :

وممن هو ؟

قالوا :

من بنى نعيم :

قالت :

فكُلثي لبني نعيم .

* * *

وقال أبو الحسن عن كليب بن خلف قال :

مَرَضَتْ عَجُوزٌ مِنْ بَنِي نَيْمٍ فَأَتَوْهَا بِعَطَاءِ ابْنِهَا وَكَانَ غَائِبًا ، فَقَالُوا : هَذَا عَطَاءُ ابْنِكَ وَقَدْ

نَقَصْنَاهُ دَرَاهِمِينَ .

قالت :

ولم ؟

قالوا :

قتل رجل من بني نمير رجلاً من بني سلول ، فحملنا الذية شيئا تراضوا به ، فتناولت درهمن آخرين فألقتهما إليهم ، وقالت :

قولوا له يقتل آخر ، وادفعوا هذين في الذية ، فضحكوا وخرجوا فما غابوا حتى ماتت .

* * *

وقال عوانة :

قيل للحطيئة عند موته : لك مال فأوص منه للمساكين ، قال :

بل أوصيهم بإلحاف المسألة .

قيل :

فأعتق غلامك (سيار)

قال :

هو عبد ما بقي على ظهر الأرض عيسى

قالوا :

فأوص فإن لك بنات .

قال :

مالي كله للذكور دون الإناث

قالوا : إن الله جل ذكره لم يقل هكذا !

قال :

ولكنني أقوله . وأوصيكم بالأيتام شرا ، كلوا أموالهم ، وانكحوا أمهاتهم واحملوني على حمار ، لعل لا أموت ، فإنه لم يميت عليه كريم قط ، وويل للشعر من راوية السوء .

وقيل له وهو يجود بنفسه :

[الطويل]

قل لا اله إلا الله ، فمثل قول الشماخ^(٣٠)
فَطَلْتُ يَمُودٍ كَأَنَّ عِيُونَهَا إِلَى الشَّمْسِ هَلْ تَذُنُو زُكِّي نَوَاكِرُ^(٣١)

وقال أبو الحسن عن أبي خَيْرَانَ الحِمَّانِي عن عَوْفِ الأَعْرَابِيِّ عن أَبِي رَجَاءِ العُطَارِدِيِّ
قال :

رَأَيْتُ رَجُلًا مُصْطَلِمَ الأُذُنِ ، فَقُلْتُ : أخلِقةٌ أم حادِثٌ ؟

قال : بل حادِثٌ . بينا أنا يومَ الجَمَلِ أجولُ في القَتْلِ ، مررتُ بِرَجُلٍ مِنْهُم يَنشُدُ :

[الطويل]

لَقَدْ أوردَنا حومةَ المَوتِ أمنا فَمَا صَدَرَتْ إِلا وَنَحْنُ رِواءُ
أَطعنا قَرِينًا ضِلَّةً مِنْ حُلومِنا وَنَصْرَتِنا أَهْلَ الحِجَازِ عَناءُ
لَقَدْ كانَ عَن نَصْرِ بْنِ ضَبَّةِ أُمِّه وَشِيعَتِها مَنذُوحَةً وَغَناءُ
أَطعنا نَبِيَّ تَيْمِ بْنِ مُرَّةِ شِفْوَةٍ وَهَلْ تَيْمٌ إِلا أَغْبَدُ وَإِماءُ

قلت :

من أنت ؟

فقال :

أُذُنٌ مِنِّي أَخبِرُكَ . فذنوتُ مِنْهُ فَأَزَمَ بِأُذُنِي فَقطَعها وَقال :

إذا أُتيتَ أُمَّكَ فَأخبِرْها أَنَّ عُمَيْرَ بْنِ الأَهلبِ فَعَل ذلكَ لي ، ومات .

وقال أبو الحسن عن عامر بن حفص قال :

بلغني أن رجلا من بني الهجيم قال وهو بالموت [الرجز]

كَيْفَ ، تَرانِي وَالْمَنائِيا تَعْتَرِكُ تَنهَضُ أَحْيائِيا وَحِينا تَبْتَرِكُ

(٣٠) الشماخ هو معقل بن ضرار بن سنان شاعر مخضرم مجيد شهد القادسية . وغزا أذربيجان مع سعيد بن العاص . قال الشعر في جميع الأغراض له ديوان حققه أ.د. صلاح الدين الهادي توفى بعد سنة ٣٠ هـ (انظر تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ : ١ - ٣٠٣)

وقال أبو الحسن عن عامر بن الأسود :

ثَقُلُ وَكَيْعُ بْنُ أَبِي سُودٍ^(٣٢) ، فَأَشْرَفَ عَلَيْهِ عَدِيُّ بْنُ أَرْطَاةٍ^(٣٣) - وَهُوَ يَوْمَئِذٍ أَمِيرُ
الْبَصْرَةِ - مِنْ دَارِ الْإِمَارَةِ ، فَقَالَ : كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا أَبَا الْمُطَّرَفِ ؟
قال :

أَصْبَحْتُ وَثَابًا جَرِيًّا ، فَضَحِكَ عَدِيُّ وَرَجَعَ . فَمَا جَلَسَ حَتَّى سَمِعَ الْوَاعِيَةَ^(٣٤) عَلَيْهِ .

وقال حمزة بن إبراهيم : قَالَ لَبَطَةُ بْنُ الْفَرَزْدَقِ :

لَمَّا ظَنَنْتَا أَنْ أَبِي قَدْ احْتَضَرَ بِكَيْتِنَا حَوْلَهُ ، فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ ثُمَّ قَالَ :
أَعْلَى تَبْكُونَ ؟

فقلنا :

أَفَعَلَى ابْنِ الْمِرَاغَةِ^(٣٥) فَبَكَى ؟

قال :

أَوْهَاهُنَا مَوْضِعَ ذِكْرِهِ ؟ ثُمَّ أَعْمَى عَلَيْهِ ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ :
إِذَا مَا ذَبَّتْ الْأَنْقَاءُ فَوْقِي وَصَاحَ صَدَى عَلَى مَعَ الظَّلَامِ
لَقَدْ شِمَّتْ أَغَادِيكُمْ وَقَالَتْ أَدَانِيكُمْ مِنْ أَيْنَ لَنَا الْمُحَامِي

وقال أبو الحسن عن كليب بن خلف قال :

قال وكيع بن أبي سؤد عند موته لأهله وولده : إني إذا مت جاءكم قوم قد سؤدوا
جباههم ، ونشروا لحاهم ، وعرضوا نعالهم ، يقولون إن على أيكم ديتنا فاقضوه ، فلا
تقضوا عني شيئا فإن على أيكم من الذنوب ما إن غفرها الله فالدنن أيسرها .

(٣٢) وكيع هذا كان يعيش في زمن الحسن البصرى ، وكان من سفاكى النداء .

(٣٣) عدى بن أرتاة الفزارى أبو وائلة ، كان أميرا على البصرة ولأه عمر بن عبد العزيز سنة
٩٩هـ وظل بها إلى أن قتلها معاوية بن يزيد بن المهلب بواسطة في فتنة أبيه سنة ١٠٢هـ أنظر الأعلام :

قال أبو الحسن عن عامر بن الأسود قال :
قيل لأبي السفاح بُكَيْر بن مَعْدَان أَوْص ، قال :
إِنَّا الْكِرَامُ يَوْمَ طِحْفَةَ^(٣٦) قَالُوا : إِنَّكَ فِي الْمَوْتِ فَقُلْ خَيْرًا وَتَشْهَدُ قَالَ : غَلَامِي إِذَا
مَاتَ فَهُوَ حُرٌّ .

قال أبو الحسن :
قال دُحَيْم^(٣٧) وهو بالموت :
[الرجز]
قَدْ وَرَدَّتْ نَفْسِي وَمَا كَادَتْ تَرُدُّ قَدْ كُنْتُ ذَا أَرْزٍ شَدِيدِ الْمُعْتَمَدِ
وَكَنْتُ ذَا شَعْبٍ عَلَى الْخَضَمِ الْأَلَدِ قَدْ جَاءَ قِرْنٌ لَيْسَ بِالْقِرْنِ يُرَدُّ
ثم هلك

قال أبو الحسن :
قيل لرجل وهو مريض : قل لا إله إلا الله . قال : لم يَأْنِ لَكَ بَعْدُ .

وقال حَرْب - وذكر المُعَمَّرِينَ - عَاشَ دُوَيْدُ التَّهْدِي أَرْبَعِمِائَةِ سَنَةٍ ، فَقَالَ لَوْلَدِهِ وَأَهْلِهِ
حِينَ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتَ .

أَوْصِيكُمْ بِالنَّاسِ شَرًّا ، طَعْنَالزُّرَا ، وَضَرْبًا أَرْأَا أَقْصِرُوا الْأَعْيَةَ ، وَأَطِيلُوا الْأَسِنَّةَ ، وَارْعَوْا
الْكَلَاءَ ، ثُمَّ قَالَ :

[مشطور الرجز]
الْيَوْمَ يَنْبَى لِلدَّوَيْدِ يَتِيهِ يَارَبُّ نَهَبِ حَسَنِ حَوَيْتُهُ
وَمَغْصَمِ ذِي بُرَّةٍ لَوَيْتُهُ^(٣٨) لَوْ كَانَ لِلدَّهْرِ بِلَى أَبْلَيْتُهُ
أَوْ كَانَ قِرْنِي وَاحِدًا كَفَيْتُهُ^(٣٩)

(٣٦) يَوْمَ طِحْفَةَ : يَوْمَ لَبِنَى يَرْبُوعَ عَلَى قَابُوسِ بْنِ الْمُنْذَرِ بْنِ مَاءِ السَّمَاءِ .
(٣٧) دَحِيم : هُوَ أَبُو سَعِيدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرِو الْأُمَوِيِّ ، وَشَهْرَتُهُ دَحِيمٌ مَحْدَثُ الشَّامِ فِي عَصْرِهِ
وَلَى الْقَضَاءِ فِي الْأُرْدُنِّ وَفِلَسْطِينَ وَفِيهَا تَوَفَّى سَنَةَ ٢٤٥ هـ وَهُوَ مِنَ الْعُمَرِ ٧٥ سَنَةً (تَقْرِيْبُ التَّهْدِيْبِ :
١ - ٤٧١) .

(٣٨) لَوَيْتُهُ مِنْ ل ، وَفِي م كَوَيْتُهُ وَالْبُرَّةُ : السَّوَارِ

(٣٩) ل : أَكْفَيْتُهُ

وقال عروة بن سليم :
دخلت على رجل من الأحامرة^(٤٠) بالكوفة ، وعنده جماعة من أهله وغيرهم ، فقالوا :
قل لا إله إلا الله .

فأعرض بوجهه ، فأعادوه عليه مرارًا
فقال :

أخبروني عن أبي طالب أقالها ؟
قالوا :

وما أنت وأبو طالب ؟
قال :

لا أرغب بنفسى عنه .

* * *

وقال سلام بن أبي خيرة :
ضربت الخوارج بكرًا الطاحي فقتلوه بالسيوف ، فدخل عليه قوم يعودونه وعنده
رجال ونساء ، فقالوا له :
ليس عليك بأس

فقال :
[الطويل]
غَنَاءَ قَلِيلٍ عَنِ بُكَيْرِ بْنِ وَائِلٍ تَرْمِزَ أَسْتَاهِ الْإِمَاءِ الْعَوَائِدِ^(٤١)

(٤٠) الأحامرة قوم من العجم نزلوا البصرة ثم استقروا في الكوفة .

(٤١) ترمز القوم : تحركوا في مجالسهم

من تكلم في مرضه بشيء حكى عنه

قال أبو الحسن :

حدثني رجلٌ من بني كِنَانَةَ من أهل المدينة قال :
مَرِضَ بِلَالٌ ^(١) - مُؤَذِّنُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - فَعَادَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وأبو بكر الصديق ، فقال بلال :

جَاءَ مَوْلَاكَ مَعَ الرَّسُولِ ذَاكَ هَدَى اللَّهُ بِهِ سَبِيلِي ^(٢)
فَلَمْ أَدِنْ دِينَ أَبِي عَقِيلٍ وَلَا بَدِينِ الْأَنْبُودِ الضُّلُوكِ ^(٣)

قال أبو الحسن عن غياث بن إبراهيم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي
الله عنها .

قال أبو العباس : وحدثني به ابن عائشة وأبو عمر الجرمي ^(٤) - ورسمه واحد - قال :

لَمَّا قَدِمَ الْمُهَاجِرُونَ الْمَدِينَةَ وَعَكُوا ، وَابْنُ عَائِشَةَ وَالْجَرْمِيُّ يَقُولَانِ :
اجْتَوَوْهَا . وَكَانَتْ أَشَدَّ أَرْضِ اللَّهِ حُمًى .

قالت عائشة :

فقال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ :

إِذْهَبِي فَاظْطَرِي كَيْفَ أَبُوكَ وَعَمَّكَ .

فدخلتُ على أبي فقلتُ :

يا أبتاه كيف تجدك ؟

فقال :

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبِّحٌ فِي أَهْلِهِ وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ ^(٥)

(١) بلال بن رباح أحد السابقين إلى الإسلام ، والذين عذبوا في مكة ومناقبه كثيرة ، وصحبه مع الرسول معروفة توفي سنة ٢٠ هـ وله بضع وستون سنة .

(٢) أخذ الشطر الثاني من ل .

(٣) هو الأسود بن كعب العنسي ، وكان قد ادعى النبوة في صنعاء زمن الرسول .

(٤) هو أبو عمر صالح بن اسحاق الجرمي أخذ اللغة والنحو والرواية عن علماء منهم الأخفش

ويونس بن حبيب وأبو عبيدة توفي سنة ٢٢٥ هـ .

(٥) البيت لحكيم النهشلي : نهاية الأرب : ١٦ - ٤٣٧ . اجتنووها : أصابهم المرض .

ثم دخلت على بلال ، فقلت :
كيف تجدك ؟

فقال :

[الطويل]

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْتَنُ لَيْلَةً بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرَ وَجَلِيلٌ^(٦)
وَهَلْ أَرْدَنُ يَوْمًا مِيَاهَ مَجْنَبَةٍ وَهَلْ يَنْدُونَ لِي شَامَةً وَطَفِيلٌ^(٧)

قالت :

فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال :

اللهم عليك عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام ، كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء ،
اللهم حبب إلينا المدينة كما حبيت إلينا مكة ، وانقل وباءها إلى الجحفة .

وفي حديث ابن عائشة وأبي عمر :

اللهم العن أبا جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأميمة بن خلف^(٨) .
وحبب إلينا المدينة كما حبيت إلينا مكة وأكثر ، وانقل ما بها من الوباء إلى مهبة وهي

(الجحفة)^(٩) قال :

فجاء أهل الجحفة يضحجون من الحمى .

قالت :

ودخلت على عامر بن فهيرة^(١٠) فقلت :

يا عم كيف تجدك ؟

فقال :

[مشطور الرجز]

لَقَدْ وَجَدْتُ الْمَوْتَ قَبْلَ ذَوْقِهِ

قال :

وأشده ابن عائشة :

وَالْمَرْءُ يَأْتِي خَتْمَهُ مِنْ قَوْقِهِ

(٦) ل : فغ بدل : بواد وهو واد بمكة . والإذخر : نبات طيب الرائحة .

(٧) هذا البيت من ل . شامة وطفيل : جيلان بمكة .

(٨) عتبة وأبو جهل وشيبة وأميمة هؤلاء جميعا هم صناديد قريش الذين آذوا المسلمين بمكة .

(٩) الجحفة وكان اسمها مهبة قرية كبيرة في الطريق بين مكة والمدينة .

(١٠) عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق ويكنى أبا عمر له موقف محمود في الهجرة شهد بدرا

وأحدًا ، وقتل وهو في سن الأربعين .

وقال أبو الحسن :
إِنَّ الْجَبَانَ حَقُّهُ مِنْ فَوْقِهِ كُلُّ امْرِئٍ مُقَاتِلٍ عَنْ طَوْقِهِ
كَالثَّوْرِ يَحْمِي جِلْدَهُ بِرَوْقِهِ

* * *

وقال أبو الحسن :
مَرَضَ حَسَّانَ بْنَ بَجْدَلِ الْكَلْبِيِّ^(١١) وَمَنْظُورَ بْنَ زَيْدِ أَحْوَبِ بْنِ عَبْدِ وَدٍّ مِنْ كَلْبٍ مَرَضًا
شَدِيدًا ، فَعَادَهُمَا عَبْدُ الْمَلِكِ ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدَهُمَا تَمَثَّلَ :
[الوافر]
وَمَالِي فِي دِمَشْقٍ وَلَا قَرَاهَا مَبِيتٌ إِنْ عَرَضْتُ وَلَا مَقِيلٌ
وَمَالِي بَعْدَ حَسَّانِ صَدِيقٌ وَمَالِي بَعْدَ مَنْظُورِ خَلِيلٌ

* * *

وقال أبو الحسن :
لَمَّا وَلِيَ بَشْرُ بْنُ مَرْوَانَ الْبَصْرَةَ أَتَاهُ الْفَرَزْدُقُ ، وَلَمْ يَكُنْ أَتَاهُ بِالْكُوفَةِ ، وَكَانَ بِشْرٌ عَلَيْهِ
وَاجِدًا . وَقَدَّمَ بِشْرٌ الْبَصْرَةَ فَمَرَضَ فَقَالَ الْفَرَزْدُقُ حَيْثُ قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ . [البسيط]
لَوْ أَنِّي كُنْتُ ذَا نَفْسَيْنِ إِنْ هَلَكْتُ

إِخْدَاهُمَا يَقِيْتُ أَحْرَى لِمَنْ غَبَرَا
إِذَنْ لَجِثْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ وَجَلٍ وَمَا وَجَدْتُ حِمَامًا يَغْلِبُ الْقَدْرَا
لَهُ يَدٌ يَغْلِبُ الْمُعْطِينَ نَائِلَهَا إِذَا تَرَوَّحَ لِلْمَعْرُوفِ أَوْ بَكْرَا
تَعُدُّو الرِّيَاحَ وَتُنْسِي وَهِيَ قَاتِرَةٌ وَأَنْتَ ذُو نَائِلٍ يُنْسِي وَمَا قَرَأَ^(١٢)

* * *

وقال :
دَخَلَ كَثِيرٌ عَزَّةَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ وَهُوَ مَرِيضٌ ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ :
ها هنا ، وَأَجْلَسَهُ مِنْ وَرَائِهِ ، فَقَالَ كَثِيرٌ^(١٣) :
[الكامل]
وَنَعُوذُ سَيِّدَنَا وَ سَيِّدَ غَيْرِنَا لَيْتَ التَّشْكِي كَانَ بِالْعُودِ

(١١) حَسَّانُ هَذَا أَحَدُ وِلَاةِ بَنِي أُمَيَّةَ عَلَى فِلَسْطِينَ وَالْأُرْدُنِ . الْحَيَوَانَ : ٣ - ٥٠٩ .

(١٢) دِيوَانَ الْفَرَزْدُقِ : ٢٨٩ .

(١٣) حَصَلَ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ فِي أَرْقَامِ صَفْحَاتِ (م) فَكَانَ التَّرْتِيبُ بَعْدَ ص : ٢٠٠ كَالآتِي : ٢٠٥ ،
١٠٦ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧ وَهُوَ آخِرُ نَسْخَةِ الرِّبَاطِ (م) . وَقَدْ عُدْنَا لَنَا الْأَرْقَامَ

لَوْ كَانَ يَقْبَلُ فِدْيَةَ لَفَدَيْتُهُ بِالْمُصْطَفَى مِنْ طَارِفِي وَتَلَادِي

قال أبو العباس :

وهذا الشعر غلط ، إنما هو لجرير في الوليد بن عبد الملك وفيها يقول :

وَدَعَا الْخَلِيفَةَ فَاسْتَجِيبْ دُعَاؤَهُ

وَاللَّهِ يَسْمَعُ دَعْوَةَ الْأَجْنَادِ

* * *

وتحدث أبو الحسن عن حماد الراوية قال :

حدثني العريان بن الهيثم قال :

بعثنى أباي إلى شبيب بن ربيعة أسأل به وهو مريض ، وهو بين ابنتين له كأنهما الشمس

يقلبان ، فقلت يقول لك أخوك الهيثم : كيف تجدك ؟

[الطويل]

فقال متمثلاً :

ثُمَّنِي ابْتَسَى أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رَيْعَةَ أَوْمَضَّرَ

وَنَادِيَتَيْنِ تَنْدَبَانِ بِعَاقِلٍ أَحَابِقَةٍ لَا عَيْنَ مِنْهُ وَلَا أَنْزَرَ

فَقَوْمًا فَقَوْلًا بِالَّذِي قَدْ عَلِمْتُمَا وَلَا نَحْمِشًا وَجْهًا وَلَا نَحْلِقًا شَعْرَ

وَقَوْلًا هُوَ الْمَرْءُ الَّذِي لَا حَمِيمَةَ أَصْنَاعَ وَلَا حَانَ الصَّدِيقِ وَلَا غَدَرَ

إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا

وَمَنْ يَنْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اغْتَلَزَ^(١٤)

ثم قال :

ما فعل الحجاج ؟

فأخبرته . ثم أتيت أبي فأعلمته ، فلما رُحْنَا إلى الحجاج قال :

ما فعل شبيب ؟

قال أبي :

أتاه العريان اليوم عائداً . فسألني فحدثته الحديث .

فقال الحجاج :

لا تبتعد العرب ! ثم قال :

ويحكم يا أهل العراق ، إنكم لأنتم الناس لولا ما شملكم من هذا الرأي الحبيث .

(١٤) شرح ديوان لييد بن ربيعة العامري . القسم الثالث : ٢١٣ ، ٢١٤ .

[بِلاغٌ وعِظَةٌ]

قال أبو العباس محمد بن يزيد :
قد أكثرنا في المراثي والمواعظ من بين شعرٍ وكلامٍ نثرٍ ورسالةٍ وغير ذلك مما يتصل به .
والمراثي وأسبابها باقية مع الناس أبداً ، إذ كانت الفجائع لا تنقضى إلا بانقضاء
المصائب ، ولا يفتنى ذلك إلا بفناء الأرض ومن عليها ، ولا إله إلا الله الحى الذى لا
يموت . ونحن نختم ذلك بأبيات نجمع فيها من كل إن شاء الله ، وبه الحول والقوة .
ثم نبتدىء شيئاً غيره ، فإن الإكثار سرفٌ ، كما أن التقصير كالعجز ، وفيما أملتياه بلاغٌ
وعِظَةٌ إن شاء الله تعالى .

* * *

قال عبد العزيز بن عبد الرحيم بن جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس
ابن عبد المطلب يرثى أباه . وكان أبوه جليلاً من بنى هاشم له أدبٌ وعارضة ، وبلاغة
ونجدة وبيان فولاه أمير المؤمنين المعتصم بالله العيّن ، ثم ولى - بعد أن طال مُكثه بها -
إيتاخ^(١) ذلك البلد ، فولى إيتاخ عليها الشار^(٢) ، فحمل إليه الشار عبد الرحيم ، فطلبه
إيتاخ بالخراج وحبسه لامتناعه عليه ، فمات في السجن بعد مدة .

وكان عبد العزيز أجَلُّ بنيه ، وقد ولى الولايات ، وكان شاعراً مقلماً وخطيباً
مصقماً ، فقال يرثى أباه قولاً أعرب فيه فأفصح ، وأعرب فيه فلم يفحش ، ولكنه
خرج أحسن الخروج من كلام ميسوط ومعان مفهومة وهو قوله : [الطويل]
أشدُّ أيها التاعى وإن كُنْتُ لا تُدرى بِكُنْهِ الَّذِي تَنعَى مِنَ الدِّينِ وَالْقَدْرِ
وَمَنْ رُكِنَ أَرْكَانِ الْمُلُوكِ الَّذِي بِهِ تُلَوِّذُ إِذَا حَلَّ الْجَسِيمُ مِنَ الْأَمْرِ
هَوَى فَهَوَتْ أَرْكَانُ عِزِّ وَأَعْوَزَتْ تُغَوَّرُ بِهِ كَانَتْ أَوَامِنَ لِلدُّغْرِ
وَمَنْ يُلْبَسِ الْأَقْفَارَ أَمَّا بِدُكْرِهِ

وَيَكْشِفُ عَنْهَا طُخْيَةَ الدُّلِّ وَالْفَقْرِ
وَمَنْ كَانَ إِنْ أَرْضٍ مِنَ الْمَخْلِ أَظْلَمَتْ
رَمَاهَا بَأَنْفَى لِلظَّلَامِ مِنَ الْفَجْرِ

(١) إيتاخ التركي مملوك اشتراه المعتصم ومكثه من الحكم وجعل له مكانة في الدولة وبهيد القتل
والحبس ، ولما تولى أمير المؤمنين المتوكل أمر بقتله سنة ٢٣٥هـ الأغاني : ٧ - ١٨٤ .
(٢) مملوك كان مقرباً لإيتاخ اسمه هرثمة شارباميان .. ولاه إيتاخ العيّن سنة ٢٢٩هـ .

بِوَجْهِ كَأَنَّ الْبَدْرَ فَوْقَ جَيْبِهِ

وَبَدَلِ لَهَى الْأَمْوَالِ بِالتَّائِلِ الْعُمْرِ^(٣)

وَلَوْرِبْهَاءٍ كَأَنَّ أَبْهَى مِنَ الْبَدْرِ^(٤)
إِذَا غَيْرَ الْبَدْرِ الْمُحَاقُ مِنَ الشَّهْرِ
إِذَا كَانَ بَعْضُ الْمَنْعِ بِالنَّظَرِ الشَّرِّ^(٥)
فَلَمْ تَرَ إِلَّا عَارِفًا غَيْرَ ذِي نُكْرٍ

نَحَافٍ بِأَذْنَاهُنَّ قَاصِمَةَ الظَّهْرِ
تَعَالَى عَلَى أَكْثَافِهَا فَلَقِيَ الصَّخْرِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الصَّبْرِ غَيْبٌ عَلَى الْحُرِّ
وَلَا مِثْلُ مَا أُنْحَتَ عَلَيْنَا يَدُ الدَّهْرِ
أَذْمَتُ بِمَحْمُودِ الْجَلَادَةِ وَالصَّبْرِ
بِمَنْ كَانَ ذَا دِينٍ وَمَعْرِفَةٍ يُورَى^(٦)
وَصَاقَ بِمَا قَدْ جَلَّ مِنْ حَدَثِ صَدْرِي
عَلَيْهِ لِكَيْلَا يَتَّعِلِنِي أَوْلُو الْفَخْرِ
تَرَدَّدُ مَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالصَّدْرِ
حَيَازِيمُ ضَاقَتْ لِلشَّيْخِ الَّذِي يَقْرَى^(٧)

بِغَيْرِ مَعِيٍّ بِالذُّمُوعِ وَلَا نَسْرٍ
لَنَا الطَّيْرُ لَوْ كَانَتْ مَدَامِعُهَا تُجْرَى
وغيرَهُمَا مِنْ سَاكِنِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
رَكِبْتُ بِنَفْسِي كُلَّ مُسْتَصْعَبٍ وَغَرِّ

وَجُودٍ يَبْدُو الْمَجْدَ وَالْجُودَ قَبْلَهُ
تَزِيدُ اللَّيَالِي وَالْخُطُوبُ ضِيَاءَهُ
وَيَبْسُطُ بِالْعُرْفِ الْعَفَاةَ تَهْلُلاً
فَأَبْكَ تَعْنَى بِالصِّفَاتِ عَنِ اسْمِهِ
وَأَنَا لِمُعْتَادٍ رَزَايَا عَظِيمَةٍ
يَظَلُّ لَهَا مِنَّا رَجَالٌ كَأَنَّمَا
فَتَصْبِرُ حَتَّى تَنْجَلِي غَمَرَاتِهَا
تَجِلُّ مُصِيبَاتٌ وَتَغْرُو نَوَائِبُ
لَقَدْ عَرَكْنَا لِلزَّمَانِ مُلْمَةً
وَذَلِكَ أَنَّ الصَّبْرَ اصْبَحَ بَعْدَهُ
فَلَمَّا رَأَيْتُ الصَّبْرَ يُزْرَى بِأَهْلِهِ
وَأَنَّ الْبِكَاءَ فَخْرٌ بِكَيْتِ بَعُولَةٍ
وَرَوَّحْتُ بَعْدَ الْيَأْسِ وَالصَّبْرِ زَفْرَةً
حِينًا كَمَا حَنَّ الْيَرَاغُ يَرُدُّهُ

وَحَلَيْتُ أَسْرَابَ الدُّمُوعِ فَأَمْطَرْتُ
وَقُلْتُ لَهُ مِنَّا الْبِكَاءُ وَقَدْ بَكَتُ
بِكَيِّ الثَّقَلَانِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فَقَدَهُ
وَأَفْسِمُ لَوْلَا حَشِيَّةُ اللَّهِ وَخَدَهُ
بِعَمُوتِكَ يَا عَبْدَ الرَّحِيمِ بِنِ جَعْفَرٍ

تَرَائِلُ شَعْبِ الْمَلِكِ عَنِ أَفْحَشِ الْكَسْرِ^(٨)

(٣) اللهي : المطايا . (٤) بد : فاق .

(٥) العرف : المعروف .

(٦) هذا البيت من ل .

(٧) حيازيم : جمع حيزوم ، وهو وسط الصدر . والنشيج : البكاء والانتحاب . وفري الشيء يفريه وأفراه إذا شقه .

(٨) شعب الملك : صدعه . يقال : التأم شعبهم : أى تجمعوا

يَطِيرُ شَطَايَا لَا تَلَاءَمُ بِالْجَبْرِ
 وَجُدَّعْ أَنْفَ الْعَرْفِينَا إِلَى الْحَشْرِ^(٩)
 أَنْفَاتُ نَهَا الْأَعْتَاقَ مِنْ أُمَّمِ الْكُفْرِ
 وَأَغْضَى بِكَ الْإِسْلَامَ عَيْنَا عَلَى وَثْرِ^(١٠)
 تَوَكَّفُ فِيهِ مِثْلُ رَاغِيَةِ الْبَكْرِ
 عَوَاقِبُهُ قَتْلَ يَجَلُ عَنِ النَّسْرِ^(١١)
 فَقَدْ - وَأَبَى - قَرَّتْ عُيُونُ دَوَى الْعَمْرِ
 وَلَا الْمَوْتُ فَلْتَفْرِ الْحَوَادِثُ مَا تَفْرِى
 وَعَشْرَةَ ذَهْرٍ أَمْتْنَا مِنَ الْعَطْرِ
 بَكَيْنَا عَلَيْهِ بِالرُّدَيْنِيَةِ السُّمْرِ
 دَمَ عَانَدٌ يَيْشَالُ بِالْعَلَقِ الْحُمْرِ
 كَوَاسِرُ عُقْبَانٍ نَوَاهِضَ عَنِ قَدْرِ^(١٢)
 فَلَايَا تَبِينُ الْكُمْتُ فِيهَا مِنَ الشُّقْرِ^(١٣)
 كَوَاكِينَا بِالْمُهْدَوَانِيَةِ الْبَثْرِ
 فَيَلَا وَنَارُ الْحَرْبِ ثَابِتَةُ الْجَمْرِ
 كَمَاةٍ وَوَقَعَ الْمَشْرِقِيَّةِ بِالْهَنْبْرِ
 وَأَحْرَ وَقَدَّمَ بِالْوَعِيدِ وَبِالزُّجْرِ
 وَآخَرَ تَفْرِيهِ الْحَوَامِي وَمَا يَدْرِى^(١٤)
 وَيَفْضَحْنَ هَامَا مِنْ حَجَاجِحَةِ زُهْرِ^(١٥)
 وَلَوْ نَيْطَ بِالْعَيْوُقِ أَوْ نَيْطَ بِالنَّسْرِ^(١٦)

وَصَارَتْ بُنَاةُ الدِّينِ بَعْدَكَ صَدْعُهَا
 بِمَوْتِكَ مَاتَ الْجُودُ وَانْجَدَ كُلُّهُ
 لَقَدْ هَدَى رُكْنَ الدِّينِ مَوْتُكَ هَدَى
 وَأَبْلَسَ إِبْلَاسَ الْمَذَلَّةِ دَيْتْنَا
 وَأَضَحَتْ قُلُوبُ الْمُسْلِمِينَ مَرِيضَةً
 وَقَدْ وَجَدَ الْأَعْدَاءُ فِي الْمَلِكِ مَطْعَنَا
 فَلَا مَنَّا الْأَعْدَاءُ عَشْرَةَ ذَهْرًا
 رِزْقًا امْرَأًا لَا نَحْفُلُ الدَّهْرَ بَعْدَهُ
 فَفَلَّ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِنْ رِزْيَةِ
 فَوَاكِبِدَا لَوْى الْوَعَى كَانَ مَوْتُهُ
 وَبِالْيَضْرِ وَالْمَرْفُوعَةِ الرُّزْقِ دَمْعُهَا
 وَبِالْخَيْلِ يَغْلُكُنُ الشُّكِيمَ كَأَنَّهَا
 يَحْضَنُ نَجِيحًا مَاتَرًا بَعْدَ جَامِدِ
 وَاضْحَى نَهَارُ النَّاسِ لَيْلًا وَالْمَعْتِ
 وَلَمْ يُعْنِ ضَوْءُ الشَّمْسِ فِي قَسْطِلِ الْوَعَى
 وَأَحْمَدَتْ الْأَصْوَاتُ إِلَّا عَمَّاغِمَ الـ
 وَخَلَدَهَا أَيَا ابْنِ الْأَكْرَمِينَ وَخَلَدِيهَا
 فَمِنْ مَقْصَرٍ يَغْطُو بِفَضْلِ حُشَاشَةِ
 يُفَرِّقُنَ أَوْصَالَ كِرَامَا أَعِزَّةً
 وَقَمْنَا إِلَى النَّارِ الْمُتَمِيمِ فَلَمْ يَلِ

(٩) هذا البيت والذي قبله من ل .

(١٠) الإبلان : الانكسار .

(١١) م : الشطر الثاني : فتك يجلي عن السير .

(١٢) ل : يعلكن الشكيم . ومعناه : يمضغن . ومعنى نواهض : مددن أعناقهم .

(١٣) ل : تبين ، الكميت : الفرس لونه بين الأسود والأحمر . والأشقر : اللون الأبيض المشروب

بجمرة .

(١٤) القمص : القتل السريع .

(١٥) الفَضْحُ : كسر كل شيء أجوف كالرأس .

(١٦) العيوق والنسر : نجمان معروفان .

فَكُنَّا وَإِنْ لَمْ نُوفِ مِنْ شَيْخِنَا دَمًا
وَنَهْدًا نَفْسًا مَا تَلَأَى جُفُونُهَا
وَلَكِنْ وَقَيْتَاهُ الْقَتَا بِنُحُورِنَا
فِيابِنِ الثَّبِي الْمُصْطَقَى وَابْنِ عَمِّهِ
وَيَابِنِ الْحِيَارِ اللَّهِ مِنْ آلِ آدَمِ
وَيَابِنِ عَلِيٍّ بَعْدُ وَالْحَسَنِ الَّذِي
وَيَابِنِ سُلَيْمَانَ الَّذِي كَانَ مَوْلَاً
وَمِنْ مَلَأِ الدُّنْيَا بَهَاءً وَنَائِلًا
تَعَزَّ بِمَا قَدْ نَأَلْنَا مِنْ رَزِيَّةٍ
فَإِنْ مِتَّ فِي حَبْسِ الْخَلِيفَةِ صَابِرًا
فَكَمْ مِنْ عَدُوٍّ لِلْخَلِيفَةِ قَدْ هَوَى
قَلْبًا أَوْرَقَتْ شَجَرَاءُ أَرْضِ وَلَا دَحَا
فَقُلْ لِلْمَتَائِبِ وَالْمَتَالِفِ اغْصِفَا
وَقُلْ لِلْأَعَادِي اغْلِنُوا الْآنَ أُوذَعُوا
سَوَاءً عَلَيْنَا الْمُسْتَسِيرُ وَذُو الْجَهْرِ^(١٨) .

تم الكتاب بحمد الله ومنه ، وصلى الله على ملائحته المقربين وأنبيائه المرسلين
أجمعين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .
وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم .
كتب بالكرك المحروس في مستهل الحجة من شهر سنة سبع وخمسين وسبعمائة .
وهذا تمت مخطوطة الرباط التي رمزنا لها بالحرف (م) .
ونكمل الكتاب بما بقي في نسخة مكتبة الأسكوريال التي رمزنا لها بالحرف (ل)
والله الموفق .

(١٧) المتأيا : الموت . والمتألف : المهالك ، وفي ل : التألف . واعصفا : اشتدا والمقصود من قوله
لا يريش ولا يبرى : أى لا ينفع ولا يضر . في الأصل : راش : جعل له ريش ويستخدم في النبل .
وبرى السهم : نحته .

(١٨) ل : اعلموا . الآن : ليست موجودة في م .

وقال أحمد بن محمد الخثعمي^(١٩) يرثي إبراهيم بن سعيد الجيمري : [الخفيف]
أَيُّهَا النَّاعِمَانِ [مَنْ تَعَيَّانِ] ؟ وَعَلَى مَنْ أَرَاكُمَا تَبْكِيَانِ^(٢٠)
أَيُّهَا الثَّقَابُ الزَّنَادِ أَبَا إِسْحَاقَ الْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانَ
إِرْجَمَايَ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمَا عَقْدُ نَدَى مِنْ نَدَاهُ لَوْ تَعْلَمَانِ
فَأَلْصَحَا مِنْ دَمِي عَلَيْهِ فَقَدْ كَا مَارَأَيْتَاكَ عَامِرَ الْأَعْطَانِ^(٢١)
فَكَأْنَا وَلَمْ يَطُلْ بِكَ عَهْدُ وَعَسَاوِ مَثْوَوَاتِهِ وَجِفَانِ^(٢٢)
يَنْ أَدَمِ ثَدْمِي وَرَكِبِ مَيْخِ بَحْفِيزِ الْكَلَامِ فِي الصَّفَانِ
صَلَّصَلِ الصَّوْثُ فِي صَفَاتِكَ بِالرَّدِّ وَعَدِيمِ الْأَبْعَاعِ يَوْمَ الرَّهَانِ
مُسْمِعِ الْقِدْحِ مِنْ خِطَارِ وَقُودِ لِمُ وَقَاضَتْ مَنَاهِلُ الْحَدَثَانِ^(٢٣)
لَيْتَ أَنَا فِدَاكَ إِذْ قَسَى الطُّ شُ حَيْثُ السُّرَى وَلَيْسَ بِوَانِ
فَقَدْ ظَاعِنًا يَحُثُّ بِهِ التُّغْمُ وَقَعُودُ بَاقِي عَلَى الرَّقْلَانِ
سَفَرِ شَامِعٍ وَحَادٍ مُجِيدُ نَ حَلِيهَا السُّطُورِ مِنْ قُحْطَانِ
شَرِبَ الْمَوْتُ مِنْهُ مَخْضَهُ ذُو مَنِ الدَّمِّ فِيهِ وَالْأَضْفَانِ
أَيُّهَا الْمَوْتُ قَدْ نَهَضْتَ بِحِمْلِي وَبِسْفَلِي الْكَيْبِ مِنْ عُسْفَانِ^(٢٤)
قَمِّ بِأَعْلَى الْبِقَاعِ مِنْ غَمْدَانِ قِي بِيَاكِ وَنَادِبِ ثُكْلَانِ
هَلْ تَرَى غَيْرَ مَجْلِسِ صَحْبِ الْأَفْ رَكَدَ الرَّجُحُ فِي مَكَانِ السَّنَانِ^(٢٥)
وَتَرَى غَيْرَ ذَابِلِ سَمَهَرِي بَ قَلِيلِ السُّمُورِ فِي الْهَدْرَانِ^(٢٦)
وَتَرَى غَيْرَ مُقَرَّمِ نَاصِلِ الثَّنَا لْ هَدِيمِ يَعْثُ فِي قَدْحِ الثُّكْ

(١٩) ل : محمد بن أحمد والتصحيح من أمالي القالي : ٢ - ٢٧٨ انظر ترجمة المهلب بن أبي صفرة
فقد أورد ابن خلكان البيتين ٣ ، ٤ ، ونسبها إلى أحمد بن محمد الخثعمي كما جاء في (معجم الشعراء)
للرمزباني . ووفيات الأعيان : ٥ : ٣٥٦

(٢٠) [من تعيان نقص صحح من المرجعين المتقدمين] .

(٢١) ، (٢٢) إنك كريم ويدل عليه خلو مكان الإبل منها لأنك كرمت بها ضيفانك فذبحتها لهم
وملأت بها القداح الضخمة .

(٢٣) طم طموما : كثر حتى عظم أي فنى الجميع ، المعجم الوسيط : ٢ - ٥٧٢ .

(٢٤) غمدان : قصر بصنعاء . وعسفان : قرية قرب مكة . (٢٥) الذبل والسهمري صفتان
للسيف معناهما : الدقيق الصنع والصليب العود . المعجم الوسيط : ذبل وسهمر . والزج : الحديد
التي أسفل الرح .

(٢٦) القرم : من الفحول الذي يترك من الركوب والعمل ويودع للضراب : المعجم الوسيط

[من مرثي الجاهلية^(١)]

[حرب داحس والغبراء]

ومن المرثي المُستحسنة المقدمة ، ونحتاج أن نذكر معها خبرها :
هو أن مالك بن زهير بن رَواحة بن جَذِيمة العَبَسِيّ^(٢) - وكان من أشرف بني
عبس ، وجَذِيمة منهم - قُتِلَ في حرب داحس ، وكان جانيها أخوه قيس بن زهير فَتَشَبَّهَتْ
بينهم فيما ذكر أربعين سنة ، وتشاءم بهم قومهم ، فوجَّه قيس جاريته لتعلم ما عند
الربيع بن زياد العَبَسِيّ^(٣) ولتعلم أيعضب لهذا الحديث فَيَقْوَى به أو يستهين ، فرأت
عنده أكثر مما أحب ، فرجعت إليه فقالت :
سمعت عويلا منه دون نساءه ، وحركة أكثر من حركة جميع الحى ، وهو يقول :

[الكامل]

مَنَعَ الرَّقَادُ فَمَا أَعْمَضُ حَارِ جَلَلٌ مِنَ النَّبَأِ الْمُهْمِ السَّارِي
مِنْ مِثْلِهِ ثُمْسِي النَّسَاءِ حَوَاسِرًا فَتَقُومُ مَقُولَةً مَعَ الْأَسْحَارِ
مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكِ فَيَأْتِ نِسْوَتَنَا بِوَجْهِ نَهَارِ^(٤)
تأويل هذا البيت : أنه إذا رأى ما يُصْنَعُ عليه من الجزع ، عَلِمَ أَنَّ ثَارَ مثله لا يُتْرَكُ .
يَجِدُ النَّسَاءَ حَوَاسِرًا يَنْدُبْنَهُ يَضْرِبْنَ أَوْجُهَهُنَّ بِالْأَسْحَارِ
يَخْمِشْنَ حُرَّ وَجُوهِهِنَّ عَلَى فَتَى سَهْلَ الْخَلِيقَةِ طِيبِ الْأَخْبَارِ^(٥)
فَدَكُنَّ يَكُنُنَّ الْوُجُوهَ نَسْتَرًا فَالآنَ حِينَ بَدَوْنَ لِلنَّظَارِ

(١) داحس والغبراء فرسان كانا في سباق وبسببهما قامت الحرب أربعين سنة في الجاهلية .
(٢) من أخبار مالك هذا ما جاءت في الحماسة لإبي تمام : ١ - ٤١١ ، ٤١٢ ، وغيرها من الكتب
التي تعرضت لهذا .

(٣) الربيع بن زياد العَبَسِيّ شاعر جاهلي كان نديما للنعمان بن المنذر وله مع ليبيد بن ربيعة العامري
الشاعر وغيره أخبار يطول ذكرها . الحماسة : ١ - ١٨٦ .

(٤) وجه النهار : أى أوله . والمعنى من سره قتل مالك فليجئ إلى نساتنا فيرى ما هن فيه من
الحزن والصراخ والعويل . وبدأ الشاعر هذه الأبيات بقوله :

إِنِّي أَرَقْتُ فَلَمْ أَعْمَضْ حَارِ مِنْ سَيِّئِ النَّبَأِ الْجَلِيلِ السَّارِي

الأرق : قلة النوم . وحار : مرخم حارث حيث حذف الحرف الأخير .

(٥) في الحماسة يضربن بدل يخمشن وحر الوجه : خالصة والأبيات في الحماسة : ١ - ٤٢ .

أَبْعَدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ تَرْجُو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ
قوله : أبعد مقتل مالك بن زهير ، مُزَاحَفٌ نَائِصٌ جُزْءًا ، وهذا في هذه العروض
جائز ، وهي التي يقال لها : المقطوعة في الكامل ونظيره قول حُمَيْدِ بْنِ ثَوْرٍ (٦) :

[الكامل]

أَبْلُغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ طَبَّ يَلُومُ الْمُسْتَلِيمَ وَيَعْتَذِرُ
أَتَى كَبْرَتُكَ وَأَنَّ كُلَّ كَيْبِرٍ مِمَّا يُظَنُّ بِهِ يَمَلُّ وَيُقْبَرُ (٧)

رجع الشعر :

مَا إِنْ أَرَى فِي قَلْبِهِ لِدَوَى الْقَوَى

إِلَّا الْمَطْيَى تُشَدُّ بِالْأَكْوَارِ (٨)

وَمُجَنَّبَاتٍ مَا يَذْفَنُ عَدُوْفًا يُجْهَضُنَّ بِالْمَهْرَاتِ وَالْأَمْهَارِ (٩)

هذا مثل البيت المزاحف . يقال : ما ذقت عدوفاً ولا عُدافاً ، ولا لَمَاطاً ولا لَمَاقاً ،

وكل هذا في معنى لم أذق شيئاً

وَقَوَارِيسًا صَدَأَ الْحَدِيدُ عَلَيْهِمْ فَكَأَنَّمَا طَلَى الرَّجُوهُ بِقَارِ
وَيَفُوزُ كُلُّ مَقْلَصٍ مِنْ خَيْلِنَا سَلِسِ الْقِيَادِ مُعَاقِدِ التَّكْرَارِ
حَتَّى يُبِيرَ بِيَدِي الْمُرْتِيبِ غُدُوَّةً بَدْرًا وَتَعْتَذِرُ مِنْ يَنِي سَيَّارِ

يدر : ابن عمرو الفزاري ، وبنو سَيَّارِ بن زَبَانَ الفزاري قتلوا ابن عمهم وحرابوهم
عَدْرًا بغير دم ولا افتقار .

وَلَرُبَّ مَسْرُورٍ بِمَقْتَلِ مَالِكِ كَلًّا وَرَبِّ الْبَيْتِ ذِي الْأَسْرَارِ
حَتَّى يُبِيرَ بِمَالِكِ سَرَوَاتِهِمْ حَمَلًا وَفَارِسَهُمْ أَبَا حَجَّارِ (١٠)

(٦) هو حميد بن ثور الهلالي كان في الجاهلية ، شهد معركة مع المشركين ثم أسلم ووفد على رسول
الله ﷺ ، وكان شاعراً مجيداً جميل المعاني عذب الألفاظ وله هجاء حبيث . أدرك حميد خلافة

عثمان وقد أسن . (انظر تاريخ الأدب العربي لفروخ : ١ : ٢٨٦)

(٧) لم نعثر على هذين البيتين في ديوانه .

(٨) الأكوار : جمع كور وهو الرحل .

(٩) المجنبات من الخيل ما تجنب إلى الإبل في الغزو ، والعذوق : أدنى ما يؤكل .

(١٠) الأبيات في الحماسة لأبي تمام : ٤١١ - ٤١٣ .

حمل بن بدر وكان من فرسانهم وشجعانهم ، وهو الذى يقول فيه القائل فى هذه القصة
بعد أن قتل :

[الوافر]
وَلَكِنَّ الْفَتَى حَمَلُ بَنِ بَدْرِ بَعَى وَالْبَعَى مَصْرَعُهُ وَحَيْمُ

وأبو حجار : مالك بن حمار الشَّمخِي ، وبنو شَمخ من فزارة وفزارة بن ذبيان بن
بغيع بن ريث بن غطفان ، وبنو عيس بن بغيع بن ريث ، فكان عيس وذبيان
أخوين ، وكانت حربهم أربعين سنة .

[حرب الأوس والخزرج]

وحرب الأنصار - الأوس والخزرج ابني حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر - كانت
أكثر من هذا فيما ذكرت الرواية ، وكانت لا تزال تغبر .

وروى عن رسول الله ﷺ : دُرِبُوا لِي بِالْحُرُوبِ حَتَّى دَرَبُوا .
وقالت عائشة رضى الله عنها :

قدمنا عليهم والجراح تنطف^(١) دما من حرب بُعاث .

فحرب الأنصار : حرب بُعاث ، وحرب ابني بغيع : حرب داحس والغبراء ، وحرب
بكر وتغلب تسمى : البسوس .

[رثاء البصرة وثورة الزوج]

وقال أبو ناظرة السدوسي ، وكان رجلاً من أهل العلم والمعرفة بكلام العرب ، وحسن التصرف فيه ، يرثي البصرة وأهلها بكلام عربي فصيح ينبيء أنه كلامٌ موجهٌ يخرج عن نية صادقة من ألسان رجل لا عجز يقعد عن بلوغ الحاجة ، ولا اسراف في قوله وتمحل يتجاوز به القدر :

مَنَّا زَلْنَا هَلْ مِنْ إِيَابِ مُؤَمِّلٍ وَإِلَيْكَ إِذَا مَا آبَ كُلُّ غَرِيبٍ
وَهَلْ نَحْنُ يَوْمًا عَائِدُونَ ذَوِي غَنَى وَتَمْتَجِعُ لِلْمُعْتَمِرِينَ خَصِيبِ
وَأَذِنَةٌ فِي كُلِّ حَتَّى يَزِينَهَا نَقَاءُ جُيُوبٍ مِنْهُمْ وَغُيُوبِ
وَحَلْمٌ وَعِلْمٌ لَيْسَ بِالتَّزْرِ فِيهِمْ فَلَا يَظُنُّونَ مَسْعَاهُ مَشُوبِ؟
وَقُلْ لِدَعَاةِ الشَّمْسِ هَلْ مِنْ تَشْهَدِ لَوَقْتِ صَبَاحٍ أَوْ لَوَقْتِ غُرُوبِ
نُحْنُ - وَلَمْ نَظَلِمَ - إِلَيْكَ صَبَابَةٌ تَفُتَّتْ أَجْبَادُ لَنَا وَقُلُوبِ
وَقُلْ غَنَاءَ غَبْرَةَ مُسْتَهْلَةً تَرَقَّرُ مِنْ عَيْنِ عَلَيْكَ سَكُوبِ
أَبِي الصَّبْرِ تِدْكَارُ الدِّيَارِ الَّتِي خَلَتْ مَجَالِسُهَا مِنْ سُودِدٍ وَخَطُوبِ
وَمَعْدَى ذَوِي الْحَاجَاتِ فِي كُلِّ شَارِقِ إِلَى كُلِّ مَعْشَى الْفَنَاءِ مَهِيبِ
وَكُلِّ مَطَاعٍ فِي الْعَشِيرَةِ مَاجِدِ مُعِينٍ عَلَى رَبِّبِ الزَّمَانِ وَهُوبِ
مَنَّا زَلْ فَارَقْنَا الْعُهُودَ وَلَمْ يَكُنْ مَعَانَا لِنَاقُوسٍ وَلَا لِصَلِيبِ
مَنَّا زَلْ قَوْمِ أَسْرَعِ السِّيفِ مِنْهُمْ إِلَى كُلِّ وَضَاحِ الْجَبِينِ نَجِيبِ
وَكُلِّ قَتَى يَزُورُوا إِلَى اللُّهُوِّ وَالصَّبَا جُرُورٍ لِأَذْيَالِ الشَّبَابِ سَحُوبِ
وَكُلِّ صَمِيمٍ مِنْ ذَوَابَةِ قَوْمِهِ كَرِيمٍ لِغَايَاتِ الْكِرَامِ طَلُوبِ
أَبُوا أَنْ يَرَى اللَّهُ الْهَوَادَةَ مِنْهُمْ لِأَعْضَةِ عَنْ دِينِ النَّبِيِّ نَكُوبِ
فَأَوْدَوْا وَقَدْ عَاشُوا كَرَامًا أَعْفَةً عَلَى قَتْنِ مَرْتٍ بِهِمْ وَخُرُوبِ
ثَغَابِهِمْ ضَرْبًا عَلَى الْهَامِ تَارَةً وَذَبْحًا بِأَقْسَى أَنْفُسِ وَقُلُوبِ
فَكَمَّ مِنْ رَحَى دَارَتْ وَكَمَّ مِنْ (مُصِيبَةِ)

تَوَالَتْ وَمِنْ يَوْمٍ هُنَاكَ عَصِيبِ
عَلَى أَلْفِ أَلْفٍ مِنْ مُلُوكٍ وَسُوقَةٍ تَوَوَّا بَيْنَ أَبْوَابِ لَهُمْ وَذُرُوبِ
مُفَلَّقَةٌ هَامَاتُهُمْ وَشَرِيدُهُمْ شَمَاطِيطُ شَتَّى أَوْجِهٍ وَسُرُوبِ^(١)

(١) الشاماطيط : الخليط : والشماطيط : قالوا : تفرق القوم شماطيط أي فرقا . المعجم الوسيط :

إلى غير راع يَرْجى النَّصْرَ عِنْدَهُ
عَبَادِيْدُ مِنْ نَاجٍ عَلَى جَذْمٍ بَغْلَةٌ
وَمِنْ رَاسِبٍ طَافَ عَلَى الْمَاءِ شِلْوَةٌ
فَيَا أَرْضَهُمْ أَحْلُوكِ فَبِكِي عَلَيْهِمْ
أَرَى كُلَّ قَوْمٍ لَا يَمِزَالُ مَطْنَةً
سِوَانَا فَإِنَا حَشَوُ كُلَّ مَدِينَةٍ
ذَوُو أَوْجِهٍ فِيهَا كَوَابٍ وَأَعْيُنِ
فَمَنْ رَامَ أَنْ يَتَعَاقَ مِنَّا حَدِيْقَةً
فَذُو الْعِزِّ مِنَّا مُسْتَكِينٌ وَذُو الْغِنَى
فَمَاحِلٌ بِالْإِسْلَامِ مِثْلُ مُصَابِنَا
وَكُنَّا وَلَمْ تُشَقِّقْ عَصَانَا وَلَمْ تُبِثْ
نَمِيْمَةً تُسْرِى إِلَيْنَا كَأَنَّمَا
يُقَصِّرُ عَنْ بَغْدَادِ كُلِّ فَضِيْلَةٍ
رِجَالًا وَمَا لَا نَعْرِفُ النَّاسُ فَضْلَهُ
فَلَا الْمِرْبَدُ الْمَعْمُورُ بِالْعِزِّ وَالنَّهْيِ
وَلَا قَصْرُ أَوْسٍ وَالْمَنَاخُ الَّذِي بِهِ
بِمُرْتَجِعٍ يَوْمًا وَلَا الْمَسْجِدُ الَّذِي
وَلَا قَائِمٌ لَللَّهِ أَنْاءٌ لَيْلِهِ
وَلَا عَائِدٌ ذَاكَ الْحَزِينُ كَعَهْدِهِ
وَلَا الشُّطُّ إِذْ فِيهِ لَنَا الْخَيْرُ كُلُّهُ
وَبِالْفَيْضِ وَالنَّهْرَيْنِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
وَإِذْ مَا تَرَاهُ مِنْ سَفِينٍ وَرَاكِبٍ
وَدِجَلَةٍ أَحْمَى جَانِبَيْهَا كِلَيْهِمَا
مُؤَلَّةٌ أَسْتَأْنَهُمْ وَعَيُّوْنَهُمْ

وَلَا عَطْنُ يُؤْوِي إِلَيْهِ رَحِيبٌ
وَمِنْ رَازِحٍ يَشْكُو الْكَلَالَ جَيْبٌ^(١)
وَذِي ظَمًا أَوْذَى بِهِ وَسُعُوبٌ^(٢)
وَجُودِي عَلَيْهِمْ بِاسْمَاءَ وَصُوبِي
مَنَازِلَهُمْ مِنْ آيِبٍ وَمُؤُوبٍ
وَأَلْقَاوَهَا مِنْ نَازِحٍ وَقَرِيبٍ
بَوَاكٍ وَقَفَرٍ ظَاهِرٍ وَشُحُوبٍ
مِنَ التَّخْلِ أَعْطَى دِرْهَمًا بَجَرِيبٍ
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ ذَا رُتْبَةٍ وَرَكُوبٍ
وَسُلْطَانِنَا لِلدَّيْنِ حَقُّ غُصُوبٍ
عَقَارَيْنَا فِيْنَا ذَوَاتِ دَبِيبٍ
ثَطَّائِنَا فِي مِصْرِنَا بِذُنُوبٍ
حُصِصْنَا بِهَا إِنْهَابُ كُلِّ حَطِيبٍ
عَلَى كُلِّ حَالٍ رَازِحٍ وَغَرِيبٍ
وَكُلُّ قَسِيٍّ لِلْمَكْرَمَاتِ كَسُوبٍ
وَمَا حَوْلَهُ مِنْ رَوْضَةٍ وَكَيْبِيبٍ
إِلَيْهِ تَنَاضَى عِلْمُ كُلِّ أَدِيبٍ
بِهِ كُلُّ أَوَاهٍ إِلَيْهِ مُنِيبٍ
لِكُلِّ مُسِينٍ حَوْلَهُ وَمُهَيْبٍ
وَإِذْ مَعْضَاهُ الدَّهْرُ غَيْرُ جَدِيبٍ
مَنَاطِرُ لَذَاتِ عَفْتٍ وَشُرُوبٍ
عَلَى ظَهْرِ مَتَقَادٍ إِلَيْهِ صُبُوبٍ
كَكَاتِبٍ زَنْجٍ كَالطَّنِينِ دُبُوبٍ
تَوَقَّدُ فِي كَهْرُورَةٍ وَقُطُوبٍ^(٤)

قوله (كهرورة) إنما هي القطوب والعبوس كما قال زيد الخيل^(٥)

(٢) عباديد : أرهاط متفرقة . الرازح : المتعب . (٣) الشلو : الجسد .

(٤) مؤللة أسنانهم : محدة الأطراف .

(٥) زيد الخيل لقبه لكثرة خيله واسمه زيد بن مهلهل من طيء كان شاعرا وخطيبا أسلم وسماه

الرسول ﷺ زيد الخير مات سنة ٥٩ هـ .

وَأَسْتُ بِدِي كَهْرُورَةَ غَيْرِ أُنْتِي إِذَا طَلَعَتْ أُولَى الْمُغِيرَةِ أَعْبَسُ^(٦)

[عود إلى القصيدة]

طَمَاطِمُ لَأَرْبُ لَهُمْ يَغْرِفُونَهُ
وَجُونِ نَوَاجٍ مَنَجِيَاتٍ لَوَاحِقِي
الجون : السود . يعني : الخيل . والمكوب :
تساجلتا فيها المنايا عبيدنا
أَسْلَبَهَا غَلْبًا ضَوَامِنَ لِلْقَرَى

يعنى النخل ، والأغلب : الغليظ [العنق]

جَدَاوِلُهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ وَوَلِيَّةِ
وَمَا التَّحُلُّ فِي أَجْلَانَا عَنْ كَوَاعِبِ
ومافى خيام الزنج من حُرِّ أَوْجِهِ
وَلَا ذُو مُحَامَاةٍ وَلَا ذُو حَفِيظَةٍ
عَلَى الثَّمَرِ الْمَفْجُوعِ أَرْبَابُهُ بِهِ
يَقُولُونَ حُشْرَى قَسَا مِنْ مَدَافِعِ
وَقَالُوا تَنَاسَوْهَا فَلَيْسَ بِعَائِدِ
وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ أَرَى ذَاكَ مِنْهُمْ
نَعَتْ أَرْضَنَا الدُّنْيَا إِنَّا وَأَذْبَرَتْ
وَمَا كَانَتْ الدُّنْيَا سِوَى الْبَلَدِ الَّذِي
وَمَا عَيْشُ هَذَا النَّاسِ بَعْدَ ذَهَابِهِ
إِذَا الدَّمْعُ لَمْ يُسْعِدْ كَيْبًا فَأُنْتِي
عَلَى دِمَنِ جَرْتِ بِهَا الرِّيحُ بَعْدَنَا
وَمَا كُلُّ بَصْرِي شَكَا بِمُقْتَدِ
وَلَوْ أَنَّ بَصْرِيَا بَكَى كُنْهَ شَجْوِهِ
فَمَنْ مِيلَعُ عَنِّي بَرْنَهَا وَرَهْطُهُ

ذَوَاتِ جُمُومٍ تَحْتَهَا وَتُضُوبِ
يُسَاقِطْنَ فِي ذَيْمُومَةٍ وَشَيْوِبِ؟
ذَوَاتِ وَسُومٍ فِيهِمْ وَتُكْدُوبِ^(٧)
وَلَكِنْ رَقِيبٌ مِنْ وَرَاءِ رَقِيبِ
عَلَى حَظَرٍ مِنْ مُجْتَنَاءِ عَجِيبِ
لَدَى مَشْهَدٍ مِنَّا وَلَا بِمَغِيبِ
تَجَاوَزُ أَحْيَاءِ بِهَا وَشُعُوبِ
وَاللَّذَهْرُ أَيَّامٌ (ها) .. وَحُطُوبِ
بِكُلِّ نَعِيمٍ فِي الْحَيَاةِ وَطِيبِ
خَلَا الْيَوْمَ مِنْ ذَاعٍ بِهِ وَمُجِيبِ
بِعَيْشٍ وَلَا مَغْنَامٍ بِرَغِيبِ^(٨)
سَابِكِي وَأَبْكِي الدَّفْرَ كُلَّ كَيْبِ
ذُبُولِ الْبَلَى مِنْ شَمَالٍ وَجُوبِ
وَلَا كُلُّ بَصْرِي بَكَى بِمَعِيبِ^(٩)
بَكَى بَدَمٍ حَتَّى الْمَمَاتِ صَبِيبِ
وَمَا أَنَا فِي حَيْبِهِمْ بِمُرِيبِ^(١٠)

(٦) اللسان : كلمة كهر . والتصحيح من الرسالة .

(٧) الوسوم : العلامات مفردها : وسم ، أو هي أثر الكى . والندوب : الجراح .

(٨) المعنى : المنزل . مفرد : مغان .

(٩) التفنيد : اللوم . (١٠) بريها : تصغير إبراهيم .

إِذَا أَتَيْتُمْ غَادِزْمُوها كَأَنَّها
فَلَا تَرْفَعُوا الْأَبْصَارَ إِلَّا كَلِيلَةً
فَيَا بَصِيرَ كَمْ مِنْ هَالِكٍ مَاكَ حَسْرَةً
يَظُلُّ شِعَاعًا قَلْبُهُ وَمَيْتُهُ
عَلَيْكَ سَلَامٌ اللَّهُ مِنَّا فَأَنْتَا
تَرَى الْعَيْشَ إِلَّا فِيكَ غَيْرَ حَيْبٍ

وقال عمرو بن الأслع يرثى أبا جُنَيْدِ بْنِ بَدْرٍ (١٥) أباه :

وَأَخِرُ حَاجَةِ السَّفَرِ الْوَدَاعُ
وَنَعْمَ الْقَوْمُ إِنْ قَوْمٌ أَضَاعُوا
وَشَرُّ حَدِيثٍ قَاتِلُهُ سَمَاعُ
تُجَاوَبُ فِي حَاجِرِهَا الْبِرَاعُ

[الكامل]

كَذَبُوا وَرَبَّ الْجَلِّ وَالْإِحْرَامِ
وَيَحْضُنُ كُلُّ مُذَكَّرٍ بِالْهَامِ
يَمَسُخُنَ عُرْضَ ذَوَائِبِ الْأَيَّامِ
مِمَّا يَرَى جَزَعًا عَلَى الْإِبْهَامِ
ضَرَبَ الْقُدَارِ تَقِيْعَةَ الْقُدَامِ (١٦)
أَحْوَالِنَا وَهُمْ بُوَ الْأَغْصَامِ

وقال مُهْلِلُ بْنُ رَيْبَةَ

قَلُّوا كَلِيًّا ثُمَّ قَالُوا إِرْبَعُوا
حَتَّى تُبِيدَ قَيْلَةً وَقَيْلَةً
وَتَجُولُ رَبَاثُ الْخُلُودِ حَوَاسِرًا
حَتَّى يَعْضُ الشَّيْخُ بَعْدَ حَمِيمِهِ
إِنَّا لَنَضْرِبُ بِالسُّيُوفِ رُؤُوسَهُمْ
وَلَقَدْ وَطَنَ يُّوْتُ يَشْكُرُ وَطَاءَةً

وقال أيضا :

[المديد]

يَا لَبَكْرٍ آيْنَ آيْنَ الْفِرَارُ؟
صَرَخَ الشَّرُّ وَيَبْكَانَ السَّرَارُ
قِصَّةٌ عَوْجَاءٌ فِيهَا اسْتَبَارُ
وَلَتِيْمَ اللَّاتِ سَيَّرُوا فَسَارُوا

يَا لَبَكْرٍ انشُرُوا لِي كَلِيًّا
بَلْكَ شَيْئَانِ تَقُولُ لَذْفَلِ
وَتَبُو يَشْكُرُ قَامُوا فَقَالُوا
وَتَبُو عَجَلِ تَقُولُ لَقَيْسِ

(١١) العريب : الفرد الواحد . (١٢) الغروب : الدموع .

(١٣) أبصر : ترخيم للبصرى ، صب : مشتاق (١٤) الشعاع : التفرق .

(١٥) حذيفة بن بدر : هو قاتل مالك بن زهير العيسى .

(١٦) القُدَار : الطباخ . التقيعة : الطعام الذى يبيأ للقادم من السفر .

[حرب البسوس]

وسمى بِعَقَبِ ذِكْرِ مُهْلَهْلِ هَذَا خَيْرَ وَقَائِعِهِمْ لِيَفْهَمَ بِجَرَى هَذِهِ الْمَرَائِي وَمَا يَتَّبِعُهَا مِنْ أَمْثَالِهَا مَنْ لَمْ يَفْهَمْهُ ، لِيَعْلَمَ أَنَّ هَذِهِ الْأَشْعَارَ يُنَبِّئُ عَلَى أَسَاسَاتٍ مِنْ حِكْمِ الْعَرَبِ ، تَفِيدُ أَمْثَالاً عَجِيبَةً وَمَذَاهِبَ غَزِيرَةً ، وَأَقْوَالاً عَلَى أُمُورٍ يُنْتَفَعُ بِهَا فِي مِثْلِ مَا قَصَدَ وَآلَهُ وَفِي غَيْرِهِ مِنْ غَيْرِ بَابِهِ . وَالْحَدِيثُ ذُو شَجُونٍ^(١) . وَبِاللَّهِ الْحَوْلُ وَالْقُوَّةُ .

بكر وتغلب - ابنا وائل - شعبان ضخمان سادهما جميعا كليب بن ربيعة التغلبي ، وهو الذى يقال له : كُليب وائل ، فيضرب به المثل ، حتى ادعت ربيعة في كليب أن العرب كلها تنقاد لشرفها وفيه يقول النابغة الجعدى^(٢) لرجل من أهله بغى وتعدى يُخَوِّفُهُ عُدْوَانَ الظَّلْمِ :

كَلَيْبٌ لَعْمَرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا وَأَهْوَنَ ذَنْبًا مِنْكَ ضُرَّجٌ بِالدَّمِ
رَمَى ضَرْعَ نَابٍ فَاسْتَحَرَّ بِطَعْنِهِ كَحَاشِيَةِ الثَّبْرِدِ الْيَمَانِيِّ الْمُسْتَهْمِ^(٣)

* * *

وكان سبب قتله على عزة من قومه ولحمته على أنه كان لا يُرفع بحضرتة صوت ولا يُسمع في ناديه كلمة خنا ، وفي ذلك يقول المهلهل في مرثيته إياه^(٤) : [الكامل]
ذَهَبَ الْخِيَارُ مِنَ الْمَعَاشِرِ كُلِّهِمْ وَاسْتَبَّ بِعَدِكَ يَا كَلَيْبُ الْمَجْلِسُ
وَتَنَارَعُوا فِي أَمْرِ كُلِّ عَظِيمَةٍ لَوْ كُنْتُ حَاضِرَ أَمْرِهِمْ لَمْ يَنْبَسُوا
وَمُهْلَهْلُ أَخُو كَلَيْبٍ وَاسْمُهُ عَدِيٌّ ، وَهِيَ ابْنَةُ رَبِيعَةَ ، وَكَانَ مُهْلَهْلٌ يُسَفِّهُهُ كَلَيْبٌ ، وَيَصِفُهُ بِالغَزَلِ وَالتَّحَدُّثِ إِلَى النِّسَاءِ وَيَذُمَّهُ^(٥) بِذَلِكَ فَيَقُولُ : أَنْتَ زَيْرُ نِسَاءِ .

(١) مثل يضرب في الحديث يتذكر به غيره .

(٢) أبو ليلي حسان بن قيس بن عبد الله بن جمدة شاعر مطبوع فصيح عاش في الجاهلية والإسلام وحضر المواقع وهاجى بعض الشعراء وعمر ومات في أواخر خلافة مروان بن الحكم سنة : ٥٦ هـ (انظر تاريخ الأدب لفروخ : ١ - ٣٤٢)

(٣) استحر : عطش عطشا شديدا ، والمسهم : المخطط بصور على شكل السهم .

(٤) الكامل : ٢١٣ . (٥) ذمته : أغضبه .

وكان شرف بكر بن وائل في ولد ذى الجَدَّين وهو عبد الله بن همام بن مرة بن ذهل بن شيان . وهؤلاء أشراف وأبناء أشراف وهم بيت بكر بن وائل وشرفها .

* * *

وكانت إحدى بنات مرة تحت كليب بن ربيعة ، وكان عدوُّ المهلهل آخى هَمَامَ ابن مرة . وكان عاقده وعاهده ألا يَكْتُم أحدهما صاحبه خيرا يقع إليه . فجاءت جارية همام فسأرتُه بشيء ، فتغير وجهه ، فقال المَهْلَهْل :

ما قالت لك يا أخى ؟

فورى ،

فقال له : العَهْد !

فقال : خبرتنى أن أخى قتل أخاك .

فقال له المَهْلَهْل : لا تُرْع ، فإن همة أخيك لا تبلغ ذلك .

وسيتصل الخبر مستقصى بوقائعهم - إن شاء الله -

وكانت حربهم أربعين سنة في مقتل كليب ، وهو مَوْصُول بما ابتدأناه بما فيه من

مراثيم وغيرها . فقالت ماوية بنت مرة امرأة كليب ، تشتكى ما بها من قتل أخيها

زوجها ، وهي قصيدة محيطة بالمعنى المقصود ، جيدة الكلام بوفرة التشكى : [الرمل]

يا ابنة الأقبام إن شئت فلا تنجلي باللوم حتى تسألنى

فإذا أنت تيينت التى عندها اللوم فلومى وأغدىلى

إن تكن أحت امرىء ليمت على شقى منها عليه فافعللى

قل جساس على وجدى به فاطع ظهرى ومفن أجلى

لو بعينى فديت عين سوى أحيها فالفقات لم أخفل

تخمل العين قذى العين كما تخمل الأم قذى ما تفعللى

يا قبلا قوض الدهر به سقى يتى جميعا من عل

هدم البيت الذى استخذته وبدأ فى هدم يتى الأول

ورمانى قلته من كعب رمية المضمنى به المستاصل

يا نسائى دونكن اليوم قد حصى الدهر بزرة مضل

من ورائى ولطى مستقلى من ورائى ولطى مستقلى

حصى قل كليب بلطى

لَيْسَ مَنْ يَنْكِي لِيُؤْمِنَ كَمَنْ
دَرَكَ الثَّأْبَ شَافِيَهُ وَفِي
إِنَّمَا يَنْكِي لِيُؤْمِنَ يَنْجَلِي
دَرَكِي نَأْرِي تَكُلُ المَكِيلِ
دَرَكًا مِنْهُ دَمًا مِنْ أَحْمَلِي
حَسْرَتًا عَمَّا انْجَلَتْ أَوْ تَنْجَلِي
وَلَعَلَّ اللهُ أَنْ يَرْزَأَ لِي^(٦)
جَلُّ عِنْدِي فِعْلُ جَسَاسٍ قِيَا
إِنِّي قَاتِلَةٌ مَقْتُولَةٌ

* * *

قال أبو العباس :

قرأت على أبي محمد النحوي المعروف بالتوزي عن أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي مولى بني تميم بن مرة من قريش عن مقاتل الأحول بن سنان من بني سعد بن مالك ابن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، وهو الذي يقول فيه طرفة : [الطويل]
رَأَيْتُ سَعُودًا مِنْ شُعُوبٍ كَثِيرَةٍ فَلَمَّ أَرَّ سَعْدًا مِثْلَ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ

قال مقاتل :

هذا عدى وأخوه كليب وسالم وفاطمة بنو ربيعة بن الحارث بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب . وكان كليب بن ربيعة ليس على الأرض بكرى ولا تغلبي أجار رجلاً ولا بعيراً إلا بإذن كليب ، ولا كان يجمي حمى إلا لم يقرب . وكان لمرة بن ذهل بن شيان عشرة بنين [منهم] جساس ، وكان أصغرهم ، وكانت أختهم عند كليب .

قال مقاتل :

وأُم جساس بن مرة : هَيْلَةُ بنت منقذ بن سليمان وابن كعب بن عمرو بن سعد بن زيد بن تميم . ثم خلف عليها بعد مرة بن ذهل سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة .
قال فراس^(٧) :

وهي أمنا ، وخالة جساس يقال لها : البسوس .

قال أبو برزة :

(٦) نهاية الأرب : ٥ - ٢١٧ .

(٧) فراس هذا : هو ابن خندق البسوسي ، أحد رواة حرب بكر وتغلب .

البسوس أخت هَيْلَةَ ، فجاءت فنزلت على جساس فكانت جارة لبني مرة ومعها ناقة اسمها السراب وكانت خَوَّارة^(٨) صَفِيًّا من نَعَمِ بني سعد ، ومعها فَصِيلٌ لها .

قال أبو برزة :

وقد كان كليب قال لصاحبه - أخت جساس - هل تعلمين على الأرض عربيا يمنع مني ذمته ؟

فسكتت ، ثم أعاد ذلك عليها فسكتت ، ثم أعاد ذلك عليها الثالثة فقالت : نعم أخي جساس. وتَدَمَّانُهُ ابن عمه عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل وعمرو هو المُزْدَلَف . وأما مقاتل فزعم أن امرأة كليب بينا تغسل رأس كليب وتُسَرِّحه ذات يوم إذ قال لها : من أعز وائل ؟ فَضَمَّرَتْ^(٩)

فأعاد عليها : فَضَمَّرْتُ ، فلما أكثر قالت :

أخوأي جساس وهمام فنزع رأسه من يدها ، وأخذ القوس فرمى فصيل ناقة البسوس نخالة جساس وجارة بني مرّة ، فأقصده ، فأغمضوا على ما فيها وسكتوا .

ثم لقي كليب ابن البسوس . فقال :

ما فعل فَصِيلِ ناختكم ؟

قال :

قتلته واخليت لنا لبن أمه

فأغمضوا على هذه أيضا .

ثم إن كليبا أعاد بعد هذا على أمراته فقال :

من أعز بني وائل ؟

قالت : أخوأي

فأضمرها وأسرّها^(١٠) كليب ، وأسكَّتْ حتى تمرَّ إبل جساس فإذا الناقة فاستكرها

فقال :

(٨) يقال ناقة خوارة وناقة صَفِيٌّ : أي كثيرة اللبن .

(٩) ضمز : سكت . المعجم الوسيط : ١ - ٥٤٦ .

(١٠) أسرها : أخفاها . أسكت : أضمر .

ما هذه الناقة ؟

قالوا :

لخاله جساس .

قال :

أوقد بلغ من أمر ابن السعدية أن يجير بغير إذني ؟ ارم ضرعها يا غلام فشقه .

قال :

فأخذ القوس فرمى ضرع الناقة ، فاختلط لبنها ودمها .

وراحت الرعاء على جساس فأخبروه بالأمر فقال :

احلبوا لها مكياً من لبنها ، ولا تذكروا لها من ذلك شيئاً ، وأغمضوا عليها .

قال مقاتل :

حتى أصابتهم سماء ، ففدا في غيبها عمرو بن ذهل بن شيبان فطعن عمرو كلياً فقصم صلبه .

وأما أبو برزة فزعم أن جساساً أمسك حتى ظعن ابنا وائل ، فمرت بكر على

نهي^(١١) يقال له : شبيث ، فأبعدهم عنه كليب وقال : لا تذوقوا منه قطرة ، ثم مروا

على آخر يقال له : الأحص فأبعدهم عنه ، ثم مروا على بطن الجريب^(١٢) فمنعهم

إياه ، فمضوا حتى نزلوا الذنائب ، وأتبعهم كليب وحيه حتى نزلوا عليهم ، فمر عليه

جساس وهو واقف على غدير الذنائب فقال :

أبعدت أهلنا عن المياه حتى كدت تقتلهم من العطش .

فقال كليب :

ما أبعدناهم إلا عن شيء نحن له شاغلون .

فمضى جساس ومعه المزدلف عمرو بن أبي ربيعة ، ثم ناداه جساس :

هذا كفعلك بناقة خالتي .

قال :

(١١) نهي : أي غدير . وشبيث : غدير بنجد . والأحص : غدير أيضا بنجد

(١٢) بطن الجريب : واد بنجد .

أوقد ذكرتها ! أما إني لو وجدتها في غير إبل بنى مرة بن ذهل لا ستحللت تلك الإبل بها !

فعطف عليه جساس الفرس فطعنه بالرمح ، فأنفذ حِضْنِيهِ^(١٣) فلما تَدَاءَمَهُ الموت قال :
ياجساس ، اسقنى من الماء

قال :

ما عَقَلْتُ استسقاءك من الماء مُذُولَدَتِكَ أُمَّكَ قبل ساعتك هذه .

قال أبو برزة : فعطف عليه المَزْدَلِفُ عمرو بن أبى ربيعة فحزَّ رأسه .

وأما مُقاتل فزعم أن عمرو بن الحارث بن ذهل الذى طعنه فقصم صُلْبَهُ ، ففى ذلك

[الوافر]

يقول مهلهل :

قَيْلٌ مَا قَيْلُ الْمَرْءِ عَمْرُو وَجَسَّاسُ بْنُ مُرَّةَ ذُو ضَرِيرٍ^(١٤)

* * *

وقال نابغة بنى جَعْدَةَ لِعقال بن حُوَيْلِدِ الْعُقَيْلِيِّ لما أجار بنى وائل بن مَعْن ، وقد قتلوا

رجلاً من بنى جَعْدَةَ ، فَحَدَّرَهُ عُدْوَانَ الظُّلْمِ واقْتَصَرَ له أَمْرٌ كَلَيْبٍ وحديثه : [الطويل]

كَلَيْبٌ لَعَمْرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا وَأَيْسَرَ ظَلَمًا مِنْكَ ضَرَجٌ بِالْدَمِّ

رَمَى ضَرَجٌ نَابٍ فَاسْتَحَرَّ بِطَغْنَةِ كَحَاشِيَةِ الْبُرْدِ الْيَمَانِيِّ الْمُسَهَّمِ

وَقَالَ لِجَسَّاسٍ : أَغْنَيْ بَشْرِيَةَ تَفْضُلٌ بِهَا طَوْلًا عَلَيَّ وَأَنْعِمِ

فقال : تَجَاوَزْتَ الْأَحْصَى وَمَاءَهُ وَيَطْنُ شَيْثٌ وَهُوَ ذُو مَتْرَسَمٍ^(١٥)

وهى فى كلمة .

* * *

وقال العباس بن مرداس لكليب بن عَهْمَةَ الظَّفَرِيِّ أخى عباس ومالك بن عَهْمَةَ ، وكانوا

شركاء فى الْقُرْيَةِ^(١٦) فَجَحَدَهُمْ [كَلَيْبٌ] حَظَّهُمْ منها ، فَحَدَّرَهُ غِبَّ الظُّلْمِ وما لَقِيَ

[الكامل]

كَلَيْبٌ منه :

(١٣) الحِضْنُ : مادون الإبط إلى الكشح . وتداءمه الموت : تراكم عليه .

(١٤) الضرير : هو الإنسان الذى يصير على الشر . والبيت فى الأغاني : ٥ - ٣٣ .

(١٥) المترسم : موضع الماء . (١٦) الْقُرْيَةُ : موضع فى ديار بنى سليم : الرسالة

أَكَلَيْبُ مَالِكُ كُلِّ يَوْمٍ ظَالِمًا وَالظُّلْمُ أَلْكَدُ وَجْهَهُ مَلْعُونٌ
فَأَفْعَلُ بِقَوْمِكَ مَا أَرَادَ بِوَائِلِ يَوْمَ الْعَدِيرِ سَمِيكَ الْمَطْمُونُ
وَإِظْنُ أَنْكَ سَوْفَ تَلْقَى مِثْلَهَا فِي صَفْحَتِكَ سِنَائِهَا الْمَسْنُونُ
إِنَّ الْفَرِيَةَ قَدْ تَبَيَّنَ شَائِهَا لَوْ كَانَ يَنْفَعُ عِنْدَكَ التَّيِّبُ
أَجْحَدْتَنِي ثُمَّ انْطَلَقَتْ نَحْطَهَا وَأَبُو يَزِيدَ بِجَوْهَا مَدْفُونٌ^(١٧)

* * *

وقال رجل من بكر بن وائل في الإسلام ، وهو يحمل على الأعشى ، وزعموا أنه شئيل بن عريرة :

[الطويل]

وَنَحْنُ فَهَرْنَا تَغْلِبَ ابْنَةَ وَائِلِ بِقَتْلِ كَلَيْبِ إِذْ طَعَى وَتَخَيَّلَا
أَبَانَاهُ بِالنَّابِ الَّتِي شَقَّ ضَرْعَهَا فَأَصْبَحَ مَوْطُوءَ الْحِمَى مُتَدَلِّلَا^(١٨)

* * *

وهي كلمة .

قال :

ومقتل كليب بالذئاب عن يسار فلجة مُصْعِدًا إلى مكة ، وذلك قول المهلهل : [الوافر]

وَلَوْئِشِشَ الْمَقَابِرُ عَنْ كَلَيْبِ فَيَجْبَرُ بِالذَّنَائِبِ أُمِّي زَيْر

قال أبو برزة : فلما قتله جساس أمال بيده الفرس حتى انتهى إلى أهله خارجة ركبته .

قالت أخته :

يا أمتاه ، إن جساسا قد جاء خارجة ركبته .

قالت :

والله ما خرجت ركبته إلا لأمر عظيم .

قالت :

ما وراءك ؟

قال :

(١٧) الأغاني : ٥ - ٣٨ .

(١٨) هذان البيتان لسعد بن مناة البكري . الرسالة

ورأى والله أنى قد طعنته طعنة لَتَشْتَعِلَنَّ منها شيوخ وائل رقصاً .

قالت :

أقتلت كُليّياً ؟

قال : نعم

قالت :

والله لوددتُ أنك وإخوتك كنتم مِثْم قبل هذا . ما بى إلا أن يتناكد بى أبناء وائل .

* * *

وزعم مقاتل أن جساسا قال لأخيه نَضْلَةَ بن مِرَّة - ويقال لهما اليوم عَضْدَا الحمار :

[الوافر]

وإنى قَدْ جَنَيْتُ عَلَيْكَ حَرْبًا تُفِصُّ الشَّيْخُ بِالماء القَرَّاح

فأجابه أخوه نَضْلَةَ بن مِرَّة فقال :

فإنَّكَ قَدْ جَنَيْتَ عَلَيَّ حَرْبًا فَلَإِنِ وَإِنِ وَلَا رَتْ السَّلَاح

* * *

وإنما ذكرنا أول هذه الوقائع والسبب الذى هَجَّجها نَطْرَقًا إلى مرأى مهلهل أخاه وقومه ليقع ذلك على معرفة عند من لم يكن عرفها .

قال المهلهل يرثى أخاه ، ويذكر أشراف مَنْ قُتِلَ به ، وأن ذلك ليس بكفاء : [الوافر]

أَلَيْتَا بِذِي حُسْمٍ أَنِيرِي إِذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فَلَا تُحَوِّرِي

فَإِنْ يَكُ بِالذَّنَائِبِ طَالَ لَيْلِي فَقَدْ يُتَكَّى مِنَ اللَّيْلِ الْقَصِيرِ

فَلَوْ نُبِشَ الْمَقَابِرُ عَنْ كَلْبٍ فَيَجْرَ بِالذَّنَائِبِ أُمِّي زِيرٍ (١٩)

معنى ذا أن كليياً كان يُعَبَّرُ مهلهلا فيقول :

أنت زير نساء . وإنما يقال ذلك لمؤثر اللهب بالنساء والحديث إلهن على المساعى وطلب

الذكر ، وكان مهلهل أوقع بهم بالذنائب وقعة منكرة : لو رأى كليب ما صنعت لعلم

أنى غير زير .

يَوْمَ الشَّعْمَيْنِ لَقَرَعَيْتَا وَكَيْفَ لِقَاءِ مَنْ نَحَتْ الْقُبُورِ؟ (٢٠)
وَأَيُّ قَدْ تَرَكَتْ بِوَارِدَاتِ بُحَيْرًا فِي دَمٍ مِثْلِ الْعَبِيرِ

* * *

تَحْبِيرُ بُحَيْرٍ : وهو ابن الحارث بن عباد بن ضبيعة بن قيس بن ربيعة ، وكان الحارث من فرسانهم ، فاعتزل هذه الحرب . وجاء بُحَيْرُ يقاتل مع قومه يوم (واردات) ، وهو مشهور من أيامهم . فَأَخِذًا أُسِيرًا فقتله مُهْلَهْل ، وقال : بُوِ بِشِئْنِ كَلِيبِ . فقيل للحارث بن عباد :

إن ابنك بجيرا قتل

فقال الحارث :

إنه لأعظم قتيل بركة إن أصلح الله بين ابني وائل .

فقيل له :

إن مُهْلَهْلًا حين قتله قال : بُوِ بِشِئْنِ كَلِيبِ .

فقال عند ذلك :

[المديد]

قَرَبًا مَرَبَطَ التَّعَامَةَ مِئِي لِقَعَتْ حَرْبٌ وائِلَ عَن جِيَالِ
لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِمَ اللّهُ وَوَأَيُّ بِحَرْهَا الْيَوْمَ صَالِ
لَا بُحَيْرٌ أَغْنَى فَيْسَلًا وَلَا زَهْ طُ كَلِيبِ تَرَاجَرُوا عَن ضَلَالِ

ثم دخل في الحرب .

نرجع إلى شعر مُهْلَهْل :

هَتَكَتْ بِهِ يُوتُ بِنِي عِبَادِ وَبِغَضِ الْعَشْمِ أَشْفَى لِسَلْصُدُورِ
عَلَى أَنْ لَيْسَ يُشْفَى مِنْ كَلِيبِ إِذَا بَرَزَتْ مُجْبَأَةُ الْخُدُورِ
وَهَمَّامٌ بِنُ مَرَّةٍ قَدْ تَرَكَتْنَا عَلَيْهِ الْقَشْعَمَيْنِ مِنَ السُّنُورِ
يَنُوءُ بِصَدْرِهِ وَالرُّمُحُ فِيهِ وَيَخْلِجُهُ خَدْبٌ كَالْمَهْمُورِ
فَلَوْلَا الرِّيحُ أَسْمِعَ أَهْلُ حِجْرِ صَلِيلَ الْبَيْضِ تُفْرَعُ بِالذُّكُورِ
فِدَى لَيْنِي شَقِيقَهُ يَوْمَ جَاءُوا كَأَسَدِ الْغَابِ لَجَّتْ فِي الزَّيْرِ

كَأَنَّ رِمَاحَهُمْ أَشْطَانُ بِسْرِ بَعِيدِ يَتَنَ جَالِيهَا جَرُورِ
كَأَنَّ غُدُوَّةَ وَيَسَى أَيْنَا بِجَنْبِ غُنَيْرَةَ رَحِيَا مُدِيرِ
نَكُرُ عَلَيْهِمْ عَوْدًا وَبَلَدًا كَأَنَّ الْخَيْلَ تَنْهَضُ فِي غَدِيرِ

[الخفيف]

وقال أيضا يرثيه :

طِفْلَةٌ مَا ابْتَدَأَ الْمُحَلَّلِ بَيْضَا ع لَعُوبٌ لَدِيدَةٌ فِي الْعِنَاقِ
صَرَبَتْ نَحْرَهَا إِلَيَّ وَقَالَتْ يَا عِدِي لَقَدْ وَقَنْتَ الْأَوَاقِي
مَا أَرْجِي بِالْعَيْشِ بَعْدَ نَدَامِي قَدْ أَرَاهُمْ سَقُورًا بِكَأْسِ حَلَاقِي
بَعْدَ عَمْرٍو وَعَامِرٍ وَخَيْي وَقَتِيلِي صَدُوفٍ وَأَتْنِي عَنَاقِي
وَأَمْرِيءِ الْقَيْسِ مَيْتٍ يَوْمَ أَوْدِي ثُمَّ حَلَى عَلَيَّ ذَاتِ الْعِرَاقِي
وَكَلَيْبِ غُبَرِ الْفَوَارِسِ إِذْ حُ م رَمَاهُ الْكُمَاهُ بِالْإِيفَاقِي
إِنَّ تَحْتَ الْأَخْجَارِ حَزْمًا وَجُودًا وَحَصِيمًا أَلَدًا ذَا مِغْلَاقِي

مَنْ قَالَ (مِغْلَاق) أَرَادَ : إِذَا عَلَّقَ خَصْمَهُ بَلَّغَ مِنْهُ . وَمَنْ قَالَ (مِغْلَاق) أَرَادَ : يُغْلِقُ الْحُجَّةَ

عَلَى الْخَصْمِ .

حَيَّةٌ فِي الْوَجَارِ أَزِيدُ لَا يَنْ فَعُ مِنْهُ السَّلِيمَ نَفْتُ الرَّاقِي

* * *

[أخبار طريفة وأشعار ظريفة]

وقد أطلنا القول في المراثى والتعازى وما بهما من المواعظ . وآخر بما أطيل أن يُمل .
وقد قال أحد المتقدمين : (من أطال الحديث فقد عرّض نفسه للملل ولسوء الاستماع) .

وقد كنا ذكرنا أشعاراً من أشعار المتقدمين ، فقلنا نملها على وجهها . ثم رجعت
إلى أنها مجموعة في الكتاب الكامل على شرح جميع إعرابها ومعانيها ، فإن رجعت رجعت
معادةً ، وهو يُؤخذ من ثم . وقد أتى للقاضى رحمه الله أكثر من الحَوْل . وقد قال
ليبد :

[إلى الحَوْل ثم اسم السَّلَامِ عَلَيْكُمَا] وَمَنْ يَنْكَ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اغْتَدَزَ

ولكننا نُشِيعُ ما قَدْ مَضَى من الأخبار بأخبار طريفة من هذا الباب ، وأشعار ظريفة
مختصرة ، ينقطع الكلام عليها إن شاء الله ، وبه القوة .

* * *

حُدِّثْتُ أَنَّ رَجُلًا عَزَى بِيْحَى بْنِ خَالِدٍ^(١) عَنْ حُرْمَةَ لَهُ فَقَالَ : أَيُّهَا الْوَزِيرُ ، تَقْدِيمُ الْحَرَمِ
مِنَ النَّعْمِ وَمَثَلُ :

[الوافر]
تَمَرٌ إِذَا رُزِيَتْ بِخَيْرِ دِزَعٍ تَسْرِبُ لِلْمَصَائِبِ دِزَعٌ صَبْرٌ
وَلَمْ أَرْ نِعْمَةً شَمَلَتْ كَرِيمًا كَعَوْرَةِ مُسْلِمٍ سُرْتُ بِقَبْرِ

* * *

وَسَمِعَ أَسْمَاءَ بِنْتُ خَارِجَةَ^(٢) الْفَزَارِيَّ نَائِحَةً بِالْكُوفَةِ تَقُولُ :
[المقارب]
فَمَنْ لِلْمَنَابِرِ وَالْخَافِقَاتِ وَلِلْجُودِ بَعْدَ زِمَامِ الْعَرَبِ
وَمَنْ لِلنَّعَاةِ وَحَمْلِ الدِّيَاتِ وَمَنْ يَفْرُجُ الْكُرْبَ حِينَ الْكُرْبِ
وَمَنْ لِلطَّعَانِ غَدَاةَ الْهَيَاجِ وَمَنْ يَمْنَعُ الْبَيْضَ عِنْدَ الْهَرَبِ

(١) يحيى بن خالد بن برمك معلم الرشيد ومؤدبه ثم اختاره لوزارته حتى إذا غضب على آل برمك
حبسه الرشيد وقد اتهمه بالخيانة ثم مات في السجن سنة ١٩٠ هـ عن عمر وصل إلى السبعين .
الأعلام : ٩ - ١٧٥ .

(٢) أسماء بن خارجة من التابعين من أهل الكوفة ، كان مقرباً للخلفاء ، سيدا في قومه توفي سنة
٦٦ هـ . الأعلام : ١ - ٢٩٩ .

فقال :

مثل هذا فليتك . ثم قال :
يا حُدُّ إِنَّكَ إِنْ تُوسِّدَ لَيْتَا وَسُدَّتْ بَعْدَ الْمَوْتِ صُمَّ الْجَنْدَلِ
فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ فِي حَيَاتِكَ صَالِحًا فَلْتَسُدَّ مِنْ غَدَا إِذَا لَمْ تَفْعَلِ

* * *

وقال عبد الله بن العباس :

مَا اتَّعَظْتُ بِشَيْءٍ بَعْدَمَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَمَا اتَّعَظْتُ بِكِتَابِ كَتَبَهُ عَلَيَّ [رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ] إِلَيَّ . وَكَانَ كِتَابُهُ :
أَمَا بَعْدُ . فَإِنَّ الْمَرْءَ يَسْرُهُ دَرَكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَقُوتَهُ ، وَيَسُوؤُهُ فَوْثُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَدْرِكَهُ .
فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نَلْتَ مِنْ أَمْرِ آخِرَتِكَ . وَلْيَكُنْ أَسْفَكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْ ذَلِكَ . وَمَا
نَلْتَ مِنَ الدُّنْيَا فَلَا تَتَّعَمَّ بِهِ فَرَحًا ، وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلَا تُكْثِرْ عَلَيْهِ جَزَعًا ، وَلْيَكُنْ هَمُّكَ
لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ .

* * *

وقال بعضهم :

سَمِعْتُ بَكَاءَ رَاهِبٍ فَنَادَيْتُ :
يَا رَاهِبُ ! مَا يُبْكِيكَ ؟

فقال :

أُبْكِيَانِي أَمْرٌ عَرَفْتُهُ فَجُرْتُ عَنْ سَبِيلِهِ ، وَقَصَّرْتُ فِي طَلْبِهِ ، وَيَوْمَ مَضَى أَوْرَثَنِي غَيْرَتُهُ
وَحَسْرَتُهُ ، نَقَصَ لَهُ أَجَلِي ، وَلَمْ يَنْقُصْ لَهُ أَمَلِي .

* * *

وَرُوي أَنَّ بَعْضَ مَلُوكِ الْفَرَسِ كَانَ شَدِيدَ الْغَضَبِ ، فَكَتَبَ ثَلَاثَ رِقَاعٍ ، ثُمَّ وَكَّلَ
رَجُلًا حَازِمًا مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ :

إِذَا اشْتَدَّ غَضَبِي فَادْفَعُوا إِلَيَّ الْأُولَى ، فَإِذَا سَكَنْتُ بَعْضَ السُّكُونِ فَادْفَعُوا إِلَيَّ الثَّانِيَةَ ،
ثُمَّ ادْفَعُوا إِلَيَّ الثَّلَاثَةَ .

فَكَانَ فِي الْأُولَى : إِنَّكَ لَسْتَ بِالْإِلَهِ ، إِنَّمَا أَنْتَ بَشَرٌ يَوْشِكُ أَنْ يَمُوتَ ، وَيَأْكُلُ بَعْضُكَ
بَعْضًا .

وَفِي الثَّانِيَةِ : اِرْحَمِ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمُكَ مَنْ فِي السَّمَاءِ .

وَفِي الثَّلَاثَةِ : لِحُدِّ النَّاسِ بِأَمْرِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ لَا يُصْلِحُهُمْ إِلَّا ذَلِكَ .

وقال أبو عبد الرحمن بن عائشة :
لما أتى بِحُجْر بن عَدِي^(٣) وأصحابه لِيُقْتَلَ بِعَدْرَاءِ^(٤) قال :
ما اسمُ هذه القرية ؟
قالوا : عَدْرَاءُ .

قال : والله إنِّي لأول فارس وَعَرَ^(٥) أهلها يوم افتتاحها .
فلما قُرِبَ لِيُقْتَلَ صَلَّى ركعتين ، وأظهر جرعاً ، قيل له :
أتجزع ؟
فقال :

وَلَمْ لَا أَفْعَلُ ؟ كَفَنَ مَنشور وسيف مشهور ، وقبر مخفور ولست أدري أيؤدبني
إلى جنّة أم إلى نار !!

فلما قُتِلَ قال عبدُ الله بن خليفة الطائي يرثيه :
[الطويل]
تَذَكَّرْتُ لَيْلِي وَالشَّيْبَةَ أَغْصَرَا وَذَكَرْتُ الْهَوَى بَرَحَ عَلَيَّ مِنْ تَذَكَّرَا
أَقُولُ وَلَا وَاللَّهِ أَنْسَى مُصَابَهُمْ سَجِسَ اللَّيَالِي أَوْ أُمُوتَ فَأَقْبَرَا^(٦)
عَلَى أَهْلِ عَدْرَاءَ السَّلَامِ مُضَاعَفَا مِنَ اللَّهِ وَلَيْسَ السَّحَابُ الْكَنْهَوْرَا^(٧)
وَلَأَقَى بِهَا حُجْرًا مِنَ اللَّهِ رَحْمَةً فَقَدْ كَانَ أَرْضَى اللَّهِ حُجْرًا وَأَعْدَرَا
فِيَا حُجْرٍ مَنْ لِلخَيْلِ تُطْعَمُ بِالْقَنَا وَ لِلْمَلِكِ الْمَغْرِي إِذَا مَا تَعَشَّرَا^(٨)
فَقَدْ عَشْتُ مَعْمُودَ الْحَيَاةِ وَإِنِّي لِأَطْمَعُ أَنْ تُعْطَى الْخُلُودَ وَتُخْبِرَا

وقال حسان بن ثابت يرثي جعفر بن أبي طالب^(٩) وزيد بن حارثة^(١٠) وعبد الله ابن

(٣) حجر بن عدى بن جبلة الكندي صحابي من أنصار علي بن أبي طالب ، وكان ضد بني أمية ،
قبض عليه زياد بن أبيه في الكوفة وأرسله إلى معاوية مكبلاً في الحديد فأمر بقتله سنة ٥١ هـ .

(٤) عدراء : قرية بغوطة دمشق .

(٥) وَعَرَهُ : حبسه عن حاجته ووجهته

(٦) السجيس : أبدا .

(٧) الكنهور : المتراكب الثمين .

(٨) المغزى : الظالم الذي لا يسمع النصيح . تقشمر : طغى .

(٩) سمى جعفر الطائر بن أبي طالب عم الرسول ﷺ من أوائل المسلمين في مكة وهو أكبر من
علي وهو أحد قادة غزوة مؤتة استشهد بها رضى الله عنه .

(١٠) زيد بن حارثة خادم رسول الله وحبيبه وصاحب قصة النبي وهو الصحابي الوحيد الذي
ذكر اسمه في القرآن الكريم استشهد في غزوة مؤتة رضى الله عنه .

رواحة^(١١) [فقد] أمرهم رسول الله ﷺ على جيش مؤتة : [الطويل]
ثَأْوَيْتِي لَيْلٌ يَيْتُزِبُ أَعْسَرُ وَهَمَّ إِذَا مَا نَوْمَ النَّاسِ مُسَهْرُ
لِدِكْرَى حَيْبٍ هَيَّجَتْ لَكَ عَبْرَةَ سَفَوْحًا وَأَسْبَابَ الْبُكَاءِ التَّدَكُّرُ
بَلَى إِنَّ فَهْدَانَ الْحَبِيبِ بَلِيَّةٌ وَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ يَيْتَلُ ثُمَّ يَضِيرُ
رَأَيْتُ خِيَارَ الْمُؤْمِنِينَ تَوَارَدُوا شِعُوبٌ وَقَدْ حُلِفَتْ فِيمَنْ يُؤَخَّرُ
فَلَا يَتَعَدَّنُ اللَّهُ قَتْلَى تَتَابَعُوا بِمُؤْتَةَ مِنْهُمْ ذُو الْجَنَاحِينَ جَفْعَرُ
وَزَيْدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ حِينَ تَتَابَعُوا جَمِيعًا وَأَسْبَابَ الْمِنِيَّةِ تُحْطَرُ
غَدَاةً مَضَى بِالْمُؤْمِنِينَ يَفُودُهُمْ إِلَى الْمَوْتِ مَيْمُونَ التَّقِيَّةِ أَزْهَرُ
أَغْرُ كَهْوِ الْبَدْرِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ أَبِي إِذَا سِيَمَ الظَّلَامَةَ يَجْسُرُ
فَطَاعَنَ حَتَّى مَاتَ غَيْرَ مُوسِدٍ بِمُعْتَرِكٍ فِيهِ الْفَنَاءُ تَكْسَرُ
فَصَارَ مَعَ الْمُسْتَشْهِدِينَ ثَوَابُهُ جَنَّاتٌ وَمُلْتَفُ الْحَدَائِقِ أَحْضَرُ
وَكَثَا تَرَى فِي جَفْعَرٍ مِنْ مُحَمَّدٍ وَقَارًا وَأَمْرًا حَازِمًا حِينَ يَأْمُرُ
وَمَا زَالَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ دَعَائِمُ عِزٍّ لَا تُرَامُ وَمَفْخَرُ
وَهُمْ جَبَلُ الْإِسْلَامِ وَالنَّاسُ حَوْلَهُمْ رِضَامٌ إِلَى طَوْدِ يَرْوِقُ وَيَقْهَرُ
بِهَالِيلٍ مِنْهُمْ جَفْعَرُ وَابْنُ أُمِّهِ عَلِيُّ وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ الْمُتَخَيَّرُ
وَحَمَزَةُ وَالْعَبَّاسُ مِنْهُمْ وَمِنْهُمْ عَقِيلٌ وَمَاءُ الْعُودِ مِنْ حَيْثُ يُعْصَرُ
بِهِمْ تُفْرَجُ الْأَوَاءُ فِي كُلِّ مَعْرَكٍ عَمَاسُ إِذَا مَا ضَاقَ بِالنَّاسِ مَصْدَرُ
هُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ أَنْزَلَ حُكْمَهُ عَلَيْهِمْ وَفِيهِمْ ذَا الْكِتَابِ الْمُطَهَّرُ^(١٢)

ومما يستحسنه الناس من المراثي ، ويخف على ألسنتهم قصيدة محمد بن مناذر الصبيري^(١٣) مولى يني صبير بن يربوع في عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي^(١٤) حتى خلطوا في الرواية ، وزاد بعضهم على بعض . ونحن [نُملئ] اختياراً منها تقع فيه الموعظة الحسنة من قول المخلوقين ، والكلام المرضي من ذلك ، وهي التي أولها :
كُلُّ حَيٍّ لَأَقْبَى الْحِمَامِ فَمُودٍ مَالِحِيٍّ مُؤَمِّلٍ مِنْ خَلُودٍ
لَا تَهَابُ الْمَنُونَ حَيًّا وَلَا تَبُّ قِي عَلَى الْوَالِدِ وَلَا تَوْلُودِ

(١١) عبد الله بن رواحة أنصاري خزرجي صحابي جليل استشهد في غزوة مؤتة .

(١٢) ديوان حسان بن ثابت ص ١٧٨ مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ .

(١٣) أبو جعفر محمد بن مناذر شاعر كثير الأخبار والنوادر على علم بالأدب واللغة مات بمكة

سنة : ١٩٨ هـ . (١٤) عبد المجيد هذا من أصحاب ابن مناذر .

يَقْدَحُ الدَّهْرُ فِي شَمَارِيخِ رَضْوَى وَيَحْطُ الصُّخُورَ مِنْ هُبُودِ (١٥)

يزعمون أنه غلط في هذا ، وأن هبود حفيرة ، ليس كما قالوا ، إنما الحفيرة هبوب ، والذي قال هو : هبود . وذكروا أنها أكمة .

وَلَقَدْ تَشْرَكَ الحَوَادِثُ وَالْأَيُّ
لَيْسَ يَتَّقِي عَلَى الحَوَادِثِ حَى
بِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ

وما استحنت منها ولم أرذل غيره قوله :

أَيْنَ رَبِّ الحِصْنِ الحَصِينِ بِسُورَا
شَادَ أَرْكَانَهُ وَيَوَابِهِ بَا
كَانَ يُجْبَى إِلَيْهِ مَا بَيْنَ صَنْعَا

وَتَرَى حَوْلَهُ زُرَاقَاتٍ خَيْلٍ
قَرَمَى شَخْصَهُ فَأَقْصَدَهُ الدَّهْرُ
ثُمَّ لَمْ يَنْجِهِ مِنَ المَوْتِ حِصْنٌ

وَمُلُوكٌ مِنْ قَبْلِهِ عَمَرُوا الأَزْرَ
فَلَوْ أَنَّ الأَيَّامَ [أَحْلَدْنَ حَيًّا
مَادَرَى نَعِشَهُ وَلَا حَامِلُوهُ

وَبِحَ أَيِّدِ حَيْثُ عَلَيْهِ وَأَيْدِ
غَيْثٍ فِي الصَّعِيدِ خَزْمًا وَعِزْمًا
إِنَّ عَبْدَ المَجِيدِ يَوْمَ تَوَلَّى

هَذَا رُكْنِي عَبْدَ المَجِيدِ وَقَدْ كُنْتُ
حِينَ تَمَّتْ آدَابُهُ وَتَرَدَّى
وَسَمْتُ نَحْوَةَ العِيُونِ وَمَا كَا

وَكَأَنِّي أَدْعُوهُ وَهُوَ قَرِيبٌ
وَلَيْنَ كُنْتُ لَمْ أُمْتُ مِنْ جَوَى الحُزَى
لَأَقِيمَنَّ مَا تَمَّا كَجُومِ اللُّ

مُوجَعَاتِ يَكِينِ لِلْكَبَدِ الحَرِّ
عَلَى رُكْنِي عَبْدَ المَجِيدِ
بِرْدَاءٍ مِنَ الشَّبَابِ جَدِيدِ
نَ عَلَيْهِ لِزَائِدٍ مِنْ مَزِيدِ
حِينَ أَدْعُوهُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدِ
نِ عَلَيْهِ لِأَبْلَغِنَ مَجْهُودِي
يَلْ زُهْرًا يَلْطَمُنَ حُرَّ الخُدُودِ
ي عَلَيْهِ وَلِلْقَوَادِ العَمِيدِ

ي عَلَيْهِ وَلِلْقَوَادِ العَمِيدِ

(١٥) رَضْوَى : جبل بالمدينة وهبود : جبل .

(١٦) سورة : موضع بجانب بغداد . (١٧) ما بين القوسين نقص أكمل من الكامل : ١٢٢٨ .

(١٨) الكامل : ١٢٢٦ . استعنا بما جاء في الكامل بتكملة النقص ، وتوضيح ما صعبت قراءته .

وَلَعَيْنَ مَطْرُوفَةٍ أَبَدًا قَا لَ لَهَا الدَّفْرُ : لَا تَنَامِي وَجُودِي
كَلَّمَا عَزَّكَ الْبُكَاءُ فَأَلْفَدْتِ لِعَبْدِ الْمَجِيدِ سَجْلًا فَعُودِي
لَفَتِي يَخْسُنُ الْبُكَاءُ عَلَيْهِ وَقَتِي كَانَ لَامْتِدَاحِ الْقَصِيدِ (١٨)

فكل هذه الأبيات عُرَّة ، ولقد بلغني بلاغا إخاله صحيحا أن عبد المجيد كان للمدح حياته موضعا ، وللمرائي بعد موته مستوجبا عفانا وجمالا وأدبا وشبابا .

وقال القائل :

وإنَّ أَحْسَنَ بَيْتٍ أَتَيْتَ قَائِلُهُ يَنْتَ - يَقَالُ إِذَا أَشَدَّهُ صَدَقًا (١٩)

وأحسن من ذلك - وإن جل قدر المؤمن - بكاء الرجل على نفسه - وإن كان حيا ،

لما يتوقَّعُهُ . كما قال [أبو العتاهية] إسماعيل بن القاسم :

كَمْ سَتَرِي فِي النَّاسِ مِنْ هَالِكٍ وَهَالِكٍ حَتَّى تُرَى هَالِكًا (٢٠)

فهذا مأخوذ مما يروى أن الصديق - رحمة الله - كان يُكثِرُ إنشاده وهو :

[مجزوء الكامل]

ثُمَّ لَكُ تَسْمَعُ مَا حَيْثُ بِهِالِكٍ حَتَّى تُكُونَهُ
وَالْمَرْءَ قَدْ يَرْجُو الرَّجَاءَ مُغَيِّبًا وَالْمَوْتَ دُونَهُ (٢١)

ومع قوله هذا :

أُصْبَحَتِ الدُّنْيَا لَنَا عِبْرَةً
إِجْمَعَ النَّاسُ عَلَى ذَمِّهَا
وَمَا تُرَى مِنْهُمْ لَهَا تَارِكًا

ومثله قوله : [أبو العتاهية] :

وَقَدْ حَدَرْتَاهَا لَعَمْرِي حُطُوبُهَا
عَلَى أَنَّهَا فِينَا سَرِيعُ دَيْبِهَا
إِلَى حُفْرَةٍ يُحْتَسَى عَلَى كَيْبِهَا
لَفِي غَفْلَةٍ عَنِ صَوْتِهَا لَا أَجِيبُهَا
وَيُعْجِنِي رُوحَ الْحَيَاةِ وَطَيْبِهَا

(١٩) القائل طرقة بن العبد والبيت في الديوان :

(٢٠) الديوان : ٣٠٩ .

(٢١) مر هذان البيتان ولا يعرف قائلهما :

يَدُومُ طُلُوعِ الشَّمْسِ لِي وَغُرُوبِهَا
تُحَادِثُ نَفْسِي مِنْكَ مَا سَيُصِيبُهَا
وَنَفْسِي سَيَأْتِي بَعْدَهُنَّ نَصِيحُهَا (٢٢)

وقال منصور التَّمْرِي (٢٣) يرثي يزيد بن مزيد (٢٤) :

أَبَا خَالِدٍ مِنْ بَعْدِ الْآ تَلَايَا
أَصَابَتْ مَعْدًا يَوْمَ أَصْبَحْتَ ثَاوِيَا
فَتَبَكَّى مَعْدٌ وَالْقَيْلُ الْيَمَانِيَا
فَقُلْتُ لَهُ : أَصْبَحْتَ لِلْجُودِ نَاعِيَا
بِعَبْرَةِ مَحْزُونٍ بَكَى لِكَايَا
فَهَيَّجَنَ أَخْرَانَا غَلَبَنَ عَزَائِيَا
وَقَدْ عَايَتْ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ شَاجِيَا ؟
شَمَاتَا لَقَدْ مَرُّوا بِرَبْعِكَ خَالِيَا
سَيَلْقَى الْأَعَادَى مِنْ يَدَيْهِ الدَّوَاهِيَا
إِذَا التَّفْسُ جَاشَتْ لَوْ بَلَّغَنَ التَّرَاقِيَا

فَحَتَّى مَتَّى [حَتَّى مَتَّى] وَالِي مَتَّى
أَيَا هَادِمِ اللَّذَاتِ مَا مِنْكَ مَهْرَبٌ
رَأَيْتُ الْمَنَايَا قَسَمَتْ بَيْنَ الْفَسْرِ

وَنَاعِ غَدَا يَنْعَى يَزِيدَ بِنِ مَزِيدٍ
أَعْيَتِي جُودًا بِالذَّمْعِ وَأَسْعِدَا
سَمِعْتُ بُكَاءَ التَّائِحَاتِ بِسُخْرَةٍ
إِلَّا عَدَرَ اللَّهُ الْعِيُونَ التَّوَاكِيَا
لَعَنِمِي لَيْنِ سُرِّ الْأَعَادَى وَأَظْهَرُوا
وَحَلَفْتُ لَيْتِي غَابَتَيْنِ كِلَاهُمَا
فَشِيبُكَ أَحْلَافًا وَعِزَّةَ أَنْفُسِي
قَالَ :

(النفس) في موضوع : (النفوس) .

عِيَالِكَ يَسْرِي ثُمَّ يُصْبِحُ غَادِيَا
إِذَا نَكَلَ الْحَامُونَ كُنْتُ مُحَامِيَا
وَتَحْمِي لَهْ أَطْرَافُهُ وَالْقَوَاصِيَا
وَكوكِبَةٌ تَرْمِي الْعِدَا وَالْمَنَاوِيَا
وَسَيْفًا لَهُ عَضْبًا يَقْدُ الْهَوَادِيَا
وَلَمْ يَكْ مَنْ يَكْفِي أَصَابِكَ كَافِيَا
وَشَمْرَتْ أَذْيَالًا وَبَيْتٌ دَاعِيَا ؟
وَأَوْشَكَتْ مِنْهُ رَفَعٌ مَا كَانَ وَاهِيَا

سَقِيَتِ السَّوَارِي وَالْعَوَادِي وَقَدْ أَرَى
نُعْرِي بِكَ الْإِسْلَامَ إِنَّكَ دُونَهُ
مُشْمَرٌ أَذْيَالٍ تُحَوِّطُ حَرِيمَهُ
وَكُنْتُ شِهَابًا لِلْخَلِيفَةِ ثَاقِيَا
وَكُنْتُ سِنَانًا [نَافِذًا] فِي يَمِينِهِ
وَكُنْتُ إِذْ نَادَى لِأَمْرِ عَظِيمَةٍ
.....
وَقَمْتُ بِأَمْرِ الثُّغْرِ بَعْدَ فَسَادِهِ

(٢٢) ديوان أبي العتاهية : ٦٠ .

(٢٣) منصور بن سلمة بن الزبيرقان من شعراء الدولة العباسية وهو تلميذ العتاي شاعر الرشيد وكان شديد العداة للطلالبيين توفي حوالي سنة ٢١٠ هـ (انظر فوات الوفيات : ٤ - ١٦٤) .

(٢٤) له ترجمة مطولة في وفيات الأعيان : ٦ - ٣٢٧ وفيها بعض هذه الأبيات : ٦ - ٣٤٠ .

فَقَدْ مَاكَ مَعْرُوفٌ وَمَائِكَ تِجَارَةٌ
لُعَزِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَهْطَهُ
لَقَدْ كَانَ فِي أَعْدَائِهِمْ ذَا شَكِيمَةٍ
وَمَلَانَ مِنْ وَدِّ الْخَلِيفَةِ صَدْرُهُ
مَضَى مَا جَدَّ الْأَيَّامِ رَافِعَ هِمَّةٍ
فَإِنْ عُدَّ فِي دُنْيَا فِدَاكَ مَكَارِمٍ
عَلَى مِثْلِ مَا لَأَقَى يَزِيدَ بْنَ مَزِيدٍ
فَتَى كَانَتْ الْأَبْطَالُ تُعْرِفُ أَنَّهُ
فَإِنْ تَكُ أَفْتَنَةُ اللَّيَالِي فَأَوْشَكَتْ
حَلْفَتْ لَقَدْ أَبْقَى يَزِيدُ لِرَهْطِهِ
وَمَاكَ غَنَاءَ يَوْمٍ وَدَعَتْ مَاضِيَا
بَسِيفٍ لَهُ مَا كَانَ فِي الْحَرْبِ نَازِيَا
لَهُمْ نَاهِكًا بَدَا وَقَدْ كَانَ نَازِكِيَا؟
يُؤَدِي إِلَيْهِ التَّصْحُحُ مُذْ كَانَ نَاشِيَا
إِلَى الْخَلْقِ الْأَعْلَى مِنَ الدَّمِ نَاجِيَا
وَإِنْ عُدَّ فِي دِينِ فَلَمْ يَكُ تَالِيَا
عَلَيْهِ الْمَنَائِيَا فَالْقَى إِنْ كُنْتَ لِأَقِيَا
إِذَا قَارَعْتَهُ لَيْسَ بِالضَّمِيمِ رَاضِيَا
فَإِنَّ لَهُ ذِكْرًا سَيُفْنِي اللَّيَالِيَا
مَعَالِي لَا تُثْفِكُ تُبْنِي مَعَالِيَا (٢٥)

[خاتمة شريفة]

كنا أردنا أن نغلي أشعارًا من أشعار المحدثين في ضروب من المراثي فأشفقنا من أن يُسْتَحْفَ بهذا الكتاب ، والمراثي لا تنقضى ما كان الناس ، فأحببنا أن نُحْتِمِه ونأخذ في غيره ، وأن يكون ما نختمه شريفًا بهيًّا ، فاخترنا له قصيدة أنشدناها الرياشي لرجل من غطفان من بني عبد الله ، كانت له صحبة قُتِلَ يوم جَلَوْلَاء^(١) يقال له : سالم ، يرثي رسول الله ﷺ :^(٢)

[المقارب]

لَصَّبِحِكَ مَا طَلَعَ الْكَوْكَبُ
وَأَتَى الْبَرِّيَّةَ لَا يَتَكَبُّ
إِلَّا جَوَى دَاخِلُ مُنْصَبُ
فَخِيَمَ فِيهِ فَمَا يَذْهَبُ
وَمَا بَالُ ذَمِّكَ لَا يَسْكُبُ
وَضَاقَتْ بِكَ الْأَرْضُ وَالْمَذْهَبُ
يُنْكَى مِنَ النَّاسِ أَوْ يَنْدَبُ
كثيرَ الْفَوَاضِلِ لَا يُجْدِبُ
بِ مَحْضِ الصَّرَائِبِ لَا يُؤْشِبُ
دِ ضَخْمِ الدَّسِيعَةِ لَا يُخَسِبُ^(٣)
سَرِيحًا سَوَابِلَهُ مُخْصِبُ
صَدُوقِ الْمَقَالَةِ لَا يَكْذِبُ
شُهُودِ الْمَدِينَةِ وَالْغَيْبِ
وَشَرْقِ الْمَدِينَةِ وَالْمَغْرِبِ
إِذَا حُجِبَ النَّاسُ لَا تُحْجَبُ
تُطِيفُ بِعَقُورَتِهِ أَشِيبُ^(٤)

أَفَاطِمُ بَكِي وَلَا تَسَامِي
فَقَدْ هُدَّتِ الْأَرْضُ لِمَا تَوَى
فَمَا لِي بَعْدَكَ حَتَّى الْمَمَاتِ
جَوَى حَلِّ بَيْنِ الْحَشَا وَالشُّغَافِ
فَيَاغِينُ وَيَنْحِكِ لَا تَسَامِي
وَقَدْ بَانَ مِنْكَ الَّذِي تَعْلَمِينَ
وَمَنْ ذَا - لِكَ الْوَيْلُ - بَعْدَ الرَّسُولِ
فَإِنْ ثَبَّكَ ثَبَّكَ خَيْرَ الْأَنَامِ
وَإِنْ ثَبَّكَ ثَبَّكَ سَهْلَ الْجَنَّا
وَإِنْ ثَبَّكَ ثَبَّكَ نُورَ الْبَلَا
وَإِنْ ثَبَّكَ ثَبَّكَ خَيْرَ الْأَنَامِ
وَإِنْ ثَبَّكَ ثَبَّكَ وَارِي الزِّنَادِ
وَتَبْكِي الرَّسُولَ وَحَقَّتْ لَهُ
وَتَبْكِي لَهُ الصَّمُّ صُمَّ الْجِبَالِ
وَتَبْكِيهِ شَعَاءَ مَضْرُورَةٍ
(وَتَبْكِيهِ) شَيْخُ أَبُو وَلَدَةٍ

(١) جلولاء : ناحية من الوادي في طريق خرسان . معجم البلدان : ٣ - ١٢٩

(٢) وردت أبيات من هذه القصيدة منسوبة إلى صفية بنت عبد المطلب عمه النبي ذكر ابن سعد في طبقاته بعض أبياتها ، وذكر النويري عشرة أبيات منها في نهاية الأرب : ١٨ - ٤٠٤ .

(٣) الدسيعة : العطية الجزيلة . المعجم الوسيط : ١ - ٢٨٣ .

(٤) العقوة : ساحة البيت ، وما بين الأقواس في أول هذا البيت وما بعده نقص أتمناه من الرسالة ، ومن نهاية الأرب : ١٨ - ٤٠٤ .

(وَيْتِكِهِ) أَهْلُ النَّهْيِ وَالْحَجِيِّ
وَوَيْتِكِهِ ضَيْفٌ جَفَاهُ الصَّدِيقُ
وَوَيْتِكِهِ شُعْتٌ خِمَاصُ الْبُطُونِ
مِنْ النَّاسِ وَالطَّارِقُ الْأَحْيَبُ
وَذُو النَّسَبِ الدَّاخِلُ الْأَقْرَبُ
أَضَرَّ بِهِمْ زَمَنٌ أَلْكَبُ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا



[حديث للعائذ والمؤتم]

هذا آخر الكتاب .

وقيل :

ما قيل فيه ﷺ قليل وإن كان كثيراً في اللفظ ، ويسيراً وإن كان جليلاً في النفس ،
وعليه رحمة الله وبركاته .

وهذا حديث نذكره لِيَتَّبِعَهُ ذِكْرُهُ عَلَيْهِ السَّلَام ، ويعوذ به عائذ ، ويأتّم به مؤتم :

حدثني الرياشي العباس بن الفرغ قال :

أخبرنا أحمد بن شبيب قال : أخبرنا أبي عن رَوْح بن القاسم عن أبي جعفر الخطي
المدني . عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف أن رجلاً كان
يختلف إلى عثمان بن عفان رحمة الله عليه في حاجة له ، وكان عثمان لا ينظر إليه ، ولا
يلتفت إلى حاجته . فلقي عثمان بن حنيف فشكا ذلك إليه ، فقال له عثمان بن حنيف :
إِيتِ الْمِيضَاءَ فتوضأ ، ثم إئت المسجد فصل ركعتين ثم قل :
اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِنَبِيِّ مُحَمَّد ، نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، يَا مُحَمَّد إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّي فَيَقْضِي
لِي حَاجَتِي وَتَذَكُرَ حَاجَتَكَ ، ثُمَّ رُحْ حَيْثُ تَرُوح^(١) .

فانطلق الرجل فصنع ذلك . ثم أتى باب عثمان بن عفان - رحمة الله عليه - فأخذ
البواب بيده ، فأدخله على عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فأجلسه معه على
الطَّنْفَسَةِ^(٢) فقال له :

حاجتك ؟

فذكر له حاجته فقضاها ، ثم قال :

ما فهمت حاجتك حتى كانت الساعة . وقال :

انظر ما كانت لك من حاجة .

ثم إنَّ الرجل خرج فلقي عثمان بن حنيف ، فقال له :

جزاك الله خيراً . ما كان ينظر في حاجتي ولا يَلْتَفِتُ إِلَيَّ حتى كلمته .

فقال عثمان بن حنيف :

(١) تصحيح من الرسالة ففى (ل) : حتى أروح .

(٢) الطَّنْفَسَةُ : البساط أو الحصير .

ما كلمته ، ولكنى سمعت رسول الله ﷺ ، وجاء ضرير فشكا إليه ذهاب البصر ، فقال رسول الله ﷺ :

أو تصبر ؟

فقال :

يا رسول الله إنه ليس لى قائد ، وقد شقَّ عليّ .

فقال النبي ﷺ :

إيت الميضأة فتوضأ ثم صل ركعتين ، ثم قل :

اللهم ، إني أسألك وأتوجه إليك بنبي محمد نبي الرحمة ﷺ . يا محمد ، إني أتوجه

بك إلى ربى ليرد لى - الله - بصرى^(٣) .

اللهم شفّعنى فى ، أو شفّعنى فى نفسى .

قال عثمان بن حنيف :

فوالله ما تفرقتنا وطال بنا الحديث حتى دخل الرجل كأنه لم يكن به ضرر .

تم كتاب التعازى والمرائى

بأسره ، والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

وكان الفراغ منه فى العشر الأوسط من جمادى الآخرة من سنة ثلاث وستين وخمسمائة

(٣) ليرد الله بصرى : يياض صححناه بما يناسب المقام .

(أعلام لها تراجم) أولا :

الصفحة	الرقم في الصفحة	الأسماء	الصفحة	الرقم في الصفحة	الأسماء
١٣	١	السيرافي .	٥١	١١	ضرار بن الأزور الأسدي .
١٣	٢	نفظوية .	٥١	١٢	التوزي .
١٤	٣	ابن جني .	٥٤	٣٠	عمارة بن عقيل .
١٤	٤	علي بن يوسف القفطي .	٥٤	٣١	خالد بن يزيد بن مزيد
٤٢	٤	أبو الحسن المدائني .	٥٤	٣٣	الرياشي العباس بن فرج
٤٢	٥	دريد بن الصمة .	٥٥	٣٥	ابن الأزور
٤٣	٧	أبو عبيدة .	٥٩	٥٥	أبو المغوار .
٤٣	٨	يونس بن حبيب .	٦٠	٦٠	هرم بن سنان .
٤٣	١٠	أبو خراش الهذلي .	٦٠	٦٤	مخلد بن يزيد بن المهلب .
٤٣	١٢	أبو ذؤيب	٦١	٦٨	الخنساء .
٤٣	١٤	أوس بن حجر .	٦٢	٧٢	الناطقة .
٤٤	٢٢	عمرو بن معدى كرب .	٦٢	٧٣	حصن بن حذيفة .
٤٤	٢٤	حارثة بن بدر الغداني .	٧٠	١٠٢	قيس بن عاصم
٤٥	٣٠	الضحاك بن قيس .	٧٢	١١٢	الشاعر
٤٦	٣٢	الأصمعي .	٧٤	١٢٦	عبد الله بن جعفر الهاشمي
٤٦	٣٣	الحسن .	٧٧	٥	جويرة بن أسماء
٤٦	٣٦	عبد الرحمن بن أبي بكرة .	٨١	٢٥	سلم بن قتيبة
٤٧	٣٧	شيبه بن نصاح .	٨٢	٢٩	إسماعيل بن يسار
٤٧	٣٨	أسماء بنت عميس .	٨٢	٣٠	أرطاة بن سهية المري
٤٨	٤١	الحسن بن دينار .	٨٣	٣٢	مالك بن دينار .
٤٨	٤٢	علي بن زيد .	٨٣	٣٥	سعيد بن العاصي .
٤٨	٤٣	أنس بن مالك .	٨٣	٣٦	عبد الله بن عامر
٤٨	٤٥	أبان .	٨٤	٤٠	صدقة بن عبد الله المازني .
٥٠	١	متمم بن نويرة .	٨٤	٤١	حظلة بن عبدالله الأسيدي
٥٠	٤٠	كعب بن سعد الغنوي .	٨٥	٤٣	عامر بن حفص .
٥٠	٦	أعشى قيس .	٨٦	٤٧	مخلد بن حمزة .
٥١	١٠	خالد بن الوليد بن المغيرة .	٨٦	٤٨	عبد الملك بن عمير .

الصفحة	الرقم ل الصفحة	الأسماء	الصفحة	الرقم ل الصفحة	الأسماء
١١٥	٤٨	محمد بن علي بن الحنفية	٨٧	٤٩	عبد الله بن الزبير .
١١٦	٥١	هشام بن عقبة .	٨٩	٥٥	بشر بن عبد الله بن عمر
١١٨	٤	سعد بن عبادة .	٩١	٦٣	محمد بن عباد .
١١٩	٩	الراعى .	٩٢	٦٨	مسلمة .
١٢٠	١٠	سعيد بن سلم الباهلى .	٩٤	٧٢	محمد بن حرب الهلالى .
١٢٨	٣٧	عبد مناف بن ربيع الهدلى .	٩٤	٧٢	ابن الأعرابى .
١٣١	٤٥	ابن أحمر .	٩٤	٧٤	كعب بن سور .
١٣٢	٥٦	ذو الرمة .	٩٦	٧٧	الشاعر عبد الرحمن .
١٣٥	١	فطر بن خليفة .	٩٧	٧٩	عمر بن ذر .
١٣٧	١	لوط بن يحيى .	٩٨	٨٤	عوانه .
١٣٧	٢	عبد الرحمن بن ملجم .	٩٩	٨٥	محمد بن الفضل أو حازم
١٣٨	١	عيسى بن يزيد .	٩٩	٨٦	عقبة بن عياض الفهرى .
١٣٨	٢	رملة .	١٠٠	٨٨	عمر بن مجاشع .
١٤١	١	أبو عبيدة بن الجراح .	١٠٠	٨٩	نافع مولى عبد الله بن عمر .
١٤٢	١	معاذ بن جبل .	١٠٠	٩٣	يعقوب بن داود .
١٤٥	١١	مهرة .	١٠١	٩٦	امراة من بنى الحارث .
١٥٠	١٨	ربيعة بن مكدم .	١٠٢	٩٩	الحسن بن الحسين أبو عبيد الله
١٥٠	١٩	الربيع بن خثيم .	١٠٢	١٠٠	صالح المرى .
١٥١	٢	عمر بن هبيرة .	١٠٢	١٠٢	محمد بن سيرين .
١٥١	٤	إبراهيم بن يزيد النخعى .	١٠٤	١٠٦	سعيد بن المسيب .
١٥٣	١	المهلب بن أبى صفرة	١٠٤	١٠٧	أبو مسلم الخولانى .
١٥٥	٢٨	نهار بن توسعة .	١٠٥	١	ليلى الأخيلية .
١٥٥	٣٠	قتيبة من سلم .	١٠٥	٢	توبة الحميرى .
١٥٦	٣١	مخلد .	١٠٩	٦	سليمان بن قته .
١٥٧	٣٥	المسور .	١١٠	٣١	الحكمى .
١٥٧	٣٧	السائب بن الأقرع .	١١١	٣٣	يزيد بن مزيد .
١٥٧	٣٩	بكر بن عبد الله المزنى .	١١١	٣٥	خليد بن عينين .
١٦٢	٥٤	ابن السماك .	١١١	٣٦	الجارود العبدى .
١٦٤	٥٨	رجاء بن حيوة .	١١٤	٤٥	وضاح اليمن .
١٦٥	٦٦	الحسن بن عمارة .	١١٤	٤٦	معن بن أوس .

الصفحة	الرقم ل الصفحة	الأسماء	الصفحة	الرقم ل الصفحة	الأسماء
١٩٩	٢٤	الشعبي .	١٦٦	٦٨	عاتكة .
١٩٩	٢٥	شرح .	١٦٨	٧٥	المعاف بن عمران .
٢٠٠	٣٠	معتمر بن سليمان	١٧١	٢	مسلم بن الوليد .
٢٠٠	٣٢	مجزأة بن ثور السدوسي	١٧١	٣	الفضل بن سهل .
٢٠١	٣٤	مالك بن أسماء بن خارجة	١٧١	٦	إبراهيم بن المهدي .
٢٠٦	٤٨	ابن كناسة .	١٧٤	٢٤	إسماعيل بن القاسم أبو الغناية .
٢٠٧	٥٤	الأشعث بن قيس .	١٧٥	٣١	رجل من قيس (بشار بن برد)
٢٠٨	٥٨	موسى الهادي	١٧٥	٣٢	محمد بن بشار .
٢٠٩	٦٢	إياس بن معاوية .	١٧٦	٣٥	عبد الله بن عمر العبلي .
٢١٠	٦٧	سفيان .	١٧٩	٤٤	رجل من الخوارج .
٢١٠	٦٨	محارب بن دثار .	١٧٩	٤٧	أبو عبد الرحمن العتبي .
٢١٢	٧٢	أبو مكدم .	١٨٠	٤٨	محمد بن عبد الملك (الزيات)
٢١٧	١١	مصعب بن الزبير .	١٨٢	٥٠	رجل من بني شيبان (الحسين بن مطهر) .
٢١٧	١٢	ستان بن سلمة .	١٨٢	٥٢	عبد الصمد بن المعذل .
٢١٨	١٤	طارق	١٨٦	٦٤	مروان بن أبي الجنوب .
٢١٨	١٧	نافع	١٨٨	٦٨	الحسن بن وهب .
٢٢٠	٢٢	أبو موسى الأشعري .	١٩٢	٧٧	محمد بن عباد .
٢٢٠	٢٥	جرير بن عبد الله البجلي	١٩٣	٨١	دعبل بن علي الخزاعي .
٢٢١	٢٧	عباد بن زياد	١٥٣	٨٣	أشجع بن عمر السلمي .
٢٢٥	١٠	عاصم بن عمر .	١٩٥	٢	إسماعيل بن يسار .
٢٢٥	١١	عبيد الله بن عمرو	١٩٦	١١	البعيث .
٢٢٥	١٣	كعب الأحبار .	١٩٧	١٨	سفيان بن عيينة .
٢٢٦	١٧	الزبير بن العوام	١٩٨	١٩	سعيد بن جبير .
٢٢٧	١٨	طلحة بن عبيد الله	١٨٩	٢٠	القلاخ بن حزن .
٢٢٨	٢٥	ابن الأدبر	١٨٩	٢٢	ضمرة بن ضمرة .
٢٢٩	٢٨	إنفة قرظة .	١٩٩	٢٣	مجالد .
٢٢٩	٣٠	عبد الرحمن بن أبي الزناد			
٢٣٠	٢١	الحارث بن عباد .			
٢٣٠	٢٣	مسلم بن خالد .			
٢٣٠	٢٤	طلوس .			

الصفحة	الرقم ل الصفحة	الأسماء	الصفحة	الرقم ل الصفحة	الأسماء
٢٦١	٣	الأسود الضليل .	٢٣١	٣٦	أمية بن أبي الصلت .
٢٦١	٤	أبو عمر الجرمي .	٢٣٢	٣٨	زياد .
٢٦٢	١٠	عامر بن فهير .	٢٣٢	٣٩	محمد بن إسحاق .
٢٦٣	١١	حسان بن مجدل الكلبي .	٢٣٢	٤٠	الزُهري .
٢٦٥	١	إيتاخ .	٢٣٣	٤٢	نافع بن علقمة .
٢٦٥	٢	الشار .	٢٣٣	٤٣	يحيى بن زكريا .
٢٦٩	١٩	أحمد بن محمد الخثعمي .	٢٣٤	٤٤	سليمان التيمي .
٢٧٠	٢	مالك بن زهير .	٢٣٤	٤٥	حذيفة .
٢٧٠	٣	الربيع بن زياد العبسي .	٢٣٦	٥٠	الوليد بن عقبة .
٢٧١	٦	حميد بن نور .	٢٣٧	٥٣	إيَّاس بن قتادة .
٢٧٤	٥	زيد الخليل .	٢٣٧	٥٥	معبد بن طوق العنبري .
٢٧٦	١٥	حذيفة بن بدر .	٢٣٩	٥٧	جعفر بن سليمان .
٢٧٧	٢	النابعة الجعدى .	٢٤١	٦٦	رجل (نافع بن غيلان) .
٢٧٩	٧	فراس .	٢٤٦	١	عبد الله بن مسعود .
٢٨٧	١	يحيى بن خالد .	٢٤٦	٢	أبو جهل .
٢٨٧	٢	أسماء بن خارجة .	٢٤٧	٥	وكيع بن الدورقية .
٢٨٩	٣	حجر بن عدى .	٢٤٧	٦	عبد الله بن خارم .
٢٨٩	٩	جعفر بن أبي طالب .	٢٥٠	١٥	مسلم بن عقبة المري .
٢٨٩	١٠	زيد بن حارثة .	٢٥٠	١٦	حصين بن نمير السكوني .
٢٩٠	١١	عبد الله بن رواحه .	٢٥١	١٧	حبيس بن دلجة .
٢٩٠	١٣	محمد بن منذر الصبيري .	٢٥٣	٢٢	الأحوص .
٢٩٠	١٤	عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفى	٢٥٤	٢٧	سالم بن دارة .
			٢٥٤	٢٨	زميل بن أم دينار .
			٢٥٤	٢٩	منظور بن زيان .
			٢٥٧	٣٠	الشماخ .
			٢٥٨	٣٢	وكيع بن أبي الأسود .
			٢٥٨	٣٣	عدى بن أرطاة .
			٢٥٨	٣٥	ابن المراغة .
			٢٥٩	٢٧	دحيم .
			٢٦١	١	بلال .

ثانيا : فهرس آيات القرآن الكريم

الآيات الكريمة في الكتاب	رقم الآية في السورة	السورة	رقم الآية في الصفحة	الصفحة
«... والثمرات وبشر الصابرين • الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون • أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون»	١٥٧-١٥٥	البقرة	-	٢
«وما يُشعِرُكُمْ أنها إذا جاءت لا يؤمنون»	١٠٩	الأنعام	-	١٩
«وبشر الصابرين • الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون • أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون»	١٥٧-١٥٥	البقرة	٢٧	٤٥
«وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرون على ما أصابهم»	٣٤	الحج	٢٨	٤٥
«وما أصاب من مصيبة إلا باذن الله ومن يؤمن بالله يهدي قلبه»	١١	التغابن	٢٩	٤٥
«وأولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة»	١٥٧	البقرة	٣٠	٤٥
«كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور»	١٨٥	آل عمران	٣٩	٤٧
«وله الجوار المنشئات في البحر كالأعلام»	٢٤	الرحمن	٧٠	٦٢
«وعزنى في الخطاب»	٢٣	ص	٩١	٦٦
«وكواعب أترابا»	٣٣	النبأ	٩٢	٦٦
«فنتقبوا في البلاد هل من محيص»	٣٦	ق	١٠٤	٧٠
«الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم»	١٩١	آل عمران	١٠٩	٧١
«سراييل تقيكم الحر وسراييل تقيكم بأسكم»	٨١	النحل	١١٠	٧١
«وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا»	١٥	الجن	١٢٧	٧٥
«والله يحب المقسطين»	٩	الحجرات	١٢٨	٧٥
«كل نفس ذائقة الموت»	٥٧	المنكوت	٩	٧٧
«فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون»	٩٢	الحجر	١٠	٧٧
«ولا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جازي عن والده شيئا»	٣٣	لقمان	١٥	٧٨

«الحق من ربك فلا تكونن من الممترين»	آل عمران	٦٠	١٧	٧٩
«ستجدني إن شاء الله من الصابرين»	الصفافات	١٠٢	١٨	٧٩
«لقد لقينا من سفرنا هذا نصيبا»	الكهف	٦٢	٤٤	٨٥
«إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب»	الزمر	١٠	٧٠	٩٣
«فأما إن كان من المقربين * فروح وريحان وجنة نعيم * وأما إن كان من أصحاب اليمين * فسلام لك من أصحاب اليمين * وأما إن كان من المكذبين الضالين * فنزل من حميم»	الواقعة	٨٨-٩٣	٨٢	٩٨
«واعندكم ينفذ وما عند الله باق»	النحل	٩٦	٨٧	١٠٠
«إنك ميت وإنهم ميتون»	الزمر	٣٠	١٠٥	١٠٤
«يكاد سنا برفه يذهب بالأبصار»	النور	٤٣	٩	١٠٦
«إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك»	المائدة	٢٩	١٧	١٠٧
«وأخرجت الأرض أنقائها»	الزلزلة	٢	١٣	١٢١
«وله الجوار المنشقات في البحر كالأعلام»	الرحمن	٢٤	١٦	١٢٣
«وأعطى قليلا وأكدى»	النجم	٤٣	٢١	١٢٥
«حتى إذا كنتم في الفلك وجرينا بهم برح طيبة»	يونس	٢١	٢٣	١٢٥
«النار وعدما الله الذين كفروا»	الحج	٧٢	٣٤	١٢٧
«إنك لن تمحق الأرض»	الإسراء	٣٧	٣٨	١٢٨
«وجاءت سكرة الموت بالحق»	ق	١٩	٧١	١٦٦
«هذا تأويل رؤياي من قبل»	يوسف	١٠٠	٣٧	٢٠٢
«الذين إذا أصابهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون»	البقرة	١٥٦، ١٥٧	٣٩	٢٠٣
«ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون»	يس	٥١	٤٩	٢٠٦
«وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد»	ق	١٩	٤	٢٢٤
«توفني مسلما وألحقني بالصالحين»	الشعراء	٢٢٧	٦	٢٢٤
«وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل»	آل عمران	١٤٤	٩	٢٢٥
«فسيكفيكم الله وهو السميع العليم»	البقرة	١٣٧	١٦	٢٢٦
«ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رعوف بالعباد»	البقرة	٢٠٧	٢٢	٢٢٧

«فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره • ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره»	٨ ، ٧	الزلزلة	٢٣	٢٢٨
«قد أفلح من تزكى • وذكر اسم ربك فصلي»	١٤ ، ١٣	الأعلى	٣٢	٢٣٠
«تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين»	٨٣	القصص	٤٩	٢٣٥
«إنك ميت وإنهم ميتون»	٣٠	الزمر	٥٩	٢٣٩
«وما جعلنا البشر من قبلك الخلد»	٣٤	الأنبياء	٦٠	٢٣٩

ثالثاً : أحاديث رويت عن النبي ﷺ

الأحاديث	الرقم في الصفحة	الصفحة
«تعزوا عن موتاكم لي»	١٤	٤١
«من عزى مصاباً فله مثله أجره»	٤٧	٤٨
«لأن أقدم فرطاً أحب إلى من أن أدع مائة مسلتم»	٤٦	٤٨
«إن النبي ﷺ وضع إبراهيم في حجره وهو يجود بنفسه ..»	٤٤	٤٨
«إذا أخذت صفى عبدى فضير ، لم أرض له ثواباً دون الجنة»	٤٨	٤٩
حديث قدسى		
«ما غبت صفقتك باضرار»	-	٥٢
«الناس كإبل مائة لا تكاد ترى فيها راحلة»	٢٥	٥٣
«لأفرغ» والحديث بتمامه : (لا فرع ولا عترة»	٩٣	٦٦
«هلك العدادون إلا من أعطاهما في نجدتها ورسيلها»	١٠١	٦٩
«نعم المال الأربعون والكثرة الستون وهلك أصحاب المعين»	١٠٢	٧٠
«كان النبي ﷺ إذا عزى يقول : أجركم الله ورحمكم»	٧٢	٩٤
«سمع النبي ﷺ رجلاً يقول : نسأل الله تمام النعمة . فقال : أتدرى ما تمام النعمة ؟ إن تمام النعمة التجارة من النار . وسمع رجلاً يقول : اللهم أرزقنى صبراً ، فقال : يا عبد الله سألت بلاء ، فسأل الله العافية .	٧٢	١٠٠
«تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب ، وإننا بك يا إبراهيم محزونون» .	٩١	١٠٠
من محمد رسول الله إلى معاذ بن جبل سلام عليك ..	-	١٦٤
	-	١٦٧

«من كان له ابن ، وكان عليه عزيزاً وبه ضين فصبر على مصيبته واحتسابه ..	-	١٦٨
«من أصابته مصيبة فليذكر مصيبته بي فأنها من أعظم المصائب»	٧٩	١٦٩
كنت أسمع أن النبي ﷺ لا يموت حتى يخبر	-	٢٢٣
لما احتضر رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام فخبره	١	٢٢٣
كان رسول الله ﷺ إذا أفرطت عليه الحمى في وجعه ...	-	٢٢٤
«ما رأيت منظرًا قط إلا والقبر أفضع منه»	٨٠	٢٤٥
إن رسول الله ﷺ قال لأبي طالب وهو في الموت ياعم ، قل ، لا إله إلا الله ، أشهد لك بها عند ربى ...	-	٢٤٦
لما قدم المهاجرون المدينة ، وعكوا وكان أشد أرض الحمى ...	-	٢٦١
اللهم العن أبا جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة	-	٢٦٢
اللهم عليك عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام ، كما أخرجونا	-	٢٦٢
دُربوا لى بالحرب حتى دُربوا .	-	٢٧١
«ليت الميضاة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل : اللهم إني أسألك بنبي محمد ، نبي الرحمة ، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربى فيقضى لى حاجتى» .	-	٢٩٧

رابعاً : مصادر المقدمة والتحقيق

- الأحاديث القدسية . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . القاهرة .
- الاختيارين . الأخفش الصغير . تحقيق فخر الدين قباة . مؤسسة الرسالة بيروت .
- أساس البلاغة للزمخشري . تحقيق عبد الرحمن محمود القاهرة ١٩٥٣ .
- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر المسقلاني . مطبعة السعادة . القاهرة .
- الأسمعيات تحقيق محمود شاكر وعبد السلام هارون . دار المعارف ١٩٦٤م .
- الأعلام لخبر الدين الزركلى ط ثانية .
- الأغاني للأصفهاني دار الكتب المصرية .
- الأغاني للأصفهاني وهامشها تحقيق إبراهيم الإيبارى . دار الشعب .
- الأمالي القالى لأبى على القالى . دار الكتب المصرية .
- إنباه الرواه على أنباه النجاة للقفطى . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار الكتب المصرية ١٩٥٠م .
- أنيس الجلساء في ديوان الخنساء مع الترجمة الفرنسية . مطبعة الآباء اليسوعيين . بيروت .
- البخلاء . للجاحظ . تحقيق د. طه الحاجرى . مصر ١٩٤٨م .

- بغية الوعاة للسيوطي . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . دار الفكر ١٩٧٥ م .
- البلاغة للمبرد تحقيق د. عبد التواب رمضان . مكتبة الثقافة الدينية . القاهرة ط. ثانية ١٩٨٥ م .
- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب للألوسي . تحقيق محمد بهجة الأثرى . ثلاثة أجزاء . المطبعة الرحمانية ١٩٢٤ م .
- البيان والتبيين . للمحافظ . تحقيق عبد السلام هارون . مكتبة الخانجي القاهرة . ١٩٦١ .
- تاريخ الأدباء . جمعية مآثر علماء العرب .
- تاريخ الأمم والملوك للإمام الطبري تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف ١٩٥٩ م
- تاريخ الأدب العربي لبروكلمان . دار المعارف . القاهرة
- تاريخ الأدب العربي تأليف عمر فروخ . دار العلم للملايين . بيروت سنة ١٩٧٨ م .
- التعازي للمدائني تحقيق ابتسام مرهون الصفار وبدري محمد فهد . مطبعة النعمان . النجف العراق .
- جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي . دار الصادر ١٩٦٣ م
- جمهرة الأنساب لابن حزم تحقيق ليفي بروفنسال . دار المعارف القاهرة ١٩٤٨ م .
- حركة التأليف عند العرب د. أمجد الطرابلسي . مطبعة الجامعة السورية . دمشق ١٩٥٦ م
- ديوان أبي العتاهية . دار الصادر . بيروت ١٩٦٤ م
- ديوان الأخطل . تحقيق مهدي محمد ناصر الدين . دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٦ م .
- ديوان امرئ القيس تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف القاهرة ١٩٥٨ م
- ديوان أوس بن حجر تحقيق وشرح د. محمد نجم دار الصادر بيروت ١٩٧٩ م
- ديوان بشار بن برد تحقيق الشيخ محمد الطاهر بن عاشور الشركة التونسية للتوزيع .
- ديوان جرير تحقيق إيليا الحاوي . دار الكتاب اللبناني ١٩٨٢ م
- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري تحقيق وليد عرفات ١٩٧١ م
- ديوان الحماسة شرح التبريزي . المكتبة الأزهرية ١٩٢٧ م ط. الثالثة جزآن .
- ديوان حميد بن ثور . تحقيق عبد العزيز الميمنى . دار الكتب .
- ديوان دعبيل بن علي الخزازي تحقيق عبد الصاحب الرحلى مطبعة الآداب . النجف ١٩٦٢ م .
- ديوان زهير بن أبي سلمى . دار الكتب المصرية ١٩٦٣ .
- ديوان الشماخ بن ضرار الذيباني تحقيق د. صلاح الدين الهادي . دار المعارف القاهرة ١٩٦٨ م .
- ديوان صريع الغواني مسلم بن الوليد الأنصاري . مطبعة والدة عباس الأول ١٩٠٧ م .
- ديوان عنترة . دار الصادر . بيروت ١٩٥٨ م
- ديوان كثير . تحقيق د. إحسان عباس . دار الثقافة بيروت . ١٩٧١ م .
- ديوان ليلي الأخيلى تحقيق خليل إبراهيم عطية وجليل عطية وزارة الثقافة والإعلام . بغداد .

- ديوان النابغة الذبياني تحقيق د. شكرى فيصل . دار الفكر . بيروت ١٩٦٨ .
- ديوان المهذلين . دار الكتب القاهرة ١٩٤٥ م .
- رياض الصالحين للإمام النووي . السلام العالمية للطبع والنشر والتوزيع القاهرة .
- رسالة الغفران للمعري تحقيق بنت الشاطىء الدكتورة عائشة عبد الرحمن . دار المعارف القاهرة .
- رغبة الآمل فى شرح الكامل للمرصفى . القاهرة النهضة ١٣٤٦ هـ
- زهر الآداب للحصرى تحقيق على محمد البجارى . طبعة دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٣ م .
- سمط اللآلى لأى عبيد البكرى تحقيق عبد العزيز الميمنى .
- سيرة أعلام النبلاء تحقيق إبراهيم الإييارى .
- السيرة النبوية لابن هشام تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأييارى وعبد الحفيظ شلىى القاهرة مصطفى الحلىى ١٩٥٥ م .
- شخصيات كتاب الأغانى . د. داود سلوم ود. نورى حمود ود. نورى حمود القيس . المجمع العلمى العراقى . بغداد ١٩٨٢ .
- شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى . مكتبة المقدسى القاهرة . ١٣٥٠ هـ
- شعر الأحوص الأنصارى تحقيق عادل سليمان جمال الهيئة العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠ م .
- شعر الراعى وأخباره جمعه ناصر الحانى . مطبوعات المجمع العلمى بدمشق ١٩٦٤ م .
- الشعر والشعراء لابن قتيبة . تحقيق أحمد شاكى دار المعارف .
- شرح ديوان ليلى تحقيق د. إحسان عباس . سلسلة التراث العربى (الكويت ١٩٦٢)
- شرح ديوان الفرزدق . عبد الله الصاوى . المكتبة التجارية .
- صفة الصفوة لابن الجوزى حققه محمود فاخورى . دار الوعى بجلب .
- ضحى الإسلام . أحمد أمين . لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦١ م القاهرة .
- طبقات الشعراء لابن المعتز تحقيق عبد الستار أحمد فراج دار المعارف القاهرة .
- طبقات فحول الشعراء لابن سلام تحقيق محمود شاكى دار المعارف . القاهرة .
- الطبقات الكبرى لابن سعد . دار الصادر بيروت ١٩٥٨ م .
- ظهر الإسلام . أحمد أمين لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٦٢ م
- العبر فى خبر من غير للحافظ الذهبى تحقيق د. صلاح الدين المنجد وفؤاد السيد . الكويت ١٩٦١ م .
- العقد الفريد لابن عبد ربه لجنة التأليف ١٩٧٠ م
- العملة لابن رشيق محمد محىى الدين عبد الحميد . مطبعة حجازى . القاهرة ١٩٣٤ م .
- الفاضل للمبرد تحقيق عبد العزيز الميمنى . دار الكتب المصرية .
- فصل المقال فى شرح الأمثال لأى عبيد البكرى . تحقيق د. إحسان عباس وعبد الحميد عابدين . طبعة مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٧١ م
- فقه اللغة للثعالى . مطبعة مصطفى الحلىى القاهرة .

- الفهرست لابن النديم . دار المعرفة . بيروت لبنان .
- فوات الوفيات لابن شاکر الکتبی تحقیق إحسان عباس .
- الكامل لابن الاثیر مصر ١٣٤٨هـ .
- الكامل للمبرد . تحقیق زکی مبارک وأحمد شاکر مطبعة الخلیی القاهرة ١٩٣٧م .
- لسان العرب لابن منظور مطبعة بولاق ١٣٠٠هـ .
- لسان المیزان لابن حجر . مؤسسة الأعلمی ١٩٧١م .
- مرآة الجنان للیافعی . حیدر آباد ١٣٣٧هـ .
- المزهرة للسيوطی . مكتبة عیسی الخلیی القاهرة ١٣٦١هـ .
- معجم الأدباء لیاقوت الحموی . دار المأمون .
- معجم البلدان لیاقوت الحموی . مطبعة السعادة القاهرة .
- معجم الشعراء للمرزبانی تحقیق عبد الستار أحمد فراج مكتبة عیسی الخلیی . القاهرة ١٩٦٠م .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن . دار الشعب .
- معجم ما استعجم لأبی عیید البکری . تحقیق مصطفى السقا لجنة التألیف والترجمة والنشر .
- القاهرة ١٩٥١ .
- المفضلیات . للمفضل الضبی تحقیق محمد محمود شاکر وعبد السلام هارون . دار المعارف
- القاهرة .
- المؤلف والمختلف للآمدی . تحقیق عبد الستار أحمد فراج مكتبة عیسی الخلیی القاهرة .
- المنتخب من أدب العرب ج١ ، ج٢ . مطبعة دار الکتب المصریة ١٩٣٢م .
- نهاية الأرب للنویری . دار الکتب المصریة . تصویر وزارة الثقافة المصریة .
- النوادر لأبی علی القالی . دار الکتب المصریة .
- نشوة الطرب فی تاریخ جاهلیة العرب . لابن سعید الأندلسی تحقیق د. نصرت عبد الرحمن
- ١٩٨٢م . مكتبة الأقصى بالأردن .
- الوافی بالوفیات للصدقی . المطبعة الهاشمیة . دمشق ١٩٥٩م .
- وفيات الأعیان لابن خلکان . تحقیق د. إحسان عباس .

خامسا : فهرس الموضوعات

عنوان الموضوع

رقم
الصفحة

التقديم	٣
تقديم المحقق .	٥
رحلتى مع كتاب التعازى .	٩
مع مؤلف كتاب التعازى .	١٣
كتاب التعازى .	٢٣
مخطوطتان لكتاب التعازى .	٢٦
منهجنا فى التحقيق .	٣٠
[مقدمة كتاب التعازى] .	٣٩
باب التعازى .	٤٢
باب من الشعر .	٥٠
وهذا باب من التعازى والمواعظ .	٧٦
وهذا باب من التعازى والتعزى فى الأشعار .	١٠٥
[أشعار ليل الأخيلىة وصاحبها توبة] .	١٠٥
[أخبار الخنساء الشاعرة]	١١٧
وصايا لأهل الدين والآداب	١٣٥
وصية أبى بكر الصديق .	١٣٥
وصية عمر بن الخطاب	١٣٦
وصية على بن أبى طالب .	١٣٧
وصية معاوية بن أبى سفيان	١٣٨
وصية أبى عبيدة بن الجراح .	١٤١
وصية معاذ بن جبل .	١٤٢
وصية عبد الملك بن مروان .	١٤٣
وصية الربيع بن خثيم .	١٥٠
وصية جندب بن عبد الله البجلي .	١٥١
وصية المهلب بن أبى صفرة الأزدي .	١٥٣
[مرأى أشعار المحدثين]	١٧١
[مواعظ وتماز وأشعار]	١٩٥

[أخبار الضاعون]	٢١٥
[مقالوه عند الاحتضار]	٢٢٣
ذكر الجفأة عند الموت	٢٤٦
من تكلم في مرضه بشيء حُكي عنه	٢٦١
[بلاغ وعظة]	٢٦٥
[من مرأى الجاهلية]	٢٧٠
[حرب داحس والغبراء]	٢٧٠
[حرب الأوس والخزرج]	٢٧٢
[رثاء البصرة وثورة الزنوج]	٢٧٣
[حرب البسوس]	٢٧٧
[أخبار طريفة وأشعار طريفة]	٢٨٧
[خاتمة شريفة]	٢٩٥
[حديث العائد والمؤتم]	٢٩٧

الفهارس

أولا : أعلام لها تراجم	٢٩٩
ثانيا : فهرس آيات القرآن الكريم	٢٠٣
ثالثا : أحاديث رويت عن النبي ﷺ	٢٠٥
رابعا : مصادر المقدمة والتحقيق	٢٠٦
خامسا : فهرس الموضوعات .	٢١٠

رقم الإيداع ٩٣/١٠٣٧٧ 5-178-14-977 I.S.B.N

